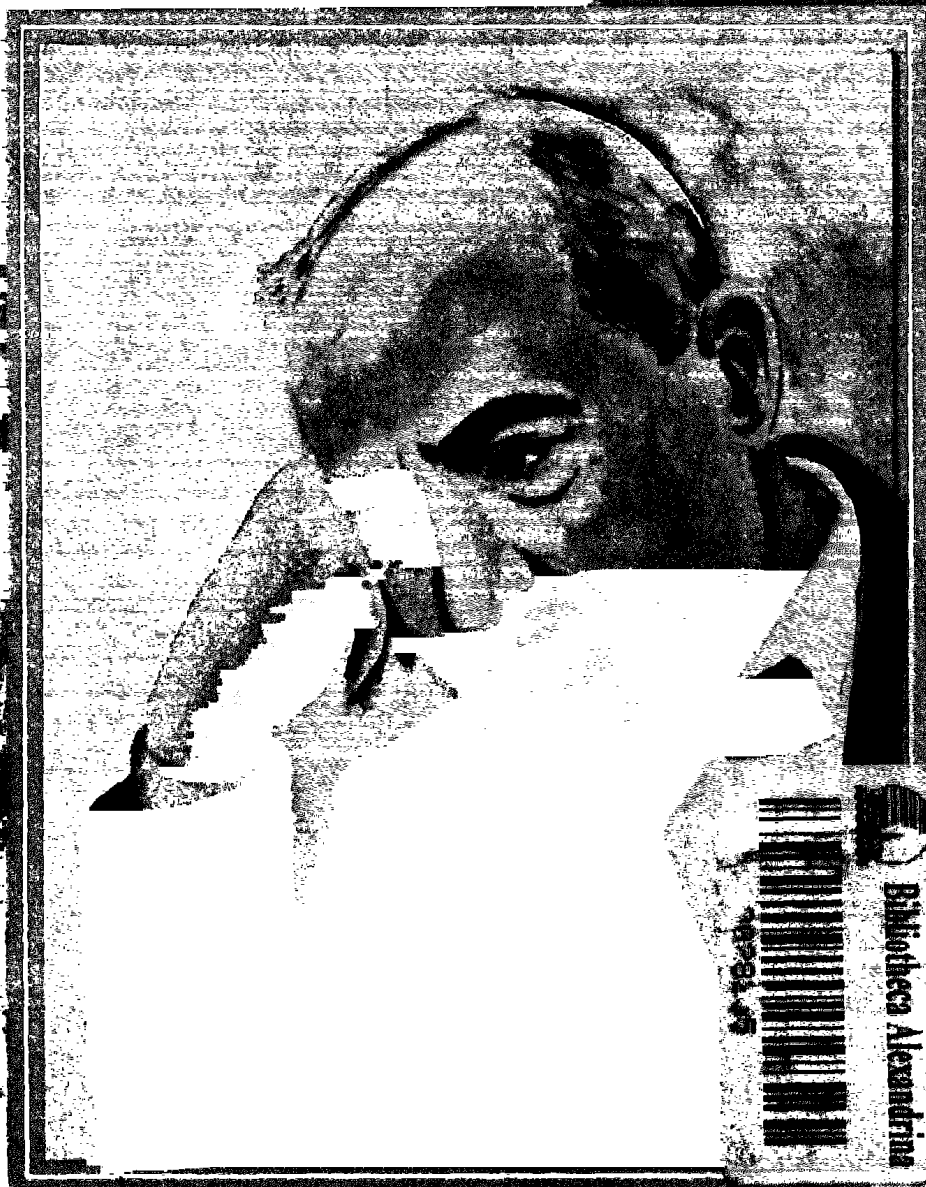


أحمد شوقي



دار القصة بيوتنا

الأعمال الشعرية الكاملة
المجلد الثاني

الشوقيات

شعر المرحوم
أحمد شوقي

الجزء الثالث

في
المرآة

دار العودة - بيروت

حقوق الطبع محفوظة

لدار العودة

١٩٨٨

يُطْلَبُ مِنْ دَارِ الْعَوْدَةِ - بَيْرُوتَ
كَوْرَيْشِ الْمَرْعَةِ - بِنَايَةِ رَيْفِيَّيَا سَنَنْتَرَ
تَلَفُونُ ٣١٨١٦٥ - ٨١٥٣٣٥
تَلَكِسُ L-E-٢٢٦٨٢ MEREBI
م.ب. ١٤٦٢٨٤

سليمان باشا أباطه (*)

مَنْ ظَنُّ بِعَدَكَ أَنْ يَقُولَ رِثَاءَ فَلْيَرْتِ مِنْ هَذَا الْوَرَى مَنْ شَاءَ
فَجَعَ الْكَارَمَ فَاجِعٌ فِي رَبِّهَا وَالْمَجْدَ فِي بَانِيهِ ، وَالْعِلْيَاءَ
وَنَعَى النِّعَاةُ إِلَى الْمَرْوَةِ كَنَزَهَا وَإِلَى الْفَضَائِلِ نَجَمَهَا الْوَضَاءَ
أَبَا مُحَمَّدٍ ، أَتَيْتُ فِي ذَا النَّوَى وَارْفُقْ بِآلِكَ ، وَارْحَمْ الْأَبْنَاءَ
وَاسْتَبَقِ عِزَّهُمْ (بَطْهَرَاءَ) الَّتِي كَانُوا النُّجُومَ بِهَا وَكُنْتَ سَمَاءَ (١)
أَدَجَى بِهَا لَيْلُ الْخُطُوبِ ، وَطَالَمَا مُلِثْتُ مَنَازِلُهَا سَنَى وَسَنَاءَ (٢)
وَإِذَا سَلِيمَانَ اسْتَقَلَّ مَحَلَّةً كَانَتْ بِسَاطًا لِلْنَدَى وَرَجَاءَ (٣)
فَانْظُرْ مِنَ الْأَعْوَادِ حَوْلَكَ هَلْ تَرَى مِنْ بَعْدِ طَبِّكَ لِلْعُفَاةِ دَوَاءَ (٤)
سَارَتْ جَنَازَةٌ كُلُّ فَضْلٍ فِي الْوَرَى لَمَّا رَكِبْتَ آلَةَ الْحَدَبَاءِ (٥)

(*) سليمان باشا أباطه : أحد سراً مصر الكبار ، وكان في حياته كبير الأسيرة الأباطية الشهيرة ، وقد أسندت إليه وزارة المعارف العمومية سنة ١٨٨٢ ، وتوفي سنة ١٩٠١ - ١ - طهراء : علم على بلد الفقيده ، وهي من أعمال إقليم الشرقية بمصر - ٢ - تدجى الليل وأدجى : كلاهما بمعنى أظلم ، والسنى - بالقصر - : الضوء ، والسناء - بالمد - الرفعة .
٣ - المحلة : في الأصل هي الناحية التي ينزل بها القوم ، ولا تقل عن مائة بيت ، والمراد هنا بقوله : « استقل محلة » أي أنه كان عميدها المنفرد بزعامتها وبالعامل لرفعته . ٤ - الأعواد : جمع عود ، يطلق على المنبر ، وعلى السرير للنحى أو أنثى . كان رجل من العرب يلقب « ذا الأعواد » لأنه كان يحمل دائماً في سرير ، والشعراء العظماء يستعملون الأعواد للموتى ، ولما يستعملون النعش ، تعظيماً للموت وتكريماً للميت . قال الشريف الرضى : أرايت من حملوا على الأعواد . . الخ . والعفاة : جمع عاف ، وهو كل طالب فضل أو رزق - ٥ - الجنائز بكسر الجيم وفتحها ، وقيل : بالكسر : هي الميت ، وبالفتح هي النعش ، وقيل بالعكس ، وأرجح تعريف يتناسب مع ما لوف عصرنا هو إطلاقها بالكسر على سرير الميت والمشيعين له . والآلة الحدباء : كناية عن النعش ، وشكله أحذب كما هو معروف .

وَتَيْتَمَّ الْأَيْتَامُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ورمى الزمانُ بِصُرفه الفقراء (١)
وَلَقَدْ عَهِدْتُكَ لَا تُضَيِّعَ رَاجِيًا واليوم ضاع الكلُّ فيك رجاء
وَعَلِمْتُ أَنَّكَ مَنْ يَوَدُّ وَمَنْ يَتَّقِي فقِف الغداة لو استطعتَ وفاء
وَذَكَرْتُ سَعِيكَ لِي مَرِيضًا فَانِيًا فجعلتُ سَعِيَّ بِالرثاء جزاء
وَالْمَرْءُ يُذَكَّرُ بِالْجَمَائِلِ بَعْدَهُ فارفع لِلذِّكْرِ بِالْجَمِيلِ بِنَاء (٢)
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ سَوْفَ تُذَكَّرُ مَرَّةً فيقالُ: أَحَسَنَ، أَوْ يَقَالُ: أَسَاءُ
أَبْيَيْهِ، كَوْنُوا لِلْعَدَى مِنْ بَعْدِهِ كيداً، وَكُونُوا لِلْوَلِيِّ عَزَاءُ
وَتَجَلَّدُوا لِلْخُطْبِ مِثْلَ ثَبَاتِهِ أَيَّامَ كَانَ يُدَافِعُ الْأَرْزَاءُ
وَاللَّهُ مَا مَاتَ الْوَزِيرُ وَكُنْتُمْ فَوْقَ التُّرَابِ أَعَزَّةٌ أَحْيَاءُ

١ - صرف الزمان : نوائبه وحدثاته .

٢ - جائل : جمع جميلة ، والمقصود أن المرء يذكر بصنيعته الجميلة ،
أو بمآثره الجميلة ، فحذف الموصوف ، ثم جمع الصفة واستعملها . أقول :
وهذه صنعة قصد بها التجميل الفنى فى الكلام بذكر الجمائل والجميل فى
البيت .

مصطفى باشا فهمي (*)

يا أيها الناعي أيا الوزراء هذا أوانُ جلائلِ الأنباء
حُثَّ البريدَ مشارقاً ومقارباً واركبْ جناحَ البرقِ في الأرجاء (١)
واستبكِ هذا الناسَ دمعاً أو دماً فاليومُ يومُ مدامعٍ ودماء
لم تنعِ للأحياءِ غيرَ ذخيرةٍ ولتْ ، وغيرَ بَقِيَّةِ الكُبراء
رُزءُ البريةِ في الوزيرِ زيادةٌ فيما أَلَمَ بها منَ الأرزاء
ذهبتْ على أثرِ المسيحِ دولةٌ برجالها وكرائمِ الأشياءِ
ندمانُ (إسماعيلَ) في آثاره ذهبوا ، وتلك صُبابَةُ الندماء (٢)
وُلِدوا على راحِ العلا ، وترعرعوا في نعمةِ الأملاكِ والأمرامِ
أودى الردى بمُهَذَّبٍ لا تنتهى إلا إليه شمائلُ الرؤساءِ
صافي الأديمِ ، أغرَّ ، أبْلَجَ لم يَزْدُ في الشيبِ غيرَ جلالَةٍ ورواء (٣)
مُتَجَنِّبِ الخِيلاءِ إلا عِزَّةً في العِزِّ حُسْنٌ ليس في الخِيلاءِ

(*) مصطفى باشا فهمي : كان الهاما موفقا لامير الشعراء حين كناه بابي الوزراء ، فهو والد الزعيمة صفية زغلول زوجة الزعيم الخالد سعد زغلول ، وكان ياورا للخديو اسماعيل ، ووزيرا في عهد توفيق ، فرئيسا للوزراء ، ثم استقال ، ثم عاد للرئاسة ولم يتركها الا لمرضه قبيل الحرب ، وقد توفي أول سنة ١٩١٤ م .

١- البريد : كلمة فارسية ، معناها القطع ، كانوا يقطعون اذنان واعراف الخيل المستعملة لنقل رسائلهم ، علامة لها حتى لا يعوقها أحدا في الطريق ، وأول اصطناع العرب لهذه الطريقة كان في زمن معاوية ، وكانوا يسمون الخيل المستعملة في ذلك خيل البريد ، ونحن نطلق كلمة البريد على رسائل البوستة وغيرها كما هو معروف ، والمقصود بقوله : « حث البريد » « واركب جناح البرق » : هو الامر للناعي باذاعة النعي في الدنيا بأسرع وسائل الاذاعة ، والفرض من ذلك هو اظهار ما للنعي من قيمة وخطر وعلو شأن .

٢- الندمان - بفتح النون الاولى - : جمع نديم ، وهو الظريف الكيس ، او المجالس على الشراب . واسماعيل : هو سمو الخديو اسماعيل .
٣ - الرواء في المرء : هو مظهر السيادة والمظمة .

عَفَّ السرائِرِ والمَلَاخِظِ. والخطَا نَزِهَ الخَلَاتِقِ طَاهِرِ الأَهْوَاءِ (١)
مُتَدَرِّعٍ صَبَرَ الكَرَامِ عَلَى الأَذَى إِنْ الكَرَامَ مَشَاغِلُ السَّفَهَاءِ
فَقَمُوا عَلَيْهِ رَأْيُهُ وَصَنِيعُهُ وَالْحَكْمُ لِلتَّارِيخِ فِي الآرَاءِ
وَالرَّأْيُ إِنْ أَخْلَصْتَ فِيهِ سَرِيرَةً مِثْلُ الْعَقِيدَةِ فَوْقَ كُلِّ مِرَاءِ (٢)
وَإِذَا الرِّجَالُ عَلَى الْأُمُورِ تَعَاقَبُوا كَشَفَ الزَّمَانُ مَوَاقِفَ النُّظَرَاءِ
يَا أَيُّهَا الشَّيْخُ الْكَرِيمُ ، تَحِيَّةٌ أَنْذَى لِقَبْرِكَ مِنْ زُلَالِ الْمَاءِ
هَذَا الْمَصِيرُ ، أَكَانَ طَوْلَ سَلَامَةٍ أَمْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا قَلِيلَ بَقَاءِ ؟
مَاذَا انْتِفَاعُكَ بِاللَّيَالِي بَعْدَ مَا مَرَّتْ بِكَ السَّبْعُونَ مَرَّةً عِشَاءً ؟ (٣)
أَوْ بِالْحَيَاةِ ، وَقَدْ مَشَى فِي صَفْوِهَا عَادَى السَّنِينَ ، وَعَاثَ عَادَى الدَّاءِ ؟
مَنْ لَمْ يُطَبِّبْهُ الشَّبَابُ فِدَاؤُهُ حَتَّى يَغِيْبَهُ بَغِيرُ دَوَاءِ
قَسَمَاتُ وَجْهِكَ فِي التُّرَابِ ذَخَائِرُ مِنْ عِفَّةٍ ، وَتَكَرُّمٍ ، وَحَيَاءِ (٤)
وَلَكُمْ أَغَارَ عَلَى مُحْيَا مَا جَدِ وَطَوَى مُحَاسِنَ مَسْمُوحٍ مِعْطَاءِ (٥)
كَمْ مَوْقِفٍ صَعَبٍ عَلَى مَنْ قَامَهُ ذَلَّلَتْهُ ، وَنَهَضَتْ بِالْأَعْبَاءِ
كَيْثُ الْغُضُنْفَرِ يَوْمَ ذَلِكَ زَادَهُ مِنْ نَخْوَةٍ وَحَمِيَّةٍ وَإِبَاءِ (٦)

١- الملاحظ : جمع ملحظ : اسم مكان لما تقع عليه اللحاظ . يقول :
انه عفيف القلب ، وعفيف الأمين ، فلا يقع لحظه على الريب -٢- المراء :
الجدل -٣- يقصد سبعين عاما ، ولكنه في استعمال لفظ السبعين يجرى
مجرى العرب الفصحاء في استعمال هذا اللفظ للدلالة على الكثرة فقط .
لا العدد بعينه ، وفي هذا الباب جاء القرآن الكريم (ان تستغفر لهم سبعين
مرة) فليس المقصود عدد الاستغفار ، ولكن يراد الدلالة على كثرته
-٤- القسَمَات : ملامح وتقاسيم الوجه -٥- مسموح - بفتح الميم - : واسع
السماحة . وفي القاموس المحيط : « يقال ان فيه لمسمحا كمسكن . أى
متسعا » . والمعطاء : كثير العطا -٦- الغُضُنْفَر : اسم من أسماء الأسد .

— ٧ —

مَنْ يَكْذِبُ التَّارِيخَ يَكْذِبُ رَبَّهُ وَيُسِيءُ لِلْأَمْوَاتِ وَالْأَحْيَاءِ
السُّلَمُ لَوْ لَمْ تُودِ أَمْسٍ بِجُرْحِهَا أَوْدَتْ بِهِذَى الطُّعْنَةِ النَّجْلَاءِ (١)
لَوْ أَخَّرَتْ فِي الْعِيشِ بَعْدَكَ سَاعَةً لَبَكَتْ عَلَيْكَ بِمَدْمَعِ الْخُنْسَاءِ (٢)
أَنْفَضْ غِبَارَكَ عَنْكَ ، وَانْظُرْ ، هَلْ تَرَى إِلَّا غِبَارَ كَتِيبَةٍ ، وَلِوَاءِ ؟
يَاوَيْحَ وَجْهِ الْأَرْضِ : أَصْبَحَ مَأْتَمًا بَعْدَ الْفَوَارِسِ مِنْ بَنَى حَوَاءِ
مِنْ ذَائِدٍ عَنْ حَوْضِهِ ، أَوْ زَائِدٍ فِي مُلْكِهِ مِنْ صَوْلَةٍ وَثَرَاءِ
أَوْ مَانِعٍ جَارًا يُنَاضِلُ دُونَهُ أَوْ حَافِظٍ لِعَهْدِهِ مِيفَاءِ (٣)
يَتَقَاذِفُونَ بِذَاتِ هَوْلٍ ، لَمْ تَهَبْ حَرَمَ الْمَسِيحِ وَلَا حِمَى الْعِزَاءِ (٤)
مِنْ مُحَدَّثَاتِ الْعِلْمِ ، إِلَّا أَنَّهَا إِشْمُ عَوَاقِبِهَا عَلَى الْعِلْمَاءِ

* * *

لَهْفَى عَلَى رُكْنِ الشُّيُوخِ مُهْدَمًا وَالْحَامِلَاتِ الثُّكُلِ وَالْيَتَمَاءِ (٥)
وَعَلَى الشَّبَابِ بِكُلِّ أَرْضٍ مَضْرَعٌ لَهُمْ ، وَهَلْكَ تَحْتَ كُلِّ سَاءِ
خَرَجُوا إِلَى الْأَوْطَانِ مِنْ أَرْوَاحِهِمْ كَرْمٌ يَلِيقُ بِهِمْ وَمَخْضُ سَخَاءِ (٦)

١- يشير الى اتفاق موته مع نشوب الحرب العالمية ، كانه يقول : ان اتفاق موت المرثى مع نشوب الحرب لم يكن الا لان المتوفى كان سلما لقومه يشبه السلم العام للناس ، فهو والسلم توأمان -٢- يقول في هذا البيت : ان السلم لو عاشت بعد الفقيه ساعة لبكت عليه بدمع الخنساء ، وهى شاعرة عاشت في صدر الاسلام اشتهرت بمراثيها في اخيها صخر ، وهذا البيت تأكيد لمعنى البيت قبله -٣- ميفاء : كثير الوفاء -٤- بذات هول : اى مقدوفات موصوفة بأنها ذات هول ، وهذا من باب اقامة الصفة مقام الموصوف -٥- الثكل : فقد الابناء . واليتماء : من اليتيم ، وهو في الناس فقد الاب ، ويكون في غير الناس فقد الام -٦- المحض : الخالص من كل شيء .

من كلِّ بانٍ بالمنيّةِ في الصُّبا لم يتخذ عرساً سوى الهَيْجاء (١)
المُرصّعاتُ سَكَبْنَ في وِجدانه حُبُّ الدِّيارِ وبِغْضَةِ الأعداءِ
وَقَرَّرْنَ في أَذْنِيهِ يومَ فِطامِهِ أن الدِّماءَ مُهورَةُ العَلِياءِ

* * *

أَبَا البناتِ ، رُزِقْتُهُنَّ كَرَاماً ورُزِقْتُ في أَصْهارِكَ الكُرَّامِ
لا تذهبنَّ على الذكورِ بحسرةٍ الذُّكُورُ نَعَمَ سُلالةُ العِظامِ
وأرى بُناةَ المجدِ يَثْلِمُ مَجْدَهُم ما خَلَفُوا من طالِحٍ وُغْثاءِ (٢)
إن البناتِ ذخائرُ من رَحمةٍ وَكُنُوزُ حُبٍّ صادِقٍ ووَفاءِ
والسَاهراتُ لِعَلَّةٍ أو كَبَرَةٍ والصابراتُ لشدَّةٍ وبَلاءِ
والباكياتُ حينَ ينقطعُ البكا والزائراتُ في العراءِ النَّائِي (٣)
والذاكراتُ ما حَيَّينَ تَحْدُثُ بِسَوَالِفِ الحُرَمَاتِ والآلِاءِ
بالأَمْسِ عَزاها فيكَ عَقائِلُ واليومَ جاملَهُنَّ فيكَ رِثائِي
أَبِيكَ ما الدنيا سوى معروفِها والبرُّ ، كُلُّ صَنِيعَةٍ بِجِزاءِ
أَجَزَّ عَنْ أن يَجريَ عليهنَّ الذي مِن قَبْلَهُنَّ جَرى على « الزهراءِ » (٤)
عذراً لهنَّ إذا ذَهَبْنَ مع الأَسَى وطلبنَّ عندَ الدَّمْعِ بَعْضَ عَزاها
ما كُلُّ ذِي وَلَدٍ يُسَمَّى والدّاً كَم من أبٍ كالصخرةِ الصَّماءِ
هَبْنَهُنَّ في عقلِ الرجالِ وحلِمِهِم أَقلوبُهُنَّ سوى قلوبِ نِساءِ ؟

١ - يقال: بنى على فلانة ، إذا اتخذها زوجة . والعرس بكسر العين: الزوجة ، يصف هذا الشباب السخي بروحه للوطان بأنه يالغ الحروب ، ويحبها كما يحب غيره من الناس الزوجات والعرائس والعيشة الوادعة .
٢ - الغشاء ، بضم الغين : الفاسد - ٣ - العراء النَّائِي : الخلاء البعيد .
ويعنى به هنا القبور - ٤ - الزهراء : فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلوات الله عليه ، والذي جرى عليها هو موت أبيها سيد الخلق .

أبو هيف بك (*)

اجعلْ رِثاءَكَ للرجالِ جَزاءَ وابعدْهُ للوطنِ الحزينِ عِزاءَ
إنَّ الديارَ تُريقُ ماءَ شُثُونِها كالأُمَهاثِ وتندُبُ الأبناءَ (١)
تُكَلِّ الرجالِ من البنينِ ، وإنما تُكَلُّ الممالكِ فَقَدُها العلماءُ
يَجْزَعَنَّ للعَلَمِ الكبيرِ إذا هَوَى جَزَعَنَّ الكتائبِ قد فَقَدَنَّ لِيَواءَ (٢)
عَلِمُ الشريعةِ أدركتهُ شريعةُ للموتِ يَنْظِمُ حُكْمُها الأحياءَ (٣)
عانى قضاءَ الأرضِ عِلْمَ مُحْصِلِ واليومَ عالجَ للسَّاءِ قِضاءَ
ومضى وفيه من الشبابِ بقيَّةُ للنفعِ أرجى ما تكونُ بقاءَ
إنَّ الشبابَ يُحِبُّ جَمًّا حافِلاً وتُحِبُّ أيامُ الشبابِ مِلاءَ (٤)
بالأَمْسِ كانت لابنِ هَيْفٍ غَضَبَةٌ للحنِّ نَذَرُها يداً بِيضاءَ (٥)
مَشَتْ البلادُ إلى رسالةٍ (ملنر) وتحفَظَتْ أرضاً لها وساءَ (٦)

(*) هو فقيد العلم والقانون عبد الحميد بك أبو هيف ، شغل منصب الاستاذ بكلية الحقوق ، ومنصب القيم على دار الكتب المصرية ، وقد وقف في معارضة مشروع ملنر موقفاً قانونياً لامعاً ، فاقترن اسمه من ذلك الحين بأعلام المجاهدين الكبار في قضية البلاد ، وقد توفي سنة ١٩٢٦ - ١ - مساء الشئون : الدموع - ٢ - الكتائب : جمع كتيبة ، وهى الجماعة أو الفرقة من الجيش لها لواء ، أى رئيس تلتف وحدتها حوله - ٣ - الشريعة : القانون - ٤ - الملاء : الأغنياء المتمولون ، الواحد منهم ملئ ومن معانى الملاء أيضاً : الحسنو القضاء . يقول : إن الشباب يحب كثيراً على أى حال ، ولكن أيام الشباب يحبون أكثر وهن فى غنى ، من المال الكثير ، ومن تولى المناصب ، كانهال فى شباب الفقيده - ٥ - يريد غضبته عالى مشروع ملنر ، وموقفه فى طليعة معارضيهِ - ٦ - اللورد ملنر : هو أحد وزراء انجلترا ، ورسائله التى مشت البلاد اليها وتحفَظَتْ لها : هى تقريره المشهور ، بعث من لندن مع أربعة من رجالات مصر الساسة ، وكادت البلاد تتأثر بهذا المشروع ، لولا الفقيده ومعه نفر قليل جدا قاموا بحملتهم ضده ، وفى هذه الحملة نشر الفقيده بحوثاً قانونية فى تفنيد المشروع ، كانت من أهم مراجع رجال السياسة فى رفضه بعد .

قلمختُ أعرجَ في زوايا الحقِّ لم أعلمُ عليه ذِمَّةَ عَرَجاءِ (١)
ارتدَّت العاهاتُ عن أخلاقه لُسْمُوهُنَّ وحَلَّتِ الأعضاء
عَظَفَتُهُ عَظَفَ القووسِ يومَ رمايةٍ وثَنَّتُهُ كالماضى ، فزادَ مَضاءِ (٢)
لما رأى (التقريرَ) ينفُثُ سُمَّهُ سَبَقَ الحِوَاةَ فأخرجَ الرُقْطاءِ (٣)
هَتَكَ الحِمايةَ والرجالَ وراءها يتلمَّسون لها السُّتورَ رِياءِ
ما قَبَّحوا بالصبحِ من أشباحها راحوا إليك فحَسَنوه مَساءِ
ياقيمُ الدارِ التي قد أخرجتُ للمُذَلِّجينَ مَنارةَ زَهراءِ (٤)
وترى لديها الواردين ، فلا ترى إلا ظِماءَ ينزلون رِواءِ (٥)
وتُجالِسُ العلماءَ في حُجراتِها وتُسامِرُ الحكماءَ والشُعراءِ
تكفيكَ شَيطانَ الفراغِ ، وتعتنى بالجاهلينَ ترُدُّهم عُقلاءِ
دارُ اللذائِرِ كُنْتَ أكملَ كُتُبِها مجموعةً ، وأتمَّها أجزاءِ
لما خلَّتْ من كنزِ علمِكَ أصبحتُ من كلِّ أعلاقِ الكنوزِ خَلاءِ (٦)
هزَّ الشبابُ إلى رثائِكَ خاطرى فوجدتُ فيَّ وفي الشبابِ وفاءِ

- ١- كانت ساق الفقيد مبتورة ، وكان يمشى على ساق صناعية .
- ٢- في هذا البيت وصف لهيئة الأعرج ، بلغ من جماله انه قد يحبب المشية العرجاء للناس ، فتأمل . والماضى : السيف -٣- قوله : « سبق الحواة فأخرج الرقطاء » لا يمكن ان يكون هناك ابلغ في الاعجاز وأدق في الإيجاز من هذا الكلام ، فقوله : « سبق الحواة » صورة كاملة ، تريك كيف وثب الفقيد فوقف أمام المشروع ، كما يشب الحواى ، فيقف أمام جحر الحية . وقوله : « فأخرج الرقطاء » أعظم ما يمكن في تصوير ذلك المشروع ، فقد نبه على السم الكامن فيه ، بالرغم من جماله الظاهري ونعومته الشبيهة بنعومة الحية .
- ٤- الدار : هى دار الكتب المصرية ، وكان الفقيد يشغل منصب مديرها .
- ٥- الرِواء : الماء الكثير -٦- أعلاق الكنوز : نفائسها .

(عبد الحميد) ، ألا أسرك حادثاً
قُم من صفوف الحق تلقَ كتيبةً
وترَ الكِنانةَ شبيبها وشبابها
جَمَعَ السلامُ الصحفَ من غاراتها
في كلِّ وجدانٍ وكلِّ سريرةٍ
وغدا إلى دين العشيرة ينتهى
لا يحجبون على نجيبهم ، ولا
والأهل لا أهلاً بجبلٍ ولا نهم
كذب المريب يقول : بعد غد لنا
قلبي يُحدثني وليس بخائني

ينكسو عظامك في البلى السراء؟ (١)
ملومة ، وترَ الصفوف سواء
دون (القضية) غُرْضةً وفداء
وتألف الأحزاب والزعماء
خلف الوداد الحقد والبغضاء
من خالف الأعمام والآباء
يجدون إلا الصفيح والإغضاء
حتى تراهم بينهم رُحماء
خلف يُعيد ويُبدى الشخفاء
إن العقول ستفهر الأهواء

* * *

يا (سعد) ، قد جرت الأمور لغاية
سُبْحانَه جمع القلوب من الهوى
القلبك بعد العسر يسر أمرها
وتأهبت بك تستعد لزاخر
رجعت براكبها إلى ربانها
فاشد بأرباب النهى سُكَّانها
من ذا الذى يختار أهل الفضل أو
أخرج لأبناء الحضارة مجلساً

الله هياها لنا ما شاء (٢)
شئى ، وقوى حوله الضعفاء
واستقبلت ريح الأمور رخاء
تطأ العواصف فيه والأنواء
تلقى الرجاء عليه والأعباء
واجعل ملاك شرايعها الأكفاء (٣)
يزن الرجال إذا اختاروا : أء ؟
يبقى على اسمك في العصور ثناء

١- الحادث : هو حادث ائتلاف الاحزاب المصرية في وقت نظم هذه القصيدة التى تعد من مفاخر المرائى فى الشعر العربى -٢- سعد : هو الزعيم الخالد الذكر سعد باشا زغلول ، وكان رئيس البرلمان فى عهد ذلك الائتلاف .
٣- السكان : مؤخر السفينة . وملاك الشيء : قوامه الذى يملك به .

مولانا محمد علي (*)

بَيَّتُ عَلَى أَرْضِ الْهَدْيِ وَسَمَائِهِ الْحَقُّ حَائِطُهُ وَأُسُّ بِنَائِهِ
الْفَنَاحُ مِنْ أَعْلَامِهِ ، وَالظُّهْرُ مِنْ أَوْصَافِهِ ، وَالْقُدُّسُ مِنْ أَسْمَائِهِ
تَحْنُو مَنَاجِيَهُ عَلَى شَعْبِ الْهَدْيِ وَتُطِلُّ سُدَّتَهُ عَلَى سِينَانِهِ (١)
مَنْ ذَا يُنَازِعُنَا مَقَالِدَ بَابِهِ وَجَلَالَ سُدَّتِهِ ، وَطُهْرَ فَنَائِهِ ؟
وَمُحَمَّدٌ صَلَّى عَلَى جَنَابَاتِهِ وَاسْتَقْبَلَ السَّمَحَاتِ فِي أَرْجَائِهِ ؟
وَالْيَوْمَ ضَمَّ النَّاسُ مَا تُبْمُ أَرْضِهِ وَحَوَى الْمَلَائِكُ مِهْرَجَانُ سَمَائِهِ
يَا (قُدُّسُ) ، هَيْئِي مِنْ رِيَاضِكَ رُبُوعًا لَنَزِيلِ تُرْبِكَ ، وَاحْتِفَلِ بِلِقَائِهِ (٢)
هُوَ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ جَلُّ جَلَالِهِ أَوْ مِنْ سَيُوفِ الْهِنْدِ عِنْدَ قَضَائِهِ
فَتَحَّ النَّبِيُّ لَهُ مَنَاحَ بُرَاقِهِ وَمَعَارِجَ التَّشْرِيفِ مِنْ إِسْرَائِهِ
بَطَّلَ حَقُوقَ الشَّرْقِ مِنْ أَحْمَالِهِ وَقَضِيَّةَ الْإِسْلَامِ مِنْ أَعْبَائِهِ
لَمْ تُنْسِهْ الْهِنْدُ الْعَزِيزَةُ رِقَّةً لِلشَّرْقِ ، أَوْ سَهْرًا عَلَى أَشْيَائِهِ
وَقَبَاؤُهُ نَشِجُ الْهِنْدُودِ ، فَهَلْ تُرَى دَفَنُوا الزَّعِيمَ مُكَفَّنًا بِقَبَائِهِ (٣)
(النَّيْلُ) يَذْكُرُ فِي الْحَوَادِثِ "سَوْتَهُ" وَالتُّرْكُ لَا يَنْسَوْنَ صِدْقَ بَلَائِهِ

(*) هو كبير زعماء الهند المسلمين ، توفي سنة ١٩٣١ ، وكان لا يالو
جهدا في خدمة الاسلام في شتى اقطاره ، وقد اقيمت له في القاهرة حفلة
تأبين كبيرة القيت فيها هذه القصيدة .
أ- السدة : باب الدار -٢- يا قدس : لانه دفن في القدس -٣- القباء
يفتح القاف - : نوع من الثياب .

قل للزعيم محمد : نزل الأسمى
فمشى إليك بجفنه وبدمه
اجتزته فحواك فى أطرافه
ولقد تعود أن تمر بأرضه
نم فى جوار الله ما بك غربة
الفتح - وهو قضية قدسية -
أفتى بدفنيك عند سيده القرى
بلد بنوه الأكرمون قصورهم
قد عشت تنصره وتمنح أهله
(بالنيل) واستولى على بطحاثة (١)
وإلى أخيك بقلبه وعزائه (٢)
ولو انتظرت حواك فى أحشائه
مر الغمام بظله وبمائه
فى ظل بيت أنت من أبنائه
يا طالما ناضلت دون ليوائه
مفت أراد الله من إفتائه (٣)
وقبورهم وقف على نزلاته (٤)
عونا ، فكيف تكون من غربائه ؟

١- محمد : هو الرضى -٢- يريد بأخيه : مولانا شوكت على ، وقد آلت إليه زعامة المسلمين فى الهند بعد أخيه -٣- سيده القرى : المقصودة هى القدس الشريف ، ولا بد للدفن فى هذا الحرم من تصريح دينى يصدره مفتى الاسلام هناك ، ولا يصح بذلك الا لمن ثبت نفعه للاسلام وللعرب .
٤- يقصد بالبلد : فلسطين وسوريا جميعا ، وكثيرا ما هتف أمير الشعراء بأهل هذه البلاد امجابا بأخلاقهم .

سيد درويش (*)

كلَّ يومٍ مِهْرَجَانٌ كَلَّلُوا فيه مَيْتًا برياحينِ الثناء (١)
لم يَعْلَمْ قَوْمَهُ حَرْفًا ، ولم يُضَيَّ الأرضَ بنورِ الكَهْرُبَاءِ
جُومِلَ الأَحْيَاءُ فيه وَقَضَى شَهَوَاتِ أَهْلِهِ والأَصْدِقَاءِ
ما أَضَلَّ النَّاسَ ؟ حتى الموتُ لم يَخْلُ من زُورٍ لهم ، أو من رِيَاءِ (٢)

* * *

إِنَّمَا يُبْكِي شُعَاعُ نَابِغٍ كُلَّمَا مَرَّ بِهِ الدهرُ أَضَاءَ
مَلَأَ الأَفْوَاهَ والأَسْبَاحَ فِي صَجَّةِ المَحْيَا ، وفي صَمْتِ الفَنَاءِ
حَاطَ الفَنُّ ، وبَانِي رُكْنِهِ (مَعْبُدُ) الأَلْحَانِ ، (إِسْحَاقُ) الغِنَاءِ (٣)
من أَنَاسٍ كَالدَّرَارِيِّ جُدِدٍ فِي سَمَوَاتِ اللَّيَالِي قَدَمَاءَ
غَرَسَ النَّاسُ قَدِيمًا ، وَبَنَوْا لَمْ يَدُمْ غَرْسٌ ، ولم يَخْلُدْ بِنَاءُ
غَيْرِ غَرْسٍ نَابِغٍ ، أو حَجَرٍ عَبَقَرِيٍّ فِيهِمَا سِرُّ البَقَاءِ
من يَدٍ مَوْهُوبَةٍ مَلْهُمَةٍ تَغْرِسُ الإِحْسَانَ ، أو تَبْنِي العِلَاءَ

* * *

بُلْبُلٌ إِسْكَنْدَرِيٌّ أَيْكُهُ لَيْسَ فِي الأَرْضِ ، وَلَكِنْ فِي السَّمَاءِ (٤)
هَبَطَ الشَّاطِئُ ، من رَابِعَةٍ ذَاتِ ظِلٍّ وَرِيَاحِينَ وَمَاءَ

(*) الشيخ سيد درويش : كان يعد رحمه الله في طليعة المجددين في الموسيقى العربية ، وقد أقيمت هذه القصيدة في حفلة أقيمت لذكراه في سنة ١٩٣١ .

١- المهرجان : الاحتفال ، معرب - ٢- الزور : الكلب - ٣- معبد وإسحاق : رجلا من أشهر رجال الغناء والموسيقى - ٤- كان رحمه الله من نشء الاسكندرية . والأيك : في الأصل هو الشجر المتلف الكثير . يقول : انه اذا كان لكل بلبل من أيك يتخلده عشا ، فهذا البلبل الاسكندري أيكه ليس محله الارض ، ولكن السماء هي محله اللائق به .

يَحْمِلُ الفَنَّ نَمِيرًا صَافِيًا غَدَقَ النَّبْعَ إِلَى جَبِيلٍ ظِمَاءٍ (١)
حَلَّ فِي وَادٍ عَلَى فُسْحَتِهِ عَزَّتِ الطَّيْرُ بِهِ إِلَّا الْجِدَاءَ
يَمْلَأُ الْأَسْحَارَ تَغْرِيدًا إِذَا صَرَفَ الطَّيْرَ إِلَى الْأَيْتِكِ الْعِشَاءَ
رُبَّمَا اسْتَلْهَمَ ظُلُمَاءُ الدُّجَى وَأَتَى الْكُوكَبَ فَاسْتَوْحَى الضِّيَاءَ
وَرَمَى أُذُنَيْهِ فِي نَاحِيَةٍ يَخْلُسُ الْأَصْوَاتَ خَلَسَ الْبَيْغَاءَ
فَتَلَقَّى فِيهِمَا مَا رَاعَهُ مِنْ خَفِيِّ الْهَمْسِ ، أَوْ جَهْرِ النَّدَاءِ

* * *

أَيُّهَا الدَّرْوِيشُ ، قُمْ بُثَّ الْجَوَى وَاشْرَحِ الْحَبَّ ، وَنَاجِ الشُّهَدَاءَ
اضْرِبِ الْعُودَ تَفْعُ أَوْتَارُهُ بِالَّذِي تَهْوَى ، وَتَنْطِقُ مَا تَشَاءُ
حَرِّكَ النَّأْيَ ، وَنُحْ فِي غَابِهِ وَتَنْفَسْ فِي الثُّقُوبِ الصُّعْدَاءِ (٢)
وَاسْكُبِ الْعَبْرَةَ فِي آمَاقِهِ مِنْ تَبَارِيحَ ، وَشَجْوٍ ، وَعَزَاءٍ
وَاسْمُ بِالْأَرْوَاحِ ، وَادْفَعْهَا إِلَى عَالَمِ اللَّطْفِ وَأَقْطَارِ الصَّفَاءِ (٣)

* * *

لَا تُرِقْ دَمْعًا عَلَى الْفَنِّ فَلَئِنْ يَعْلِمَ الْفَنُّ الرُّعَاةَ الْأُمْنَاءَ
هُوَ طَيْرُ اللَّهِ فِي رَبَّوْتِهِ يَبْعَثُ الْمَاءَ إِلَيْهِ وَالْغِذَاءَ
رَوْحَ اللَّهِ عَلَى الدُّنْيَا بِهِ فَهِيَ مِثْلُ الدَّارِ ، وَالْفَنُّ الْفِنْعَاءُ
تَكْتَسِي مِنْهُ وَمِنْ آذَارِهِ نَفْحَةُ الطَّيْبِ وَإِشْرَاقُ الْبَهَاءِ (٤)
وَلِذَا مَا حُرِّمَتْ رِقَّتُهُ فَشَتِ الْقَسْبُوتُ فِيهَا وَالْجَفَاءَ

١- الغدق - بفتح الغين والذال : الكثير - ٢- الصعداء - بضم الصاد وفتح العين - : تنفس ممدود - ٣- عالم اللطف : هو عالم المعاني والأرواح ، ولا تسمو إليه الأنفس إلا في أوقات الصفاء والانشراح - ٤- آذار : شهر من فصل الربيع ، أعجمي .

- ١٦ -

وإذا ما سَمِيتَ أو سَقِيتَ طاف كالشمس عليها والهواء
وإذا الفنُّ على المُلْكِ مشى ظهر الحسنُ عليه والرواء
قد كسا الكرنكُ مصرًا ما كسا من سَنَى أبلى الليالي وسناء
يُرْسِلُ اللهُ به الرُّسُلَ على فتراتٍ من ظُهورٍ وخفاء
كلُّما أدَّى رسولٌ ومضى جاء من يُوفى الرُّسالاتِ الأداء

* * *

سَيِّدَ الفنِّ ، استرح من عالمٍ آخرُ العهدِ بنُعماءِ البلاء
ربِّما ضِيقَتْ فلم تنعم به وسرى الوخى فنسأك الشقاء
لقد استخلفتَ فتنا نابغاً دَفَعَ الفنُّ إليه باللواء
إن في مُلْكِ فؤادٍ بلبلاً لم يُتَخَ أمثاله للخلفاء (١)
ناحلٌ كالْكُرَّةِ الصغرى سرى صوتهُ في كُرَّةِ الأرضِ الفضاء
يستحى أن يهتفَ الفنُّ به وجمالُ العبقریاتِ الحياء

١- يراد باللبل هنا : الموبيقات النابغة الاستاذ محمد عبد الوهاب ،
وهو الذى حمل لواء التجديد فى الموسيقى بعد الشيخ سيد درويش .

عمر المختار (*)

رَكَزُوا رُفَاتَكَ فِي الرَّمَالِ لِيَاءِ يَسْتَنْهَضُ الْوَادِي صَبَاحَ مَسَاءِ (١)
يَا وَيَحَهُم ! نَصَبُوا مَنَاراً مِنْ دَمٍ تُوحِي إِلَى جَيْلِ الْغَدِ الْبَيْغُضَاءِ (٢)
مَا ضُرَّ لَوْ جَعَلُوا الْعَلَاقَةَ فِي غَدِيرٍ بَيْنَ الشُّعُوبِ مَوَدَّةً وَإِخَاءً ؟
جُرْحٌ يَصِيحُ عَلَى الْمَدَى ، وَضَحِيَّةٌ تَتَلَمَّسُ الْحَرِيَّةَ الْحَمْرَاءَ (٣)
يَأْيُهَا السِّيفُ الْمَجْرَدُ بِالْفَلَا يَكْسُو السِّیُوفَ عَلَى الزَّمَانِ مَضَاءُ
تِلْكَ الصَّحَارَى غِمْدٌ كُلُّ مُهَنَّدٍ أَبْلَى فَأَحْسَنَ فِي الْعَدُوِّ بَلَاءُ
وَقَبُورُ مَوْتَى مِنْ شَبَابٍ أُمِّيَّةٍ وَكُهُولِهِمْ لَمْ يَبْرَحُوا أَحْيَاءُ
لَوْ لَازَ بِالْجُوزَاءِ مِنْهُمْ مَعْقِلٌ دَخَلُوا عَلَى أَبْرَاجِهَا الْجُوزَاءِ (٤)
فَتَحُوا الشَّامَالَ : سُهُولُهُ وَجِبَالُهُ وَتَوَغَّلُوا ، فَاسْتَعْمَرُوا الْخَضْرَاءُ
وَبَنَوْا حَضَارَتَهُمْ ، فَطَاوَلَ رَكْنُهَا (دَارَ السَّلَامِ) ، وَ (جَلَّقَ) الشَّمَاءُ (٥)

* * *

(*) شهيد المسلمين والعرب بطل طرابلس الخالد عمر المختار ، هو من الاسرة السنوسية أصحاب الطريقة السنوسية ذات النفوذ الروحاني العظيم في كثير من اقطار الاسلام ، ظل يقاتل الطليان في سبيل الذود عن وطنه وقومه ، حتى قبضوا عليه وأعدموه شنقا سنة ١٩٣١ ، وأشييع وقتلهم انهم سلكوا في اعدامه سبلا بشعة متوحشة ، ولم يرحموا سنه التي نيفت على التسعين .

١- ركز اللواء : غرزه في الارض . وهذا استعمال لفوى مشتق من الركيزة ، وهي قطع الفضة والذهب والمعادن ، كان العرب في الجاهلية يحفرون لها في الارض ، ويسمونها الدفائن ، فقوله : « ركزوا رفاتك » استعمال أريد به الإشارة الى ان هذا الرفات من النفائس والذخائر ، التي يضمن بها ويحرص عليها - ٢- المنار : موضع النور ، وجعلها منارا من دم : هو لون من التشبيه العجيب ، كأنه يعجب كيف جعلوا موضع النور والائتناس محلا للتنفير والأزعاج - ٣- الحرية الحمراء : هي المكتسبة بالدم ، إشارة الى قولهم : الحرية شجرة لا تثبت الا بالدماء - ٤- الجوزاء : نجم معروف في السماء - ٥- دار السلام : بغداد . وجلق : دمشق .

خَيْرُتَ فَاخْتَرْتَ الْمَبِيتَ عَلَى الطَّوَى لَمْ تَبْنِ جَاهًا ، أَوْ تُلْمُ ثَرَاءَ (١)
إِنَّ الْبَطُولَةَ أَنْ تَمُوتَ مِنَ الظُّمَاءِ لَيْسَ الْبَطُولَةُ أَنْ تَعْبُ الْمَاءَ
إفريقيًا مَهْدُ الْأَسْوَدِ وَلَنَحْذُهَا ضَجَّتْ عَلَيْكَ أَرَاغِلًا وَنَسَاءَ
وَالْمُسْلِمُونَ عَلَى اخْتِلَافِ دِيَارِهِمْ لَا يَمْلِكُونَ مَعَ الْمُصَابِ عَزَاءَ
وَالْجَاهِلِيَّةُ مِنْ وَرَاءِ قُبُورِهِمْ يَبْكُونَ زَيْدَ الْخَيْلِ وَالْفُلَحَاءَ (٢)

* * *

فِي ذِمَّةِ اللَّهِ الْكَرِيمِ وَحَفِظَهُ جَسَدُ (بَبْرَقَة) وَوَسَدَ الصَّحْرَاءَ (٣)
لَمْ تُبْقِ مِنْهُ رَحَى الْوَقَائِعِ أَعْظَمًا تَبَلَّى ، وَلَمْ تُبْقِ الرُّمَاحُ دِمَاءَ
كَرُفَاتٍ نَسْرِ أَوْ بَقِيَّةٍ ضَيِّعٍ بَاتَا وَرَاءَ السَّافِيَاتِ هَبَاءَ (٤)
بَطْلُ الْبَدَاوَةِ لَمْ يَكُنْ يَغْزُو عَلَى «تَنَكٍ» ، وَلَمْ يَكُ يَرْكَبُ الْأَجْوَاءَ (٥)
لَكِنْ أَخُو خَيْلٍ حَمَى صَهَوَاتِهَا وَأَدَارَ مِنْ أَعْرَافِهَا الْهَيْجَاءَ

* * *

لَبَّى قَضَاءَ الْأَرْضِ أَمْسٍ بِمُهْجَةٍ لَمْ تَخْشَ إِلَّا لِلسَّمَاءِ قَضَاءَ
وَأَفَاءَ مَرْفُوعَ الْجَبِينِ كَأَنَّهُ سُقْرَاطُ جَرَّ إِلَى الْقُضَاءِ رِدَاءَ
شَيْخُ تَمَالِكٍ سِنَّهُ لَمْ يَنْفَجِرْ كَالطُّفْلِ مِنْ خَوْفِ الْعِقَابِ بُكَاءَ
وَأَخُو أُمُورٍ عَاشَ فِي سَرَائِهَا فَتَغَيَّرَتْ ، فَتَوَقَّعَ الضَّرَاءَ

١- اللم : الجمع -٢- الفلحاء : لقب غنثرة العبسي ، اما زيد الخيل
فعلم على فارس بهذا الاسم -٣- برقة : هي المنطقة الشرقية من ليبيا ،
فتحها عمرو بن العاص سنة ٦٤١م ، وسميت باسم عاصمتها القديمة .
وقد اشتهرت بوقائعها الحربية المتعددة التي حدثت بين العرب والظليان .
٤- السافيات : الرياح -٥- تنك : هي الدبابة المستعملة في الحروب .

الأسدُ تَزَارُ في الحديدِ ولن ترى
وَأنى الأسيرُ يَجْرُ ثِقْلَ حديدِهِ
عَصَتْ بِسَاقِيهِ الْقِيُودُ فلم يَنْوُ
تَسْعُونَ لو رَكِبَتْ مَنَاكِبَ شَاهِقٍ
خَفِيَتْ عن القاضي ، وفات نصيبُها
والسِّنُّ تَعْصِفُ كُلَّ قَلْبٍ مُهَذَّبٍ
في السَّجَنِ ضِرْغَاماً بِكى اسْتِخْدَاءً
أَسَدُ يُجَرِّزُ حَيَّةَ رَقْطَاءٍ
وَمَشَتْ بِهَيْكَلِهِ السَّنُونُ فناءً
لترجَلَتْ هَضْبَاتُهُ إِعْيَاءً (١)
من رَفَقَ جُنْدٍ قَادَةً نُبْلَاءَ
عَرَفَ الْجُدُودَ ، وَأَدْرَكَ الْآبَاءَ

* * *

دفعوا إلى الجَلَادِ أَغْلَبَ ماجداً
ويُشَاطِرُ الْأَقْرَانَ ذُخْرَ سِلَاحِهِ
وتَخَيَّرُوا الْجِبَلَ الْمَهِينَ مَنِيَّةً
حَرَمُوا المَمَاتَ على الصَّوَارِمِ والقَنَا
إلى رَأَيْتُ يَدَ الحضَارَةِ أُولِعَتْ
شَرَعَتْ حُقُوقَ النَّاسِ في أوطَانِهِم
يَأْسُو الجِرَاحَ ، وَيُطْلِقُ الْأُسْرَاءَ
وَيَصُفُّ حَوْلَ خِوَانِهِ الْأَعْدَاءَ (٢)
لَلَيْثِ يَلْفِظُ حَوْلَهُ الْحَوْبَاءَ (٣)
مَنْ كَانَ يُعْطَى الطَّعْنَةَ النَّجْلَاءَ
بِالْحَقِّ هَذَا تَارَةً وَبِنَاءَ
إِلَّا أَبَا الضَّيْمِ وَالضَّعْفَاءَ

* * *

يَايَهَا الشَّعْبُ الْقَرِيبُ ، أَسَامِعْ
أَمْ أَلْجَمْتَ فَالِكَ الحَطُوبُ وَحَرَّمْتَ
ذَهَبَ الزَّعِيمُ وَأَنْتَ بَاقٍ خَالِدُ
وَأَرِحْ شَيْوَنَكَ مِنْ تَكَالِيفِ الْوَعَى
فَأَصْوَعْ في عُمَرِ الشَّهِيدِ رِثَاءً ؟
أَذْنَيْكَ حِينَ تُخَاطَبُ الْإِضْغَاءَ ؟
فَانْقُدْ رِجَالَكَ ، وَاخْتَرِ الزُّعَمَاءَ
وَاحْمِلْ على فِتْيَانِكَ الْأَعْبَاءَ

١- الشاهق : الجبل . والتسعون : هي التسعون عاما التي يحدد بها
عمر المرنى حين قبضوا عليه ليعدموه -٢- الخوان : مائدة الطعام .
٣- الحوباء : النفس .

عبد الحليم العلايلي بك(*)

لقد لبى زعيمكم النداء عزاء أهل دمياط عزاء
وإن كان المعزى والمعزى وكل الناس في البلوى سواء
فجئنا كلنا بعلايلي كركن النجم أو أسنى علاء
أرق شباب دمياط عليها وأنشطهم لحاجتها قضاء
وخير بيوتها كرمًا وتقوى وأصلاً في السيادة وانتهاء
فتى كالرمح عالية وعوداً وكالصمصام إفرنداً وماء (١)
وأعطى المال والهيم العوالى ولم يغط الكرامة والإباء
شباب ضارغ الریحان طيباً ونازعه البشاشة والبهاء
وجندى القضية منذ قامت تعلم تحت رايتهما اللقاء
وروع شيخها العالى بيوم فكان بمنكبيه له وقاء (٢)
سعى لضميره ، ولو جره مصر ولم يتول ينتظر الجزاء

* * *

ونعش كالغمام يرف ظلاً إذا ذهب الزحام به وجاء
ولم تقع العيون عليه إلا أثار الحزن أو بعث البكاء

(*) عبد الحليم العلايلي : كان عالية دمياط ، توفى سنة ١٩٣٢ ، بعد ان ترك له في القضية المصرية مواقف مذكورة . اشتهر مثله نشأ بعلو الهمة ونفوذ الكلمة فانتخب للمجالس النيابية بالنيابة عن دائرة دمياط عدة مرات ، وانتخب سكرتير حزب الاحرار الدستوريين فكان في رجالات ذلك الحزب ممن يشار اليهم ، وكان من امير الشعراء بمنزلة الصهر والصديق .

١- عالية الرمح : نصفه الاعلى الذى يلى السنان . والصمصام : السيف . وافرنده وماؤه : كلاهما تمييز لجوهره ٢- يقصد « بشيخها العالى » : المغفور له سعد باشا زغلول .

— ٢١ —

عَجَبْنَا كَيْفَ لَمْ يَحْضَرْ عُوْدًا وَقَدْ حَمَلَ الْمُرُوَّةَ وَالرُّفَاءَ
مَشَتْ دِمْيَاطُ. فَالْتَفَتْ عَلَيْهِ تَنَازَعُهُ الذَّخِيرَةُ وَالرَّجَاءُ

* * *

بَنَى دِمْيَاطُ. ، مَا شَيْءٌ بَبَاقٍ سِوَى الْفَرْدِ الَّذِى احْتَكَرَ الْبَقَاءَ
نَعَالَى اللَّهُ ، لَا يَبْقَى سِوَاهُ إِذَا وَرَدَتْ بَرِيَّتُهُ الْفَنَاءُ
وَأَنْتُمْ أَهْلُ إِيْمَانٍ وَتَقْوَى فَهَلْ تُلْقَوْنَ بِالْعَنْبِ الْقَضَاءُ ؟
مَلَأْتُمْ مِنْ بَيْوتِ اللَّهِ أَرْضًا وَمَنْ دَاعَى الْبُكُورِ لَهَا مِائَةً
لَا تَسْتَقْبِلُونَ الْفَجَرَ إِلَّا عَلَى قَدَمِ الصَّلَاةِ إِذَا أَضَاءَ
وَتَرْتَقِبُونَ مَطْلَعَهُ صِغَارًا وَتَسْتَبِقُونَ غُرَّتَهُ نِسَاءً
وَكَمْ مِنْ مَوْقِفٍ مَاضٍ وَقَفْتُمْ فَكُنْتُمْ فِيهِ لِلْوَطَنِ الْفِدَاءَ
دَفَعْتُمْ غَارَةً شِعْوَاءَ عَنْهُ وَذَذُنْتُمْ عَنْ حَوَاصِرِهِ الْبَلَاءَ

* * *

أَخِي (عَبْدَ الْعَلِيمِ) وَلَسْتُ أَدْرِ أَأَدْعُو الصُّهْرَ أَمْ أَدْعُو الْإِخَاءَ ؟
وَكَمْ صَحَّ الْوَدَادُ فَكَانَ صِهْرًا وَكَانَ كَأَقْرَبِ الْقُرْبَى صَفَاءَ
عَجِيبٌ تَرَكُّكَ الدُّنْيَا سَقِيًّا وَكُنْتَ النَّحْلَ تَلْمُؤَهَا شِفَاءَ (١)
وَكُنَّا حِينَ يُعْضِلُ كُلُّ دَاءٍ نَجِيءُ إِلَيْكَ نَجْعُكَ الْوَدَاءَ
مَهَضْتَ بِكَ آلَةَ حَذْبَاءَ كَانَتْ عَلَى الزَّمَنِ الْمَطِيَّةَ وَالْوِطَاءَ (٢)
وَسَارَتْ خَلْفَكَ الْأَحْزَابُ صَفًّا وَسَرَتْ ، فَكُنْتَ فِي الصَّفِّ الْوَدَاءَ
تَوَلَّفُ بَيْنَهُمْ مَيْتًا ، وَتَبْنَى كَمَهْدِكَ فِي الْحَيَاةِ لَهُمْ وِلَاءَ

١- يريد تشبيهه المسامى الكثيرة النبيلة التى كان يقوم بها المرئى بعمل
النحل - ٢ - الالة الحلباء : النعش .

حافظ ابراهيم (*)

قد كنتُ أوثرُ أن تقولَ رثائي يا مُنصفَ الموتي من الأحياء
لكنَّ سبقتَ ، وكلُّ طولٍ سلامةٍ قدرُ ، وكلُّ مَنيّةٍ بقضاء
الحقُّ نادى فاشتجبتَ ، ولم تزلْ بالحقِّ تحفيلُ عندَ كلِّ نداء
وأنتِ صحراءُ الإمامِ تذب من طولِ الحنينِ لساكنِ الصحراء (١)
فلقيت في الدارِ الإمامَ محمداً في زُمرَةِ الأبرارِ والخُفَاء (٢)
أثرُ النعيمِ على كريمٍ جبينه ومراشدُ التفسيرِ والإفتاء
فشكوتما الشوقَ القديمَ ، وذُقتُما طيبَ التداني بعدَ طولِ تنائي
إن كانت الأولى منازلَ فرقةٍ فالسُحرةُ الأخرى ديارُ لقاء (٣)
ووددتُ لو أتي فذاك من الردى والكاذبون المُرَجِفون فِدائي
الناطقون عن الضغينةِ والهوى المؤغِرون الموتى على الأحياء
من كلِّ هدامٍ وبني مجده بكرائمِ الأنقاض والأشلاء
ما حطّموك ، وإنما بك حطّموا من ذا يُحطّم رُفرفِ الجوزاء ؟ (٤)

(*) هو المرحوم محمد حافظ ابراهيم بك ، شاعر سباق معدود في الطليعة ، وكان يلقب بشاعر النيل ، توفي سنة ١٩٣٢ ، فرثاه أمير الشعراء شوقي بك بهذه القصيدة ، التي ينبىء مطلعها عن مبلغ تقديره لصاحبه ووفائه له .

١ — صحراء الإمام : المقبرة التي دفن بها ، وهذه الصحراء تنسب للإمام الشافعي لوقوع ضريحه — رضي الله عنه — في نطاقها — ٢ — الإمام : هو المرحوم الشيخ محمد عبده العالم الديني الكبير ، وقد اشتهر المرحوم حافظ في حياته باكتساب عطفه ورضاه — ٣ — الأولى : الحياة الدنيا — ٤ — الرفرف : ما يجعل عليه طرائف البيت . والجوزاء : نجم معروف في السماء ، فالتعبير برفرف الجوزاء : كناية عن اسنى مواضع الشرف والسمو .

أَنْظُرْهُ ، فَأَنْتَ كَأَمْسٍ شَأْنُكَ بَاذِخٌ فِي الشَّرْقِ ، وَأَسْمُكَ أَرْفَعُ الْأَسْمَاءِ
بِالْأَمْسِ قَدْ حَلَّيْتَنِي بِقَصِيدَةٍ غِرَاءَ تَحْفَظُ كَالْيَدِ الْبَيْضَاءِ (١)
غَيْظَ الْحَسُودِ لَهَا وَقَمْتُ بِشُكْرِهَا وَكَمَا عَلِمْتَ مَوَدَّتِي وَوَفَائِي
فِي مَحْفَلٍ بَشَّرْتُ أَمَالِي بِهِ لَمَّا رَفَعْتَ إِلَى السَّمَاءِ لِيَوَائِي
يَا مَانِيحَ السُّبُودَانِ شَرِّحْ شَبَابِيهِ وَوَلِيَّيْهِ فِي السَّلَامِ وَالْهِجَاءِ
لَمَّا نَزَلْتَ عَلَى خَمَائِلِهِ ثَوِي نَبْعُ الْبَيَانِ وَرَاءَ نَبْعِ الْمَاءِ
قَلَّدَتْهُ السَّيْفَ الْحُسَامَ ، وَزَدَتْهُ قَلَمًا كَصَدْرِ الصَّعْدَةِ السَّمَرَاءِ (٢)
قَلَمٌ جَرَى الْحَقْبَ الطَّوَالَ فَمَا جَرَى يَوْمًا بِفَاحِشَةٍ وَلَا بِهَجَاءِ (٣)
يَكْسُو بِمَذْحِجَتِهِ الْكِرَامَ جَلَالَةً وَيُشَيِّعُ الْمَوْتَى بِحَسَنِ ثَنَاءِ

* * *

إِسْكَندَرِيَّةُ يَا عُرُوسَ الْمَاءِ وَخَمِيلَةَ الْحُكَمَاءِ وَالشُّعْرَاءِ (٤)
نَشَأَتْ بِشَاطِئِكَ الْفَنُونَ جَمِيلَةً وَتَرَعَرَعَتْ بِسَمَايْكَ الزُّهْرَاءِ
جَاءَتْكَ كَالطَّيْرِ الْكَرِيمِ غِرَائِبًا فَجَمَعَتْهَا كَالرَّبْوَةِ الْغَنَاءِ
قَدْ جَمَلُوكَ ، فَصِرْتَ زِينَةً الثَّرَى لِلْوَاغِدِينَ وَدُرَّةَ الدَّأْمَاءِ

١- يريد القصيدة التي أنشأها المرحوم حافظ وأنشدها في المهرجان العظيم الذي أقيم في القاهرة ، وقد حضرت إليه وفود الاقطار العربية ، وظل سبعة أيام تكريما لمبايعة أمير الشعراء شوقي بامارة الشعر في الشرق العربي عامة ، وهي التي يقول فيها :

أمير القوافي ، قد أتيت مبايعا وهذى وفود الشرق قد بايعت معي
٢- الصعدة : قناة الرمح ينبت عودها مستويا -٣- الحقب : جمع حقبة - بكسر الحاء - وهي المدة من الزمن أو السنة -٤- نظم المرحوم شوقي هذه القصيدة وهو في الاسكندرية ، فكان لابد لشاعريته المستوعبة من وصف هذه المدينة وفاء لاقامته فيها وقتئذ .

غَرَسُوا رَبَائِكَ عَلَى خُمَائِلِ بَابِلِ
وَاسْتَحْدَثُوا طُرُقًا مُتَوَرَّةً الْهَدَى
فَخُلِيَ كَأْمِسٌ مِنَ الثَّقَافَةِ زِينَةُ
وَتَقَلَّدَى لُغَةَ الْكِتَابِ ؛ فَإِنَّهَا
بَنَتْ الْحَضَارَةَ مَرَّتَيْنِ ، وَمَهَّدَتْ
وَسَمَتْ بِقَرطُبَةٍ وَمَصْرَ ، فَحَلَّتَا
مَاذَا حَشَدَتْ مِنَ الدَّمُوعِ «لِحَافِظٍ»
وَوَجَدَتْ مِنْ وَقَعِ الْبَلَاءِ بِفَقْدِهِ
اللَّهُ يَشْهَدُ قَدْ وَفَيْتِ سَخِيَّةً
وَأَخَذَتْ قِسْطًا مِنْ مَنَاحَةِ مَا جَدِ
تَهْتَفُ الرُّوَاةُ الْحَاضِرُونَ بِشَعْرِهِ
لِبَنَانٍ يَبْكِيهِ ، وَتَبْكِي الضَّادُ مِنْ
عَرَبٍ الْوَفَاءِ وَفَرَا بِذِمَّةِ شَاعِرٍ
يَا حَافِظَ الْقَصْحَى ، وَحَارَسَ مَجْدَهَا
مَا زِلْتَ تَهْتَفُ بِالْقَدِيمِ وَفَضْلِهِ
جَدَّدْتَ أُسْلُوبَ (الْوَلِيدِ) وَلَفْظَهُ

وَبَنَوْا قُصُورَكَ فِي سَنَا الْحِمَرَاءِ (١)
كَسْبِيلِ عَيْسَى فِي فِجَاجِ الْمَاءِ (٢)
وَتَجَمَّلِي بِشِبَابِكِ النُّجَبَاءِ
حَجَرُ الْبِنَاءِ ، وَعُدَّةُ الْإِنْشَاءِ
لِلْمُلْكِ فِي بَغْدَادَ وَالْفَيْحَاءِ
بَيْنَ الْمَمَالِكِ ذِرْوَةَ الْعَلْيَاءِ (٣)
وَذَخَرَتْ مِنْ حَزَنِ لَهُ وَبُكَاءِ ؟
إِنَّ الْبَلَاءَ مَصَارِعُ الْعِظَمَاءِ
بِالدَّمْعِ غَيْرَ بَخِيلَةٍ الْخُطْبَاءِ
جَمُّ الْمَآثِرِ ، طَيْبُ الْأَنْبَاءِ
وَحَدَا بِهِ الْبَادُونَ فِي الْبَيْدَاءِ (٤)
حَلَبٍ إِلَى الْفَيْحَاءِ إِلَى صَنْعَاءِ
بَانِي الصَّفُوفِ ، مُؤَلِّفِ الْأَجْزَاءِ
وَأِمَامَ مَنْ نَجَلَتْ مِنَ الْبُلَاءِ (٥)
حَتَّى حَمَيْتِ أَمَانَةَ الْقُدَمَاءِ
وَأَتَيْتِ لِلدُّنْيَا بِسِحْرِ (الطَّائِي) (٦)

١ - بَابِل : موضع مدينة بالعراق ، ينسب اليها السحر والخمر .
والحمرَاء : قصر مشهور في الأندلس - ٢ - الفجاء - بكسر الفاء : جمع
فج - بفتحها - الطريق الواسع بين الجبلين - ٣ - قرطبة : إحدى عواصم
الأندلس الكبرى ، وكانت في المغرب مثل بغداد في المشرق ، كلتاها منبع
للعلوم والفنون في ازهر عصور الاسلام - ٤ - البادون : السائرون في البادية
- ٥ - نجلت : أى ولدت - ٦ - الوليد : هو أبو عبادة البحرى الشاعر العباسى
الشهير . والطائى : هو حبيب الطائى الشهير بأبى تمام .

وجريئت في طلب الجديد إلى المدى
ماذا وراء الموت من سلوى ، ومن
أشرح حقائق ما رأيت ، ولم تزل
رُتبُ الشجاعة في الرجال جلائلُ
كم ضقت ذرعاً بالحياة وكيدِها
فها هم فارق يأس نفسك ساعة
وأشز إلى الدنيا بوجه ضاحك
يا طالما ملأ الندي بشاشة
اليوم هادنت الحوادث ، فاطرح
خلفت في الدنيا بياناً خالداً
وغداً سيدك الزمان ، ولم يزل
حتى اقترنت بصاحب البؤساء (١)
دعة ، ومن كرم ، ومن إغضاء ؟
أهلاً لشرح حقائق الأشياء
وأجلهن شجاعة الآراء
وهتفت بالشكوى من الضراء
واطلع على الوادي شعاع رجاء
خلقت أسرته من السراء
وهدى إليك حوائج الفقراء
عبيء السنين ، وألقى عبيء الداء
وتركت أجيالاً من الأبناء
للدهر إنصاف وحسن جزاء

محمد تيمور (*)

ضربوا القبابَ على اليبابِ وثروا إلى يوم الحسابِ (١)
همدوا ، وكلُّ مُحَرِّكٍ يوماً سيسكنُ في الترابِ
نزلوا على ذنبِ البلي فتضيّفوا شرُّ الذئابِ
وكانهم صرعى كرى بالقاع أو صرعى شرابِ
فاذا صحّوا وتنّبها فالله أعلم بالمآبِ

من كلِّ مُنْقَضٍ الوفو د هناك مهجورِ الجنابِ
مؤزوثِ كلِّ مَضْنَةٍ إلا الذخيرة من ثوابِ (٢)

يا نائحاتِ محمدٍ نُحْنَتُهُ غَضُّ الإهابِ
في ماتمٍ لم تخلُ فيه المكرماتُ من انتخابِ
تبكى الكريمِ على العشيرة ، والحبيبِ إلى الصحابِ
حسبُ الحمامِ دُوعُكُنَّ المُسْتَهْلَةُ من عتابِ (٣)
فارجعن فيه لحكمةٍ أو جئن فيه إلى احتسابِ
في العالمِ الفانى مصيرُ العالمين إلى ذهابِ
من سارَ لم يثنو العنا ن ، ومن أقام إلى اقترابِ

(*) محمد تيمور : أديب كبير اشتهر بوضع القصص الاجتماعية ،
ولكن الموت لم يمهله فاخترم شبابه في سنة ١٩٢١ .
١ - القباب : جمع قبة ، والمقصود بضرب القباب هنا : هو الكناية
عن المقبرة ٢ - المضنة : هي الشيء النفيس يكون موضعاً للغبن به
٣ - الحمام - بكسر الحاء - : الموت .

يا وارثَ الحَسَبِ الصِّمِيِّ مِ وكاسبَ الأدبِ اللُّبَابِ
وابنَ الذي علمَ الرجا لُ حياءه من كل عاب (١)
وكانه في كُتُبِهِ عثمانُ في ظل الكتاب (٢)
ماذا نَقَمْتَ مِنَ الشبا بِ ، وأنت في نِعَمِ الشباب ؟
مُتَحَلِّياً هِبَةً النبو عِ ، مُطَوَّقَ المِنحِ الرِّغاب ؟
ولم الترحلُ عن حيا قِ أنت منها في رِكاب ؟
لم تعدُ شاطِئَها ، ولم تبلغُ إلى ثَبَجِ العُباب ؟ (٣)

* * *

رفقاً على محزونة ال أبياتٍ ، مُوحِشَةِ الحِجاب (٤)
فقدتكَ في العمر الطريد رِ ، وفي زها الدنيا الكعاب (٥)
تبكى ، وتندُب إلفها بين الأفانين الرطاب
وانظر أباك وتُكَلِّه ورُزوحه تحت المصاب
لو كان يملك سِرُّ يُو شَعَ ردِّ شَمْسِكَ من غِياب (٦)

* * *

١- وابن الذي . . الخ : هو المرحوم أحمد باشا تيمور ، كان عالماً بحتاً اشتهر بالاطلاع الواسع وباقتناء أئمن الكتب -٢- يشبه والد الفقيد .
أقبله على الكتب في شيخوخته بعثمان بن عفان الخليفة الثالث اتدى مات
والكتاب العزيز في يده -٣- العباب : البحر . وثبجه : وسطه -٤- موحشة
الحجاب : كناية عن شدة مصاب هذه السيدة ، يقول : ان خدرها أقر من
الانس حتى صار يبعث الوحشة والهلع في قلب صاحبه -٥- العمر الطريد :
هو سن الشباب ، ويقصد بقوله : « الدنيا الكعاب » أنه كان يعيش في دنيا
مزهوة بنعيمها وثروتها -٦- يوشع - كما في التوراة - : هو يوشع بن نون ،
اصطفاه الله وأرسله لبنى إسرائيل بعد موسى ، وأمره بمحاربة الجبارين ،
ففي بعض وقائعه ابتهل الى الله أن تقف الشمس حتى ينتقم من أعدائه ،
فوقفت ولم تغرب مدة يوم أو نحو ذلك .

أَعْلِمْتُ غَيْرَكَ مِنْ جَلَا إِلَهٍ مِثْلَ فِي جُدِّ الشَّيَابِ
وَكَسَا غَرَائِبَ جِدِّهِ حُلَلًا مِنْ الْهَزْلِ الْعُجَابِ
مُتَمِيزًا حِينَ التَّمِيَّةِ نَزُّ لَيْسَ مِنْ أَرْبِ الشَّيَابِ
أَفْقُ الْعُلَا كُنْتَ الشَّهَا بَ عَلَيْهِ ، لَا ذَنْبَ الشَّهَابِ
يَا رَبُّ يَوْمٍ ضَاقَ دَرْ عُكَ فِيهِ بِالْحُسْدِ الْغِضَابِ
سَعَّاهُمْ فَأَنْتَ جَمَعْتَهُمْ الشَّهْدُ مَائِدَةُ الدُّبَابِ
خَذْ مِنْهُمْ نَقْدَ الْعَفَا فِ ، وَدَعْ لَهُمْ نَقْدَ السِّيَابِ
دُونَ النَّبُوغِ وَأَوْجِهْ مَا لَا تُعَدُّ مِنَ الصَّعَابِ
فَإِذَا بَلَغْتَ الْأَوْجَ كُنْ تِ الشَّمْسُ تَهْزَأُ بِالضَّبَابِ (١)

* * *

لَا تَبْعِدَنَّ ؛ فَهَذِهِ آمَالُ قَوْمِكَ فِي اقْتِرَابِ
أَشْرُفُ بَرُوحِكَ فَوْقَهُمْ مَلِكًا يُرْقِرِفُ فِي السَّحَابِ
وَانْظُرْ بَعِينَ نَزَّهَتْ عَنْ زُخْرُفِ الدُّنْيَا الْكَذَابِ
نَرِّ مِنْ لِدَاتِكَ أُمَّةً كَسَتْ الدِّيَارَ جَلَالَ غَابِ (٢)
أَسْدُ تَجُولُ بِغَيْرِ ظُفٍّ رِ ، أَوْ تَصُولُ بِغَيْرِ نَابِ
جَعَلُوا الثَّنَاتَ سِلَاحَهُمْ نِعَمَ السِّلَاحُ مَعَ الصَّوَابِ (٣)
أَمَّا الْأُمُورُ فَإِنَّهَا بَلَغَتْ إِلَى فَصْلِ الْخُطَابِ
فَإِذَا مَلَكَتْ تَوَجُّهًا لِلَّهِ فِي قُدْسِ الرَّحَابِ
سَلِّ فَاتِحَ الْأَبْوَابِ يَفِ تَحِ لِلْكِنَانَةِ خَيْرَ بَابِ

١ - الأوج : العلو - ٢ - لدات الانسان : المقاربون له في السن .
والغاب : جمع غابة ، وهى مأوى الاساد - ٣ - يصف شباب الامة المصرية في
نورة سنة ١٩٢٠ .

يعقوب صروف (*)

سأؤلك يا دنيا خِداغُ سَرابٍ وأرضُك عُمرانُ وشيكُ خرابٍ (١)
وما أنتِ إلّا جيفةٌ طالَ حولُها قيامُ ضِباعٍ ، أو قعودُ ذئابٍ
وكم ألجأَ الجوعُ الأسودَ فأقبلتُ عليك بظُفْرِ لم يَعِفَ ونابٍ
قَعَدتِ من الأظعانِ في مَقطعِ السرى ومروا ركاباً في غُبارِ ركابٍ
وجُدتِ عليهم في الوداعِ بساخِرٍ من اللّحظِ. عن مَيّتِ الأحيّةِ نابٍ (٢)
أقاموا ، فلم يؤنسكِ حاضرُ صحبةٍ ومالوا فلم تستوحشِي لغيابٍ
تُسوقينَ للموتِ البنينَ كقائدٍ يرى الجيشَ خلقاً هيناً كذبابٍ
رأى الحربَ سلطاناً له وسلامةً وإن آذنتُ أجنادَه بتهابٍ (٣)
ولولا غرورُ في لُبّانكِ لم يجد بنوكِ مذاقَ الضّرِّ شهدةً رُصابٍ (٤)
ولا كنتِ للأعمى مَشايدةً فتنةً وللمُقعّدِ العاني مَجالَ وثابٍ (٥)
ولا ضلّ رأيُ الناشئِ الغرّ في الصُّبا ولا كَرَّ بعدَ الفُرصةِ المتصابي
ولا حسبَ الحفّارِ للموتِ بعدما بنى بيديه القبرَ ألفَ حسابٍ
يقولون : يرثي كلُّ نخلٍ وصاحبٍ أجلٌ ، إنما أفضى حقوقَ صِحابٍ

(*) هو الدكتور يعقوب صروف ، أحد صاحبي مجلة المقتطف وجريدة المقطم ، كان متبتلاً للعلم ، معدوداً في طليعة الكتاب والعلماء الذين يشار إليهم بالبنان ، توفي سنة ١٩٢٨ .

١- السراب : هو ما يرى في وسط النهار كأنه الماء . ووشيك : سريع .
٢- النابي : المتجاف المتباعد . ٣- يقال : آذنته بكذا ، أى أندرتة .
والتباب : الهلاك . ٤- اللبان - بتشديد اللام مضمومة - : جمع لبنانة ، وهى الحاجة يطبها الانسان من غير احتياج اليها ، بل بدافع من علو الهمة والرغبة . الرضاب : هو ريق الانسان مادام في فمه . ٥- العاني : المقيد ، وهنا سمي الاسير بالعاني ، لان من شأنه أن يقيد .

—٣٠—

جَزَيْتُهُمْ دَمْعِي ، فلما جرى المَدَى جعلتُ عيونَ الشعرِ حُسْنَ ثوابي
كفى بِذُرَى الأعوادِ منبرَ واعظٍ وبالمستقلِّيها لسانَ صواب (١)
دعوتك يا يعقوبُ من منزلِ اليلَى ولولا المنايا ما تركتَ جوابي
أذكرُكَ الدنيا ، وكيف ولم يزلْ لها أثراً شهدَ بفيكِ وصاب ؟ (٢)
حملنا إليك الغارَ بالأمسِ ناضراً وسُقنا كتابَ الحمدِ تلوَ كتاب (٣)
وما انفكتِ الدنيا وإن قلَّ لبُئْها لسانَ ثوابٍ ، أو لسانَ عِقاب
ألا في سبيلِ العلمِ خمسونَ حِجَّةً مضتْ بينَ تعلِيمٍ وبينَ طِلاب
قطعتَ طوائِ ليلِها ونهارِها بآمالِ نفسٍ في الكمالِ رِغاب
رأى الله أن تلقى إليك صحيفةً فنزَّهتها عن هوشةٍ وكِذاب (٤)
ولم تتخذها آلةَ الحقِّ والهوى ولا منتدَى لغوٍ وسوقِ سِباب
مَشِينا بنورِ علمِها وبياتِها فلم نسرِ إلّا في شُعاعِ شهاب
وعشنا بها جيلينَ قمتَ عليهما معلِّمَ نشءٍ ، أو إمامَ شباب
رسائلُ من عَفْوِ الكلامِ كأنها حواشي عيونٍ في الطُّروسِ عِذاب (٥)
هي المخضُ ، لا يشقى به ابنُ تميمَة غِذاءً ، ولا يشقى به ابنُ خِضاب (٦)

١- بالمستقلِّيها : أي براكيبيها -٢- الشهد : غسل النحل . والصاب :
الماء -٣- إشارة إلى الاحتفال بالفقيد في اليوبيل الفضي لمجلته المقتطف .
والغار : ورق شجر كانت تتخذ منه أكاليل الظافرين -٤- هذه الصحيفة
هي مجلة المقتطف التي تعد بحق أمجد صحيفة علمية أدبية في الشرق العربي
كله ، وكان الفقيد مختصاً بتحريرها -٥- قوله «كانها حواشي عيون .. الخ»
العيون : هي عيون الماء ، ويقصد بحواشيها : النباتات والزهور التي تنبت
حواليها -٦- المخض : هو الخالص من كل شيء ، وابن تميمَة وابن خِضاب :
يقصد بالاول اليفع الناشئ ، وبالثاني الشائب الذي يخضب شعره .

سهولٌ من الفُصحى وقفتَ بها الهوى على ما لديها من رُبى وهضاب
وما ضُعت بين الشرق والغربِ مشيةً كما قيل في الأمثال : حَجَلُ غراب
فلم أرَ أنقى منك سُمعةً ناقلٍ إذا وسمَ النقلُ الرجالَ بعاب
وكم أخذَ القولَ السرى مُعربٌ فما ردهَ لاسمٍ ، ولا لِنِصاب
وفذتَ على الفُصحى بخيراتٍ غيرها فوالله ما ضاقت مناكبَ بَنب
وقدما أدنتَ (يونانُ) منهاو (فارسُ) و (روما) فحلُّوا في فسيحِ رحب
تبتلتَ للعلم الشریفِ كأنه حقيقةً توحيدٍ وأنت صَحَابِ
وجشمتَ ميدانَ السياسةِ (فارساً) وكلُّ جوادٍ في السِيامةِ كَابِ (١)
وكنا و (نمرُ) في شِغابٍ ، فلم يزلْ بنا الدهرُ حتى فضَّ كلَّ شِغاب
رأى الثورةَ الكبرى ، فصلَ بَراعَه لتحطيمِ أغلالِ وفكِّ رِقَابِ (٢)
وما الشرقُ إلَّا أسرةٌ أو عشيرةٌ تلمُّ بنيتها عندَ كلِّ مُصاب

* * *

سلامٌ على شيخِ الشيوخِ ورحمةٌ تحدرُّ من أعطافِ كلِّ سَحَاب
ورفأفُ رِيحانٍ يروحُ ويغتدى على طيِّباتٍ في الخِلالِ رِطَاب
وذكرى وإن لم ننسَ عهدك ساعةً وشوقٌ وإن لم نفتكرَ بِيَابِ
وويحَ السَّوافي هل عَرَضَنَ على البلى جَبِينَكَ ، أم سَتَرْنَهُ بِحِجَابِ ؟ (٣)

١- المقصود بفارس في هذا البيت هو الدكتور فارس نمر ، الشريك الثاني للفقيد في مجلتي المقتطف والمقطم ، ولكنه الشريك المختص بالسياسة ، كما كان الفقيد مختصا بالعلم ، وقوله : وكل جواد في السياسة كابى ، إشارة رقيقة الى المثل القائل : « لكل جواد كبوة ولكل عام هفوة » .
٢ - يريد ان الدكتور نمر لم يشاغب حبا في المشاغبة ، ولكنه كان متأثرا بفكرة عامة -٣- السوافى : الرياح .

— ٣٢ —

وهل صُنَّ ماءٌ كان فيه كَأَنَّهُ حيَاءُ بَتُولٍ فِي الصَّلَاةِ كَعَابِ (١)
ويا لِحَيَاةٍ لَمْ تَدْعُ غَيْرَ سَائِلٍ أَكَانَتْ حَيَاةً ، أَمْ خَلِيَّةً دَابِ ؟ (٢)
وَأَيْنَ يَدٌ كَانَتْ وَكَانَ بِنَانُهَا يَرَاعَةُ وَشَيْءٍ ، أَوْ يَرَاعَةُ غَابِ ؟
وَلَهْفَى عَلَى الْأَخْلَاقِ فِي رُكْنٍ هَيْكَلٍ بَبْطُنِ الثَّرَى رَثُّ الْمَعَالِمِ خَابِ

* * *

نَعِيشُ وَنَمَضَى فِي عَذَابٍ كُلِّدَةٍ مِنْ الْعِيشِ ، أَوْ فِي لَذَّةٍ كَعَذَابِ
زَهَبْنَا مِنَ الْأَحْلَامِ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ فَلَمَّا انْتَهَيْنَا فُسِّرَتْ بِذَهَابِ
وَكُلُّ أَحْيَى عِيشٍ وَإِنْ طَالَ عَيْشُهُ تُرَابٌ لَعَمْرُ الْمَوْتِ وَابْنُ تُرَابِ

١ — البتول : المنقطعة عن الرجال وعن الدنيا الى الله تعالى .

٢ — الداب : بمعنى الداب .

حسين شيرين بك (٥)

أرأيت زين العابدين مُجهزاً نقلوه نقلَ الوردِ من محرابه (١)
من دار توأمِهِ وصنوِ حياته والأولِ المؤلفِ من أترابه (٢)
ساروا به من باطلِ الدنيا إلى بُخبوحةِ الحقِّ المبينِ وغايه (٣)
ومضوا به لسبيلِ آدمَ قبله ومصابيرِ الأقوامِ من أعقابه
تحنو السماءُ على زكيِّ سريرِهِ ويسُّ جيدَ الأرضِ طيبُ رِكابه
وتطيب هأمُ الحاملين وراحهم من طيبِ مخمليه، وطيبِ ثيابه
وكانَ مصرَ بجانبِ ربوةٍ آذارُ آذنها بوشكٍ ذهابه
ويكاد من طربٍ لعادته الندى ينسلُّ للفقراءِ من أثوابه (٤)
الطيبُ ابنُ الطيبين ، وربما نضح الفتى فابان عن أحسابه
والمؤمنُ المعصومُ في أخلاقه من كل شائنةٍ ، وفي آدابه
أبدًا يراه الله في غليس الدجى من صحنِ مسجده ، وحولِ كتابه

(*) حسين بك شيرين : كان مثالا عاليا من أمثلة مكارم الاخلاق ، وكانت بينه وبين أمير الشعراء صداقة تشبه القربى ، وقد توفي في سنة ١٩٣١ ، فنظم فيه هذه القصيدة رثاء له وتعزية لشقيقه اسماعيل بك شيرين .

١- أراد تشبيهه بعلي زين العابدين بن سيدنا الحسين رضي الله عنهما ، وفي زين العابدين هذا يقول الشاعر الفرزدق :

ما قال « لا » قط الا في تشهده لولا التشهد كانت لاءه « نعم »

وتجهيز الميت : تهيئته للقبر .

٢- الصنو : الأخ الشقيق . والتوأم : المولود مع غيره في بطن ، وهذه حال الفقيد مع أخيه . والاتراب : لدات المرء وزملاؤه الذين ولدوا في سن متقاربة معه -٣- بحبوحة المكان : وسطه -٤- الندى : الكرم .

ويرى اليتامى لائذين بظله ويرى الأرامل يعتصنن ببابه
ويراه قد أدى الحقوق جميعها لم ينس منها غير حق شبابه
أدى من المعروف حصّة أهله وقضى من الأحساب حق صحابه (١)

* * *

(مهويش) ، أين أبوك؟ هل ذهبوا به لِمَ لَمْ يَعد؟ أيّانَ يومٍ إِيابه؟ (٢)
قد وكلّ الله الكريم وعينه بك ، فاحسبيه على كريم رحابه
ودعى البكا ، يكفيه ما حمّلتِه من دمعة الشاكي ، ومن تسكابه
ولقد شربت بحادث يا طالما شربت بذات العالمين بصابه
كلّ امرئ غادٍ على عواده وسؤالهم : ما حاله ؟ ماذا به ؟
والمرء في طلب الحياة طويلاً وخطى المنية من وراء طلابه ؟
في برّ (عمك) ما يقوم مكانه في عطفه ، وحنانه ، ودعابه

* * *

(إسكندرية) ، كيف صبرك عن فتى الصبر لم يُخلق لثلّ مُصابه (٣)
عطّلت سواك من برقي سحابها وخبا قضاؤك من شعاع شهابه
رَيْنُ الشبابِ فضي ، ولم تتزوّدِي منه ، ولم تتمتعِي بقرابه
قد ناب عنك ، فكان أصدق نائب والشعبُ يهوى الصدق في نوابه
أعلمته اتّخذ الأمانة مرّة سبباً يُبلّغه إلى آرابه ؟
لو عاش كان مؤملاً لمواقف يرجو لها الوادي كرام شبابه

١- المعروف هنا بمعنى البر بالناس والقيام بواجب المحتاجين .

٢- مهويش : اسم تركي ، وهو علم على ابنة الفقيّد .

٣- كان الفقيّد من الاسكندرية منشأ ، وعضو مجلس بلديتها .

— ٣٥ —

يجلو على الأبوابِ همةً فِكْرِهِ ويناولُ الأسماحَ سِحْرَ خِطَابِهِ
ويَقِي كَدَيْدِنِهِ بِحَقِّ بِلَادِهِ وَيَقِي بَعْدَ الْمُسْلِمِينَ كَذَابَهُ (١)

* * *

تَقْوَاكَ (إِسْمَاعِيلُ) ؛ كُلُّ عِلَاقَةٍ سَيَبُتُّهَا الدَّهْرُ . الْعَصُوفُ بِنَابِهِ (٢)
إِنَّ الَّذِي ذُقْتَ الْعَشِيَّةَ فَقَدَهُ بَيْتُ اللَّيَالِي مُوجِعًا لِعَذَابِهِ
خَارَقْتَ صِنُوكَ مَرَّتَيْنِ ، فَلَاقِهِ فِي عَالَمِ الذِّكْرِ وَبَيْنَ شِعَابِهِ (٣)
مَنْ عَادَ الذِّكْرَ تَرُدُّ مِنَ النُّوَى مَنْ لَا يَدِينُ لَنَا يَطِيَّ غِيَابِهِ
حُلْمٌ كَأَحْلَامِ الْكَرَى وَسِنَاتِهِ مُسْتَعَذَّبٌ فِي صَدَقِهِ وَكِذَابِهِ
لَسْتُ دُمُوعَكَ لَا أَقُولُ : اسْتَبَقِهَا فَأَخُو الْهَوَى يَبْكِي عَلَى أَحْيَابِهِ .

١ - الدين : العادة - ٢ - اسماعيل بك شيرين شقيق المزمي .
٣ - يشير هذا البيت الى ان الفقيه كان مقتربا في سويسرا طيلة
زمن الحرب الكبرى .

محمد عبد المطلب (*)

قام من عِلته الشاكي الوَصْبُ وتلقَى راحة الدهرِ التعبُ (١)
أيها النفسُ ، اصبري واسترجعي هتفَ الناعي بعبد المطلب (٢)
نزل التُّربَ على مَنْ قبله كلُّ حى مُنتهاه في التُّربِ
ذهب اللينُ في إرشاده كالأبِ المُشفِقِ والحدِّ الحَدِّبِ
القريبُ العتبِ مِنْ مَعْنَى الرضا والقريبُ الجدُّ من معنى اللَّعبِ
والأخُ الصادقُ في الوُدِّ إذا ظهرَ الإخوانُ بالودِّ الكَدِّبِ
خاشعُ في درسه ، مُحْتَشِمٌ فكِهْ في مجلسِ الطُّفُو طَرِبِ
قلد الأوطانَ نشأً صالحاً وشباباً أهلَ دينٍ وحَسَبِ
ربما صالتُ بهم في غديها صولةُ الدولةِ بالجيشِ اللُّجبِ (٣)
جعلوا الأَقلامَ أَرماحَهُمُ وأقاموها مقاماتِ القُضْبِ
لا يميلون إلى البَغْيِ بها كيف يَبغِي مَنْ إلى العلمِ انتسب ؟
شاعِرَ البدوِ ، ومنهم جاعنا كلُّ معنى رَقٍّ ، أو لَفْظٍ عَدْبِ
قد جرت ألسُنُهُم صافيةً جريانَ الماءِ في أصلِ العُشبِ
سَلِمَتْ من عَنَتِ الطبعِ ، ومن كُلفَةِ الأَقلامِ ، أو حَشْوِ الكُتُبِ (٤)

(*) هو الاستاذ محمد عبدالمطلب استاذ الادب في مدرسة دار العلوم كان ينظم الشعر مؤثرا في نظمه طريقة البادين ، ولذلك كان يلقب بشاعر البدو . وقد توفي سنة ١٩٣١ ، وأقيمت له حفلة تأبين أقيمت فيها هذه القصيدة .

١- يريد بالوصب : المتعب من مرض أو من علو الهمة -٢- الاسترجاع : هو قول : (أنا لله وأنا اليه راجعون) -٣- الجيش اللجب : الكثير العدد والعدة -٤- العنت : المشقة .

قد نزلتَ اليومَ في باديةٍ عَمَرَتْ فِيهَا (أمرأُ القيس) الحَقَب (١)
ومشى (المجنونُ) فيها سالياً نَفَضَ اللُّوْعَةَ عَنْهُ وَالْوَصَبَ (٢)
أَعِزَّ النَّاسَ لِسَاناً يَنْظُمُوا لَكَ فِيهِ الشَّعْرَ أَوْ يُنْشُوا الْخُطْبَ
قُمْ صِيفَ الْخُلْدِ لَنَا فِي مُلْكِهِ مِنْ جَلَالِ الْخُلُقِ ، وَالصُّنْعِ الْعَجَبِ
وَتَمَارٍ فِي يَوَاقِيتِ الرَّبِيِّ وَسُلَافٍ فِي أَبَارِقِ الذَّهَبِ (٣)
وَانْثَرِ الشَّعْرَ عَلَى الْأَبْرَارِ فِي قُدُسِ السَّاحِرِ وَعُلُوِّ الرَّحْبِ
وَاسْتَعِرْ (رضوانَ) عُودَيَّ قَصَبٍ وَتَرْنَمَ بِالْقَوَافِي فِي الْقَصَبِ (٤)
وَاسْتَقِ بِالْمَعْنَى إِلَهِيًّا ، كَمَا تَتَسَاقَوْنَ الرَّحِيقَ الْمُنْسَكِبِ
كَلِمًا سَبَّخْتَ لِلْعَرْشِ بِهِ رَفَعَ الرَّحْمَنُ وَالرُّسُلُ الْحُجُبِ
قُمْ تَأَمَّلْ ؛ هَذِهِ الدَّارُ وَفِي لَكَ مِنْ طُلَّابِهَا الْجَمْعُ الْأَرَبِ (٥)
وَقِفْ الدَّارُ لِبَانِي رُكْنِهَا وَقَضَى الْحَقُّ بَنُو الدَّارِ النَّجَبِ (٦)
طَلَبُوا الْعِلْمَ عَلَى شَيْخِهِمْ زَمَنًا ، ثُمَّ إِذَا الشَّيْخُ طُلِبَ
غَابَ عَنْ أَعْيُنِهِمْ ، لَكِنَّهُ مَائِلٌ فِي كُلِّ قَلْبٍ ، لَمْ يَغِبْ
صُورَةُ مُحْسِنَةٍ مَا تَخْتَفِي وَمِثَالُ طَيْبٍ مَا يَحْتَجِبُ
رَجُلٌ الْوَاجِبِ فِي الدُّنْيَا مَضَى يُنْصِفُ الْأُخْرَى وَيَقْضِي مَا وَجِبَ
عَاشَ عَيْشَ النَّاسِ فِي دُنْيَاهُمْ وَكَمَا قَدْ ذَهَبَ النَّاسُ ذَهَبَ
أَخَذَ الدَّرْسَ الَّذِي لُقِّنَهُ عُجِمَ النَّاسُ قَدِيمًا وَالْعَرَبُ

١- أمرؤ القيس : الشاعر الجاهلي المعروف -٢- المجنون : مجنون
يلى ، من شعراء البادية كأمريء القيس -٣- يواقيت الربى : الأكام
المتفتحة بالورد والثمار التي تشبه الياقوت . والسلاف : الخمر .
٤- رضوان : هو الملك القائم على الجنة . والقصب : الزمار أو الناي الذي
يترنم به -٥- الجمع الارب : أى الكثير الحصافة والكياسة والدهاء .
٦- النجب : جمع نجيب .

يرثى جدته (*)

خُلِقْنَا للحياة وللعماتِ ومن هذين كلُّ الحادثاتِ
وَمَنْ يُولَدُ يَعِشُ وَيَمُتُ كَأَنْ لَمْ يَحْرُ خياله بالكائنات
ومَهْدُ المرءِ في أيدي الرواقِ كنعش المرء بين النائحات (١)
وما سَلِمَ الوليدُ من اشتكاء فهل يخلو المعمرُ من أذاة ؟ (٢)
هي الدنيا ، قتالٌ نحن فيه مقاصدُ للحسام وللقناة
وكلُّ الناسِ مدفوعٌ إليه كما دُفِعَ الجبانُ إلى الثبات
فُرُوعُ ما نُروِّعُ ، ثم نُرمي بسهمٍ من يدِ المقدورِ آتى
حِصْلَةُ اللَّهِ يا (تمزارُ) تجزى ثراكِ عن التلاوة والصلاة
وعن تسعين عاماً كنتِ فيها مثالَ المحسناتِ الفضلياتِ
يَزِدَّتِ المؤمناتِ ، فقال كلُّ : لعلكِ أنتِ أمُّ المؤمناتِ
وكانتِ في الفضائلِ باقياتُ وأنتِ اليومَ كلُّ الباقياتِ
تَبَنَّاكِ الملوكةُ ، وكنتِ منهم بمنزلةِ البنين أو البناتِ
يُظِلُّونَ المناقبَ منك شتّى ويؤوونَ التقى والصالحاتِ
وما ملوكُ في (سوفِ) ، ولكن لدى ظلِّ القنا والمرهفاتِ

(*) حدثه هي المرحومة السيدة « تمزار » معتوقة جنتم كان ابراهيم باشا والى مصر ، وسترى في القصيدة كيف بلغت الجدة المحترمة تلك المنزلة العالية .

١- المهد : الموضع يهيا للطفل . والرواقى : جمع راقية ، والراقية عند العرب هي الام أو نحوها ، تضع التمام والتعاوب على الطفل حفظا له من العين أو من الشياطين ، على زعمهم .

٢- المعمر : هو الذى يمد له فى العمر . يقول فى هذه الايات الثلاثة ، ان الدنيا لا ثبات لها ، فالانسان كانه لم يوجد ، فالراقيات والنائحات والمهد والنعش والصغر والكبر فى لقاء الاقدار سواء ، فلا شئ يرد الموت ولا يمنع القدر .

عَنْتِ لَهُمْ (بمُورَة) بِنْتُ عَشْرِ وَسَيْفُ الْمَوْتِ فِي هَامِ الْكُمَاةِ (١)
فَكُنْتُ لَهُمْ وَلِلرَّحْمَنِ صَيْدًا وَوَاسِطَةً لِعَقْدِ الْمُسْلِمَاتِ
تَبِعْتُ مُحَمَّداً مِنْ بَعْدِ عَيْسَى لَخَيْرِكَ فِي سَنِيكِ الْأُولَيَاتِ
فَكَانَ الْوَالِدَانِ هَدًى وَتَقْوَى وَكَانَ الْوَلَدُ هَذَى الْمَعْجَزَاتِ
وَلَوْ لَمْ تَظْهَرِ فِي الْعَرَبِ إِلَّا بِأَحْمَدَ كُنْتُ خَيْرَ الْوَالِدَاتِ (٢)
تَجَاوَزْتَ الْوَلَايَةَ فَاخْرَاتِ إِلَى فَخْرِ الْقِبَائِلِ وَاللَّغَاتِ
وَأَحْكَمَ مَنْ تَحَكَّمَ فِي يَرَاعِ وَأَبْلَغَ مَنْ تَبْلَغَ مِنْ دَوَاةِ
وَأَبْرَأَ مَنْ تَبَرَّأَ مِنْ عَدَاةِ وَأَنْزَوْ مَنْ تَنْزَهُ مِنْ شَمَاتِ
وَأَصُونِ صَائِنِ لِأَخِيهِ عِرْضاً وَأَحْفَظِ حَافِظِ عَهْدَ اللَّدَاتِ
وَأَقْتُلِ قَاتِلِ لِلدَّهْرِ خُبْرًا وَأَضْبِرِ صَابِرِ لِلْعَاشِيَاتِ
كَأَنِّي وَالزَّمَانُ عَلَى قِتَالِ مُسَاجِلَةِ بَيْمِدَانِ الْحَيَاةِ (٣)
أَخَافُ إِذَا تَشَاقَلْتُ اللَّيَالِي وَأَشْفَقْتُ مِنْ خُفُوفِ النَّالِيَاتِ
وَأَيْسَ بِنَافِئِي حَذَرِي ، وَلَكِنْ إِبَاءُ أَنْ أَرَاهَا بَاغِيَاتِ
أَمَامُونُ مِنَ الْفَلَكَ الْعَوَادِي وَ (بَرْجَلُهُ) يَخْطُ الدَّائِرَاتِ ؟

١- عننت لهم .. الخ : مأخوذة من قولهم « عن الصيد للصائد » إذا ظهر . ومورة : علم على صقع بعينه هو الوطن الأول لجده . والكماة : جمع كمي ، وهو الفارس المدجج بالسلاح . بعد أن قال أن جدته كانت متبناة للملوك بين كيف وقع لها ذلك ، فقال : أنها لاحت للفرسان المغيرين على وطنها (مورة) فأخذوها أسيرة حرب ، وهي لم تجاوز العاشرة ، وكان هذا لخيرها ، حيث أكرمها الله ، فنشأت مسلمة ، ونزلت من الملوك بمنزلة بناتهم -٢- أحمد : هو الاسم الشريف لأمير الشعراء ، يقول لجده في هذا البيت : إذا لم يكن لك نسب في العرب إلا ولادتك لي لكنت بهذا خير أمهات العرب . لقد وضع هذا البيت نفسه توأماً لبيت المتنبي الذي يخاطب به أمه فيقول :

ولو لم تكوني بنت أكرم والد لكان أباك الضخم كوكب لي أما
٣- المساجلة في القتال هي من قولهم : « الحرب سجال يسوم لك ويوم عليك » .

— ٤٠ —

تأملن: هل ترى إلا شيباكاً	من الأيام حولك مُلقيات ؟
ولو أن الجهات خلقت سبعا	لكان الموت سابعة الجهات
لما للنعر ، لا حُباً ، ولكن	لأجلِك يا سماء المَكْرُمات (١)
ولا خائنه أيدى حامليه	وإن ساروا بصبرى والأناة
فلم أرَ قبله المريح مُلقى	ولم أسمع بدفن النيرات
هناك وَفَقْتُ أسألكِ إثماداً	وأمسِكُ بالصفات وبالصفاة (٢)
وأنظرُ في تُرابِكِ ، ثم أغضِي	كما يُغضِي الأبى على القداة
وأذكر من حياتكِ ما تقضى	فكان من الغداة إلى الغداة

١- لما : كلمة دعاء تقال للعائر ، تقول « لما له » إذا أردت سلامته
و « لا لما له » إذا أردت غير ذلك -٢- الصفاة : الحجر الصلد ، والمقصود
بها هنا القبر .

مجهّد عياله (٠)

مُفسِّر آى الله بالأمس بيننا قُمْ اليومَ فُسِّرْ للورى آيةَ الموتِ
رُحِمْتَ ، مَصِيرُ العالمين كما ترى وكلُّ هنا أو عزاء إلى فَوْتِ
هو الدهرُ : ميلادٌ ، فشنغلٌ ، فمأْنَمٌ
فذكرُ كما أبقى الصّدَى ذاهبَ الصّوتِ (١)

(*) هو الاستاذ الامام محمد عبده مفتى الديار المصرية . توفى سنة ١٩٠٥ ، وقد ظهرت اسمى ملكاته فى فهم وتفسير القرآن الشريف .
١- يقول : ان الانسان يشبه الصوت ، وذكره من بعده يشبه الصدى والصدى هو ما يرد على الصوت شبيهاً بصوته ، ويقال له الرجع ايضاً .

رياض باشا(*)

مَمَاتٌ فِي الْمَوَاكِبِ ، أَمْ حَيَاةٌ وَنَعَشٌ فِي الْمَنَاكِبِ ، أَمْ عِظَاتٌ ؟
وَيَوْمُكَ فِي الْبَرِيَّةِ ، أَمْ قِيَامٌ وَمَوْكِبُكَ الْأَدَلَّةُ وَالشَّيَاتُ ؟ (١)
وَحُطْبُكَ يَا (رِيَاضُ) ، أَمْ الدَّوَاهِي عَلَى أَنْوَاعِهَا وَالنَّازِلَاتُ ؟
يَجِلُّ الْخُطْبُ فِي رَجُلٍ جَلِيلٍ وَتَكْبَرُ فِي الْكَبِيرِ النَّائِبَاتُ
وَلَيْسَ الْمَيْتُ تَبْكِيهِ بِلَادٌ كَمَنْ تَبْكِي عَلَيْهِ النَّائِمَاتُ

* * *

وَهَلْ تَلْقَى مَنَازِلَهَا الرُّوَاسِي فَتَهْوِي ، ثُمَّ تُضْمِرُهَا فَلَاةٌ ؟ (٢)
وَتُكْسِرُ فِي مَرَكَزِهَا الْعَوَالِي وَتُدْفَنُ فِي التَّرَابِ الْمُرْهَفَاتُ ؟ (٣)
وَيُغَشِّي اللَّيْثُ فِي الْغَابَاتِ ظُهُرًا وَكَانَتْ لَا تَقْرُبُهَا الْحَصَاةُ ؟
وَيَرْمِي الدَّهْرُ (نَادِي عَيْنِ شَمْسٍ) وَلَا يَحْمِي لِيَوَاعِمُ الرُّمَاءُ ؟ (٤)
أَجَلٌ ؛ حُمِلَتْ عَلَى النُّعْشِ الْمَعَالِي وَوُسِدَتْ التَّرَابَ الْمَكْرُمَاتُ
وَحُمِلَتْ الْمِدَافِعُ رُكْنَ سَلَمٍ يُشْبِعُهُ الْفَوَارِسُ وَالْمَشَاةُ
وَحَلَّ الْمَجْدُ حُفْرَتَهُ ، وَأَمْسَى يُطِيفُ بِهِ النَّوَائِحُ وَالْبُكَاءُ

* * *

(*) يقترب تاريخ رياض باشا بتاريخ كبار الحوادث في مصر منذ الخديو اسماعيل إلى أواخر حكم عباس الثاني تقريباً ، فتاريخه في الواقع هو تاريخ مصر طيلة هذه الحقبة من الزمن .

١- الشَّيَاتُ : جمع شية ، وهي العلامة : يشبه يوم ممات رياض بيوم القيامة ، ويشبه جنازته بأشراط وعلامات القيامة - ٢- الفلاة : الصحراء .
- العوالى : الرماح . والمرهفات : السيوف - ٣- نادى عين شمس : موضع المؤتمر الذى أقامه أعيان المسلمين رداً على المؤتمر الذى أقامه أعيان القبط في فترة من خلاف وقع بين الطائفتين المصريتين ، لا أعادها الله .

هوى عن أوج رفعتيه (رياض) وحازته القرون الخاليات
كان لم يمل الدنيا فعلاً ولا هتفت بدولته الرواة
نعاه (البرق) مضطرباً ، فمابحت نجوم في السماء محلقات
كان الشمس قد نعتت عشاء إليها فهي حسرى كاسفات
صحيفة غابر طويبت ، وولت على آثار من درجوا وفاتوا
يقول الآخرون إذا تلوها : كذلك فليلدن الأمهات
جزى الله الرضا أبوى (رياض) هما غرسا وللوطن النبات
بنو الدنيا على سفر عقيم وأسفار النوابع مرجعات
أرى الأموات يجمعهم نشور وكم بعث النوابع يوم ماتوا
صلاح الأرض أحياء وموتى وزينتها وأنجمها الهداة
قرائحهم وأيديهم عليها هدى ، ويسارة ، ومحسنات
فلو طليبت لهم دية لقاتل كنوز الأرض : نحن هي الديات

* * *

أبا الوطن الأسيف ، بكتك مصر كما بكت الأب الكهف البنات
قضيت لها الحقوق فتى وكهلاً ويوم كبرت وانحنت القناه
ويوم النهى للأمراء فيها ويوم الآمرون بها العصابة (١)
فكنت على حكومتها سراجاً إذا بسطت دجها السكيات
يزيد الشيب نفسك من حياق إذا نقصت مع الشيب الحياة
وتملوك السنون قوى وعزماً إذا قيل : السنون مشبطات

١- يشير الى ايام الثورة العربية في مصر والى لون الحكم قبل تلك الثورة .

كسيفِ الهندِ أبلى حين فُلتَ ورقتُ صفحتاه والظُّبات (١)
وقيعُ القديرِ بالأمصار يُرني كما نظرتُ إلى النّجمِ السُّراة (٢)
كأنك في سماءِ المالكِ (يحیی) وآلك في السماءِ النُّيرات (٣)
تسوسُ الأمرَ ، لا يُعطى نفاذاً عليك الآمرون ولا النُّهاة
إذا الوزراءُ لم يُعطوا قياداً نبذتهم كأنهم النُّواة
زَماعُ في انقباضٍ في اختيالٍ كذلك كان (بسمرك) الثُّبات (٤)
صِفاتُ بَلَّغَتكَ ذُرَى المعالي كذلك ترفعُ الرجلَ الصُّفات
وجدتَ المجدَ في الدنيا لِواءِ تلقاه المقادیمُ الأُباة
ويبقى الناسُ ما داموا رعايا ويبقى المُقَدِّمون همُ الرُّعاة

* * *

(رياضُ) ، طَوَّيْتَ قرنًا ما طَوَّته مع (المأمون) (دِجْلَةُ) و(الفرات) (٥)
تمنّتُ منه أيّاماً تحلّى بها الدُّولُ الخوالى الباذخات
وودّ (القيصران) لَوْ أَنَّ (روما) عليها من حَضارته سِما (٦)
حَبَّالَكَ اللهُ (حاشيتيه) عُمرًا وأعمارُ الكرامِ مُبارَكَات
فَقَسَمْتَ عليه تجربةٌ وخُبْرًا ومدرسةُ الرجالِ التجربات
تمرُّ عليك كالأَيّاتِ تَتَرى صنائعُ أهلهِ والمحدثات

١- الظُّبات جمع ظبة - بضم الظاء - حد السيف - ٢- السُّراة -
بضم السين - : جمع ساري ، ولا يكون السرى إلا للمشي بالليل .
٣- يحيى : هو يحيى البرمكى وزير هارون الرشيد - ٤- بسمرك : وزير
الماتى ضرب مثلاً في الحنكة والمهارة والسياسة . والزَماع : الذى يزعم الامر
في جِراة واقدام ثم لا ينشئى - ٥- المأمون : هو المأمون العباسى ، ودجْلَة
والفرات : نهران بالعراق - ٦- سمات : علامات .

- ٤٥ -

فَأَدْرَكَتَ (البخارَ) وكان طفلاً فشبَّ ، فبَايَعْتَهُ الصَّافِنَاتُ (١)
تُعْجَبُ عَلَى جَنَاحِيهِ الْفِيَّافِي وَتَحْكُمُ فِي الرِّيحِ الْمُنْشَاتِ
وَيُصْعَدُ فِي السَّمَاءِ عَلَى (بُروج) غَدَاً هِيَ فِي الْعَوَالِمِ بَارِجَاتُ (٢)
وَبَيْنَا الْكَهْرُبَاءُ تُعَدُّ خَرْقاً إِذَا هِيَ كُلُّ يَوْمٍ خَارِقَاتِ
وَدَانِ الْبَحْرُ حَتَّى خِيَضَ عُمُقاً وَقِيدَتْ بِالْعِنَانِ السَّافِيَّاتِ (٣)
وَبُلِّغَتْ الرِّسَالُ ، لَا جَنَاحُ يَجُوبُ بِهَا الْبَحَارَ ، وَلَا أَدَاةُ
كَأَنَّ الْقَطَرَ حِينَ يُجِيبُ قُطْرًا ضَمَائِرُ بَيْنَهَا مُتَنَاجِيَاتِ

* * *

زَهَيْنَ الرَّمْسِ ، حَدَّثَنِي مَلِيّاً حَدِيثَ الْمَوْتِ تَبَدُّ لِي الْعِظَاتِ (٤)
هُوَ الْخَبِيرُ الْيَقِينُ ، وَمَا سِوَاهُ أَحَادِيثُ الْمُنَى وَالتُّرَاهَاتِ (٥)
سَأَلْتُكَ : مَا الْمَنِيَّةُ ؟ أَيْ كَأْسٍ ؟ وَكَيْفَ مَذَاقُهَا ؟ وَمَنْ السَّقَاةُ ؟
وَمَاذَا يُوجِسُ الْإِنْسَانُ مِنْهَا إِذَا غَصَّتْ بَعْلَقَمَهَا اللَّهَاءُ ؟ (٦)
وَأَيُّ الْمَضْرَعَيْنِ أَشَدُّ : مَوْتُ عَلَى عِلْمٍ ، أَمْ الْمَوْتُ الْفَوَاتُ ؟ (٧)
وَهَلْ تَقَعُ النُّفُوسُ عَلَى أَمَانٍ كَمَا وَقَعَتْ عَلَى (الْحَرَمِ) الْقَطَاةُ ؟ (٨)

١- الصافنات : الخيل -٢- يريد بالبروج : الطائرات -٣- العنان الزمام ، والسافيات : الرياح -٤- الرمس : القبر -٥- الترهات : جمع ترهة ، بتشديد الراء مفتوحة ، وهى الباطل -٦- اللهاة - بفتح اللام - اللحمية المشرفة على الحلق من أقصى الفم -٧- الموت الفوات : الموت المفاجيء -٨- القطاة : الحمام ، أو طير يشبه الحمام ، ويقصد بالحرَم : الحرم المكي حيث يحرم صيد الطيور الالائذة به .

وَتَخْلُدُ أَمْ كَزَعَمِ الْهَوَى تَبَلَى كما تبلى العظامُ أو الرفات ؟
تعالى الله قابضها إليه وناعشها كما انتعش النبات
وجازيها النعيمَ حمى أميناً وعيشاً لا تُكدره أذاة
أمثلك ضائقٌ بالحقِّ ذُرْعاً وفي بُردَيْك كان له حماة ؟ (١)
أليس الحقُّ أن العيشَ فانٍ وأن الحيَّ غايته الممات ؟
فَنَمَ ما شئت ، لا تُوحِشْكَ دنيا ولا يَحْزُنْكَ من عيشِ قَوات
تَصَرَّمت الشبيبةُ والليالي وغاب الأهلُ ، واحتجت اللدات
خَلَّتْ (حِلْمِيَّة) مَن بناها فكيف البيتُ حوالك والبنات ؟ (٢)
أفيه من (المحلة) قوتُ يوم ومن نعيمٍ مَلَأَنَ (الطودَ) شاة ؟ (٣)
وهل لك من حريرهما وسادٌ إذا خَشُنْتَ لجَنبَيْكَ الصِّفاة ؟ (٤)
تَوَلَّى الكلُّ ، لم ينفعك منه سوى ما كان يَلْتَقِطُ العُفاة
عِبَادُ اللَّهِ أَكْرَمُهُمْ عليه كِرَامٌ في بَرِيَّتِهِ ، أَسَافَة
كمائدةِ المسيحِ ، يقومُ بؤسٌ حوَالَيْهَا ، وتَقْعُدُ بائِسات
أَخَذْتُكَ في الحياةِ على هَنَاتٍ وأيُّ الناس ليس له هَنَات ؟ (٥)
فصَفْحاً في الترابِ إذا التقينا ولُوشِيَّتِ العداوةُ والثَّرات

١- حماة : جمع حام ، وهو المدافع والمانع من العدوان ، والحامى :
الأسد لحمايته عرينه -٢- الحليمية : حيث كانت دار الفقيد . وقوله :
« وكيف البيت حولك والبنات » : يسأله عن حاله في القبر وعن زاده هناك .
٣- المحلة : محلة روح قرية في إقليم الغريبة بمصر ، حيث كانت توجد أملاك
الفقيد الواسعة -٤- الصفاة : الحجر المقصود به هنا القبر -٥- الهنات :
جمع هنة ، وهى الشيء الصغير ، وقد تعرف أسباب تلك الهنات من قصيدة
مطبوعة في الجزء الأول من الشبقيات .

خُلِقْتُ كَأَنِّي (عيسى) ، حرامٌ على قلبى الضَّيْنَةُ والشَّهَاتِ
يُسَاءُ إِلَيَّ أحياناً ، فأمضى كريماً ، لا أقوت كما أقات
وعندى للرجال - وإن تجافوا - منازلٌ فى الحفاوة لا تُفات

* * *

طلعت على (النَّدى) (بعين شمس) فوافتها بشمسَيْنِ الغداة
على ما كان يندو القومُ فيها توافى الجمعُ واثتمر السَّراة (١)
تملَّكهم وقارك فى خشوعٍ كما نظمت مُقيمها الصَّلَاة
رأيت وجوه قومك كيف جلَّت وكيف ترعرعت مصرُ الفتاة
أجبلَ الرأى بين يديك حتى تبينت الرِّزَانَةُ والحَصَاة (٢)
وأنت على أعنتهم قديرٌ وهم بك فى الذى تقضى حُفاة (٣)
إذا أبدى الشبابُ هوى وزهواً أشار إليه حِلْمُكَ والأناة
فهلّا قُمتَ فى النادى خطيباً لك الكَلِمُ الكبارُ الخالدات ؟
تُفجِّرُ حكمةً (التسعين) فيه فأذانُ الشَّيْبَةِ صاديات ؟ (٤)
تقول : متى أرى (الجيران) عادوا وضمُّ على الإخاء لهم شتات ؟ (٥)
وآين أولو النهى مِنّا ومنهم عسى يأسون ما جرح الغلاة ؟ (٦)

١- يندو القوم : اذا اجتمعوا ليتشاوروا فى ناديتهم . والسراة : جمع سرى ، وهو السيد الشريف - ٢- الحصة : العقل والرأى - ٣- الحفاة : جمع حفى ، وهو هنا بمعنى العالم يتعلم باستقصاء . قال الله تعالى « كأنك حفى عنها » ، أى سائل عنها باستقصاء - ٤- التسعين : هى مدة عمر الفقيد . وصاديات ، أى ظلمات - ٥- الجيران : هم القبط والمسلمون فى مصر - ٦- الغلاة : هم البالفون حد الافراط فى عقائدهم وآرائهم .

مَشَتْ بَيْنَ الْعَشِيرَةِ رُسُلٌ شُرٌّ	وَفَرَّقَتْ الظَّنُونَ السَّيِّئَاتِ
إِذَا الثَّقَةُ اِضْمَحَلَّتْ بَيْنَ قَوْمٍ	تَمَزَّقَتْ الرُّوَابِطُ وَالصَّلَاتِ
فَنِيقٌ ، فَعَسَى الَّذِينَ ارْتَبَتْ فِيهِمْ	عَلَى الْأَيَّامِ إِخْوَانُ ثِقَاتِ
وَرَبٌّ مُجَبِّبٌ لَا صَبْرَ عَنْهُ	بَدَتْ لَكَ فِي مَحَبَّتِهِ بَدَاةٌ (١)
وَمَكْرُوهُ عَلَى أَخَذَاتِ ظَنٍّ	تُحِبُّهُ إِلَيْكَ التَّجَرِبَاتِ
بَنَى الْأَوْطَانَ ، هَبُّوا ، ثُمَّ هَبُّوا	فَبَعْضُ الْمَوْتِ يَجْلِبُهُ السُّبَاتِ (٢)
مَشَى لِلْمَجْدِ خَطْفَ الْبَرْقِ قَوْمٌ	وَنَحْنُ إِذَا مَشِينَا (السلحفاة)
يُعَلِّونَ الْقُوَى بَرًّا وَبَحْرًا	وَعُدَّتُنَا الْأَمَانِي الْكَاذِبَاتِ

—————

١ - البداية ، من قولهم : بدا لى فى هذا الامر بداء ، اى ظهر لى فيه
شئ - ٢ - السبات : النوم ، واصله الراحة ، ومنه قوله تعالى : « وجعلنا
نومكم سباتا » .

عثمان باشا غالب (*)

ضجّت لمصرع (غالب) في الأرض (مملكة النبات)
أُمسّت (بتيجان) عليه من الحداد مُنكّسات (١)
قامت على (ساق) لغيب سبته ، وأقعدت الجهات
في مأتم تلّقى الطبيعة -ة فيه بين النائحات
وترى (نجوم الأرض) من جزع موائد كاسفات
والزهر في (أكمامه) يَبْكِي بدمع الغاديات
وشقائق النعمان آ بت بالخدود مُخَمّشات (٢)
أما مُصابُ الطب في -ه فسَلْ به مَلَأ الأُساء (٣)
أودى الحمام بشيخهم ومآبهم في المضلات
مُلقي الدروس المُسفرا ت عن الغروس المُثيرات
قد كان حَرْبَ الظلم ، حر بَ الجهل ، حربَ الثَّرهات
والمُستضاء بنوره في الخافيات المظلمات
عَلِمُ الوري في عِلْمه في الغرب مُتَّربُ الرُفات

(*) عثمان باشا غالب : كان طبيبا عظيما وعالما بالنبات يشار اليه
بالبنان ، توفي في باريس سنة ١٩٢٠ .

١ - التيجان للنبات : هي اكاليل الثمار ، كالأكمام -٢- شقائق : جمع
شقيقة ، وهي الموضع ينبت الاعشاب . وشقائق النعمان موضع بعينه كثر
فيه النبات المختلف الالوان والشيئات ، مر عليه النعمان بن المنذر فأعجبه ،
فقال : هو لي ، فلم يعد أحد يمسّه ، ومن ذلك سُمي شقائق النعمان ، وصار
كل موضع ينبت مثل ذلك يقال له : شقائق النعمان ، والخدود في شقائق
النعمان يقصد بها الورد ، وتخميشتها : بعنى لطمها او قطعها -٣- الملا :
الجماعة من الناس . والاساء جمع آسى : وهو الطبيب .

قد كان فيه محلّ إجلال الجهابذة الثقات
ومُمثِّلُ المصريّ في حظّ الشعوب من الهبات
قل للمُريب : إليك ، لا تأخذ على الحرّ الهبات
إن النوايغ (أهل بدّ ر) ما لهم من سيئات (١)
هم في حُلا الوطن الأدا ة فلا تحطّ من الأداة
وهم الألى جمعوا الضما ثر والعزائم من شتات
لهم التّجِلّة في الحيا ة ، وفوق ذلك في الممات
(عثمان) ، قُمْ تر آية الله أحيّا (الموميّات)
خرجت بنين من الثرى وتحركت منه بنات
واسمّع بمصر الهاتفين بمجدها والهاتفات
والطالبين لحقها بين السّكينة والثبات
والجاعليها قبلة عند الترنّم والصّلاة (٢)
لاقوا أبوتهم على غر المناقب والصفات
حتى الشبابُ تراهم غلبوا الشيوخ على الأناة
وزنوا الرجال ، فكان ما أعطوا على قدر الزّنات (٣)
قل للمُعاليط في الحقا ثق حاضر منها وآت
الفكرُ جاء رسوله وأتى بإحدى المعجزات
عيسى الشّعور إذا مشى ردّ الشعوب إلى الحياة

١ - أهل بدر : هم أول الغزاة مع محمّد صلى الله عليه وسلم ، شبه النوايغ بهم ، ووجه الشبه بينهما ، هو سبق كل منهما لاحتراز أسمى مراتب الشرف والرفعة . نقول : وهذا نوع من وجه الشبه لم نر شاعرا فطن اليه قبل شوقي حيّاه الله -٢- الترنم : أحد ضروب العبادة في المسيحية ، كالصلاة عند المسلمين -٣- الزنات : جمع زنة (كعدة) وهى المرة من الوزن .

عبد الحى (٠)

طَوَى البِساطُ وجَفَّتْ الأقداحُ وغَدَتْ عواطلَ بعدكَ الأفراحُ (١)
وأنفَضَ نادٍ بالشَّامِ ، وسامرُ فى مصرَ أنتَ هَزارُهُ الصَّدَّاحُ (٢)
وتَقَوَّضَتْ للفنِّ أطولُ سَرحَةٍ يُغَدَى إلى أفيائها ويُراحُ (٣)
والله ما أدرى وأنتَ وحيدُهُ أعليه يُبكي ، أم عليك يُناحُ ؟
(إسحاق) مات ، فلا صَبُوحَ ، و (مَعْبُدُ)

أودى ، فليس مع الغبوقِ فلاح (٤)
مَلِكُ الغِناءِ أزاله عن تَختِهِ قَدَرُ يُزيلُ الراسياتِ مُتاح
فى التُّربِ فوقَ (بنى سويف) يَتِيمةُ ومن الجواهر زَيْفُ وصِحاح (٥)
ما زال تاجُ الفنِّ تياها بها حتى استبدَّ بها الردى المُجتاح
لو تستطيع كرامةً لكانها مَشَتْ الرِياضُ إليه والأدواح

* * *

رُحِمَاكَ (عبد الحى) ؛ أُمُكْ شَيْخَةٌ قَعَدَتْ ، وهِيضَ لها الغداة جَناح
كُسيرَتْ عَصاها اليومَ ، فهى بلا عَصاً
وقضى فتاها الأجودُ المِسْماح
اللهُ يعلمُ ، إن يَكُنْ فى قلبها جُرحٌ فى أحشاءِ مصرَ جِراح

(*) هو المرحوم عبد الحى المبنى ، ذاع صيته فى مصر وجاوزها الى
الاقطار العربية حتى عد وحيد عصره وامامُ فنه . توفى سنة ١٩١٢ م .
١- طوى البساط : تعبير يكتنى به عن انتهاء عوامل السرور - ٢- الهزار :
طائر حسن الصوت ، وهو فارسى ، معرب هزاز دستان - ٣- السرحة :
الشجرة العظيمة . والافياء : جمع فلىء ، وهو - من الشجر - الظل .
٤- اسحاق ومعبد : علمان على مغنيين . والصبوح : الشرب اول الصباح .
والغبوق : الشرب بالعشى - ٥- ذفن الفقيده فى بنى سويف وهى بلدة
مشهورة بالقطر المصرى . والجواهر الزائفة ، هى ضد الجواهر الصادقة
الصحيحة .

والنَّاسُ مَبْكِيٌّ وبالكِ إِثْرُهُ
كان الندامى إن شَدَوْتَ وعاقروا
فما تقول مُغْنِيًّا ومُحَدِّثًا
فأرقتَ دنيا أرهقتك خسارة
يامُخْلِيفًا للوعد ، وَعُدُّكَ ماله
عَبَثَتْ به وبكِ المنيَّةُ ، وانقضى
لما بلغنا بالأحبةِ والمنى
زعموا نعيكَ فى الجامعِ مازحًا
الجِدُّ غايةُ كلِّ لاهٍ لاعبٍ
رَمَتْ المنايا إذ رَمَيْتَكَ بُلْبُلًا
آهاتُهُ حُرْقُ الغرامِ : ولفظه
وذَبَحْنَ حَنْجَرَةً على أوتارها
وقلّلنَ من ذاك اللسانِ حديدَةً
وأبَحْنَ راحتَكَ البلى ، ولطالما
روحٌ تناهتْ خِيفَةً فتخيرتْ
قُمْ غنٍّ ولدانَ الجنانِ وخورَها

وبُكَ الشُّعوبِ إذا النوايغُ طاحوا
سَيَّانِ صوتُكَ بينهم والراح (١)
تتنافسُ الأسباعُ والأرواح (٢)
وغنِمتَ قُرْبَ اللَّهِ وهو رَبَّاح
عندى ولا لك فى الضميرِ بَرَّاح
سببٌ إليه بأنسِنَا نَرَّاح
بابُ السرورِ تغيبُ المفتاح
هَيْهَاتَ ! فى رَيْبِ المَنونِ مِزاح
عندَ المنيَّةِ يَجْزَعُ المِفْراح (٣)
أرداه فى شَرَكِ الحياةِ جِماح
سَجَعُ الحَمَامِ لَوَ أَنَّهُنَّ فِصاح
تُوَسَّى الجِراحُ ، وتُدْبِحُ الأَنراح
يَخْشى لثيمٌ بِأُسْها ووقاح
أَمسى عليها المألُ وهو مُباح
نُزُلًا تَقاصِرُ دونه الأشباح
وابعثْ صَداك فكلُّنا أرواح

١- الندامى : جمع نديم . وعافروا : من المعافرة ، وهى شرب الراح .
والراح : الخمر ، يشبه صوته بالخمر لان كليهما مسكر —٢- يقول : ان
حديثه كان مثل غنائه . والمأثون عن عبد الحى انه كان فكه الحديث بارع
النكتة —٣- المفراح : كثير الفرح .

محمد ثابت باشا (*)

سَرَّ أبا صالحٍ إلى الله واتركه مصرَ في مأتهمٍ وحزنٍ شديد
هذه غايةُ النفوسِ ، وهذا مُنتهى العيشِ مُرهٍ والرَّغيد
هل ترى الناسَ في طريقك إلا نَعَشَ كَهْلٍ تَلَاهِ نَعَشُ الوليد ؟
إنَّ أوهى الخيوطِ فيما بدا لي خَيْطُ عيشٍ مُعلقٍ بالوريد (١)
مُضَغَّةٌ بينَ خَفَقَةٍ وسُكُونٍ وِدَمٌ بينَ جَرِيَةٍ وجُمُود
أنزلوا في الثرى الوزيرَ ، وواروا فيه تسعينَ حِجَّةً في صُعود
كنتَ فيها على يَدٍ من حرير لِّلْيَالِي ، فأصبحتُ من حَدِيد (٢)
قد بلوناك في الرئاسة حينًا فبلونا الوزيرَ عبدَ الحميد (٣)
آخذًا من لسانِ فارسٍ قِسْطًا وافرَ القسَمِ من لسانِ لَبِيد (٤)
في ظلالِ الملوكِ ، تُدْنِي إليهم كلَّ آوٍ لظُلُك المملود
لستَ مَنْ مَرٍّ بالمعالمِ مَرًّا إنما أنتَ دولةٌ في فقيد
قُمْ فحدثْ عن السنينِ الخوالى وفتوحِ المُمْلَكِينَ الصَّيد (٥)

(*) هو أحد باشوات مصر الكبار ، عاصر أكثر ولاية مصر من الاسرة العلوية ، وتوفى سنة ١٩٠١ بعد أن عمر حوالى تسعين عاما .

١- الوريد : شريان بكسر الشين ، وهو عرق رئيسى فى جسم الانسان ، يشبه العروق فى جسم الانسان بالخيوط ، ليتوصل بذلك الى اثبات ضرورة الضعف فى الحياة وعدم بقائها -٢- يد من حرير : كناية عن رفاهية العيش .
٣- بلوناك فى الرئاسة : أى اختبرناك . والوزير عبد الحميد : هو عبد الحميد الكاتب المشهور -٤- القسم : هو العطاء أو الحظ . ولبيد : شاعر عربى قديم . والفرض ان المرئى كان ملما بالفارسية والعربية -٥- الصيد جمع اصيد ، وهو العزيز الجانب .

والذى مرَّ بينَ حالٍ قديمٍ أنْتَ أدْرِى بهِ وحالٍ جديدٍ
وصِفِ العزَّ فى زمانٍ (على) واذكرِ اليُمنَ فى زمانٍ سعيدٍ (١)
كيفَ أسطولُهم على كلِّ بحرٍ وسراياهمُ على كلِّ بيدٍ؟ (٢)
قد توكَّلوا وخلفوكَ وفيًّا فى زمانٍ على الوَفَى شديداً
فألحقِ اليومَ بالكِرامِ كريماً والقَهَمِ بينَ جَنَّةٍ وخُلودِ
وتقبَّلْ وداعَ بالكِ على فقْدِ لكِ ، وافِ لعهدكِ المَحمودِ

١- يريد زمان محمد على الكبير ، ورفاهة العيش فى زمن الحديو
سعيد باشا -٢- السرايا : جمع سرية - بالياء المشددة مفتوحة - وهى
القطعة من الجيش لايزيد عددها عن الاربعمائة . والبيد : جمع بيداء ، وهى
الصحراء .

محمد فريد بك (*)

كُلُّ حَيٍّ عَلَى الْمَنِيَّةِ غَادِي تتوالى الركابُ والموتُ حادي (١)
ذهب الأولونَ قرناً فقرناً لم يَدُمَ حاضرٌ ، ولم يَبْقَ بادي (٢)
هل ترى منهمُ وتسمعُ عنهم غيرَ باقٍ مآثرٍ وأيادي (٣)
كُرَّةُ الْأَرْضِ كَمْ رَمَتْ صَوْلَجَانَا وطوتُ من ملاعبٍ وجياد
والغبارُ الذي على صفحتيها دَوْرَانُ الرَّحَى عَلَى الْأَجْسَادِ (٤)
كُلُّ قَبْرِ مِنْ جَانِبِ الْقَفْرِ يَبْدُو عَلَّمَ الْحَقُّ ، أَوْ مَنَارَ الْمَعَادِ
وزِمَامُ الرُّكَابِ مِنْ كُلِّ فَجٍّ وَمَحَطُّ الرِّحَالِ مِنْ كُلِّ وَادِي
تطلع الشمسُ حيثُ تطلعُ نَضْحًا وَتَنَحِّي كَمِنْجَلِ الْحَصَادِ (٥)
تلك حمراءُ في السماءِ ، وهذا أعوجُ النَّضْلِ مِنْ مِرَاسِ الْجِلَادِ
ليت شعري تعمداً وأصرّاً أَمْ أَعَانَا بَجْنَايَةِ الْيِلَادِ
كذب (الأزهران) ؛ ما الأمرُ إلَّا قَدَرُ رَائِحٍ بِمَا شَاءَ غَادِي (٦)

(*) محمد بك فريد : الرئيس الثاني للحزب الوطني ، وهو الضحية الغالية للوطنية المصرية ، فقد ورث عن والده ثروة طائلة جدا ، بذلها الى آخر درهم في سبيل طلب الاستقلال لمصر والسودان ، وظل يجاهد الى ان مات معدما فقيرا في سنة ١٩٢٠ ، محكوما عليه بالنفي والتشريد ، حيث لم يسمح له بالعودة الى وطنه الاميتا .

١- الحادي : هو الذي يفنى للقافلة فتنشط في مسيرها -٢- الحاضر : ساكن الحضر، والبادي : ساكن البادية -٣- الايادي : جمع يد ، ويقصد باليد ، العطية أو الصنيعة ، ولا تجمع اليد على أيادي الا بهذا المعنى ، فاذا أريد جمع اليد الحقيقية قيل : أيدي -٤- المفهوم من المقام ان الرحي المقصودة هي رحي المنون ، فاكتفى بتعريفها بال . كانه يقول : الرحي المعهودة -٥- قوله : وتنحى كمنجل الحصاد ، أى هلالا شكله كالمنجل في اعوجاجه -٦- الأزهران : الشمس والقمر .

يا حَماماً ترنَّمتَ مُسْعِداً(١) وبها فاقَةٌ إلى الاسعاد(١)
ضاق عن ثُكْلِها البُكا، فتغنَّتْ رُبَّ ثُكْلٍ سَمِعْتَهُ من شادى(٢)
الأناةُ الأناةُ ، كلُّ أليفٍ سابقُ الألفِ ، أو مُلاقٍ انفراد
هل رَجَعْتُنَّ في الحَيَّة لفَهمٍ ؟ إن فهمَ الأمورِ نِصفُ السَّداد
سَقَمٌ من سلامةٍ ، وعزاءٌ من هُنا ، وفُرْقَةٌ من وِداد
يُجَنِّتُنِي شَهدُها على إِبْرِ النَحـ لـي ، ويُمَشِّئُ لورْدِها في القَتاد(٣)
وعلى نائمٍ وسَهْرانٍ فيها أَجَلٌ لا يَنامُ بالمرصاد
(لُبْدٌ) صادَه الرَّدَى ، وأظنَّ النَّسـ سَرَ من سَهْمِهِ على ميعاد(٤)
ساقَةَ النَّعْشِ بالرَّئيسِ ، رُوَيْدًا مَوَكِبُ الموتِ مَوْضِعُ الإِثْداد(٥)
كلُّ أَعوادٍ مِنبرٍ وسريرٍ باطلٌ غيرَ هذه الأَعواد
تستريحُ المَطى يوماً ، وهُدًى تنقلُ العالَمينَ من عهدٍ عادٍ
لا وراءَ الجِياذِ زِيدَتْ جِلالاً منذ كانت ولا على الأجياد
أَسأَلُ حَقِيبَةَ الموتِ : ماذا تَحْتَهَا من ذَخيرَةٍ وَعَتادٍ ؟
إِنَّ في طَيِّها إِمَامَ صُفوفٍ وَحوارىً نِيَّةً واعتقاد(٦)
لو تركتم لها الزَّمامَ لَجاءت وحلَّها بالشَهِيد دارَ الرِّشاد

١ - الاسعاد : الاعانة ، تقول : اسعدنى على كذا ، أى أعنى عليه .
٢ - الثكل هنا : بمعنى الحزن . والشادى : المغمى - ٣ - القَتاد : شجر صلب له شوك كالابرة - ٤ - لبْد ، بضم اللام وفتح الباء : علم على آخر نسور لقمان ، زعموا أن لقمان هذا عاش عمر سبعة أنسر ، كان آخرها النسر المسمى : لبْد ، أما قوله (وأظنَّ النَّسـ بالنسر ، وإنما يقصد أحد الكواكب في السماء معروفًا باسم النسر ، يقول أن لكل كائن سهم من المنية مقدور - ٥ - ساقَة الجيش أو ساقَة النَّعْش : هم السائرون في المقدمة . والاثْداد : بمعنى الترفق والتمهل - ٦ - الحواري : مفرد الحواريين ، وهم الصفوة المختارة من الصحاب .

انظروا ، هل تَرَوْنَ في الجمعِ مصرًا حاسرًا قد تجلَّلتْ بسواد ؟
تاجُ أحرارِها غُلامًا وكَهلاً راعها أن تراه في الأصفاد
وسُدَّوه الترابَ نِضْوَ سِفاري في سبيلِ الحقوقِ نِضْوَ سُهاد (١)
واركزوه . إلى القيامة رُمحًا كان للحشيدِ ، والنَّدَى ، والطَّراد
وأقروه في الصفائحِ عَضْبًا لم يَدِنْ بالقرارِ في الأعْعاد
نازح الدارِ ، أقصرَ اليومَ بَيْنُ وأنتَهتْ مِخْنَةً ، وكفَّتْ عوادي (٢)
وكفَى الموتُ ما تخاف وترجو وشَفَى من أصادقٍ وأَعادي
مَنْ دَنَا أو نَأَى فَإِنَّ المنايا غايةَ القربِ أو قُصارى العباد
سِرْمَعِ العِمْرِ حَيْثُ شِثَّتْ تُثُوبًا وافقد العمرَ لا تُؤْبَ من رُقَاد
ذلك الحقُّ لا الذي زعموه في قديمٍ من الحديثِ مُعاد
وجرى لفظُه على ألسِنِ النَّا س ، ومعناه في مهدور الصُّعاد (٣)
يُتَخَلَّى به القوى ولكن كتحلَّى القتالِ باسمِ الجهاد
هل تَرَى كالترابِ أحسنَ عدلاً وقياماً على حقوقِ العباد ؟ (٤)
نزل الأقوياء فيه على الضَّعة وحلَّ الملوكة بالزُّهاد
صفحاتٌ نَقِيَّةٌ كقلوب الرُّسُلِ ، مَغْسُولَةٌ من الأحقاد
قُمْ إِنْ اسطَعْتَ من سريرك ، وانظر سِرَّ ذاك اللواءِ أَجناد

١- النضو : المهرول الجسم -٢- عوادي الدهر : عوائقه -٣- الصعاد :
الرياح -٤- يقول : انه لم يجد الحق خالصا في هذه الارض الا للقوة ، ولم
يجد العدل كاملا الا في التراب ، حيث يسوى الاقوياء بالضعفاء ، والطامعين
بالقائمين .

هل تَراهم وَأَنْتَ مُوفٍ عَلَيْهِم غَيْرَ بُنَيَّانِ أُلْفَةٍ وَأَتَّحَادٍ؟ (١)
أُمَّةٌ هَيَّئْتُ وَقَوْمٌ لَخَيْرِ الدِّينِ رِأَوْ شَرَّهُ عَلَى اسْتِعْدَادِ
مَصْرُ تَبْكِي عَلَيْكَ فِي كُلِّ خِذْرِ وَتَصَوِّغُ الرِّثَاءَ فِي كُلِّ نَادِي
لَوْ تَأَمَّلْتَهَا لِرَاعِكَ مِنْهَا غُرَّةُ الْبَرِّ فِي سَوَادِ الْجِدَادِ
مُنْتَهَى مَا بِهِ الْبِلَادُ تُعْزَى رَجُلٌ مَاتَ فِي سَبِيلِ الْبِلَادِ
أُمَّهَاتٌ لَا تَحْمِلُ الشُّكْلَ إِلَّا لِلنَّجِيبِ الْجَرَى فِي الْأَوْلَادِ
(كَفْرِيدِ) ، وَأَيْنَ ثَانِي فَرِيدِ ؟ أَيْ ثَانٍ لَوَاحِدٍ الْآحَادِ ؟
الرَّئِيسِ الْجَوَادِ فِيمَا عَلِمْنَا وَبَلَوْنَا وَابْنِ الرَّئِيسِ الْجَوَادِ ؟
أَكَلْتُ مَالَهُ الْحَقُوقُ ، وَأَبْلَى جِسْمَهُ عَائِدٌ مِنَ الْهَمِّ عَادِي
لَكَ فِي ذَلِكَ الضَّنَى رِقَّةُ الرُّو ح ، وَخَفَقُ الْفَوَادِ فِي الْعَوَادِ
عِلَّةٌ لَمْ تَصِلْ فِرَاشَكَ حَتَّى وَطِئْتُ فِي الْقُلُوبِ وَالْأَكْبَادِ
صَادَفَتْ قُرْحَةً يُلَاثِمُهَا الصَّب رُ ، وَتَأْبَى عَلَيْهِ غَيْرَ الْفَسَادِ
وَعَدَّ الدَّهْرُ أَنْ يَكُونَ ضِمَادًا لَكَ فِيهَا ، فَكَانَ شَرُّ ضِمَادِ
وَإِذَا الرُّوحُ لَمْ تُنْفَسْ عَنِ الْجَسَدِ سَمِ (فَبِقِرَاطٍ) نَافِخٌ فِي رَمَادِ (٢)

١- يشير هذا البيت الى حقيقة تاريخية ، هي أن عودة الفقيده ميتسا كانت في زمن اتحاد الامة المصرية جميعا على طلب الاستقلال التام ، فلم يكن هناك احزاب مختلفة المطالب وقتئذ -٢- بقراط : هو أبو الطب ، كما يقولون .

البنون والحياة الدنيا (*)

الضلوعُ تَتَقَدُّ والدموعُ تَطْرُدُ
أَيُّهَا الشَّجِيُّ ، أَفِقْ من عَنَاءِ ما تجد
قد جَرَتْ لَهَا لَهَا عِبْرَةٌ لها أَمَدُ
كُلُّ مُسْرِفٍ جَزَعًا أو بُكْيٌ ؛ سَيَقْتَصِدُ
والزَّمانُ سُنَّتَهُ في السُّلُوِّ يَجْتَهِدُ
قل لثَاكِلَيْنِ مَشَى في قواهما الكَمَدُ
لم يُعَافَ قَبْلَكُمَا والدُّ ، ولا وَلَدُ
الذين مِيلَ بِهِم في سِفَارِهِمْ بَعُدُوا
ما عَلِمْنَا أَشَقُّوا بالرحيلِ أَمْ سَعِدُوا
إِنْ مَنْزِلًا نَزَلُوا لا يَرُدُّ مَنْ يَرِدُ
كُلُّنَا إِلَيْهِ غَدًا ليس بالبعيدِ غَدُ

* * *

البنونَ هم دُمْنَا والحياةُ والوُردُ(١)
لا تَلَدُ مِثْلَهُمْ مُهْجَةٌ ، ولا كَبِدُ
يَسْتَوُونَ وَاحِدُهُمْ - في الحنانِ - والعَدَدُ
زِينَةٌ ، ومَصْلَحَةٌ واستراحةٌ ،

(*) نظم أمير الشعراء هذه القصيدة تمزية للكاتب الكبير الدكتور
محمد حسين هيكل « بك » في فقد وحيد سنة ١٩٣٥ .

١ - الورد : جمع وريد ، كبريد وبرد - ٢ - الدد - بالفتح - اللهو
واللعب .

— ٦٠ —

فَتَنَةٌ إِذَا صَلَحُوا مِخْنَةٌ إِذَا فَسَدُوا
شَاغِلٌ إِذَا مَرَضُوا فَاجِعٌ إِذَا فُقِلُوا
جُرْحُهُمْ إِذَا انْتَزَعُوا لَا تَلْمُهُ الضُّمْدُ
الْعِزَاءُ لَيْسَ لَهُ آسِيَاءٌ ، وَلَا الْجَلْدُ

* * *

قُلْ (لِهَيْكَل) كَلِمًا مِنْ وَرَائِهَا رَشْدٌ
لَمْ يَشُبْ مَهَذَّبَهَا بَاطِلٌ وَلَا فَنَدٌ (١)
قَدْ عَجِبْتُ مِنْ قَلَمٍ ثَاكِلٍ وَيَنْجَرِدُ
أَنْتَ لَيْتَ مَعْرَكَةٍ وَهُوَ صَارِمٌ فَرَدُ
وَالسِّيَوفُ نَخْوَتُهَا فِي الْوَطِيسِ تَنْقِدُ (٢)
أَنْتَ نَاقِدٌ أَرَبٌ وَالْأَرِيبُ يَنْتَقِدُ
مَا تَقُولُ فِي قَدَرٍ بَعْضُ سِنَّهِ الْأَبَدُ ؟
وَهُوَ فِي الْحَيَاةِ عَلَى كُلِّ خُطْوَةٍ رَصَدُ
يَعُشُرُ الْأَنَامِ بِهِ إِنْ سَعَوْا ، وَإِنْ قَعَلُوا
يَنْزِلُ الرِّجَالُ عَلَى حُكْمِهِ وَإِنْ جَحَلُوا
الْقَضَاءُ مُعْضِلَةٌ لَمْ يَحْلُهَا أَحَدُ
كَلِمًا نَقَضَتْ لَهَا عُقْدَةً بَدَتْ عُقْدُ
أَتَعَبَتْ مُعَالَجَهَا وَاسْتَرَاخَ مُعْتَقِدُ

* * *

١- الفند : هو الكلب .

٢- الوطيس : الحرب .

- ٦١ -

عَالَمٌ	مُدَبَّرُهُ	بِالْبَقَاءِ	مُنْفَرِدٌ
مِنْ بَلَى	كَوَائِنُهُ	كَائِنَاتُهُ	الْجُدُّ
لَا تَقْلُ بِهِ	إِدَدٌ	إِنَّ حُسْنَهُ	الْإِدَدَ (١)
تَلْتَقِي	نَقَائِضُهُ	غَايَةُ	وَتَتَّحِدُ
الْفَنَاءِ	فِيهِ يَدُ	لِلْبَقَاءِ	أَوْ عَضُدُ
اِثْتِلَافُهُ	رَشْدُ	وَإِخْتِلَافُهُ	سَدَدُ
جَدُّ فِي	عِمَارَتِهِ	مُنْصَفٌ	وَمُضْطَهَدٌ
وَالْغِنَى	لِخِدْمَتِهِ	كَالْفَقِيرِ	مُحْتَشِدٌ
وَهُوَ فِي	أَعْيُنِهِ	مُنْعِنٌ	وَمُطْرَدٌ
وَالْحَيَاةُ	خَنْظَلَةٌ	فِي حُرُوفِهَا	شُهْدٌ
هَيْكَلُ الشَّقَاءِ	لَهُ	مِنْ مَدَامِعِ	عَمَدُ
قَامَتِ النُّعُوشُ	عَلَى	جَانِبَيْهِ	وَالْوُسْدُ
عُرْسُهُ	وَمَاتُهُ	غَايَتَاهُمَا	نَقْدُ

ثروت باشا (*)

يموت في الغاب أو في غيره الأسد
قد غيَّب الغربُ شمسًا لا سقامَ بها
كلُّ البلادِ وساد حين تُتَسَدُّ (١)
كانت على جنبات الشرقِ تتقد
إذا النفوس إلى آجالِها تفد
كلُّ اغترابٍ متاعٌ في الحياة سوى
يومٍ يفارق فيه المهجة الجسد

* * *

تمى الغمام إلى الوادى وساكنه
برقُ الفجعة لما ثار نائره
برقُ تمايل منه السهل والجلد
كادت كأمس له الأحزاب تتجد
قام الرجال حيارى مُنصتين له
علا الصعيد نهار كُله شجن
لم يبق للضحاكين الموت ما وجدوا
ولم يرد على الباكين ما فقدوا
وراء ريب الليالي أو فجائتها
دمع لكل شمت ضاحك رصد (٢)

* * *

باتت على الفلك في التابوت جوهرة
يُفاخر النيل أصداف الخليج بها
تكاد بالليل في ظلّ البلى تقد (٣)
وما يدب إلى البحرين أو يرد (٤)

(*) هو المغفور له عبد الخالق ثروت باشا ، كان زعيما وطنيا عظيما ،
وسياسيا ادوريا خطيرا ، تولى رئاسة الحكم في البلاد أكثر من مرة ، وظفر
من السياسة الانجليزية لمصر بتصريح ٢٨ فبراير ، وقد سافر الى اوربا لبعض
المفاوضات السياسية المتممة لاستقلال مصر ، فلم يجعله الموت ، ففضى
بفرنسا في سنة ١٩٢٨ ، وجيء به ميتا ، وكان بينه وبين امير الشعراء
صداقة حميمة ، ومودة قديمة ، ظهر اثرهما في هذه المثنوية ، التي تقرأها
فتحس رجعا يعود اليك من اعماق الخلود .
١- هذا المطلع يشير الى موته بفرنسا -٢- رصد : بمعنى مترقب .
٣- يشير الى مجيئه من اوربا في نعل على الباخرة . وتقيد : تضيء .
٤- يريد بالخليج : الخليج الفارسي . وبالبحرين : مجموعة جزر عربية بالقرب
من الشاطئ الغربي للخليج الفارسي ، وعندها يصاد اللؤلؤ .

إِنَّ الجواهرَ أَسْناها وأَكْرَمَها مايقذفُ المهدُ ، لا مايقذفُ الزبدُ
حتى إذا بلغَ الفلكُ المدى انحارتُ كأنها في الأكفِّ الصارمُ الفرد
تلك البقيةُ من سيفِ الحمى كَسَرُ على السريرِ ، ومن رُمحِ الحمى قَصَدُ (١)
قد ضمَّها فزكا نَعشُ يُطافُ به مُقدَّمُ كلِّ واءِ الحقِّ مُنفرد
مشتَ على جانبيه مصرُ تَنشُدُه كما تَدْلَهتُ الشكلى ، وتَفْتَقِدُ (٢)
وقد يموتُ كثيرٌ لا تُحِسُّهُمُ كأنهم من هوانِ الخطبِ ما وُجِدوا
تُكَلُّ البلادُ له عقلُ ، ونكبتُها هي النجاةُ في الأولادِ ، لا العدد

* * *

مُكَلَّلُ الهامِ بالتصريحِ ، ليس له عودُ من الهامِ يحويه ولا نَصَدُ (٣)
وصاحبُ الفضلِ في الأعناقِ ليس له من الصنائعِ أو أعناقهم سَنَدُ
خلا من المدفعِ الجبارِ مَرَكِبُهُ وحلَّ فيه الهدى والرفقُ والرَّشَدُ
إن المدافعَ لم يُخلَقْ لصُحبَتِها جندُ السلامِ ، ولا قُوادُه المُجَدُّ

* * *

يا بانيَ الصرحِ لم يشغله مُتَدَحٍ عن البناءِ ، ولم يصرفه مُنتَقِدُ
أَصمُّ عن غضبٍ مِنْ حَوَليهِ ورِضى في ثورةٍ تَلِدُ الأبطالَ أو تَهْدُ (٤)

١- القصد - بكسر القاف - : جمع قصدة - بكسرها أيضا ، وهي القطعة مما يكسر ، ويقال : رمح قصد ، بكسر الصاد : أى منكسر - ٢- التذله : ذهاب الفؤاد من عشق أو حزن ونحوهما . وقوله : « تفتقد » من قولهم : وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر - ٣- العود هنا : هو السرير . النضد - محركة الضاد - ما نضد من متاع والسرير ينضد عليه . كأنه يعجب لمن كلل هامات مصر بمجيئته لها بهذا الفوز السياسي في تصريح ٢٨ فبراير ، كيف لا يحويه ميتا سرير متخذ من الهام أو منضد بها ، حتى يكون الجزء من جنس العمل ، ومن هذا النحو يقول البيت التالي : « وصاحب النضل في الأعناق ... الخ » - ٤- يريد بالثورة : ثورة مصر سنة ١٩١٩ ، والواد : دفن الأحياء ، يريد أنه كان يعمل في بناء صرح الوطن ، بدون رغبة في مدح ، أو خوف من ذم ، في شجاعة لا تخاف الثورة ، وهي لا عقل لها .

تصريحك المخطوطة الكبرى ومرحلة
الحق والقوة ارتدّا إلى حكم
لولا سفارتك المهدية اختصا
مازلت تطرق باب الصلح بينهما
وجدتها فرصة تلقى الجبال لها
طلبتها عند هوج الحادثات كما
لما وجدت معدات البناء بنت
بنيت صرحك من جهد البلاد ، كما
فيه ضحايا من الأبناء قيّدة
وفي أواسيه أقلام مجاهدة
وفيه ألوية عزّ الجهاد بهم
رميت في وتدّ الدلّ القديم به
طوى حمايته المحتلّ ، وانبسطلت
فمّ غير بأك على ما شدت من كرم
يا (ثروة) الوطني الغالي ، كفى عظة
لم يطغىك الحكم في شتى مظاهره
تغدو على الله والتاريخ في ثقة
نشأت في جبهة الدنيا ، وفي فيها

يدنو على مثلها ، أو يبعد الأمد
من الفيصل ، ما في دينه أود
وهلّ طول النضال الذئب والنقد (١)
حتى تفتحت الأبواب والسد
إن السياسة فيها الصيّد والطرد (٢)
يمشى إلى الصيد تحت العاصف الأسد
يداك للقوم ما ذموا وما حمدوا
تبنى من الصخر الأساس والعمد
وفيه سعى من الآباء مطرد
على أسنتها الإحسان والسد (٣)
لولا المنية ما مالوا ، ولا رقدوا
حتى تزعزع من أسبابه الويد
حماية الله ، فاستدري بها البلد
ماشيده للحق فهو السرمذ الأيد
للناس أنك كنز في الثرى بدد (٤)
ولا استخفك لين العيش والرغد
ترجو فتقديم ، أو تخشى فتتبد
يدور حيث تدور المجد والحسد

١ - النقد : جنس من الغنم قبيح الشكل ، من الهزال أو غيره .
٢ - الطرد : مطاردة الصيد - ٣ - الأواسى : جمع آسية ، وهي من البناء :
الحكم الدعامة . والسدد : بمعنى السداد ، أى الصواب - ٤ - البدد : التفرق .

لكلُّ يومٍ غَدٌ يَمْضِي بِرَوْعَتِهِ وما ليومِكَ يا خَيْرَ اللَّدَاتِ غَدٌ
رَمَتْكَ فِي قَنَوَاتِ الْقَلْبِ فَانْصَدَعَتْ مِنيَّةٌ ما لها قلبٌ ، ولا كَيْدٌ
لَمَّا أَنَاخَتْ عَلَى تَامُورِكَ انْفَجَرَتْ أَزَكَّى مِنَ الْوَرْدِ ، أو من مائه الْوَرْدُ (١)
ما كُلُّ قَلْبٍ غداً أو راح في دمه فيه الصديقُ وفيه الْأَهْلُ والولد
ولم تطاولِكَ خوفاً أَنْ يُنْاضِلَهَا منك الدهاءُ ورأى مُنْقِذُ نَجِدٍ
فهل رُئِيَ الموتُ للبرِّ اللَّبِيحِ؟ وهل شجاء ذاك الحنانُ الساكنُ الْهَمِدِ؟
هَيْهَاتَ ! لو وُجِدَتْ للموتِ عاطِفَةٌ لم يَبْكُ من آدَمٍ أَحْبَابُهُ أَحَدٌ
مَشَتْ تَذُودُ الْمَنَايا عَنْ وَدِيعَتِهَا مَدِينَةُ النُّورِ ، فارتَدَّتْ بِهَا رَمَدُ (٢)
لو يُدْفَعُ الموتُ رَدَّتْ عَنْكَ عَادِيَةٌ للعلمِ حولَكَ عَيْنٌ لم تَنْمُ وَيَدُ

* * *

«أبا عزيز» سلامُ اللَّهِ ، لا رُسُلُ إليك تحملُ تسليمي ، ولا بَرْدُ (٣)
ونفحةٌ من قوافي الشعرِ كنتَ لها في مجلسِ الرّاحِ والريحانِ تَحْتَشِدُ
أرسلْتُها وبعثْتُ الدَّمْعَ يَكْنُفُها كما تَحَدَّرُ حَوْلَ السَّوسَنِ الْبَرْدُ (٤)
عطفْتُ فيكَ إلى الماضي وراجعتُ وَدٌ من الصَّغَرِ الْمَعْسُولِ مُنْعِقِدُ
صافٍ على الدهرِ لم تُقْفِرْ خَلِيَّتَهُ ولا نَغِيرُ في أباياتِ الشُّهْدِ
حتى لَمَحْتُكَ مَرْمُوقَ الْهَلالِ على حَدائِرِ تَعْدُ الْأَوْطانَ ما تَعْدُ
والشعرُ دَمْعٌ ، ووجدانٌ ، وعاطِفَةٌ ياليتْ شعري هل قُلْتُ الذي أَجِدُ؟ (٥)

١- التامور: القلب . والورد ، جمع وريد : العرق في الجسم .
٢- مدينة النور : تطلق في هذا العصر على باريس —٣- البرد : جمع بريد .
٤- السوسن : نوع من الزهر ، والبرد : هو ما يتساقط من المطر كحبات الثلج —٥- اى هل قلت الذى يجيش فى وجدانى ؟

عبد العزيز جاویش (*)

أصاب المجاهد عُقْبَى الشهيد وألقى عصاه المضافُ الشريد
وأَمسى جَمَادًا عدوَّ الجمودِ وباتَ على القيدِ خَصْمُ القيودِ
حَدَاهُ السُّفَارُ إِلَى مَنْزِلٍ يَلَاقِي الخَفِيفَ عَلَيْهِ الوئيدِ
فَقَرَّ إِلَى مَوْعِدٍ صَادِقٍ مُعِزُّ اليَقِينِ مُذِلُّ الجُحودِ
وباتَ الحَوَارِيُّ مِنْ صَاحِبِيهِ شَهِيدَيْنِ أُسْرَى إِلَيْهِمْ شَهِيدِ
تَسَرَّبَ فِي مَنْكِبِي (مصطفى) كَأَمْسٍ ، وَبَيْنَ ذِرَاعِي (فريد) (١)
فِيَالِكَ قَبْرًا أَكَنَّ الكَنُوزَ وسَاحَ الحقوقَ ، وحَاطَ العُهودِ
لَقَدْ غَيَّبُوا فِيكَ أَمْضَى السُّيُوفِ فَهَلْ أَنْتَ يَا قَبْرُ أَوْفَى العُجُودِ ؟
ثَلَاثُ عَقَائِدَ فِي حُفْرَةٍ تَدُكُ الجِبَالَ ، وتُوهِي الحُجُودِ
قَعْدَنَ فَكُنَّ الْأَسَاسَ الْمُتِينَ وقَامَ عَلَيْهَا البِنَاءُ المَشِيدِ
فَلَا تَنْسَ أَمْسٍ وَآلَاءَهُ أَلَا إِنَّ أَمْسٍ أَسَاسُ الوجودِ (٢)
وَلَوْلَا البَلَى فِي زَوَايَا القُبُورِ لَمَا ظَهَرَتْ جِدَّةُ المُؤُودِ
وَمَنْ طَلَبَ الخُلُقَ مِنْ كَنْزِهِ فَإِنَّ العَقِيدَةَ كَنْزُ عَتِيدِ
تَعَلَّمَ بالصَّبْرِ ، أَوْ بِالثَّبَاتِ جَلِيدُ الرِّجَالِ ، وَغَيْرُ الجَلِيدِ

* * *

(*) هو الشيخ عبد العزيز جاویش ، أحد السابقين في خدمة القضية المصرية ، كان زعيماً سياسياً دينياً عظيماً ، وقد كرس حياته لخدمة سياسة بلاد الإسلام عامة ، ومصر وتركيا خاصة ، ثم حكم عليه بالنفي والتشريد مدة طويلة ، ثم عاد إلى مصر ولم يلبث إلا بضعة سنين ، ومات في سنة ١٩٢٩ ، وله رسائل سياسية كانت مضرب المثل في الفصاحة والقوة في وقتها .

١- هو مصطفى كامل الزعيم الوطني الأول ، وفريد : هو محمد فريد الزعيم الوطني الثاني ، وكانا صاحبي الفقيد في المبدأ والجهاد .
٢- الآلاء : النعم .

طريد السياسة منذ الشباب
لقيت الداهية من كيدها
حملت على النفس ما لا يطا
وقلبت في النار مثل النضا
أتذكر إذ أنت تحت (اللواء)
إذا ما تطلعت في الشاطئين
وهز الندى لك المنكبين
رسائل تدرى بسجع البديع
يعيها شيوخ الحمى والحديث
فما بالها نكرتها الأمور
لقد نسي القوم أمس القريب
يقولون : ما (لأبي ناصر)
وفيم تحمل هم القريب
فقلت : وما ضركم أن يقوم
أتستكثرون لهم واحدا
سعى ليؤلف بين القلوب
يشد عرا الدين في داره
وللقوم حتى وراء القفار

لقد آن أن يستريح الطريد
وما كالسياسة داهيكيد (١)
ق ، وجاوزت المستطاع الجهود
ر ، وغربت مثل الجمان الفريد
نبيه المكانة ، لجم العديد ؟ (٢)
ربا الريف ، وافتن فيك الصعيد
وراح الثرى من زحام يعيد
وتنسى رسائل عبد الحميد
ويحفظها النشء حفظ النشيد
وطول المدى ، وانتقال الجدود ؟ (٣)
فهل لأحاديثه من مُعيد ؟
وللترك ؟ ما شأنه والهنود ؟
من المسلمين وهم البعيد ؟
من المسلمين إمام رشيد ؟
ولى القديم نصير الحديد ؟
فلم يعد هذى الكتاب المجيد
ويدعو إلى الله أهل الجحود
دعاة تُغنى ، ورُسل تشيد

* * *

١- الداهية : هو الذي يأتي بالداهية ، وهي الامر العظيم -٢- كان
الفقيه محرر جريدة اللواء في عهدها الاول - ٣ - الجدود هنا : بمعنى
الحظوظ .

جزى الله ملكاً من المحسنين رءوفُ الفؤادِ ، رحيمُ الوريد (١)
كانَّ البيانَ بأيامه أو العنمَ تحتَ ظلالِ (الرشيد) (٢)
يُدأوى نداءه جراحَ الكرامِ ويدركهم في زوايا اللُحودِ
أجارَ عيالك من دهرهم وجاملهم في البلاء الشديد
تولى الوليدة في يتمها وكفكفَ بالعطف دمعَ الوليد

* * *

سلام (أبا ناصِر) في التراب يُعير الترابَ رَفيَفاً الورود
بَعُدَتْ وعزٌّ إليك البريدُ وهل بينَ حَيٍّ ومَيِّتٍ برید ؟
أَجَلٌ ؛ بيننا رسلُ المذكراتِ وماضٍ يُطيفُ ، ودمعٌ وجود .
وفكرٌ وإن عقلته الحياةُ يَظَلُّ بوادي المدايا يرود (٣)
أَجَلٌ ؛ بيننا الخُشبُ الدائباتُ وإن كان راکبُها لا يعود
مضى الدهرُ وهى وراءَ الدموعِ قيامٌ بملكِ الصَّحارى قُعود
وكم حملتُ من صديدٍ يَسيلُ وكم وضعتُ من جنائشٍ وُدود
نَشَدْتُكَ بالموتِ إلا أبنتَ أأنتَ شَقِيٌّ به أم سعيد ؟
وكيف يُسمَّى الغريبَ امرؤُ نَزِيلُ الأبوَّةِ ، ضيفُ الجُدود ؟ (٤)
وكيف يُقال لجارِ الأواثِ لي جارٍ الأواخرِ : ناءٌ وحيد ؟

١- هو جلالة فؤاد الأول ملك مصر، حيث تعطف على أبناء الفئيد ولم يتركهم بعد وفاة أبيهم لتصاريف الزمن ، فأنعم عليهم بهبة ملكية وافرة .
٢- هو هارون الرشيد ، وقد اعتز العلم والأدب في عهده اعتزازا كبيرا .
٣- يرود : أى يبحث . ويكتشف - يقول : ان الميت ينزل في التراب ضيفا على آبائه وجدوده ، اذن فليس يصح أن نعتبره غريبا ولا وحيدا .

تعزية ورثاء(*)

كأس من الدنيا تُدار مَنْ ذاقها خلع العذار(١)
الليل قوأم بها فإذا ونى قام النهار
وحبا بها الأعمار ، لم تدم الطوال ، ولا القصار
شرب الصبي بها ، ولم يخل المعمر من خمار
وحسا الكرام سلافها وتناول الهمل العقار(٢)
وأصاب منها ذو الهوى ما قد أصاب أخو الوقار
ولقد تميل على الجما د ، وتصرع الفلك المدار
كأس المنية في يد عسراء ، ما منها فرار(٣)
تجرى اليمين ، فمن تولى يشرة جرت اليسار
أودى الجرى إذا جرى والمستमित إذا أغار
ليث المعامير ، والوقا ثع ، والمواقع ، والحصار
وبقية الزمر التي كانت تذود عن الذمار
جند الخلافة ، عسكر السه لطان ، حامية الديار
ضامت (كريد) جبالها بك يا (خلوصي) والقفار

(*) وجه هذه التعزية الى صديقه حامد بك خلوصي حين مات والده
المرحوم الاميرالاي مصطفى بك خلوصي ، وقد كان من الضباط الكرام الذين
مجدوا في قمع الثورة في الجزيرة (كريد) أيام كانت تابعة للدولة العثمانية .
١- العذار : الحياء والوقار -٢- السلاف والعقار : من أسماء الخمر ،
يقال : حسا فلان الماء اذا شربه شيئا بعد شيء -٣- يقال للرجل : أعسر ، اذا
عمل بيده الشمال . والعرب تصف ما ليس محبوبا بالأعسر اذا كان
مذكرا ، وبالعسراء اذا كان مؤنثا ، فيد المنية عسراء ، لانها كذلك ،

— ٧٠ —

أَيَّامُكُمْ فِيهَا - وَإِنْ	طال المدى - ذاتُ اشتِهار
عَلِمَ الْعَدُوُّ بِأَنَّكُمْ	أَنْتُمْ لِمَعْصِيهَا سِوَار
أَحْدَقْتُمْ بِمَقَرِّهِ	فَتَرَكْتُمُوهُ بِلَا قَرَار
حَقِّ اهْتَدَى مَنْ كَانَ ضِهْ	لِ، وَثَابَ مَنْ قَدْ كَانَ ثَار
وَاعْتَزَّ رَكْنٌ لِلْوَلَا	يَةِ كَانَ مُنْقَضُ الْجِدَار

* * *

عِشْ لِلْعُلَا وَالْمَجْدِ - يَا	خَيْرَ الْبَنِينَ - وَلِلْفَخَار
أَبْكِي لِدَمْعِكَ جَارِيًّا	وَلِدَمْعِ إِخْوَتِكَ الصَّغَار
وَأَوْدُ أَنْكُمْ رَجَا	لُ مِثْلُ وَالِدِكُمْ كِبَار
وَأَرِيدُ بَيْتَكُمْ عَمَّا	رَا ، لَا يُحَاكِيهِ عَمَار
لَا تَخْرُجُ شُعْمَاءُ مِنْهُ	ه ، وَلَا يُزَايِلُهُ الْيَسَار

ذكرى هيجو (*)

ما جلّ فيهم عيدك المأثور إلا وأنت أجلّ يا فكتور
ذكروك بالثمة السنين ، وإنما عُمرٌ لثلك في النجوم قصير
ستدوم مادام البيان ، وما ارتقت للعالمين مداركٌ وشعور
ولئن حُجِبَتْ فَأَنْتَ في نظر الورى كالنجم لم ير منه إلا النور
لولا التقى لفتحت قبرك للملا وسألت : أين السيد المقبور ؟ (١)
ولقلت : يا قوم انظروا لإنجيلكم هل فيه من قلم الفقيده سطور ؟
من بعده ملك البيان ؟ فعندكم تاجٌ فقدتم ربه وسرير
مات القريض بموت (هوجو) ، وانقضى

ملكُ البيان ، فَأَنْتُمْ جُمهور
ماذا يزيد العيد في إجلاله وجلاله ببراءه مسطور ؟
فقدت وجوه الكائنات مَصُورًا نزل الكلام عليه والتصوير
كُشِفَ الغطاء له ، فكلُّ عبارةٍ في طيها للقارئ ضبير
لم يُعْيِه لفظٌ ، ولا معنى ، ولا غرضٌ ، ولا نظمٌ ، ولا منشور
مُسْبِلِي الحزين يَفُكُّهُ من حزنه ويرُدُّهُ الله وهو قرير
ثأرُ الملوك ، وظلٌّ عند إباطه يرجو ويأمل عفوهُ المنشور
وأعارَ (واترلو) جلالَ بَراءه فجلالُ ذاك السيفِ عنه قصير (٢)
يأيتها البحرُ الذى غمر الثرى ومن الثرى حُفِرَ له وقبور
أنت الحقيقةُ إن تحجب شخصها فلها على مر الزمانِ ظهور

(*) نظمت هذه القصيدة في ذكرى شاعر فرنسا الكبير (فيكتور هيجو) لمناسبة مرور مائة عام على وفاته .

١- المأ : جماعة الناس - ٢- واترلو : علم على موضع من المواضع الذى حصلت فيه الموقعة التى هزم فيها نابليون هزيمته الكبرى .

ارفع حِدادَ العالمين وعُدَّ لهم	كَيْمَا يُعِيدُ بِائِسٌ وَفَقِيرٌ
وانظرْ إلى البُؤساءِ نظرةً راحمٍ	قَدْ كَانَ يُسْعِدُ جَمْعَهُمْ وَيُجِيرُ (١)
الحالُ باقيةٌ كما صَوَّرَتْهَا	مِنْ عَهْدِ آدَمَ مَا بِهَا تَغْيِيرُ
البُؤْسُ وَالنُّعْمَى عَلَى حَالِيهِمَا	وَالْحِظُّ يَعْدِلُ تَارَةً وَيَجُورُ
وَمِنَ الْقَوَى عَلَى الضَّعِيفِ مُسَيِّطِرٌ	وَمِنَ الْغِنَى عَلَى الْفَقِيرِ أَمِيرٌ
وَالنَّفْسُ عَاكِفَةٌ عَلَى شَهْوَاتِهَا	تَأْوِي إِلَى أَحْقَادِهَا وَتُثَوِّرُ
وَالْعَيْشُ آمَالٌ تَجِدُ وَتَنْقُضِي	وَالْمَوْتُ أَصْدَقُ ، وَالْحَيَاةُ غُرُورُ (٢)

١- يشير الى رواية البؤساء ، تأليف فكتور هيجو -٢- العيش آمال
تجد : اى تتجدد .

عبده الحامولى (*)

ساجعُ الشرقِ طار عن أوْكارِه وتَوَلَّى فنٌ على آثارِه (١)
غاله نافذُ الجناحين ماضٍ لا تَفِرُّ النسورُ من أظفارِه
يطرُقُ الفرخُ فى الغُصون ويَغشى (لُبْدًا) فى الطويلِ من أعمارِه (٢)
كان مِزمارُه ؛ فأصبح داو دُ كُثيباً يبكى على مِزمارِه (٣)
(عبدُه) بَيَدَ أن كلُّ مُغنٍ عبْدُه فى افتدائه وابْتكارِه
مَعْبُدُ الدُولَتَيْنِ فى مصرَ ، وإسحا قُ (السَّمِينِ) رَبِّ مصرٍ وجارِه (٤)
فى بساطِ الرشيدِ يوماً ، ويوماً فى حِمَى جعفرٍ وضافى سِتارِه (٥)
صَفَوْ مُلْكَيْهِمَا به فى ازديادٍ ومن الصَّفَو أن يلوذَ بدارِه
يُخْرِجُ المالكين من حِشْمَةِ المُلد لكِ ، وَيُنْسِي الوقورَ ذِكْرَ وقارِه
رُبَّ ليلٍ أَغارَ فيه القَمارى وأثارَ الحِسانَ من أقمارِه (٦)

(*) توفى عبده الحامولى فى سنة ١٩٠٢ ، وكان نادرة الزمن فى حسن الصوت وفى ابتكار الألحان ، هذا الى أريحية ومروعة يضرب بهما المثل .

١- الأوكار : جمع وكر ، وهو عشب الطائر -٢- لبس : اسم نسر .
٣- يشبه صوت المرثى فى صفائه بمزمار داود النبى صاحب المزامير .
٤- يشبهه بمعبد واسحاق . ويقصد بقوله « رب مصر وجاره » ملك مصر وجاره من أرباب الأقطار الغربية . يعنى أن عبده كان يطرب الأقطار العربية جميعها كما كان معبد واسحاق كذلك .

(٥) الرشيد : هو هارون الرشيد . وجعفر : هو جعفر البرمكى وزيره ، والفرض أن المرثى كان يتنقل من بساط الملوك المشابهين للرشيد ، الى بساط الوزراء المشابهين لجعفر -٦- القمارى : جمع قمرية ، نوع من الحمام حسن التفريد . والاقمار : جمع قمر . يريد أنه كان يطرب الحسان الشبيهات بالاقمار .

بَصْبَا يُذَكِّرُ الرِّيَاضَ صَبَاَهُ وحجازٍ أرقٍ من أسحاره (١)
وغناء يُدارُ لَحْنًا فَلَحْنًا كحديثِ النديمِ أو كعقاره
وأينِ لو أنه من مَشوقٍ عرف السامعون مَوْضِعَ ناره
يَتَمَنَّى أخو الهوى منه آهاً حينَ يُلْحَى تكون من أَعذاره
زَفَرَاتُ كَأَنها بَثٌّ (قيس) في معاني الهوى وفي أنخباره (٢)
لا يُجارِبه في تَفَنُّنِهِ العو دُ ، ولا يَشْتَكِي إذا لم يُجارِه
يسمع الليلُ منه في الفجر : يالِ لُ ، فيُضْغِي مُسْتَهْلاً في فِراره
فُجِعَ النَّاسُ يَوْمَ مات (الحمولى) بدواءِ الهمومِ في عَطَّارِه
ببائى الفنِّ ، وابنه ، وأخيه القوىُّ المكينِ في أسرارِه
والأبى العفيفِ في حَالَتِيهِ والجوادِ الكريمِ في إشارِه
يَخِشُّ اللَّحْنَ عن غَنَى مُدِلٍّ ويُنْذِقُ الْفَقِيرَ من مُخْتارِه (٣)
يا مُغْبِثًا بصوته في الرزايا ومُعِينًا بماله في المَكَارِه
ومُحِلٍّ الْفَقِيرَ بين ذَوِيهِ ومُعِزُّ الْيَتِيمِ بين صِغارِه
وعِمَادَ الصديقِ إن مال دهر وشِفَاءَ الْحَزُونِ من أَكدارِه
لستَ بِالرَّاحِلِ الْقَلِيلِ فَتُنْسَى واحدُ الفنِّ أُمَّةٌ في ديارِه

١ - صبا الرياض - بفتح الصاد - : نسيمها . أما كلمة « صبا » الواقعة في أول البيت فمقصود بها نعمة معروفة في فن الغناء ، وهى مفتوحة الصاد أيضا ، كأنها سميت بذلك تشبيها لها بالنسيم المعروف بالصبا ، وكذلك « حجاز » : نعمة معروفة في الغناء أيضا -٢- قيس : هو ابن الملوح الشهير بمجنون ليلى -٣- المدل بالمال : المتباهى به ، يشير هذا البيت الى بعض ما يؤثر عن عبده رحمة الله عليه ، أنه كان يلجأ اليه الفقراء ليحیی أفراس أولادهم ، فيحسن اليهم ، ويجيب طلبهم ، وينفق من ماله في تشييد الاحتفال اللائق بسهرته . وربما آثر هذه الليلة الفقيرة على دعوة أحد الاغنياء الكبار ، ويروى له في هذا الباب حكايات كثيرة .

غَايَةُ الدَّهْرِ إِنْ أَتَى أَوْ تَوَلَّى	مَا لَقِيتَ الْغَدَاةَ مِنْ إِدْبَارِهِ
نَزَلَ الْجَدُّ فِي الثَّرَى ، وَتَسَاوَى	مَا مَضَى مِنْ قِيَامِهِ وَعِثَارِهِ
وَانْقَضَى الدَّاءُ بِالْيَقِينِ مِنَ الْحَا	لَيْتَنَ ، فَالْمَوْتُ مُنْتَهَى إِقْصَارِهِ
لَهْفَ قَوْمٍ عَلَى مَخَايِلِ عِزٍّ	زَالَ عَنَّا بَرُوضِهِ وَهَزَارِهِ (١)
وَعَلَى ذَاهِبٍ مِنَ الْعَيْشِ ، وَلَيْتَ	تَ فَوَلَّى الْأَخِيرُ مِنْ أَوَطَارِهِ
وَزَمَانٍ أَنْتَ الرُّضَى مِنْ بَقَايَا	هُ ، وَأَنْتَ الْعَزَاءُ مِنْ آثَارِهِ
كَانَ لِلنَّاسِ لَيْلُهُ حِينَ تَشْدُو	لِحَقِّ الْيَوْمِ لَيْلُهُ بِنَهَارِهِ

قاسم بك أمين (*)

يَا أَيُّهَا الدَّمْعُ الْوَفِيُّ ، بدارِ نقضى حقوقَ الرفقةِ الأخيارِ (١)
أَنَا إِن أَهْنُتُكَ فِي شَرَاهِمِ فَالْهُوَى والعهدُ أَنْ يُبَكِّوْا بدمعِ جارِ (٢)
هَانُوا وَكَانُوا الْأَكْرَمِينَ ، وَغُودِرُوا بالقَفْرِ بَعْدَ مَنَازِلٍ وَدِيَارِ
لَهْفِي عَلَيْهِمْ ؛ أَسْكِنُوا دَوْرَ الثَّرَى من بَعْدِ سُكْنَى السَّمْعِ وَالْأَبْصَارِ
أَيْنَ الْبَشَاشَةِ فِي وَسْمِ وَجُوهِهِمْ والبُشْرِ لِلنَّدَمَاءِ وَالسُّمَّارِ ؟ (٣)
كُنَّا مِنَ الدُّنْيَا بِهِمْ فِي رَوْضَةٍ مَرَّوَا بِهَا كَنَسَائِمِ الْأَسْحَارِ

* * *

عُظْفًا عَلَيْهِمْ بِالْبَكَاءِ وَبِالْأَسَى فَتَعَهَّدُ الْمَوْتِ مِنَ الْإِيثَارِ (٤)
يَا غَائِبِينَ وَفِي الْجَوَانِحِ طَيْفُهُمْ أَبْكِيكُمْ مِنْ غُيْبِ حُضَارِ
بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَإِنْ طَالَ الْمَدَى سَفَرٌ سَأَزْمَعُهُ مِنَ الْأَسْفَارِ
إِنِّي أَكَادُ أَرَى مُحَلًى بَيْنَكُمْ هَذَا قَرَارُكُمْ ، وَذَلِكَ قَرَارِي

* * *

أَوْكُلَّمَا سَمَحَ الزَّمَانُ وَبُشِّرَتْ مَصْرٌ بِفَرْدٍ فِي الرِّجَالِ مَنَازِ (٥)
فُجِعَتْ بِهِ ، فَكَأَنَّهُ وَكَأَنَّهَا نَجْمُ الْهَدَايَةِ لَمْ يَدُمُ لِلْسَّارِي ؟

(*) المرحوم قاسم بك أمين هو الزعيم صاحب دعوة تحرير المرأة في مصر ، وقد توفي في سنة ١٩٠٩ .

١- بدار : يعنى بادر -٢- يقول : ان الذين ابذل دمعى واهينه في ترابهم هم هواى وموضع حبى ، وليس عجيبا أن يبكى الانسان اهل حبه وهواه .
٢- السمار : جمع سامر ، والسمر : حديث الأصدقاء بالليل -٤- الايثار : هو ان تعطى لغيرك ما انت محتاج اليه -٥- المنار : هو العلم يهتدى الناس به في الطريق .

إِنَّ المصِيبَةَ فِي (الْأَمِينِ) عَظِيمَةٌ مَحْمُولَةٌ لِمَشِيئَةِ الْأَقْدَارِ
فِي أَرْيَاحٍ مُّاجِدٍ مُّسْتَعْظَمٍ رُزْءُ الْمَمَالِكِ فِيهِ وَالْأَمْصَارِ
أَوْفَى الرِّجَالِ لِعَهْدِهِ وَلِرَأْيِهِ وَأَبْرَهُمْ بِصَدِيقِهِ وَالْجَارِ
وَأَشَدَّهُمْ صَبْرًا لِمَبْتَقِدَاتِهِ وَتَادِبًا لِمَجَادِلٍ وَمِمَارِي
يَسْقَى الْقَرَائِحَ هَادئًا مُّتَوَاضِعًا كَالْجَدُولِ الْمُتَرْقِرِ الْمُتَوَارِي
قُلُوبَ السَّمَاءِ تَغْضُضُ مِنْ أَقْمَارِهَا تَحْتَ التُّرَابِ أَحَاسِنُ الْأَقْمَارِ
مِنْ كُلِّ وَضَاءٍ الْمَائِثُ فَائِتٌ زُهْرَ النُّجُومِ بِذُهرِهِ السَّيَّارِ
تَمْضِي اللَّيَالِي لَا تَنَالُ كَمَالَهُ بِمَعِيبِ نَقِصٍ أَوْ مَشْنِي سَبَّارِ (١)
آثَارُهُ بَعْدَ الْمَوْتِ حَيَاتُهُ إِنَّ الْخُلُودَ الْحَقَّ بِالْآثَارِ
يَأْمَنُ تَفَرُّدَ بِالْقَضَاءِ وَعِلْمِهِ إِلَّا قَضَاءَ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ
مَا زِلْتَ تَرْجُوهُ ، وَتَخْشَى سَهْمَهُ حَتَّى رَمَى فَأَحْطَتْ بِالْأَسْرَارِ
هَلَا بُعِثْتَ فَكُنْتَ أَفْصَحَ مَخْبَرًا عَمَّا وَرَاءَ الْمَوْتِ مِنْ (لَا زَارِ) ؟ (٢)
انْفُضْ غُبَارَ الْمَوْتِ عَنْكَ وَنَاجِنِي فَعَسَى أَعْلَمُ مَا يَكُونُ غُبَارِي
هَذَا الْقَضَاءُ الْجِدُّ ، فَارْزُ ، وَهَاتِ عَنْ

حُكْمِ الْمُنِيَةِ أَصْدَقَ الْأَخْبَارِ
كُلُّ وَإِنْ شَغَفَتْهُ دُنْيَاهُ هَوًى يَوْمًا مُطْلَقُهَا طَلَاقَ (نَوَارِ) (٣)
لِلَّهِ (جَامِعَةٌ) نَهَضَتْ بِأَمْرِهَا هِيَ فِي الْمَشَارِقِ مَصْدَرُ الْأَنْوَارِ (٤)

١- سرار - بفتح السين وكسرها - : مشتق من قولهم : استسر القمر ،
إذا خفى ليلة السرار ، وهي آخر ليلة أو ليلتين في الشهر - ٢- لازار أو عازار :
اسم الرجل الذي أحياه سيدنا عيسى ، ويقول لو بعثت لكنت أفصح في
أخبارك عن الموت من هذا الرجل - ٣- نوار : اسم امرأة بعينها كانت زوجة
الفرزدق الشاعر ، فطلقها فندم كثيرا حتى ضرب المثل بندامتته في كل طلاق
نادم - ٤- هي الجامعة المصرية ، وكان للفقيه فضل مذكور في انشائها .

أُمْنِيَّةُ الْعُقْلَاءِ قَدْ ظَفِرُوا بِهَا بعد اختلافِ حوادثٍ وطواري
وَالْعَقْلُ غَايَةُ جَرِيهِ لَأَعْنَةً والجهلُ غَايَةُ جَرِيهِ لِعِثَارِ
لَوْ يَعْلَمُونَ عَظِيمَ مَا تُرْجَى لَهُ خَرَجَ الشَّحِيحُ لَهَا مِنَ الدِّينَارِ
تَشْرِي الْمَالِكُ بِالْذَّمِّ اسْتِقْلَالَهَا قوموا اشتروه بفضةٍ ونُضَارِ
بِالْعِلْمِ يُبْنَى الْمَلِكُ حَقَّ بِنَائِهِ وبه تُنَالُ جَلَائِلُ الْأَخْطَارِ
وَلَقَدْ يُشَادُّ عَلَيْهِ مِنْ شُمِّ الْعُلَا ما لَا يُشَادُّ عَلَى الْقَنَا الْخَطَارِ (١)
إِنْ كَانَ سَرَّكَ أَنْ أَقْمَتَ جِدَارَهَا قد ساءَها أَنْ مَالَ نَجِيرُ جِدَارِ
أَضْحَتْ مِنَ اللَّهِ الْكَرِيمِ بِذِمَّةٍ مَرْمُوقَةٍ الْأَعْوَانِ وَالْأَنْصَارِ
كُلِّتُ بِأَنْظَارِ (العزيز) ، وَحُصِّنْتُ

(بِفُؤَادِ) ؛ فَهِيَ مَنِيعةُ الْأَسْوَارِ (٢)
وَلِذَا الْعَزِيزُ أَعَارَ أَمْرًا نَظْرَةً فَالِيَمْنُ أَعْجَلُ ، وَالسُّعُودُ جَوَارِي
مَاذَا رَأَيْتَ مِنَ الْحِجَابِ وَعُسْرِهِ فِدَعَوْتُنَا لِيَتَرَفَّقَ وَيَسَارُ ؟
رَأَى بَدَا لَكَ لَمْ تَجِدْهُ مُخَالَفًا مَا فِي الْكِتَابِ وَسُنَّةِ الْمُخْتَارِ
وَالْبَابِلَانِ : شَجَاعُ قَلْبٍ فِي الْوَغَى وَشَجَاعُ رَأْيٍ فِي وَغَى الْأَفْكَارِ
أَوْدَدَتْ لَوْ صَارَتْ نِسَاءُ النَّيْلِ مَا كَانَتْ نِسَاءً (قُضَاعَةً) وَ(نِزَارًا) ؟ (٣)
يَجْمَعْنَ فِي سَلِيمِ الْحَيَاةِ وَحَرْبِهَا بِأَسْرِ الرِّجَالِ وَخَشْيَةِ الْأَبْكَارِ
إِنْ الْحِجَابَ سَاحَةً وَيَسَارَةً لَوْلَا وَحُوشُ فِي الرِّجَالِ ضَوَارِي
جَهَلُوا حَقِيقَتَهُ وَحِكْمَةَ حُكْمِهِ فَتَجَاوَزُوهُ إِلَى أَذَى وَضِرَارِ

* * *

١- الخطار : أى المهتز واهتزاز القنا : كناية عن استعدادده للقتال .
٢- العزيز : هو كل ملك لمصر : وكان الخديوى عباس وقتئذ . وفؤاد ، هو
جلالة ملك مصر فؤاد الأول -٣- ليس الغرض نساء هاتين القبيلتين قضاة
ونزار بالذات ، وإنما المقصود المראה العربية الموصوفة في البيت التالى .

يَا قُبَّةَ (الغورى) تَحْتِكِ مَا تَمُّ تَبْقَى شَعَائِرُهُ عَلَى الْأَدْهَارِ
يُحْيِيهِ قَوْمٌ فِي الْقُلُوبِ عَلَى الْمَدَى إِنْ فَاتَهُمْ إِحْيَاؤُهُ فِي دَارِ
هِيَهَاتَ ! تُنْسَى أُمَّةٌ مَدْفُونَةٌ فِي أَرْبَعِينَ مِنَ الزَّمَانِ قِصَارِ
إِنْ شَتَّتَ يَوْمًا أَوْ أَرَدْتَ فَحَقْبَةً كُلُّ يَمْرٍ كَلِيلَةٍ وَنَهَارِ
هَاتُوا ابْنَ (ساعدة) يُؤَبِّنُ قَاسِمًا وَخُذُوا الْمَرَاثِيَّ فِيهِ مِنْ (بَشَّارِ) (١)
مَنْ كُلُّ لَائِقَةٍ لِبَاذِخٍ قَدْرِهِ عَصَمَاءَ بَيْنَ قَلَائِدِ الْأَشْعَارِ

١- ابن ساعدة ، هو قس بن ساعدة اليبادى ، أحد خطباء العرب
الحكماء ، يضرب به المثل في بلاغة الخطب . وبشار : هو بشار بن برد الشاعر
المشهور . يقول ان قاسما لا يؤينه الا امثال قس من الخطباء وامثال بشار
من الشعراء .

تولستوى (*)

عليك : ويبكى بائس وفقير	(تولستوى) ، تُجْرى آيةُ العلمِ دمعها
وما كلُّ يومٍ للضعيف نصير	وشعبٌ ضعيفُ الركنِ زال نصيره
وأنت سراجٌ غيبوه مُنير	ويَنْدُبُ فلاحونَ أنتَ مَنارُهم
ولا يملكون البثَّ وهو يسير	يعانونَ في الأكواخِ ظلماً وظلمةً
عليهم . وتغشى دورهم وتزور	تطوف كعيسى بالحنان وبالرضى
وللخادمين الدافمين قُشور	ويأسى عليك الدينُ ، إذ لك لُبُّه
أناجيلُ منها مُنذِرٌ وبشير؟	أيكفر بالإنجيل مَنْ تلك كُتُبُه
غداة مشى (بالعمرى) سرير	ويبكىك إلفٌ فوق (للى) ندامةً
يراعُ له في راحتِكَ صرير ^(١)	تناولَ ناعيكَ البلادَ كأنه
وقيل : (بدير) الراهباتِ أسير	وقيل : تولَّى الشيخُ في الأرضِ هائماً
وللطبِّ من يطشُّ القضاء عَدير	وقيل : قَضَى لم يُغْنِ عنه طيبةُ
وجاور (رضوى) في الترابِ (ثبير) ^(٢)	إذا أنتَ جاورتَ (المعريَّ) في الثرى
وغالى بمقدار النظيرِ نظير	وأقبلَ جمعُ الخالدينَ عليهما
جَناهُنَّ مسكٌ فوقها وعبير	جَماعِمُ تحتَ الأرضِ عَطَّرها شدى
عليهن بطنُ الأرضِ وهو فَخور	هنَّ يُباهى بطنُ (حَوَّاء) ، واحتوى

(*) تولستوى : هو الفيلسوف الروسى الشهير ، كان عالماً عاملاً بما يقول ، فتخلَّى عن ماله الجَمِّ ليساوى نفسه بالفقراء ، ولعل رواياته ومؤلفاته كانت الأناجيل الأولى للثورة الأخيرة فى روسيا وقد توفى سنة ١٩١٠ وهو شيخ كبير .

١- الصرير : التصويت . واليراع : القلم — ٢- المعري : هو أبو العلاء المعري ، وشعره الفلسفى الاجتماعى مشهور . ورضوى وثبير علمان على جبلين : أولهما بالمدينة وثانيهما بمكة : يريد تشبيهه هو والمعري بهذين الجبلين .

فَقُلْ يَا حَكِيمَ الدَّهْرِ حَدِّثْ عَنِ الْبَلَى
أَحْطَتَ مِنَ الْمَوْتِ قَدِيمًا وَحَادِثًا
طَوَانَا الَّذِي يَطْوِي السَّمَوَاتِ فِي غَدٍ
تَقَادِمَ عَهْدَانَا عَلَى الْمَوْتِ ، وَاسْتَوَى
كَأَن لَمْ تَضِيقْ بِالْأَمْسِ عَنِّي كَنِيسَةً
أَرَى رَاحَةً بَيْنَ الْجَنَادِلِ وَالْحَصَى
نَظَرْنَا بِنُورِ الْمَوْتِ كُلَّ حَقِيقَةٍ
إِلَيْكَ اعْتَرَا فِى ، لَا لَقَسْ وَكَاهَنٍ
فَزَهْدُكَ لَمْ يُنْكِرْهُ فِى الْأَرْضِ عَارِفٌ
بَيَانٌ يُشْمُ الْوَحْيُ مِنْ نَفْحَاتِهِ
سَلَكْتُ سَبِيلَ الْمُتَرَفِّينَ ، وَلَذَلِكَ
أَدَاةُ شَتَائِي الدَّفْعُ فِي ظِلِّ شَاهِقٍ
وَمُتَّعْتُ بِالدُّنْيَا ثَمَانِينَ حِجَّةً
وَذَكَرْتُ كَضُوءَ الشَّمْسِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ
فَمَا رَاعَنِي إِلَّا عَذَارَى أَجْرَنَنِي
أَرَدْتُ جَوَارَ اللَّهِ وَالْعَمْرُ مُنْقَضٍ
صَبَاً ، وَنَعِيمٌ بَيْنَ أَهْلِ وَمَوْطِنٍ
بَهْنٍ - وَمَا يَدْرِيزُ . مَا الذَّنْبُ ؟ - خَشْيَةٌ

فَأَنْتَ عَلِيمٌ بِالْأُمُورِ خَبِيرٌ
بِمَا لَمْ يُحْصَلْ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ : (١)
وَيَنْشُرُ بَعْدَ الطُّيِّ وَهُوَ قَلْبِيرُ (٢)
طَوِيلُ زَمَانٍ فِى الْبَلَى وَقَصِيرُ
وَلَمْ يُؤْوِنِي دَيْرٌ هُنَاكَ طَهُورُ
وَكُلُّ فِرَاشٍ قَدْ أَرَاكَ وَثِيرُ (٣)
وَكُنَّا كِلَانَا فِى الْحَيَاةِ ضَرِيرُ
وَنَجَوَايَ بَعْدَ اللَّهِ وَهُوَ غُفُورُ
وَلَا مُتَعَالٍ فِى السَّمَاءِ كَبِيرُ
وَعَلِمٌ كَعَلَمِ الْأَنْبِيَاءِ غَزِيرُ
بَنُونَ وَمَالٌ ، وَالْحَيَاةُ غُرُورُ
وَعُدَّةٌ صَنِيفِي جَنَّةٍ وَغَلِيرُ
وَنَضَّرُ أَيَّامِي غِنًى وَحُبُورُ
وَلَا حَظٌّ مِثْلُ الشَّمْسِ حِينَ تَسِيرُ
وَرُبُّ ضَعِيفٍ تَخْتَمِي فَيْجِيرُ
وَجَاوَرْتُهُ فِى الْعَمْرِ وَهُوَ نَضِيرُ
وَلَذَاتُ دُنْيَا ، كُلُّ ذَلِكَ نَزُورُ (٤)
وَمَنْ عَجَبٌ تَخْشَى الْخَطِيئَةَ حُورُ (٥)

١- يريد انه كان يعرف اشرار النفوس جد المعرفة -٢- النشر : هو البعث من الموت ، وهو ايضا ضد الطي -٣- الفراش الوثير : اللين الناعم .
٤- نزور : اى قليل -٥- الحور : جمع حوراء ، وهى الجارية فى عينها حور .
والحور : اشتداد بياض العين وسوادها .

أوانس في داج من الليل مُحِشٍ
وأشبه طهر في النساء بِمَرِيَمَ
تُسَائِلُنِي : هل غير الناس ما بهم ؟
وهل أثر الإحسان والرفق عالم
وهل سلكوا سُبُلَ المحبة بينهم
وهل آن من أهل الكتاب تسامح
وهل عالج الأحياء بؤساً وشقوة
ثم انظر وأنت المالىء الأرض حكمة
أناس كما تدرى ، ودنيا بحالها
وأحوال خلق غابر مُتجدد
تمر تباعا في الحياة كأنها
وحرص على الدنيا ، وميل مع الهوى
وقام مقام الفرد في كل أمة
وحور قول الناس : مولى وعبد
وأضحى نفوذ المال لا أمر في الورى
تسأس حكومات به وممالك
وعصر بنوه في السلاح ، وحرصه
ومن عجب في ظلها وهو وارف
ويأخذ من قوت الفقير وكسبه
ولما استقل البر والبحر مذهبا

ولله أنس في القلوب ونور
فتاة على نهج المسيح تسير
وهل حدثت غير الأمور أمور ؟
دواعى الأذى والشر فيه كثير ؟
كما يتصافى أسرة وعشير ؟
خليق بآداب الكتاب جدير ؟
وقل فساد بينهم وشور ؟
أأجدى نظم ، أم أفاد نثير ؟
ودهر رخي تارة وعسير
تشابه فيها أول وأخير
ملاعب لا ترخي لهن ستور
وغش ، وإفك في الحياة ، وزور
على الحكم جم يستبد غفير
إلى قولهم : مستأجر وأجير
ولا نهى إلا ما يرى ويشير
ويذعن أقيال له وصدور (١)
على السلم يجرى ذكره ويدير
يصادف شعبا آمناً ، فيغير
ويؤوى جيوشاً كالحصى ويمير
تعلق أسباب السماء يطير

١- اقيال : جمع قيل ، وهو الملك . والصدور : جمع صدر ، وهو
العظيم من الناس كالوزير ونحوه .

عمر بك لطفى (*)

قفوا بالقبور نَسَائِلُ عُمَرُ متى كانت الأرضُ مَثْوَى القمرِ؟
سلوا الأرضَ: هل زُيِّنَتْ للعِليمِ؟ وهل أُرْجَتْ كَالْجَنَانِ الحَفَرِ؟
وهل قام (رضوانٌ) من خلفها يُلاقى الرِّضَى النَّقِيَّ الأَبَرِ؟
فلو عَلِمَ الجَمْعُ مِمَّنْ مَضَى تَنَحَّى له الجَمْعُ حتى عَبرَ
إلى جَنَّةٍ خُلِقَتْ للكريمِ وَمَنْ عَرَفَ اللهَ ، أَوْ مَنْ قَدَرَ

* * *

بِرَغْمِ لَتَاوِبِ وَحَبَاتِهَا وَرَغْمِ السَّمَاعِ ، وَرَغْمِ البَصَرِ
نَزُولِكَ فِي التُّرْبِ زَيْنَ الشَّبَابِ سَنَاءُ « النَّدَى » سَنَى « المؤتمر » (١)
مُقِيلَ الصَّدِيقِ إِذَا مَا هَفَا مُقِيلَ الكَرِيمِ إِذَا مَا عَثَرَ
حَيِّتَ فَكُنْتَ فَخَارَ الحَيَاةِ وَمُتَّ فَكُنْتَ فَخَارَ السَّيْرِ
عَجِيبٌ رَدَاكَ ، وَأَعْجَبُ مِنْهُ حَيَاتُكَ فِي طَوْلِهَا وَالْقَصْرِ
فَمَا قَبْلَهَا سَمِعَ الْعَالَمُونَ وَلَا عِلْمُوا مُصْحَفًا يُخْتَضِرُ
وَقَدْ يَقْتُلُ المرءُ هُمُ الحَيَاةِ وَشَغْلُ الفَوَادِ ، وَكُدُّ الفِكْرِ
كَفْنَا التَّجَارِبَ فِي حُضْرَةِ إِلَيْهَا انْتَهَى بِكَ طَوْلُ السَّفَرِ
فَكَمْ لَكَ كَالنَّجْمِ مِنْ رِحْلَةٍ رَأَى البَدُوْ أَثَارَهَا وَالبَحْصَرُ

١- توفي عمر بك لطفى في سنة ١٩١١ ، وكان عالما قانونيا ضليعا، كما كان في حياته يكاد يتقد غيرة على قوميته وحبا لمصلحة بلاده ، وهو في طبيعة مؤسسى نقابات التعاون في مصر .

١- الندى : يريد نادى المدارس العليا ، وكان الفقيه رئيسا له . ويريد بالمؤتمر المؤتمر الذى اقامه اعيان المسلمين في هليوبوليس ، زدا على المؤتمر الذى اقامه اعيان الاقباط في اسيوط . والسناء - بالمد - : الضوء . وبالقصر - : الرقعة .

وَيَبْكِي عَلَيْكَ «النَّدَى» الْأَغْر	«نِقَابَاتُكَ» الْغُرُّ تَلْكِي عَلَيْكَ
شَرِيفَ الْمَرَامِ ، شَرِيفَ الْوَطَرِ	وَيَبْكِي فَرِيقٌ ، تَخِيرَتَهُ
وَأَنْتَ غَرَسْتَ ، فَكَانُوا الثَّمَرِ	وَيَبْكِي الْأَلَى أَنْتَ عَلِمْتَهُمْ
وَمَوْتُكَ بِالْأَمْسِ لِإِحْدَى الْعَبَرِ	حَيَاتُكَ كَانَتْ عِظَاتٍ لَهُمْ
وَمَا دَارَ ذَكَرُ الرَّدَى فِي السَّمْرِ (١)	سَهَرْنَا قُبَيْلَ الرَّدَى لَيْلَةً
وَقَمْتُ إِلَى مِثْلِهَا تُخْتَفَرُ	فَقَمْتُ إِلَى حُفْرَةِ هَيْئَتِ
وَمَدَّ يَدًا لِلْقَاءِ الْقَدَرِ	مَدَدْتُ إِلَيْكَ يَدًا لِلْوَدَاعِ
خَبَاتُكَ فِي مُقْلَتِي مِنْ حَذَرِ	وَلَوْ أَنَّ لِي عِلْمَ مَا فِي غَدِ
وَمَا أَوَّلُ النَّارِ إِلَّا شَرَرِ	وَقَالُوا : شَكَوْتُ ، فَمَا رَاعِنِي
مِنْ الْحُزْنِ ، إِلَّا يَسِيرًا خَطَرِ (٢)	رَثِيئَتُكَ لَا مَالِكًا خَاطِرِي
وَمِنْكَ عَلِمْتُ ارْتِجَالَ الدَّرَرِ	فَفِيكَ عَرَفْتُ ارْتِجَالَ الدُّمُوعِ
وَمِثْلُكَ يُفْدَى بِنَصْفِ الْبَشَرِ	مِثْلُكَ يُرْتَى بِآيِ الْكِتَابِ
عَلَيْهِ ، وَكُنْ بَاقَةً مِنْ زَهَرِ	فِيَا قَبْرُ ، كُنْ رَوْضَةً مِنْ رِضَى
كَعَادَتِهِنَّ سَقَاكَ الْمَطَرِ	سَقَنَكَ الدُّمُوعُ ، فَإِنْ لَمْ يَدْمَنَّ

١- السمر : حديث الليل -٢- يريد : لا مالكا من خاطري الا بقية قليلة
الخر لا تغني في وثائق .

عمر بك لطفى (*)

اليوم أضعدُ دونَ قبرِكَ منبرًا	وأقلدُ الدنيا رِثاءَكَ جَوهرًا
وأقصُ منِ شعري كتابَ محاسنِ	تتقدمُ العلماءُ فيه مسطَرًا
ذكرًا لفضلِكَ عندَ مصرَ وأهلِها	والفضلُ من حُرُماتِهِ أن يُذكرًا
العلمُ لا يُعْلي المراتبَ وحده	كم قدمُ العملُ الرجالَ وأخرًا
والعلمُ أشبهُ بالسماءِ رجاله	خُطِطَتْ جَهاًماً في السحابِ ومُطِطراً
طُفنا بقبرِكَ ، واستلمنا جَنَدلاً	كالركنِ أَرْكَى ، والحطيمِ مُطَهراً (١)
بين التشرفِ والخشوعِ ، كإنما	نستقبلُ الحرمَ الشريفَ منوراً
لو أنصفوكَ جنادلاً وصفائِحاً	جعلوكَ بالذكرَ الحكيمَ مُسَوِّراً
يا مَنْ أَرانى الدهرُ صحَّةً ودَّه	والودُ في الدنيا حديثُ مُفَتِّرى
وسمعتُ بالخُلُقِ العظيمِ روايةً	فأَرانى الخلقَ العظيمَ مُصَوِّراً
ماذا لقيتَ من الرُقَادِ وطولهِ ؟	أنا فيكَ ألقى لوعةً وتحسراً
نَمْ ما بدا لك آمناً في منزلٍ	الدهرُ أقصرُ فيه من سِنَةِ الكَرَى
مازلتُ في حَمْدِ الفِراشِ وذمِّهِ	حتى لقيتَ به الفِراشَ الأَوثَرَ (٢)
لا تَشْكُوَنَّ الضُرَّ من حَشَراتِهِ	حشراتُ هذا الناسِ أقبحُ مَنظَرِها
ياسَيِّدَ (النادى) وحاملَ همِّهِ	أخلفَتَهُ تحت الرِّزِيَّةِ مُوقِراً (٣)

(*) نظمت هذه القصيدة لتلقى في حفلة أقيمت لتأبين عمر بك لطفى بعد الأربعين ، أما القصيدة السابقة فقد نظمت عقب الوفاة في سرعة تشبه الارتجال .

١- يقول : اننا نطوف بقبرك ونستلم احجاره ، كما يطوف حجاج بيت الله فيستلمون الركن والحطيم المطهرين - ٢- الفراش الاوثر : هو الفراش الاكثر ليونة ونعومة ، ويريد به تراب القبر - ٣- النادى : هو نادى المدارس العليا ، وكان الفقيد رئيسا له . وموقرا : أى مثقلا بما يحمله من فذلك .

شهد الأعادي كم سهرت لمجده
وكم اتقيت الكيد واستدفعته
ولبثت عن حوض الشبيرة ذائدا
شبان مصر جبال قبرك نخشع
جمع الأسى لك جمعهم في واحد
لولاك ما عرفوا التعاون بينهم
حيث التفت رأيت حولك منهم
كم منطق لك في البلاد وحكمة
تمشى إلى الأكواخ ترشد أهلها
متواضعا لله بين عبادِه
لم تذّر نفسك : ما الغرور؟ وطالما
في كل ناحية تخطّ نقابة
هي كيميائوك ، لاخرافة (جابر)
والمال لا تعجى ثمار رؤوسه
والملك بالأموال أمنع جانباً
إنا لى زمن سفاة شعوبه
وغدوت في طلب المزيد مُشمرا
ورميت عدوان الظنون فأقصرا
حتى جزاك الله عنه الكوثرا
لا يملكون سوى مدامعهم قري (١)
كان الشباب الواجد المستغبرا (٢)
فيما يسر ، ولا على ما كدرا
آثار إحسان وغرسا مُثمرا
والعقل بينهما يُباع ويُشترى
مشى الحواريين يهدون القرى (٣)
والله يبغض عبده المتكبّرا
دخل الغرور على الكبار فصغرا
فيها حياة أخى الزراعة لو درى
تذر المقل من الجماعة مكثرا (٤)
حتى يصيب من الربؤوس مدبرا
وأعز سلطاناً ، وأصدق مظهرا
في ملكهم كالمرء في بيت الكرا (٥)

١ - القرى - بكسر القاف - : ما يقدم للضيف من اكرام ونحوه .
٢ - الواجد المستعبر : هو الحزين الباكي -٣- الحواريون : هم اصحاب
عيسى ابن مريم -٤- جابر : هو جابر بن حيان صاحب الكيمياء القديمة .
والمقل : هو الفقير او هو الذى لا يملك الاشياء قليلا -٥- بيت الكرا : هو
ست الأجرة .

أَسْوَكَ مِنْ أَهْلِ الْمِبَادِيءِ مَنْ دَعَا لِلجِدِّ ، أَوْ جَمَعَ الْقُلُوبَ النَّفْرَا ؟
الْمَوْتُ قَبْلَكَ فِي الْبَرِيَّةِ لَمْ يَهَبْ طَه الْأَمِين ، وَلَا يَسُوعَ الْخَيْرَا (١)

* * *

لَمَّا دُعِيتُ أَتَيْتُ أَنْثُرُ مَذْمَعِي وَلَوْ اسْتَطَعْتُ نَشَرْتُ جَفْنِي فِي الثَّرَى
أَبْكَيْ يَمِينَكَ فِي التَّرَابِ غَمَامَةً وَالصَّدْرَ بَحْرًا ، وَالْفُؤَادَ غَضَنْفَرَا
لَمْ أُعْطَ عَنْكَ تَصَبُّرًا ، وَأَنَا الَّذِي عَزَّيْتُ فِيكَ عَنِ الْأَمِيرِ الْمَعْشَرَا (٢)
أَزِنُ الرِّجَالَ ، وَلِي يَرَاعُ طَالَمَا خَلَعَ الثَّنَاءَ عَلَى الْكِرَامِ مُحَبَّرَا
بِالْأَمْسِ أَرْسَلْتُ الرِّثَاءَ مُمَسَّكًا وَالْيَوْمَ أَهْتِفُ بِالثَّنَاءِ مُعْتَبِرَا
غَيَّرْتَنِي - تَزْنًا ، وَغَيَّرَكَ الْبَلَى وَهَوَاكَ يَا أَبَى فِي الْفُؤَادِ تَغْيِيرَا (٣)
فَعَلَى حَفْظِ الْعَهْدِ حَتَّى نَلْتَقَى وَعَلَيْكَ أَنْ تَرَعَاهُ حَتَّى نُحْشَرَا

١ - يسوع : المسيح - ٢ - كان أمير الشعراء هو نائب الخديو عباس
في تعزية الفقيد - ٣ - يشير الى قصيدته السابقة في الفقيد

الأميرة (*)

حَلَفْتُ بِالْمُسْتَرَّةِ وَالرَّوَضَةِ الْمُعْطَرَّةِ (١)
وَمَجْلِسِ الزَّهْرَاءِ فِي الْحِظَانِ الْمُنَوَّرَةِ (٢)
مِرَاقِدِ السُّلَالَةِ الطَّيِّبَةِ الْمَطْهَرَةِ
مَا أَنْزَلُوا إِلَى الثَّرَى بِالْأَمْسِ إِلَّا نَيْرَهُ (٣)
سَيَرُوا بِهَا تَقِيَّةً نَقِيَّةً مُبَرَّرَةً
نُجْلُ يَشْتَرِ نَعِيشَهَا كَالْكُسُوفَةِ الْمُسِيرَةِ (٤)
وَنَنْشُقُ الْجَنَّةَ مِنْ أَعْوَادِهِ الْمُنْصَرَةِ

* * *

فِي مَوْكِبٍ تَمَثَّلَ الْحَقُّ فَكَانَ مَظْهَرَهُ
دَعِ الْجُنُودَ وَالْبَنُو دَ وَالْوَفُودَ الْمُخْضَرَةَ
وَكُلَّ دَمْعٍ كَذِبٍ وَلَوْعَةٍ مُزَوَّرَةٍ
لَا يَنْفَعُ الْمَيْتَ سِوَى صَالِحَةٍ مُدْخَرَةٍ
قَدْ تَرَفَّعَ السُّوقَةُ عِنْدَ اللَّهِ فَوْقَ الْقَيْصَرَةِ

* * *

(*) هي الأميرة فاطمة اسماعيل ، كان لها الفضل الاول في تأسيس
وانشاء الجامعة المصرية ، وقد انتقلت الى دار الجنان في سنة ١٩٢٠ .
١- المسترة : الكعبة -٢- يقصد فاطمة الزهراء ، بنت الرسول
صلوات الله عليه ، ومجلسها في حجرات النبوة -٣- نيرة : هي واحدة النجوم
النيرة -٤- الكسوة : هي كسوة الكعبة المكرمة ، وتسير من مصر الى
الحجاز كل عام في موكب عظيم الاجلال -٥- القيصر : علم كل ملكة للروم .
والقيصر : علم على ملكها .

يا جَزَعَ العِلْمِ على (سُكَيْنَةَ) المَوْقَرَهُ (١)
أَمْسَى بَرَبَعٍ مُوحِشٍ منها ودارٍ مُقْفِرِهِ
من ذا يُؤسِّي هذه الـ جامعةَ المُسْتَعْبِرِهِ (٢)
لو عِشْتَ شِدْتَ مِثْلَهَا للمرأة المحرَّهِ
بنيت رُكْنَيْهَا ، كما يبنى أبوك المائِرَهُ
قرنت كل حجرٍ في أسها بجوهرِهِ
مَفْخَرَةٌ لبيتكم كم قبلها من مَفْخَرَةٍ !

* * *

يابنتَ إِسْمَاعِيلَ ، في الـ مِيتِ لحي تبصِرِهِ (٣)
أكان عند بيتكم لهذه الدنيا تِرَهُ ؟ (٤)
هَلَّا وَصَفْتِهَا لنا مُقْبِلَةً ومُدْبِرَهُ ؟
ولونها صافية وطعمها مكدرَهُ ؟
كالحلم ، أو كالوهم ، أو كالظل ، أو كالزهرَهُ ؟

* * *

(فاطمُ) ، مَنْ يُولَدَ يَمُتُ المهدُ جسرُ المقبرِهِ (٥)
وكل نفس في غدٍ مِيتَةٌ فمُنْشَرَهُ
وإنه مَنْ يَعْمَلِ الك خَيْرَ أو الشرَّ يَرَهُ

-
- ١- يشبهها بسكينة بنت الحسين في عطفها على العلم والأدب .
٢- المستعبرة : أى الباكية لفقدائها عطفك ٣- التبصرة : بمعنى الموعظة .
٤- ترة : هى النار -هـ- فاطم : أى فاطمة ، وحذفت التاء للترخيم ، كقول
أمرئ القيس .

* فاطم مهلا بعض هذا التدلل *

— ٩٠ —

وإنما يُنبئه إل خافلٌ عندَ الغرغرة (١)
يلفظها حنظلة كانت بفيه سُكره (٢)
ولن تزال من يده إلى يد هذى الكره

* * *

أين أبوك ؟ ماله وجاهه ، والمقدرة ؟
وادي الندى ، وعينه المفعرة (٣)
أين الأمور ، والقصور ر ، والبدور المخذرة ؟
أين الليالي البيض ، والاصائل المزغرة ؟ (٤)
وأين في ركن البلا د يده المعمره ؟
وأين تلك الهمة ال ماضية المشمره ؟
تبني لمصر الشرق أو أكثره مستعمرة
جری الزمان دونها فردة وأعثره
فلن همت قاذكر ال مقادر المقدره
من لا يصيب فالناس لا يلتمسون المعيرة

١- الغرغرة : وقت حشجة الروح في الصدر -٢- يلفظها : أي يلفظ
الحياة -٣- الندى : الكرم . والعين : بمعنى النبع -٤- الاصائل : الوقت من
بعد العصر الى المغرب . والمزغرة : أي الملونة بلون الزعفران . والليالي
البيض والاصائل المزغرة : يقصد بهما الكناية عن السعادة الوارفة الظليلة .

ذكرى مصطفى كامل (*)

لَمْ يَمُتْ مَنْ لَهُ أَثَرٌ وَحَيَاةٌ مِنْ السَّيْرِ
أُذِعَهُ غَائِباً ، وَإِنْ بَعُدَتْ غَايَةُ السَّفَرِ
آيِبُ الْفَضْلِ كُلَّمَا آبَتْ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (١)
رُبَّ نَوْرٍ مُتَمِّمٍ قَدْ أَتَانَا مِنْ الْحُفْرِ (٢)
إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَنْ مَشَى مَيِّتَ الْخَيْرِ وَالْخَبَرِ
مَنْ إِذَا عَاشَ لَمْ يُفِدْ وَإِذَا مَاتَ لَمْ يَضِرْ
لَيْسَ فِي الْجَاوِ وَالْغَنَى مِنْهُ ظِلٌّ وَلَا ثَمَرُ
قُبْحُ الْعِزِّ فِي الْقُصْوِ إِذَا ذَلَّتِ الْقَصَرُ

* * *

أَعُوْزُ الْحَقِّ رَائِدٌ وَإِلَى (مُصْطَفَى) افْتَقَرُ
وَتَمَنَّتْ حَيَاضُهُ هَبَّةَ الصَّارِمِ الذِّكْرِ
الَّذِي يُنْفِذُ الْمُدَى وَالَّذِي يَرْكَبُ الْخَطَرَ (٣)
أَيُّهَا الْقَوْمُ ، عَظَّمُوا وَاضِعَ الْأُسِّ وَالْحَجَرِ
أَذْكُرُوا الْخُطْبَةَ الَّتِي هِيَ مِنْ آيِهِ الْكُبَرِ (٤)

(*) لأمير الشعراء عدة قصائد في مصطفى كامل باشا ، هذه أحداها ،
وقد القيت في الاحتفال الذي أقيم تمجيذاً لذكراه في فبراير سنة ١٩٢٦ .
١- يقول : في كل أوبة شمس ، وفي كل عودة قمر ، يؤوب للفقيد . فضل ،
ويتجدد له ذكر ، واذن فهو لا يحسب ميتاً ، وغاية الأمر أنه غائب في سفر
بعيد - ٢- الحفر : القبور - ٣- الذي ينفلد المدى : يراد به صاحب الطعنات
النافذة - ٤- يريد آخر خطبة للفقيد ، وقد ظنّها الناس يومئذ خطبة الوداع .

لم يَرِ النَّاسُ قَبْلَهَا مِنْبَرًا تَلَحَّتْ مُخْتَضِرُ
لَسْتُ أَنْسَى لِيَوَاءَهُ وَهُوَ يَمْشِي إِلَى الْإِفْرِ
حَشَرَ النَّاسَ تَحْتَهُ زُمَرًا إِثْرَهَا زُمَرُ
وَتَرَى الْحَقَّ حَوْلَهُ لَا تَرَى الْبَيْضَ وَالسُّمَرُ (١)
كَلَّمَا رَاحَ أَوْ عَدَا نَفَخَ الرُّوحَ فِي الصُّورِ

* * *

يَا أَخَا النَّفْسِ فِي الصُّبَا لَذَّةُ الرُّوحِ فِي الصُّغَرِ
وَحَلِيلًا ذَخَرْتُهُ لَمْ يُقَوِّمْ بِمُدْخَرِ
حَالٍ ، بَيْنِي وَبَيْنَهُ فِي قُبَاءَاتِهِ الْقَدَرِ
كَيْفَ أَجْزَى مَوْدَّةً لَمْ يَشَبَّ صَفْوَهَا كَدَرُ ؟
غَيْرَ دَمْعٍ أَقُولُهُ قَلٌّ فِي الشَّأْنِ أَوْ كَثْرُ ؟
وَفُرَادٍ مُعَلَّلٍ بِالْخِيَالَاتِ وَالذُّكْرِ ؟
لَمْ يَنْمِ عَنْكَ سَاعَةً فِي الْأَحَادِيثِ وَالسُّمَرِ ؟
قُمْ ذَرِ الْقَوْمَ كَسَلَةً مِثْلَ مَلْمُومَةِ الصُّخْرِ (٢)
جَدِّدُوا أَلْفَةَ الْهَوَى وَالْإِنْخَاءَ الَّذِي شَطِرُ
لَيْسَ لِلْخُلْفِ بَيْنَهُمْ أَوْ لَأَسْبَابِهِ أَثَرُ
أَلْفَتَهُمْ رَوَائِحُ غَادِيَاتٍ مِنْ الْغَيْرِ

١- البيض: السيوف . والسمر: الرماح -٢- مالمومة: بمعنى
مجتمعة ، ويقال للدرع: مالمومة ، وكذا يقال للكتيبة - وهي الفرقة من
الجيش - مالمومة أيضا .

وَصَحَّوْا	مِنْ	مُنُومٍ	وَأَفَاقُوا	مِنْ	الْخَدَرِ (١)
أَقْبِلُوا	نَحْوَ	حَقِّهِمْ	مَا	لَهُمْ	غَيْرُهُ وَطَرٌ
جَعَلُوهُ		خَلِيَّةً	شَرَعُوا	دُونَهَا	الْأَبْرَ (٢)
وَتَوَاصَوْا		بِخَطَّةٍ	وَتَدَاعَوْا		لِوَعْمَرِ (٣)
وَقُصَّارَى	أُولَى	النُّهَى	يَتَلَقَّوْنَ	فِي	الْفِكَرِ
آذَنُونَا		بِمَوْقِفٍ	مِنْ	جَلَالٍ	وَمِنْ خَطَرٍ
نَسْمَعِ	الْلَيْثَ	عِنْدَهُ	دُونَ	آجَامِهِ	زَأَرِ
قُلْ	لَهُمْ	فِي	نَدِيَّتِهِمْ	:	مَصْرُ بِالْبَابِ تَنْتَظِرُ (٤)

١ - الخدر : الكسل ، وهو مصدر خدر ، كفرح -٢- الخلية : موضع سكن النحل . شرعوا الأبر : رفعوها استعدادا للنضال بها ، كما يقال : شرع سيفه ، اذا انتضاه من غمده -٣- تدعوا : تجمعوا -٤- يريد بالنسدي : البرلمان ، وكان وقتئذ يهيا .

المنفلوطى (*)

اخترتَ يومَ الهولِ يومَ وداعٍ ونعالتَ في عَصْفِ الرياحِ الناعى (١)
هتفَ النُّعَاةُ ضُحَى ، فأَوَّصَدَ دونهم جُرحُ الرئيسِ منافذَ الأسباعِ
مَنْ ماتَ في فَزَعِ القِيَامَةِ لم يَجِدْ قَدَمًا تُشَيِّعُ أو حفاوة ساعى
ما ضرَّ لو صَبَرْتُ رِكابُكَ ساعةً كيف الوقوفُ إذا أهابَ الداعى ؟
خلَّ الجنائزَ عنك ، لا تحفيلَ بها ليس الغرورُ لميتٍ بمتاع
سِرٌّ في لواءِ العِبقريَّةِ ، وانتظِمَ شتى المواكبِ فيه والأتباع
واصعدَ سماءَ الذكرِ من أسبابها واظهر بفضلٍ كالنهار مُذاع
فُجِعَ البيانُ وأهلُهُ بمصوِّرٍ لَبِقٍ بوشى الممتعَاتِ صناع
مَرْموقٍ أسبابِ الشبابِ وإن بدتْ للشيبِ فى القودِ الأَحَمَّ رَواعى (٢)
تنخيلُ المنظومَ فى منشوره فتراهُ تحت روائعِ الأسجاعِ
لم يَجْحَدِ الفُصْحَى ، ولم يَهْجُمِ على أسلوبها ، أو يُزِرِ بالأوضاعِ
لكن جَرى والعصرَ فى مِضمارِها شَوَّطاً ، فأَحْرَزَ غايةَ الإبداعِ
حُرُّ البيانِ ، قديمُهُ وحديثُهُ كالشمسِ جَدَّةَ رُقعةٍ وشُعاعِ
يونانُ لو يَمِعت (بهومير) لما خَسِرَتْ - لَعَمْرُكَ - صَفْقَةُ المبتاعِ

* * *

(*) هو الكاتب الذائع الصيت مصطفى لطفى المنفلوطى ، اشتهر بأسلوب انشائى خاص لفت اليه أنظار القراء فى عصره ، وقد توفى سنة ١٩٢٤ .

١ - يشير بيوم الهول الى أن وفاة الفقيد كانت فى يوم اطلاق الرصاص على الزعيم سعد باشا - ٢ - القود : احدى القودين ، وهما جانبى الرأس من الامام ، والأحم : الاسود . والرواعى : جمع راعية . ويريد « بالرواعى » الشعرات البيض اللواتى ظهرت فى جانبى رأسه .

يا مُرْسَلَ (النظرات) في الدنيا وما فيها على ضَجَرٍ وَضيقٍ دِرَاع (١)
وَمُرْفَرِقَ (العبرات) تجرى رِقَّةً للعالم الباكي من الأوجاع (٢)
مَنْ ضاقَ بالدنيا فليس حَكِيمَهَا إِنَّ الحَكِيمَ بها رَحِيبُ الباع
هِيَ والزمانُ بِأَرْضِهِ وسائِهِ في لُجَّةِ الأقدارِ نِضُو شِراع (٣)
مَنْ شَدَّ ناداهُ إليه فَرْدَهُ قَدَرُ كِراعٍ سائِقٍ بقطاع (٤)
ما خَلَفَهُ إِلَّا مَقوودُ طائِعٍ مُتَلَفَتٌ عن كِبرياءِ مُطاع
جبارُ ذَهْنٍ ، أو شديدُ شَكِيمَةٍ يَمضى مُضَيَّ العاجزِ المُنْصاع
مِنْ شَوَّةِ الدنيا إِلَيْكَ فلم تَجِدْ في الملكِ غيرَ مُعَذِّبينَ جِيعٍ ؟
أَبْكلَ عَيْنٍ فِيهِ أو وَجْهٍ تَرى لِمَحَاتِ دَمْعٍ أو رِسومَ دِمَاعٍ ؟ (٥)
ما هَكَذا الدنيا ، وَلَكِنْ نُقْلَةٌ دَمْعُ القَرِيرِ وَعَبْرَةٌ المُلْتَاع
لا الفَقْرُ بِالْعَبْرَاتِ خُصٌّ ولا الغنى غَيْرُ الحِياةِ لَهِنَّ حُكْمُ مِشاع (٦)
ما زالَ في الكُوخِ الوَضِيعِ بَواعِثٌ مِنْها ، وفي القَصْرِ الرَفِيعِ دَواعِ
في القَفْرِ حَيَاتٌ يُسَيِّبُها به حاوِي القِضاءِ ، وفي الرِياضِ أَفْءاعِ
وَلَرُبَّ بُؤْسٍ في الحِياةِ مُقْنَعٍ أَرْبَى على بُؤْسٍ بغيرِ قِناع

* * *

-
- ١- النظرات : اسم كتاب للفقيده - ٢- العبرات : اسم كتاب له أيضا .
٣- نضو شراع : أى شراع هزيل متمزق لا يكاد يقوى على مصارعة أمواج تلك اللجة ، بل لا يكاد يرى في خضمها المحيط - ٤- القطاع : طائفة من الغنم ؛
٥- رسوم دماغ : أى آثار تبدو في مجرى الدمع ، كان الدموع لكثرتها تصنع لها طريقا في موضع مسيلها - ٦- غير الحياة : نوائبها المغيرة على الناس .

يا (مصطفى) البلغاء ، أئى يَراعى
اليومَ أبصرتَ الحياةَ ، فقلْ لنا
وصِفِ المنونَ ، فكم قعدتَ ترى لها
سكنَ الأحبَّةِ والعِدَى ، وفرغتَ مِن
كم غارةٍ شَنُوا عليكِ دَفْعَتِها
والجهدُ مُوتٍ فى الحياةِ ثِمَارَه
فإذا مضى الجيلُ المِراضُ صدوره
فافزعْ إلى الزمنِ الحكيمِ ، فعنده
فإذا قضى لك أُنْتِ مِن شَمِّ العُلا
وأجلُّ ما فوقَ الترابِ وتحتَه
تلكَ الأناملُ نامَ عنهنَّ البلى
والجبْنُ فى قلمِ البليغِ نظيرُه

فقدوا ؟ وأئى مُعلِّمُ بَيراع ؟
: ماذا وراءَ سراها اللَماع ؟
شَبَحًا بكلِّ قرارةٍ وَيَقَاعِ(١)
حِقْدِ الخُصومِ ، وَمِن هوى الأَشْياعِ
تَصِلُ الجهودُ فَكُنْ خَيْرَ دِفَاعِ
والجهدُ بعدَ الموتِ غيرُ مُضَاعِ
وأئى السليمُ جوانِبَ الأَضلاعِ
نَقْدُ تنزَّهٍ عن هوى ونِزاعِ
بِثَنِيَّةٍ بَعَدَتِ على الطَّلَاعِ(٢)
قَلَمٌ عليه جَلالَةُ الإجماعِ
عُطِّلَنَ من قلمِ أَشَمِّ شُجاعِ
فى السيفِ مَنقَصَةٌ وسوءُ سماعِ

١ - الينفاع : ما ارتفع من الأرض ، كالنجاد . والقرار : ما انخفض منها كالوهاد .
٢ - الثنية : الطريق فى أعالي الجبال ويجمع على الثنايا ، وقد تمثل الحجاج فى خطبته الشهيرة بقول بعضهم : أنا ابن جلا وطلاع الثنايا .

عاطف بركات باشا(*)

خَفَضْتُ لِعِزَّةِ الْمَوْتِ الْيَرَاعَا وَجَدْتُ جَلَالَ مَنْطِقِهِ ، فَرَاعَا
كَفَى بِالْمَوْتِ لِلنُّذْرِ ارْتِجَالًا وَلِلْعَبْرَاتِ وَالْعِبَرِ اخْتِرَاعَا
حَكِيمٌ صَامْتُ فَضَحَ اللَّيَالِي وَمَزَّقَ عَنْ خَنَا الدُّنْيَا الْقِنَاعَا
إِذَا حَضَرَ النُّفُوسَ فَلَا نَعِيمًا تَرَى حَوْلَ الْحَيَاةِ وَلَا مَتَاعَا
كَشَفْتُ بِهِ الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْهَا وَلَمُنْحَةً مَائِهَا إِلَّا خِدَاعَا
وَمَا الْجِرَاحُ بِالْآسَى الْمَرْجَى إِذَا لَمْ يَقْتُلِ الْجُثَّةَ أَطْلَاعَا (١)
فَإِنْ تَقُلْ الرُّثَاءَ فَقُلْ دُمُوعًا يُصَاغُ بِهِنَّ ، أَوْ حِكْمًا تُرَاعَى
وَلَا نَكُ مِثْلَ نَادِيَةِ الْمُسْجَى بَكَتْ كَسْبًا ، وَلَمْ تَبْكِ الْتِيَاعَا (٢)
خَلَّتْ دُولُ الزَّمَانِ وَزُلْنَ رُكْنًا وَرَكْنُ الْأَرْضِ بَاقٍ ، مَا تَدَاعَى (٣)
كَأَنَّ الْأَرْضَ لَمْ تَشْهَدْ لِقَاءَ تَكَادُ لَهُ تَمِيدُ ، وَلَا وَدَاعَا
وَلَوْ آبَتْ ثَوَاكِلُ كُلِّ قَرْنٍ وَجَدَنَّ الشَّمْسَ لَمْ تَتَّكِلْ شُعَاعَا
وَلَكِنْ تُضْرَبُ الْأَمْثَالُ رُشْدًا وَمِنْهَا جَاءَ لِمَنْ شَاءَ اتِّبَاعَا
وَرُبَّ حَدِيثٍ خَيْرٍ هَاجَ خَيْرًا وَذَكَرٍ شَجَاعَةٍ بَعَثَ الشُّجَاعَا

* * *

(معارف) مصر كان لهن ركنٌ فذُقْنَ اليومَ للركنِ انصِداعا
مضى أعلى الرجالِ لها يمينًا وأرحبُهم بحلَّتِها ذِراعا

(*) عاطف بركات باشا : أحد رجالات مصر المقدمين ، واحد نوابغ جيله المسلمين ، ترقى الى منصب وكيل وزارة المعارف ، وقد توفي سنة ١٩٣٥ .
١ - يقال : قتل الأمر اطلعا ، اذا بحثه طويلا . والآسى : الطبيب .
٢ - المسجى : الميت . والالتياح : شدة الحزن - ٣ - تداعى الركن : اى سقط متهدما .

وأكثرهم لها وقفاتِ صدقٍ إياها في الحوادثِ أو زماها
أنته فذالها نفلاً وفيتاً فلا هبة أنته ولا اصطناعاً (١)
ننقل يافعاً فيها وكهلاً ومن أسبابها بلغ اليقاعا
فتى عجمته أحداثُ الليالي فلا ذلاً رأيين ، ولا اختيضا
سجنٌ مُهنداً ، ونفيعن تيسراً وزدن المسك من ضغطِ فضاء (٢)
شديدٌ صلبٌ في الحق حتى يقول الحق : ليناً واتداعاً (٣)
ومدرسةٍ سمّت بالعلم ركناً وأنهضت القضاء والاشترعا (٤)
بناها محسناً بالعلم براً يشيد له المعالم والرباعا (٥)
وحاربَ دونها صرعى قديم كائن بهم عن الزمن انقطاعا
إذا لمح الجديد لهم تولوا كذى رمده على الضوء امتناعا

* * *

أخا «سيشيل» ، لاتذكرُ بحاراً بعدن على المزار ولا بقاعاً (٦)
وربك ما وراء نواك بعد وأنت بظاهر الفسطاط قاعاً (٧)

١- النفل : مفرد الأنفال : يعنى العطايا المكتسبة من الفىء . والفىء :
الغنيمة . والاصطناع . هو ما يعبر عنه في زماننا بالمحسوبية -٢- ضاع
المسك والطيب : سطر عطره . لما قال : « فتى عجمته أحداث الليالي » شرح
كيف كان ذلك ، فأخبر أنه سجن فكان أشبه بالمند ، ونفى فكان مثل التبر ،
وحين اشتدت أحداث الليالي ضغطاً ، كان الفقيد أشبه بالمسك الذى يسحق
فيزيد أرجا وطيباً -٣- صلب « باللام المنسدة » : أى كثير الصلابة .
والاتداع : من الوداعة ، وهى رقة الخلق -٤- يشير بهذا البيت الى أن الفقيد
كان هو أول قيم على مدرسة القضاء الشرعى ، وقد أنشئت تلك المدرسة
لتخريج القضاة الشرعيين ، ولم يستغن عنها الا بعد اصلاح الازهر والاكتفاء
بأبنائه -٥- الرباع : جمع ربع : الدار -٦- سيشيل ، إحدى جزر الهند
النانية ، نفى اليها الفقيد ، حين اهتمته السلطات الانجليزية بالتحريض
السياسى في ثورة مصر الكبرى -٧- الفسطاط : مدينة مصر . وظاهر
الفسطاط : أى ضاحتها . والقاع فى الأصل : هو المنخفض من الارض ،
ويريد به هنا موضع القبر حيث دفن الفقيد .

نزلتْ بِعَالَمٍ خَرَقَ الْقَضَايَا وَأَصْبَحَ فِيهِ نَظْمُ الدَّهْرِ ضَاعَا
فَخَلَّ الْأَرْبَعِينَ لِحَافِلِيهَا وَقُمْتَ تَجِدُ الْقُرُونَ مَرْدُونَ سَاعَا (١)

* * *

مَرِضَتْ فَمَا أَلَحَّ الدَّاءُ إِلَّا عَلَى نَفْسٍ تَوَدَّتْ الصُّرَاعَا
وَلَمْ يَكْ غَيْرَ حَادِثَةٍ أَصَابَتْ مُفْلِلَ كُلِّ حَادِثَةٍ قِرَاعَا (٢)
وَمَنْ يَتَجَرَّعُ الْآلَامَ حَيًّا تَسُفُّ عِنْدَ الْمَمَاتِ لَهُ أَجْتِرَاعَا
أَرْقَتْ . وَكَيْفَ يُعْطَى الْغَمَضُ جَفْنُ

تَسْلُ وَرَاءَهُ الْقَلْبَ الرُّوَاعَا؟ (٣)

وَلَمْ يَهْدَأْ وَسَادُكَ فِي الدِّيَالِي لَعَلَمَكَ أَنَّ سَتَفْنِيهَا أَضْطَجَاعَا
عَجِبتُ لِشَارِحِ سَبَبِ الْمَنَايَا يُسَمَّى الدَّاءُ وَالْعِلَلُ الْوَجَاعَا
وَلَمْ تَكُنِ الْحَتُوفُ مَحَلَّ شَكٍّ وَلَا الْآجَالُ تَحْتَمِلُ النِّزَاعَا
وَلَكِنْ صَيْدٌ وَلَهَا بُزَاةٌ تَرَى (السَّرَطَانَ) مِنْهَا وَالصُّدَاعَا (٤)
أَرَى التَّعْلِيمَ لَمَّا زَلَتْ عَنْهُ ضَعِيفَ الرِّكْنِ ، مَخْذُولًا ، مُضْبَاعَا
غَرِيقٌ حَاولَتْ يَدُهُ شِرَاعَا فَلَمَّا أَوْشَكَتْ فَقَدَ الشُّرَاعَا
سَرَاةُ الْقَوْمِ مُنْصَرَفُونَ عَنْهُ وَصُحُفُ الْقَوْمِ تَقْتَضِبُ الدِّفَاعَا (٥)
لَقَدْ نَسَاهُ يَوْمُكَ نَاصِبَاتٍ مِنْ السَّنَوَاتِ قَاسَاهَا تِبَاعَا (٦)
قُمْ ابْنِ الْأُمَمَاتِ عَلَى أُسَاسٍ وَلَا تَبْنِ الْحِصُونَ وَلَا الْقِلَاعَا

١- الأربعين في هذا البيت ، مقصود بها الأيام التي مضت على وفاته ،
أو السر التي توفى فيها . والساعا : جمع ساعة ٢- القراع : نوع من الحرب
والمغالبة ٣- الرواع : من قولهم : ناقة رواع الفؤاد ، بضم الراء وفتح
الواو ، أى شهمة زكية ٤- البزاة : جمع بازى ، وهو ضرب من الصقور .
٥- سراة القوم : سادتهم . والأقتضاب : بمعنى القطع أو الإيجاز والاختصار
٦- ناصبات ، من قولهم : عيش ناصب ، أى فيه كد وجهد . وتبعا : أى
متابعة .

فَهُنْ يَلِدُنْ لِلْقَصْبِ الْمَذَاكِي وَهُنْ يَلِدُنْ لِلْغَابِ السُّبَاعَا (١)
وَجَدْتُ مَعَانِيَ الْأَخْلَاقِ شَتَّى جُمِعْنَ فَكُنَّ فِي اللَّفْظِ الرِّضَاعَا
عَزَاءُ الصَّابِرِينَ (أَبَا بَهِي) وَمِثْلُكَ مَنْ أَنَابَ وَمَنْ أَطَاعَا (٢)
صَبِرْتَ عَلَى الْحَوَادِثِ حِينَ جَلَّتْ وَحِينَ الصَّبْرُ لِمَيْكَ مُسْتَطَاعَا
وَلِإِنْ النَّفْسُ تَهْدَأُ بَعْدَ حِينٍ إِذَا لَمْ تَلَقَ بِالْجَزَعِ انْتِفَاعَا
إِذَا اخْتَلَفَ الزَّمَانُ عَلَى حَزِينٍ مَضَى بِالْذَمِّعِ ، ثُمَّ مَجَا الدُّمَاعَا
قُصَارَى الْفَرَقْدَيْنِ إِلَى قَضَاءِ إِذَا عَثَرَ بِهِ أَنْفَصَمَا اجْتِمَاعَا
وَلَمْ تَخَوْ كِنَانَةَ آلِ سَعْدٍ أَشَدَّ عَلَى الْعِدَا مِنْكُمْ نِبَاعَا (٣)
وَلَمْ تَحِيلْ كَشِيخُكُمْ الْمُفْدَى نُهُوضًا بِالْأَمَانَةِ وَاضْطِلَاعَا
غَدًا أَفْضَلَ الْخِطَابِ ، فَمَنْ يَشِيرِي بِأَنَّ الْحَقَّ قَدْ غَلَبَ الطَّمَاعَا ؟
سَلُّوا أَهْلَ الْكِنَانَةِ : هَلْ تَدَاعَوْا ؟ فَإِنَّ الْخَصْمَ بَعْدَ غَدٍ تَدَاعَى
وَمَا (سَعْدُ) بِمُتَجَرِّ إِذَا مَا تَعَرَّضْتَ الْحَقُوقُ شَرَى وَبَاعَا
وَلَكِنْ تَحْتَمِي الْأَمَالُ فِيهِ وَتَدْرِغُ الْحَقُوقُ بِهِ ادْرَاعَا (٤)
إِذَا نَظَرْتَ قُلُوبَكُمْ إِلَيْهِ عِلَا لِلْحَادِثَاتِ وَطَالَ بَاعَا (٥)

١ - المذاكي : الخيل التي كملت قوتها . والقصب : هو الخط الذي يتراهن عليه المتسابقون - ٢ - أبا بهي : ينادى بهذه الكنية فتح الله بركات باشا شقيق الفقيد . وأناب : رجع إلى الله - ٣ - النباع : جمع نبع ، وهو شجر القسي والسهم ، ينبت في قمة الجبال . آل سعد : آل زغلول باشا أخوال الفقيد - ٤ - تدرع الحقوق به : أي تجعل منه درعا لها . والدرع : ثوب حديد يلبسه المحارب ليحتمى به من السيوف وأشباهاها - ٥ - طال باعا : أي طال شأوا وعظم قوة .

المويلحي (*)

كاتبٌ مُحَسِّنُ البَيَانِ صَنَاعُهُ اسْتَخَفَّ الْعُقُولَ حِيناً يَرَاغُهُ (١)
إِبْنُ مِصْرٍ ، وَإِنَّمَا كُلُّ أَرْضٍ تَنْطِقُ الضَّادَ مَهْدُهُ وَرِبَاعُهُ (٢)
إِنَّمَا الشَّرْقُ مَنْزِلٌ لَمْ يُفَرِّقْ أَهْلَهُ إِنْ تَفَرَّقَتْ أَصْقَاعُهُ (٣)
وَطَنٌ وَاحِدٌ عَلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ حَى ، وَفِي الدَّمْعِ وَالْجِرَاحِ اجْتِمَاعُهُ
عِلْمٌ فِي الْبَيَانِ ، وَإِبْنُ لَوَاءٍ أَخَذَ الشَّرْقَ حِقْبَةً لِبِدَاعِهِ
حَسْبُهُ السَّحَرُ مِنْ تَرَاثِ أَبِيهِ إِنْ تَوَلَّتْ قُصُورُهُ وَضِيَاعُهُ (٤)
إِنَّمَا السَّحَرُ وَالبَلَاغَةُ وَالْحِكْمُ مَتْنٌ بَيِّنٌ ، كِلَاهُمَا مِصْرَاعُهُ

* * *

فِي يَدِ النَّشْرِ مِنْ بَيَانِ (المويلحي) مِثْلُ يَنْفَعِ الشَّبَابَ اتِّبَاعُهُ
صُورٌ مِنْ حَقِيقَةٍ وَخِيَالٍ هِيَ إِحْسَانُ فِكْرِهِ وَابْتِدَاعُهُ
رُبُّ سَجْعٍ كَمُرْقِصِ الشَّعْرِ لَمَّا يَخْتَلِفُ لَحْنُهُ وَلَا إِيقَاعُهُ
أَوْ كَسَجْعِ الْحَمَامِ لَوْ فَصَّلْتُهُ وَتَأَنَّتْ بِهِ ، وَدَقَّ اخْتِرَاعُهُ
هُوَ فِيهِ بَدِيعُ كُلِّ زَمَانٍ مَا بَدِيعُ الزَّمَانِ؟ مَا أَسْجَاعُهُ؟ (٥)

* * *

(*) هو الكاتب الكبير محمد المويلحي المتوفى سنة ١٩٣٠ ، وقد القيت هذه القصيدة في حفلة تأبينه .

١- يقال : يد صناع ، أى ماهرة حاذقة ، وبيان صناع أيضا -٢- رباع : جمع ربيع ، وهو الدار -٣- اصقاعه ، جمع صقع بضم الصاد : الناحية .
٤- تولت القصور : أى ذهبت . والضياح : جمع ضيعة ، وهى العقار والارض المغلة -٥- بديع الزمان : هو الهمداني صاحب المقامات المشهورة

- ١٠٢ -

عجيبَ الناس من طباعِ المويلحيُّ ، وفي الأُسْدِ خُلُقُه وطِباعه
فيه كثيرُ اللُّيُوثِ حتى على العِجْو ع ، وفيها إِبَاؤُه وامْتِناعه
نعب الموتُ في صَبُورٍ على النَز ع ، قليلٌ إلى الحِياةِ نِزاعه (١)
صارع العيشِ حِقْبَةً ، لَيْتَ شعري ساعةَ الموتِ كيف كان صِراعُه؟
قهرَ الموتَ والحِياةَ ، وقد تحد كمُ في رائضِ السُّباعِ سِباعه
مُهْجَةً حرَّةً ، ونُحْلِقُ أبى عى عنه الزمانُ وارتدَّ باعه

* * *

في الثمانين - يا (محمد) - عِلْمٌ لِعِليمٍ ، وإن تَنَاهَى اِطِّلاعُه (٢)
لِمَ تَقَاعَدْتَ دُونِها وتَوَانَى سائقُ الفُلُكِ ، واضمحَلَّ شِراعُه؟
وَبْ شَيْبٍ بَنَتْ صُروحَ المعالي سَنَتاه ، وشادت المجدَّ ساعه
فيه من هِمَّةِ الشِّبابِ ، ولكن ليس فيه جِماحُه واندفاعه

* * *

سَيِّدُ المنشئين حَثَّ المطايا ومضى في غُبارِه أَتباعه
حَطَّهم (بالإمام) للموتِ رَكْبٌ يَتَلاقى بِرِطاؤُه وسِراعُه
قَنَعُوا بالترابِ وجهاً كَرِيماً كان من رُقْعَةِ الحِياةِ قِناعه
كَسَنّا الفجرِ في ظلالِ الغواصِ كَرَمٌ صَفْحَتاه ، هَدَى شُناعه

١- النزاع للميت : ساعات احتضاره . يقول انه مع زهده في الحياة
فقد طال زمن احتضاره ، ولا يكون هذا الا من قوة الحيوية التي تستطيع
مغالبة الموت -٢- في الثمانين : يقصد ثمانين عاما .

— ١٠٣ —

يا زحيدا كأمس في كسر بيت ضيق بالنزيلي ، رجب ذراع (١)
كل بيت تحله يستوى عند ———— ندك في الزهد ضيقه واتساعه
نم ملياً ؛ فلست أول له ، بفلاة (الإمام) طال اضطجاعه (٢)
حولك الصالحون ، طابوا وطابت أكمات (الإمام) منهم وقاعه (٣)
قلدوا الشرق من جمال وخير ما يثود المفندين انتزاعه (٤)
أسست نهضة البناء بقومه وبقوم سما وطال ارتفاعه
كل حى — وإن تراخت منايا هـ — قضاء عن الحياة انقطاعه
والذى تحرص النفوس عليه عالم باطل قليل متاعه

١ — كسر البيت — بكسر الكاف وفتحها : جابسه — ٢ — فلاة الامام :
صحراء الامام الشافعى ، حيث مدفن الفقيد — ٣ — اكمات : جمع اكمة :
المرتفع من الارض . والقاع : المنخفض منها — ٤ — يثود : بمعنى يثقل
ويتعب : والمفندين : المكذبين .

اسماعيل باشا صبرى (*)

أَجَلٌ وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ مُوَافٍ أَخْلَى يَدَيْكَ مِنَ الْخَلِيلِ الْوَافِي
دَاعٍ إِلَى حَقِّ أَهَابَ بِخَاشِعٍ لِبَسِ النَّذِيرَ عَلَى هُدًى وَعُفَافٍ (١)
ذَهَبَ الشَّبَابُ ، فَلَمْ يَكُنْ رُزْنِي بِهِ دُونَ الْمَصَابِ بِصَفْوَةِ الْأَلْفِ
جَلَّ مِنْ الْأَرْزَاءِ فِي أَمْثَالِهِ هِمَمُ الْعِزَاءِ قَلِيلَةُ الْإِسْعَافِ
خَفَّتْ لَهُ الْعَبْرَاتُ ، وَهِيَ أَيْبَةُ فِي حَادِثَاتِ الدَّهْرِ ، غَيْرُ خِفَافِ
وَلِكُلِّ مَا أَتَلَفْتَ مِنْ مُسْتَكْرَمٍ إِلَّا مَوَدَاتِ الرِّجَالِ تَلَافٍ (٢)
مَا أَنْتَ يَا دُنْيَا ؟ أَرْوِيَا نَائِمٍ أَمْ لَيْلُ عُرْسٍ ، أَمْ بَسَاطُ سُلَافٍ ؟
نَعْمَاؤُكَ الرِّيحَانُ ، إِلَّا أَنَّهُ مَسَّتْ حَوَاشِيهِ نَقِيعَ زُعَافٍ (٣)
مَا زِلْتُ أَصْحَبُ فَيْكَ خُلُقًا ثَابِتًا حَتَّى ظَفِيرْتُ بِخُلُقِكَ الْمُتَنَافِ

* * *

ذَهَبَ الذَّبِيحُ السَّمْحُ مِثْلَ سَمِيهِ طُهِرَ الْمُكَفَّنِ ، طَيَّبَ الْأَلْفَافِ (٤)
كَمْ بَاتَ يَذْبَحُ صَدْرُهُ لَشَكَاتِهِ أَتْرَاهُ يَحْسِبُهَا مِنَ الْأَضْيَافِ ؟ (٥)

(*) اسماعيل باشا صبرى : أحد الشعراء السابقين الفحول ، وكان يلقب بشيخ الشعراء ، وكان أحد رجال الدولة في عصره ، فقد تسنم أعلى المناصب القضائية ، وترقى الى منصب وكيل وزارة الحقانية ، ثم وافاه الموت سنة ١٩٢٣ .

١- النذير : الموت - ٢- المستكرم : هو كل كريم عليك من مال ونحوه
٣- نقيع زعاف : أى سم ناجع بالغ - ٤- يشبه الفقيد بالذبيح ، والذبيح فيل : سيدنا اسحاق ، والمراد هنا سيده اسماعيل ، ومن أجل ذلك صار الفقيد سمياً له . والألفاف : يتصد بها الكفن ، يريد انه ذهب طيب المظهر والمخير - ٥- الشكاة : هى العلة التى يشكوها المريض .

نَزَلْتُ عَلَى سَحَرِ السَّمَاحِ وَنَحْرِهِ وَتَقَلَّبْتُ فِي أَكْرَمِ الْأَكْذَافِ (١)
لَجَجْتُ عَلَى الصُّدْرِ الرَّحِيبِ وَبَرَّخْتُ

بالكاظم الغيظ ، الصفوح ، العافى
ما كَانَ أَقْسَى قَلْبَهَا مِنْ عِلَّةٍ عَلِقْتُ بِأَرْحَمِ حَيَّةٍ وَشَغَافِ (٢)
قَلْبٌ لَوْ انْتَضَمَ الْقُلُوبَ حَزَانُهُ لَمْ يَبْقَ قَاسٍ فِي الْجَوَانِحِ جَافٍ
حَتَّى رَمَاهُ بِالْمَنِيَّةِ فَانْجَلَتْ مَنْ يَبْتَلَى بِقَضَائِهِ وَيُعَافَى
أَخْنَتُ عَلَى الْفَلَاحِ الْمُدَارِ فَلَمْ يَدُرْ وَعَلَى الثُّبَابِ فَقَرٌّ فِي الرَّجَافِ (٣)
وَمَضَتْ بِنَارِ الْعَبْقَرِيَّةِ ، لَمْ تَدَعْ غَيْرَ الرَّمَادِ ، وَدَارَسَاتِ الْأَثَافِ (٤)
حَمَلُوا عَلَى الْأَكْثَافِ نُورَ جَلَالِهِ يَذَرُ الْعَيُونَ حَوَاسِدَ الْأَكْثَافِ
وَتَقَلَّدُوا النِّعْشَ الْكَرِيمَ يَتِيمَةً وَلَكُمْ نَعُوشٌ فِي الرِّقَابِ زِيَاةٍ
مُتَمَايِلَ الْأَعْوَادِ تَمَّا مَسَّ مِنْ كَرَمٍ ، وَمَا ضَمَّ مِنْ أَعْطَافِ
وَلِذَا جَلَالُ الْمَوْتِ وَافٍ سَابِغٌ وَلِذَا جَلَالُ الْعَبْقَرِيَّةِ ضَافٍ
وَيُنَحِّ الشَّبَابِ وَقَدْ تَخَطَّرَ بَيْنَهُمُ هَلْ مُتَّعُوا بِتَمَسُّحٍ وَطَوَافٍ ؟
لَوْ عَاشَ قَدُوتُهُمْ وَرَبُّ «لِوَاثِهِمْ» نَكَّسَ «اللَّوَاءَ» لِثَابِتٍ وَقَافٍ (٥)
فَلَكُمْ سَقَاهُ الْوَدَّ حِينَ وِدَادِهِ حَرْبٌ لِأَهْلِ الْحُكْمِ وَالْإِشْرَافِ
لَا يَوْمَ لِلْأَقْوَامِ حَتَّى يَنْهَضُوا بِقَوَادِمٍ مِنْ أَمْسِهِمْ وَخَوَافِ (٦)

* * *

١- السحر : الرنة . والنحر : أعلى الصدر . والاكثاف : جمع كنف ، وهو الجانب -٢- يريد بقوله «أرحم حبة» : القلب . والشغاف (بالفتح) : غلاف القلب -٣- العباب : هو الموج . والرجاف : البحر -٤- الأثافي : جمع أنفية ، وهي ما يوضع عليه القدر -٥- رب لوائهم : يقصد به صاحب جريدة اللواء ، ومنشئها زعيم الشباب الأول المرحوم مصطفى كامل باشا -٦- القوادم والخوافي : ريش في جناح الطائر . وقد ورد في قول بعضهم :
* فان الخوافي قوة للقوادم *

— ١٠٦ —

لا يُعْجِبُكَ مَا تَرَى مِنْ قُبَّةٍ ضَرَبُوا عَلَى مَوْتَاهُمْ ، وَطِرَافِ (١)
هَجَمُوا عَلَى الْحَقِّ الْمَيِّنِ بِبَاطِلٍ وَعَلَى سَبِيلِ الْقَصْدِ بِالْإِسْرَافِ (٢)
يَبْنُونَ دَارَ اللَّهِ كَيْفَ بَدَأَ لَهُمْ غُرُفَاتٍ مُثَرٍّ ، أَوْ سَقِيفَةً عَافِ (٣)
وَيُزَوِّرُونَ قُبُورَهُمْ كَقُصُورِهِمْ وَالْأَرْضُ تَضْحَكُ وَالرُّفَاتُ السَافِ

* * *

فُجِعَتْ رُبَى الْوَادِى بِوَاحِدِ أَيْكِهَا وَتَجَرَّعَتْ تُكُلَ الْغَدِيرِ الصَّافِ
فَقَدْتُ بَنَانًا كَالرَّبِيعِ ، مُجِيدَةً وَشَى الرِّيَاضِ وَصَنَعَةَ الْأَفْوَافِ (٤)
إِنْ فَاتَهُ نَسَبُ «الرَّضِىِّ» فَرُبَّمَا جَرَّيَا لَغَايَةِ سُودَدٍ وَطِرَافِ (٥)
أَوْ كَانَ دُونَ أَبِي «الرَّضِىِّ» أَبُوةً فَلَقَدْ أَعَادَ بَيَانَ «عَبْدِ مَنْفٍ»
شَرَفُ الْعَصَامِيِّينَ صُنْعُ نَفُوسِهِمْ مَنْ ذَا يَقْيِسُ بِهِمْ بَنَى الْأَشْرَافِ ؟
قُلْ لِلْمَشِيرِ إِلَى أَبِيهِ وَجَدِهِ أَعْلِمْتَ لِلْقَمَرَيْنِ مِنْ أَسْلَافِ ؟
لَوْ أَنَّ (عِمْرَانًا) نِجَارُكَ لَمْ تَسُدْ حَتَّى يُشَارَ إِلَيْكَ فِي الْأَعْرَافِ (٦)

* * *

١- طراف - على وزن كتاب : بيت من أدم ، ويقصد بها المقاصير
الموضوعة على بعض القبور - ٢- القصد : الاعتدال ، وهو فى كل شيء ضد
الاسراف - ٣- العاق : الفقير - ٤- الأفواف : الثياب الرقيقة - ٥- الطراف :
هنا من قولهم : توارثوا المجد طرفا ، أى عن شرف ورفعة . والرضى :
هو الشريف الرضى الشاعر المشهور - ٦- عمران : أبو موسى عليه السلام ،
وقد نزلت فى القرآن المجيد سورة باسم آل عمران ، كما نزلت سورة باسم
الأعراف .

قاضى القضاة جَرَتْ عليه قضيةٌ ، للموتِ ، ليس لها من استئناف
ومُصَرَّفُ الأحكامِ مَوَكَّولٌ إلى حُكْمِ المنيةِ ، ماله من كافٍ
ومُنَادِمُ الأملاكِ تحت قِيَابِهِم أَمْسَى تُنَادِمُهُ ذُنَابُ فَيَافِي (١)
في منزلٍ دارت على الصَّيْدِ العُلا فيه الرَّحَى ومشت على الأرْدافِ (٢)
وأزِيلَ من حُسْنِ الوجوهِ وعِزِّها ما كان يُعبد من وراءِ سِجَافِ (٣)
من كلِّ لَمَّاحِ النعيمِ تَقَلَّبَتْ دِيْباجَتَاهُ على بِلَى وجَفَافِ
وترى الجمَاجِمَ في الترابِ تماثلتْ بعدَ العقولِ تماثُلَ الأَصْدافِ
وترى العيونَ التماثِلاتِ بنظرةٍ مَنهوبةٍ الأَجْفَانِ والأسيافِ (٤)
وتُراغُ من ضَحِكِ الثُّغُورِ ، وطالما فَتَنَتْ بِحُلُوِّ تَبَسُّمٍ وَهْتافِ
غَزَتِ القرونَ الذاهِبِينَ غِزَالُهُ دُمُهُم بِذِمَّةِ قَرْنِهَا الرِّعَافِ (٥)
يَجْرَى القضاءُ بها ، ويجرى الدهرُ عن

يَدِهَا ، فَيَا لثَلَاثَةِ أَحْلَافِ !
ترمى البريةَ بالجُبُولِ ، وتارةً بحبائِلٍ من خَيْطِهَا وكِفَافِ (٦)
نَسَجَتْ ثَلَاثَ عَمَائِمٍ ، واستحدثتْ أَكْفَانَ مَوْتٍ من ثِيَابِ زَفَافِ (٧)

* * *

١- الأملاك : الملوك . والفيافي : الصحارى - ٢- الصيد العُلا : الملوك .
والأرداف : أبناء الملوك ، أو الذين يلونهم في المرتبة - ٣- السجاف : الستر ،
كالكلل ونحوها - ٤- يريد « بأسياف العيون » : اللحاظ ، وكثيرا ما تعمل
اللحاظ في الناس عمل السيوف ، وعبر بالأسياف ليجانس بينها وبين
الأجفان - ٥- غزالة : هى الشمس . والرِعاَف : أى قرنُها الأحمر الذى يشبه
الدم - ٦- الكفاف : حبائل الصائد - ٧- ثلاث عَمَائِمٍ : الشعر الأسود :
والأسود فيه شيب . والأبيض ، أى أَدْوَارِ العمر الثلاثة .

وَأَبَا الْحُسَيْنِ ، تَحِيَّةً لِثَرَاكَ مِنْ رُوحِ وَرِيحَانٍ وَعَذْبِ نِطَافِ
وَسَلَامٍ أَهْلِي وَكُلِّهِ وَصَحَابَةِ حَسْرَى عَلَى تِلْكَ الْخِلَالِ لِهَافِ
هَلْ فِي يَدَيَّ سِوَى قَرِيضِ خَالِدٍ أَرْجِيهِ بَيْنَ يَدَيْكَ لِلِإِتْحَافِ؟
مَا كَانَ أَكْرَمَهُ عَلَيْكَ ! فَهَلْ تَرَى أَنَّى بَعَثْتُ بِأَكْرَمِ الْأَلْطَافِ؟
هَذَا هُوَ الرِّيحَانُ ، إِلَّا أَنَّهُ نَفْحَاتُ تِلْكَ الرُّوضَةِ الْمِثْنُافِ (١)
وَالدُّرُّ ، إِلَّا أَنْ مَهْدَ يَتِيمِهِ بِالْأَمْسِ لُجَّةٌ بِحَرِّكَ الْقَذَافِ
أَيَّامَ أَمْرَحُ فِي غُبَارِكَ نَاشِئًا نَهْجَ الْعِهَارِ عَلَى غُبَارِ «خِصَافِ» (٢)
أَتَعْلَمُ الْغَايَاتِ كَيْفَ تُرَامُ فِي مِضْمَارِ فَضْلٍ أَوْ مَجَالِ قَوَافِ

* * *

يَا رَاكِبَ الْحَدَبَاءِ ، خُلِّ زِمَامُهَا لَيْسَ السَّبِيلُ عَلَى الدَّلِيلِ بِخَافِ
دَانَ الْمُطَى النَّاسُ ، غَيْرَ مُطِيَّةٍ لِلْحَقِّ ، لَا عَجَلِي ، وَلَا مِيجَافِ (٣)
لَا فِي الْجِيَادِ ، وَلَا النِّيَاقِ ، وَلِنَمَّا خُلِقْتُ بِغَيْرِ حَوَافِرٍ وَخِيفَافِ
تَنْتَابُ بِالرَّكْبَانِ مَنْزِلَةَ الْهَدَى وَتَوُومُ دَارَ الْحَقِّ وَالْإِنْصَافِ
قَدْ بَلَغَتْ رَبُّ الْمَدَائِنِ ، وَانْتَهَتْ حَيْثُ انْتَهَيْتُ بِصَاحِبِ الْأَحْقَافِ (٤)

* * *

نَمِّ مِلءَ جَفَنِكَ ، فَالْغُدُوُّ غَوَافِلُ عَمَّا يَرَوُعُكَ ، وَالْعَشِيُّ غَوَافِ
فِي مَضْجَعِ يَكْفِيكَ مِنْ حَسَنَاتِهِ أَنْ لَيْسَ جَنْبُكَ عَنْهُ بِالْمَتَجَافِ

١ - الروضة المثناة والائف : هي التي تحمي فلا يكاد أحد يمر بها أو يجتني منها - ٢ - المهار : جمع مهر ، وخصاف : فرس مشهور في العرب .
٣ - الميجاف : السريعة - ٤ - رب المدائن : كسرى . وصاحب الاحقاف : عاد .

واضحك من الأقدار غير معجزٍ فاليوم لست لها من الأهداف
والموت كنت تخافه بك ظافراً حتى ظفرت به ، فدعه كفاف
قل لي بسابقة الوداد : أقاتلُ هو حين ينزل بالفتى ، أم شافى ؟
في الأرض من أبويك كنزاً رحمةً وهوى ، وذلك من جوار كفاف
وبها شبابك واللذات ، بكيته وبكيتهم بالدمع الذراف
فاذهب كمصباح السماء ، كلا كما مال النهار به ، وليس بطلائ
الشمس تخلف بالنجوم ، وأنت بالـ
آثار ، والأنخبار ، والأوصاف
غلب الحياة فتى يسد مكانها بالذكر ، فهو لها بديل وافي

—————

فوزى الغزى (*)

جرح على جرحٍ احْتَنَانَكِ (جَلَّقُ) حُمِلْتُ مَا يُوهِي الجِبَالَ وَيُزْهِقُ (١)
صبراً لباة الشرق ؛ كلُّ مصيبةٍ تبلى على الصبر الجميل وتخلق (٢)
أنسيت نار الباطشين ، وهزّة عَرَتِ الزمان ، كأن (روما) تُحَرِّقُ (٣)
رعناء أرسلها ودرس شواظها فى حجرِ التاريخ أرعنُ أحرق (٤)
فمشت تُحطّم باليمين ذخيرةً وتلصّ أخرى بالشمال وتَسْرِقُ ؟
جُنّت ، فضعفها ، وراضٍ جَمَاحُهَا من نُشْثِكِ الحُمسِ الجنون المُطْبِق
لَقِيَ الحديدُ حَمِيَّةً أُمَوِيَّةً لا تكتسى ضداً ، ولا هى تُطْرُق
بِأَوَاضَعِ الدُّسُورِ أَمِيسَ كَخُلُقِهِ ما فيه من عِوَجٍ ، ولا هو ضَيِّقُ
نظّم من الشورى ، وحكمٌ راشدٌ أدبُ الحضارةِ فيهما والمنطقُ
لا تَخْشَ نِما أَلْهَمَ بِكِتَابِهِ يَبْقَى الكِتَابُ وليس يَبْقَى المُلْحَنُ
مَيِّتَ الجلال ، من القوافى زُفْرَةٌ تجرى ، ومنها عِبْرَةٌ تترقرقُ
ولقد بَعَثُهما إِلَيْكَ قَصِيدَةٌ أَفَأَنْتَ مُنْتَظَرٌ كَعَهْدِكَ شَيْقُ ؟
أَبكى لِيَالِينَا القِصَارَ وَصَحْبَةً أَخَذَتْ مُخِيلَتُهَا تَجِيشَ وَتَبْرِقُ (٥)

(*) فوزى الغزى : هو أحد سُرّة الزعماء فى الشام . واحد الولية الثورة العربية فى بهضتها العظمى ، توفى وأقيمت له حفلة تأبين فى دمشق ، وألقيت فيها هذه القصيدة العصماء فى سنة ١٩٢٠ .

١- جلق (يشدّ اللام مفتوحة او مكسورة) : دمشق - ٢- البلاة : أنثى الاسد - ٣- يشير الى ضرب الفرنسيين لها بالدافع . وحادثة حرق روما : هى احدى الحوادث التاريخية الكبرى ، وهى مضرب المثل منذ صار نيرون مثلاً للظلم والجبروت - ٤- الشواظ (بضم الشين وكسر ها) : لهب لا دخان فيه - ٥- السحابة المخيلة : التى تحسب ماطرة ، أى ان صحبة الفتيد كانت مرجوة الخير كما تكون السحابة المخيلة مرجوة المطر .

لا أذكرُ الدنيا إليك ؛ فربّما كره الحديثَ عن الأجاجِ المَغْرَقِ (١)
طُبعتُ من السّمِّ الحياةُ ، طعامُها وشرابُها ، وهوؤها المتنشّقُ
والناسُ بينَ بطيئِها وذُعافِها لا يعلمونَ بآئِ سَمِّها سُقُوا (٢)
أما الوليُّ فقد سقاكَ بِسمِهِ ما ليسَ بِسقيكَ العدوُّ الأزرقُ (٣)
طلبوكَ والأجلُ الوَشِيكَ يُحَثُّهم ولكلِّ نفسٍ مُدَّةٌ لا تُسَبِّقُ
لما أعانَ الموتُ كَيْدَ حِبَالِهم عَلِقَتْ ، وأسبابُ المنيَةِ تَعَلَّقُ
طَرَقَتْ مِهَادَكَ حَيَّةٌ بِشَرِيَّةٍ كَفَرَتْ بما تَنْتَابُ منه وتَطْرُقُ (٤)

* * *

يا (فوز) ، تلكَ دَمَشِقُ خَلْفَ سَوَادِها ترى مَكَانَكَ بالعيونِ وتَرْمُقُ (٥)
ذَكَرْتَ لِيَالِيَ بَدْرِها ، فَتَلَفَّتَتْ فَعَسَاكَ تَطْلُعُ ، أو لَعَلَّكَ تُشْرِقُ
(برَدَى) وراءَ ضِفافِهِ مُسْتَعْبِرٌ والْحَوْرُ مَحْلُولُ الضَّفائِرِ مُطْرِقُ (٦)
والطيرُ في جَنَابَاتِ (دُمَرٍ) نُوحٌ يَجِدُ الهمومَ خَلِيَّهِنَّ وَيَأْرَقُ (٧)
ويقولُ كلُّ مُحَدِّثٍ لسميره أَبْذَاتِ طَوْنِي بَعْدَ ذَلِكَ يُوثِقُ؟ (٨)

* * *

١- الأجاج : الملح المر - ٢- الدعاف . سم الساعة - ٣- العدو الأزرق :
هو الكثير العداوة - ٤- المهاد : الفراش ، وفي هذا البيت إشارة الى حادثة
قتل الفقيده بواسطة زوجته - ٥- سواد دمشق : أى القرى التابعة لها .
٦ - بردى : نهر بالشام . والمستعبر : بمعنى الباكي . والحور : شجر .
رضفائر الحور : فصوصه التى تشبه جدائل الشعر - ٧- دمر (بضم الدال
وتشديد الميم المفتوحة) : عقبة فى دمشق . والخلى : الخالى من الهموم ،
وهو ضد الشجى - ٨- ذات الطوق : الحمامة ، وهى فى هذا البيت كناية
عن المرأة .

عَشِقْتَ تَهَاوِيلَ الْجَمَالِ ، وَلَمْ تَجِدْ
فَمَشَتْ كَأَنَّ بِنَانَهَا يَدُ مُدْمِنٍ
وَلَوْ أَنَّ مَقْدُورًا يُرَدُّ لَرَدَّهَا
أَشَقَى الْقَضَاءُ الْأَرْضَ ، بَعْدَكَ أُسْرَةٌ
قَسَتْ الْقُلُوبُ عَلَيْهِمْ وَتَحَجَّرَتْ
إِنَّ الَّذِينَ نَزَلَتْ فِي أَكْنَافِهِمْ
سَخِرُوا مِنَ الدُّنْيَا كَمَا سَخِرَتْ بِهِمْ
يَا مَأْتَمًا مِنْ (عِبْدِ شَمْسٍ) مِثْلُهُ
إِنْ ضَاقَ ظَهْرُ الْأَرْضِ عَنْكَ فَبِطْنُهَا
لَا جَمَعْتَ الشَّامَ مِنْ أَطْرَافِهِ
يَبْكِي لَوَاءَ مِنْ شَبَابٍ أُمِّيَّةٍ
لَمَسْتُ نَوَاصِيهَا الْحَصُونُ تَرُومُهُ
وَكُنْ الزَّعَامَةُ حِينَ تَطْلُبُ رَأْيَهُ
وَيَكَادُ مِنْ سَحْرِ الْبَلَاغَةِ نَحْتَهُ
(فَيَحَاءُ) ، أَيْنَ عَلَى جَنَانِكَ وَرَدُّهُ
فِي الْعَبْقَرِيَّةِ مَا يُحِبُّ وَيُحْسِنُ (١)
وَكَأَنَّ ظِلَّ السَّمِّ فِيهَا زُنْبَقُ
بَحْيَاتِهِ الْوَطْنُ الْمَرْوَعُ الْمُشْفِقُ
لَوْلَا الْقَضَاءُ مِنَ السَّمَاءِ لَمَا شَقُوا
فَانْظُرْ فَوَادَكَ ، هَلْ يَلِينُ وَيَرْفُقُ ؟
صَفَحُوا ، فَمَا مِنْهُمْ مَغِيْظٌ مُخْنَقُ
وَانْبَتَّ مِنْ أَسْبَابِهَا الْمُتَعَلِّقُ (٢)
لِلشَّمْسِ يُصْنَعُ فِي الْمَمَاتِ وَيُنْسَقُ
عَمَّا وَرَاءَكَ مِنْ رُفَاتٍ أَضْيَقُ (٣)
وَاقَى يُعْزَى الشَّامَ فِيكَ الْمَشْرِقُ
يَحْمِي حِمَى الْحَقِّ الْمُبِينِ وَيَخْفِقُ
وَتَلَمَّسْتُهُ فَلَمْ تَجِدْهُ الْفَيْلَقُ (٤)
فَيَرَى ، وَتَسْأَلُهُ الْخَطَابَ فَيَنْطِقُ
عَوْدُ الْمَنَابِرِ يُسْتَحَفُّ فَيُورِقُ (٥)
كَانَتْ بِهَا الدُّنْيَا تَرِفُ وَتَعْبَقُ ؟ (٦)

١ — التهاويل : الألوان المختلفة .

٢ — أنبت ، أى قطع .

٣ — الرفات : بقايا الميت .

٤ — نواصي الحصون : أعاليها .

٥ — يستخف ، بمعنى يسر ويطرب .

٦ — فيحاء : دمشق .

- ١١٣ -

علوية نجد المسمع طيها وتُحس رباها العقول وتَنشق
وأرائك الزهر الغصون ، وعرشها يدُ أمة وجبينها والمفرق
من مُبلغ عني سُبولة جلق قولاً يبرُّ على الزمان ويصدق؟
بالله جلُّ جلاله ، بمحمد بيسوع ، بالغزى لا تتفرقوا
قد تُفسد المرعى على أخواتها شاة تزد من القطيع وتمرق

كريمة البارودي(*)

أحيثُ تلوحُ المنى تأفلُ؟ كفى عِظَةً أيها المنزلُ! (١)
حكيتَ الحياةَ وحالاتِها فهلاً تخطيتَ ما تنقلُ؟
أمن جنحِ ليلٍ إلى فجرِهِ جِئى يزدهى، وجِئى يعطلُ؟ (٢)
وذلك يوحش من ربةٍ وذلك من ربةٍ يأهلُ؟ (٣)
أجاب النعيُّ لديك البشيرَ وذاق بكأسيهما المحفلُ
وأطرق بينهما والدُّ أخو ترحةٍ، ليله أليلُ (٤)
يفىء إلى العقل في أمره ولكِنَّه القلبُ، لا يعقل
تهاوت عن الوردِ أغصانه وطارَ عن البيضة البلبُلُ (٥)
وراحت حياةً، وجاءت حياةً وأظهرَ قدرته المبدلُ
وما غيرُ مَنْ قد أتى مُدبرٌ ولا غيرُ مَنْ قد مضى مُقبِلُ
كأنى (بسامى) هلوعُ الفؤادِ إذا أسمعَتْ همسةً يعجلُ
يرى قدراً يأمَلُ اللطفَ فيه وعادى الردى دون ما يأمَلُ
يُضىءُ لضيفانه يشرُّه وبين الضلوعِ الغضى المُشعلُ (٦)

(*) وجه هذه القصيدة يعزى بها المرحوم محمود سامى باشا البارودي
في كريمة التي توفيت أثناء زفاف شقيقتها .

١- تلوح المنى : بمعنى تشرق ، وتأفل : بمعنى تغرب - ٢- جنح الليل
(بضم الجيم وكسرهما) : طائفة منه . ويعطل : بمعنى يخلو . والاصل في
العطل : التجرد من الحلي - ٣- الربة هنا : يقصد بها صاحبة البيت ، ويأهل :
يمتلىء أو يعمر - ٤- الترحة : الحزن . الأليل : الشديد السواد .
٥- تهاوت : أى تساقطت أو تخلت - ٦- الفضى : شجر إذا اشتعل بقى
جمره طويلاً .

وَيَقْرِئُهُمُ الْآنَسَ فِي مَنْزِلٍ وَيَجْمَعُهُ وَالْأَسَى مَنْزِلُ
فَمَنْ غَادَةٍ فِي مَجَالِي الزَّفَافِ إِلَى غَادَةٍ دَاوَاهَا مُنْضِلُ
وَذَى فِي نَفَاسَتِهَا تَنْطَوِي وَذَى فِي نَفَاسَتِهَا تَرْقُلُ (١)
تَقْسَمُ بَيْنَهُمَا قَلْبُهُ وَخَانَتَهُ عَيْنَاهُ وَالْأَرْجُلُ
فَيَانِكَدَ الْحُرُّ: هَلْ تَنْقُضِي؟ وَيَا فَرَحَ الْحُرِّ، هَلْ تَكْمُلُ؟
وَيَا صَبِرَ (سَامِي)، بَلُغْتَ الْمَدَى وَيَا قَلْبَهُ السَّهْلَ، كَمْ تَحْمِلُ؟
لَقَدْ زِدْتَ مِنْ رِقْفٍ كَالصَّرَاطِ وَدُونَ صَلَابَتِكَ الْجَنْدَلُ
يَمُرُّ عَلَيْكَ خَلِيطٌ. الْخُطُوبُ وَيَجْتَازُكَ الْخِفُّ وَالْمُثْقِلُ (٢)
وَيَارْجُلَ الْعِظَمِ، خُذْ بِالرَّضَى فَذَلِكَ مِنْ مُتَّقِي أَجْمَلُ
أَتَحَسِبُ شَهِدًا إِنَْاءَ الزَّمَانِ وَطِينَتُهُ الصَّمَابُ وَالْحَنْظَلُ؟
وَمَا كَانَ مِنْ مُرٍّ يَعْتَلِي وَمَا كَانَ مِنْ حُلُوٍّ يَسْفَلُ
وَأَنْتَ الَّذِي شَرَبَ الْمَتَرَعَاتِ فَأَيُّ الْبَوَاقِي بِهِ تَحْفِلُ؟
أَفِي ذَا الْجَلَالِ، وَفِي ذَا الْوَقَارِ تُخَيِّفُكَ ضَرَاكُ أَوْ تُذْهِلُ؟
أَلَمْ تَكُنِ الْمَلِكَ فِي عَزِّهِ وَبَاعُكَ مِنْ بَاعِهِ أَطْوَلُ؟
وَقَوْلُكَ مِنْ فَوْقِ قَوْلِ الرُّجَالِ وَفِعْلُكَ مِنْ فِعْلِهِمْ أَنْبَلُ؟ (٣)
سَتَعْرِفُ دُنْيَاكَ مِنْ سَاوَمَتِ وَأَنْ وَقَارَكَ لَا يُبْدَلُ
كَأَنَّكَ (شَمَشُونَ) هَذَى الْحَيَاةِ وَكُلُّ حَوَادِثِهَا هَيْكَلُ (٤)

١- النفاسة من فولهم : هذا شيء نفيس ، اي ثمين يرغب فيه .
والنفائس : الحلى وما اشبهها - ٢- الخف : الخفيف . والمثقل : الثقيل .
٣- يشير الى زمن الثورة العرابية ، وموقف البارودي منها - ٤- شمشون :
احد انبياء التوراة ، وله قصة هناك تدل على انه اعطى بسطة عظيمة في
القوة .

فتحي ونورى (*)

أنظر إلى الأفمار كيف نزولُ وإلى وجوه السَّعْدِ كيف تحولُ
وإلى الجبالِ الثُّمُّ كيف يُمِيلُها عادى الرَّدَى بإشارةٍ فتُمِيلُ
وإلى الرياحِ تَخِرُّ دونَ قَرَارِها صرَعَى عليهن التُّرابُ مَهِيلُ
وإلى النُّسُورِ تقاصرت أعمارُها والعهدُ في عُمُرِ النُّسُورِ يطولُ
في كُلِّ منزلةٍ وكلِّ سَمِيَّةٍ قمرٌ من الغُرِّ السَّماةِ قَتِيلُ
يهوى القضاءُ بها ، فما من عاصِمٍ هيهات ! ليس من القضاءِ مُقِيلُ
(فتحُ السَّماةِ) و(نورُها) سكنا الثرى فالأرضُ وَلهى ، والسَّماةُ تُكولُ
سِرٌّ في الهواءِ ، ولُذْ بناصيةِ السَّها الموتُ لا يخفى عليه سبيلُ (١)
واركبْ جَنَاحَ النسرِ لا يَعْصِمُكَ من نسرٍ يُرْفرفُ فيه عزرائيلُ
ولكلِّ نفسٍ ساعةٌ ، مَنْ لم يَمُتْ فيها عزيزاً مات وهو ذليلُ
ألى الحياةِ سَكَنْتَ وهى مَصارعُ وإلى الأمانى يَسْكُنُ المسلولُ ؟
لا تَحْفَلِنْ ببؤسِها ونعيمِها نَعْمى الحياةِ وبؤسِها تضليلُ
ما بين نَضْرَتِها وبين ذُبُولِها عمرُ الورودِ ، وإنه لقليلُ
هذا بَشِيرُ الأُمسِ أصبح ناعياً كالحلمِ جاء بضدِّه التأويلُ
يجرى من العَبْرَاتِ حولَ حديثِه ما كان من فرَحٍ عليه يَسيلُ

(*) فتحي ونورى : هما الطياران العثمانيان اللذان قدما الى مصر في سنة ١٩١٣ يقودان طيارتهما ، فسقطت بهما ، فماتا ، فكان لمصابهما في مصر اسف شديد ، وكانت الخلافة الاسلامية وقتئذ ماتزال تربط المصريين بالعثمانيين .

١- السها : كوكب خفى من بنات نعش الصفرى .

ولربّ أعْداسٍ خَبَّانٍ مآتماً كالرُّقْطِ . في ظلِّ الرياضِ نَقِيلُ (١)
يا أيُّها الشهداء ، لن يُنسى لكم فتحُ أغرُّ على السماء جميل
والمجدُّ في الدنيا لأوَّلِ مُبتَنٍ ولمن يُشَيِّد بعده فيُطِيل
لولا نفوسُ زُنَّ في سُبُلِ العُلا لم يَهْدِ فيها السالكون دَلِيل
والناسُ باذلٌ روحه ، أو ماله أو علمه ، والآخرون فضول
والنَّصرُ غرَّتْهُ الطلائعُ في الوغى والتابعون من الخميس حُجُولُ (٢)
كم ألف ميلٍ نحو مصرَ قطعتمُ فيم الوقوفُ ودون مصرٍ ميل ؟
(طوروس) تحتكم ضئيلٌ ، طرفه لَمَّا طَلَعتم في السحاب كَلِيل
تُرَخون للريح العِنان ، وإنما لكمُ على طُغيانها لَدُول
إثنين إثر اثنين ، لم يخطر لكم أن اثنين في زمانك أن يَفِي
لو كان يُفدَى هالكٌ لفداكمُ لك في الحياة وفي الممات خليل
أى الغزاة أوَّلِ الشهادة قبلكم في الجوّ نسرٌ بالحياة بَخِيل
يَغْدو عليكم بالتحية أهلها عرَضُ السماء ضريحُهم والطول ؟ (٣)
ويرفرِفُ التسبيح والتهليل

١ - يريد أن الأحزان تختبئ في الأرواح ، كما تكمن الحيات الرقطة وقت القيلولة في ظلال الرياض ، فوجود الحيات في ذلك الجو تسميم له ومانع من الانتفاع به ، كما أن انطواء الأحزان في ثنايا الأفراح مسمم لجوها ، مانع من الاستمتاع بكل سرورها . ٢ - الخميس : الجيش . والحجول : أصلها من اللون الأبيض يكون في قوائم الفرس كأنه العلامات . يقول : أن الذين يقدمون في أوائل الجيوش ، يكونون في جسم النصر أشبه بالغيرة : وهى لا تكون الا في الوجه ، على حين أن غيرهم من سائر الجيش يكون أشبه بالحجول ، وهى لا تكون الا في الأيدي والأرجل ، وطبيعى أن الوجه أشرف ، وإن كانت الحجول . بعض سمات الجمال - ٣ - في هذا البيت ترغيب عظيم يساق للطياريين ، إذ يقول لهم : أن الغزاة - وهم موضع الاجلال والاكبار - تشق قبورهم في الأرض ، ولكن اضرحتكم تخط في السماء .

(إدريس) فوق يمينه ريثانة ويسوع فوق يمينه إلكيل (١)
في عالم سُكَّانُه أنفاسهم طيب ، وهمس حديثهم إنجيل (٢)
إني أخاف على السماء من الأذى في يوم يُفسد في السماء الجيل (٣)
كانت مطهرة الأديم ، نقيّة لا آدم فيها ، ولا قابيل (٤)
يتوجّه العاني إلى رحمتها ويرى بها برق الرجاء عليل
ويُسِيرُ بالرأس المُكَلَّلِ نحوها شيخ ، وباللحظ البريء بتول (٥)
واليوم للشهوات فيها والهوى سئل ، وللدم والدموع مسيل
أضحى ومن سُفن الجواء طوائف فيها ، ومن نيميل الهواء رَعِيل (٦)
وأزيل هيكلها المصون وسره والدهر للسر المصون مُذِيل (٧)

* * *

هلعت (دمشق) ، وأقبلت في أهلها ملهوفة ، لم تدر كيف تقول
مشت الشجون بها ، وعم غياطها بين الجداول والعيون ذبول (٨)
في كل سهل أنه ومناحة وبكل حزن رنة وعويل

١ - يسوع : هو عيسى ابن مريم . وإدريس : هو أحد الأنبياء الرسل .
وفد خص إدريس بالذكر ، لما جاء في قصة الاسراء ، من أن النبي صلوات الله
عليه رآه قائما على باب إحدى السموات السبع ، فسأل جبريل : من هذا ؟
فقال : أخوك إدريس - ٢ - قوله : « وهمس حديثهم إنجيل » : يقصد أن
أحاديثهم طهر وتقديس - ٣ - يريد أنه خائف على جو السماء يوم يتخذ
الطيّارون ميدانا للحروب ، فيلوثون ذلك الطهر بأذى قتل الناس وتخريب
أوطانهم - ٤ - يريد « بقابيل » الإشارة إلى أول دم أراقه الإنسان ظلما لأخيه
الإنسان - ٥ - الرأس المكمل : الذي يتوجه الشيب ، وهذه كناية عن حالة
الضعف - ٦ - خيل الهواء : الطيارات . والرعي : القطعة من الخيل قدر
العشرين أو الخمسة والعشرين - ٧ - مذل : مهين . أي أن الدهر لم يحسن
حفظ هذا السر المصون فكانه اهانة - ٨ - الفيّاط : جمع غوطة ، وهي
الموضع الكثير الماء والشجر . ويقصد « بالعيون » عيون الماء .

وَكَاثِمًا نُعِيَتْ أُمِيَّةٌ كُلُّهَا
خَضَعَتْ لَكُمْ فِيهِ الصَّفُوفُ ، وَأُزْلِفَتْ
مِنْ كُلِّ نَعَشٍ كَالْبُثْرِ يَا ، مَجْدُهُ
فِيهِ شَهِيدٌ بِالْكِتَابِ مُكْفَنٌ
أَعْوَادُهُ بَيْنَ الرِّجَالِ ، وَأَصْلُهُ
يَمْشِي الْجَنُودُ بِهِ ، وَلَوْ لَا أَنَّهُمْ
حَتَّى نَزَلَتْ بِقَعَةٍ فِيهَا الْهُوَى
عَظُمَتْ ، وَجَلَّ ضَرْيَحُ (يُوسُفَ) فَوْقَهَا

لِلْمَسْجِدِ الْأَمْرِيُّ ، فَهُوَ طُلُولُ (١)
لَكُمْ الصَّلَاةُ ، وَقُرْبَ التَّرْتِيلِ
فِي الْأَرْضِ عَالٍ ، وَالسَّمَاءِ أَصِيلِ
بِمَدَامِ الرُّوحِ الْأَمِينِ غَسِيلِ
بَيْنَ (السُّهَى) وَ(الْمُشْتَرَى) مَحْمُولِ (٢)
أَوَّلَى بِذَلِكَ مَشَى بِهِ جَبْرِيلُ
مِنْ قَبْلِ ثَاوٍ ، وَالسَّمَاحُ نَزِيلِ
حَتَّى كَانَ الْمَيِّتَ فِيهِ رَسُولِ (٣)

* * *

شِعْرِي : إِذَا جُبَّتَ الْبَحَارُ ثَلَاثَةً
وَتَدَاوَلَتْكَ عَصَابَةٌ عَرَبِيَّةٌ
وَبَلَغْتَ مِنْ بَابِ الْخِلَافَةِ سُدَّةً
قُلْ لِلْإِمَامِ مُحَمَّدٍ ، وَلَآءُ
تِلْكَ الْخُطُوبُ — وَقَدْ حَمَلْتُمْ شَطْرَهَا —
إِنْ تَفْقِدُوا الْأَسَادَ أَوْ أَشْبَالَهَا
صَبْرًا ؛ فَاجْرُ الْمُسْلِمِينَ وَأَجْرُكُمْ
يَا مَنْ خِلَافَتُهُ الرِّضِيَّةُ عِصْمَةٌ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ فِي خَلْفَائِهِ
وَالْعَدْلُ يَرْفَعُ لِلْمَمَالِكِ حَانِطًا

وَحَوَاكٍ ظِلٌّ فِي (فُرُوقٍ) ظَلِيلِ (٤)
بَيْنَ الْمَآذِنِ وَالْقِلَاعِ نُزُولِ
لِئُسُورِهَا التَّمْسِيحُ وَالتَّقْبِيلِ
صَبْرُ الْعِظَامِ عَلَى الْعَنَائِمِ جَمِيلِ
نَاءُ الْفِرَاتِ بِشَطْرِهَا وَالنَّيْلِ
فَالْغَابُ مِنْ أَمْثَالِهَا مَأْهُولِ
عِنْدَ الْإِلَهِ ، وَإِنَّهُ لَجَزِيلِ
لِلْحَقِّ ، أَنْتَ بَأَنَّ يُحَقِّقَ كَفِيلِ
عَدْلًا يُقِيمُ الْمَلِكَ حِينَ يَمِيلِ
لَا الْجَيْشُ يَرْفَعُهُ وَلَا الْأُسْطُولُ

١- طلول : جمع طلل ، وهو ما شخص من آثار البناء — ٢- المشتري :
من الكواكب السيارة — ٣- يقصد « يوسف » صلاح الدين الأيوبي .
٤- جبت : قطعت . وفروق : الاستانة ، وكانت عاصمة الخلافة الإسلامية
وقبيل .

هذا مقامُ أنت فيه محمدُ والرفقُ عند محمدٍ مأمول (١)
بالله ، بالإسلام ، بالجرحِ الذى ما انفكَّ فى جنب الهلالِ يسيل
إلا حلتَ عن السجين وثاقه إنَّ الوثاقَ على الأسودِ ثَقِيل (٢)
أيقول واشٍ ، أو يُردُّ شامتُ صِنْدِيدُ (برقة) مُوثَقٌ مَكْبُول؟ (٣)
هو من سيوفِك أغمدُوهُ لريبةٍ ما كان يُغمدُ سيفُك المسلول
فاذكر أميرَ المؤمنين بلاءه واستبقه ، إن السيوفَ قليل

—————

١- كان يخاطب الخليفة محمد رشاد -٢- السجين : هو عزيز بك المصرى القائد الحربى العظيم ، وكان يجاهد فى طرابلس أيام اغار عليها الطليان ، وقد وشى به للحكومة التركية ، فاعتقلته وزجت به فى السجن ، ولم يخرج الا بتحقيق وشفاعة مصرية ، كانت هذه القصيدة من بعض ظواهرها ومن أجمل مظاهرها -٣- برقة : احد الاقاليم الليبية حدثت به اهم الوقائع الحربية فى تلك الاغارة ، وفيها لمع مجد عزيز بك .

على باشا أبو الفتوح (*)

ما بينَ دمعِي المُسْبَلِ عهدٌ وبينَ ثرى (عَلِي) عهدٌ
عهدٌ (البقيع) وساكنيه على الحيا المتهلل (١)
والدمعُ مروحةُ الحزبِ من وراحةِ المُتملِّل
نمضى ، ويلحقُ من سلا في الغابرينَ بمن سلى
كم من تُرابٍ بالدموعِ على الزمانِ مُبَلَّل
كالقبر ما لم يَبَلْ فيه من العظام ، وما بلى
ريان من مجد يعزُّ على القصور موثِّل
أَمَسَتْ جوانِبُه قَرَا را للنجوم الأفل
وحديثُهم مسكُ الندى ، وعَنبرُ في المحفِل

* * *

قل للنبي : هتكت دمع الصابر المتجمل (٢)
المُلتقى الأحداث إن نزلت كان لم تنزل
حملَ الأسى (بأبي الفتوح ح) على ما لم أحمل (٣)
حتى ذهلتُ ، ومن يَدُقْ فقدَ الأجيَّة يذهل
فعتبتُ في رُكن (القضا ء) على القضاء المنزل

(*) على باشا أبو الفتوح : أحد نوابغ مصر الذين اشتركوا في تمهيد الطريق لنهضتها ، كان حقوقيا ضليعا ، وأسندت له وكالة وزارة المعارف ، فكان موضع الفخر والامل ، وقد توفي سنة ١٩١٣ ، فعد موته خسارة وطنية كبرى .

١- البقيع : أحد المزارات المقدسة في المدينة المنورة - ٢- المتجمل : الذي يدفن همه في صدره احتسابا ويظهر عكسه للناس - ٣- الأسى : الحزن

لَهْفَى عَلَى ذَاكَ الشَّبَا بِ ذَاكَ الْمُسْتَقْبَلِ
وَعَلَى الْمَعَارِفِ إِذْ نَحَلْتُ مِنْ رَكْنِهَا وَالْمُوئِيلِ (١)
وَعَلَى شَمَائِلَ كَالرُّبَى بَيْنَ الصَّبَا وَالْجَدُولِ
وَحَيَاءِ وَجْهِ كَانَ يُؤْ ثَبْرَ عَنْ «يَسُوعَ» الْمُرْسَلِ

* * *

يَا رَاوِيًّا نَحْتَ الصَّفِيحِ—حِجْرٍ مِنَ الْكُرَى وَالْجَنْدِلِ (٢)
وَمُسْرِبَلًا حُلَلِ الْوَزَا رِقَّةً بَاتَ غَيْرَ مُسْرِبَلِ
وَمُوسَدًا حُفَرَ الثَّرَى بَعْدَ الْبِنَاءِ الْأَطُولِ
إِنِّي التَفْتُ إِلَى الشَّبَا بِ الْغَابِرِ الْمُتَمَثِّلِ
وَوَقَفْتُ مَا بَيْنَ الْمَحَقِّ حَقِّ فِيهِ ، وَالتَّخِيلِ
فَرَأَيْتُ أَيَّامًا عَجِلَ حَنَ ، وَلَيْتَهَا لَمْ تَعَجَلِ
كَانَتْ مُوَطَّاةً إِلَيْهَا دِلْنَا ، عَذَابُ الْمَنْهَلِ
ذَهَبَتْ كَحُلْمٍ ، بَيْنَ أَنْ الْحُلْمَ لَمْ يَتَأَوَّلِ
إِذْ نَحْنُ فِي ظِلِّ الشَّبَا بِ الْوَارِفِ الْمُتَهَدِّلِ (٣)
جَارَانِ فِي دَارِ التَّوَى مُتَقَابِلَانِ بِمَنْزِلِ
أَيْكِي وَأَيْكُكَ ضَاحِكَا نَ عَلَى خَمَائِلِ مُوئِيلِ (٤)

١ - المُوئِيلُ : الملجأ الذي يلجأ إليه في الشدة -٢- يريد « بالصفيح والجندل » : حجارة القبر . يستعبر بالفقيد - وهو المرفه في الحياة - كيف ينام هذا النوم العميق تحت الحجارة الصماء الثقيلة ، وهذا حذق في سياق التفجع بأسلوب الاستعبار -٣- المتهدل : من قولهم : تهدلت أغصان الشجر ، إذا تدلت -٤- يشير في هذا البيت والذي قبله ، إلى أن الفقيد كان هو وأمير الشعراء زميلين وصديقين ، كانا يطلبان العلم في جامعة « مونبلييه » ، وهي إحدى مدن فرنسا الشهيرة . والأيك في الأصل : عثر الطائر . والخمائل : النباتات الكريمة كالحدائق والبساتين

— ١٢٣ —

والدرس يجه منى بأف ضل طالب ومُحَصِّل
أيام تبذل في سبي ل العلم ما لم يُبذل
غَضَّ الشباب ، فكيف كند ت عن الشباب بمعزل ؟
وإذا دعاكَ إلى الهوى داعى الصبا لم تحفل
ولو اطلعت على الحيا ة فعلت ما لم يُفعل
لم يدرِ إلاَّ اللهُ ما خبأت لك الدنيا ، ولى
تجرى بنا لمُفتَح بين الغيوب ومُقفَل
حتى تبدلنا ، وذا لك العهد لم يتبدل
هاتيك أيامُ الشبا ب المحسن المتفضل
من فاته ظلُّ الشبيبة بة عاش غير مُظلل

* * *

يا راحلاً أخلى الدنيا رَ وفضله لم يرحل
تتحملُ الآمالُ إذ ر شبابهُ المتحمل (١)
مشتِ الشبيبةُ جحفلًا تبكى لواء الجحفل (٢)
فانظر سريرك ، هل جرى فوق الدموع الهطل ؟
الله في وطنٍ ضعي في الركن ، واهى المعقل
وأب وراءك حزنه لنواك حزنُ المثكل
يهبُ الضياعُ العامرا ت لمن يردُّ له «على»
ليس الغنى من البريئة غير ذى البال الخلى

١- الشباب المتحمل ، اى الراحل ٢- الجحفل : الجيش .

وَنَجِيبةٍ بينَ العقابِ هَمَّها لا ينسلى (١)
دَخَلَتْ منازلَها المنو نُ على الجرىءِ المُشْبِلِ (٢)
كسرتَ جناحَ مُنعمٍ ورمّتَ فوادَ مُدَلِّلٍ
فكانَ آلكَ من شجٍّ ومُتيمٍ ومُرملٍ
آلُ «الحسينِ» (يكرِبلُ) في كُربةٍ لا تنجلى (٣)
خلعَ الشَّبابَ على القنا وبذلته لِلمُعْضِلِ (٤)
والسيفُ أرحمُ قاتلاً من عِلَّةٍ في مَقْتَلٍ
فاذهب كما ذهبَ الحسيبُ نُ إلى الجوارِ الأفضَلِ
فكلاكما زينُ الشبا بَ بجنَّةِ اللهِ العلى

١- لا ينسلى : أى لا يمضى ولا يبارح مكانه من قلبها - ٢- المشبل : هو الذى يلد الاشبال ، وهى اولاد السباع - ٣- كربلاء : اسم الموضع الذى قتل فيه سيدنا الحسين رضى الله عنه - ٤- يشبهه الفقيد بالحسين ، بجامع بذل الشباب من كليهما وموت كليهما قبل اوانه ، كانه يرى ان الموت فى سن الشباب بمثابة بذل الحياة وخلع ثوبها ، وهذا لا يناقى الاعتقاد بالاجل المكتوب ، فقد تمثل الحسين نفسه عندما رأى ان لا مفر من القتل يقول بعضهم :

جورجى زيدان(*)

ممالك الشرق ، أم أدراس أطلال
أصابها الدهر إلا في مآثرها
وصار ما نتغنى من محاسنها
إذا حفا الحق أرضاً هان جانبها
وإن تحكّم فيها الجهل أسلمها
نوابغ الشرق ، هزوه لعل به
إن تنفخوا فيه من روح البيان ، ومن
لا تجعلوا الدين باب الشر بينكم
أما الدين إلا تراث الناس قبلكم
ليس الغلو أميناً في مشورته
لا تطلبوا حقكم بغياً ، ولا ضلماً
ولا يضيعن بالإهمال جانبها

وتلك دولته ، أم رشمها الباني؟ (١)
والدهر بالناس من حال إلى حال
حديث ذى محنة عن صفوه الخالي
كأنها غابة من غير رثبال (٢)
لفاتك من عوادي الذل قتال
من الليالي جمود اليأس السالى
حقيقة العلم ينهض بعد إعضال
ولا محل مباهاة وإدلال
كل امرئ لأبيه تابع تالى
مناهج الرشد قد تخفى على الغالى
ما أبعد الحق عن باغ ومختال
فرب مصلحة ضاعت بإهمال

(*) الاستاذ الكبير المرحوم جورجى زيدان منشئ دار الهلال القراء هو أحد مؤسسى النهضة الصحفية فى البلاد العربية ، وأحد أساطين رجال العلم والادب ، الذين يرجع الى مؤلفاتهم ويحتج بأرائهم ، وقد توفى سنة ١٩١٤ ، بعد أن ترك خلفه من التراث العلمى والادبى ما يكفى لتسجيل اسمه فى طليعة سجل المصلحين .

١- الأدراس : جمع درس ، وهو الطريق الخفى أو الثوب الخلق .
والاطلال : جمع طلل ، وهو ما شخص من آثار الديار . وهذا المطلع الشعري ملان بالتفجع على ما صارت اليه ممالك الشرق فى هذه الايام ، فهو يسأل مستنكراً : أهذه ممالك حقاً ؟ أم هى آثار ورسوم من ممالك عظيمة كانت موجودة وذهبت ؟ - ٢- رثبال : أسد .

كَمْ هِمَّةٌ دَفَعَتْ جَيْلاً ذُرّاً شَرَفٍ
والعلمُ في فضله ، أو في مفاخره
إِذَا مَشَتْ أُمَّةٌ فِي الْعَالَمِينَ بِهِ
يَقِيلُ لِلْعِلْمِ عِنْدَ الْعَارِفِينَ بِهِ
إِفْقِيفٌ عَلَى أَهْلِهِ ، وَاطْلُبْ جَوَاهِرَهُ
فَالْعِلْمُ يَفْعَلُ فِي الْأَرْوَاحِ فَاسِدُهُ
وَرُبَّ صَاحِبِ دَرْسٍ لَوْ وَقَفْتَ بِهِ
وَتَسْبِقُ الشَّمْسُ فِي الْأَمْصَارِ حِكْمَتُهُ
(زَيْدَانُ) ، إِنْ مَعَ الدُّنْيَا كَعَهْدِكَ لِي
لِي دَوْلَةُ الشَّعْرِ دُونَ الْعَصْرِ وَائِلَّةُ
إِنْ تَمَشَّ لِلْخَيْرِ أَوْ لِلشَّرِّ بِي قَدَمُ
وَإِنْ لَقِيتُ ابْنَ أَنْثَى لِي عَلَيْهِ يَدُ
وَأَشْكُرُ الصَّنْعَ فِي سِرِّي وَفِي عِلْمِي
وَأَتْرُكُ الْغَيْبَ لِلَّهِ الْعَلِيمِ بِهِ
(كَأَرْغَنِ) الدَّيْرِ إِكْثَارِي وَمَوْقِعُهُ
رَثَيْتُ قَبْلَكَ أَحِبَاباً فُجِعْتُ بِهِمْ
وَمَا عَلِمْتُ رَفِيقاً غَيْرَ مُؤْتَمَنٍ
أَرَحْتُ بِأَلَاكَ مِنْ دُنْيَا بِلَا خُلُقٍ
طَالَتْ عَلَيْكَ عَوَادِي الدَّهْرِ فِي خَشِينٍ
لَمْ نَأْتِهِ بِأَخٍ فِي الْعَيْشِ بَعْدَ أَخٍ

وَنُورَةٌ هَدَمَتْ بُنْيَانَ أَجْيَالٍ
رُكْنُ الْمَمَالِكِ ، صَدْرُ الدَّوَلَةِ الْحَالِي
أَبَى لَهَا اللَّهُ أَنْ تَمَشِّي بِأَغْلَالٍ
مَا تَقْدِيرُ النَّفْسِ مِنْ حُبٍّ وَإِجْلَالٍ
كَنَاقِدٍ مُمَعِنٍ فِي كَفِّ لَآلٍ
مَا لَيْسَ يَفْعَلُ فِيهَا طِبُّ دَجَالٍ
رَأَيْتَ شِبْهَ عَلِيمٍ بَيْنَ جُهَالٍ
إِلَى كَهُولٍ ، وَشُبَّانٍ ، وَأَطْفَالٍ
رَضِيَ الصَّدِيقُ ، مَقِيلُ الْحَاسِدِ الْقَالِي
مَفَاخِرِي حِكْمِي فِيهَا وَأَمْثَالِي
أَشْمَرُ الدَّلِيلِ ، أَوْ أَعُزُّ بِأَذْيَالِي
جَحَدْتُ فِي جَنْبِ فَضْلِ اللَّهِ أَفْضَالِي
إِنْ الصَّنَائِعُ تَزَكُو عِنْدَ أَمْثَالِي
إِنْ الْغُيُوبُ صِنَادِيْقُ بَأَقْفَالٍ
وَكَاالْأَذَانِ عَلَى الْأَسْمَاعِ إِقْلَالِي (١)
وَرَحْتُ مِنْ فُرْقَةِ الْأَحْبَابِ يُرْثِي لِي
كَالْمَوْتِ لِلْمَرْءِ فِي حِلٍّ وَتَرْحَالٍ
أَلَيْسَ فِي الْمَوْتِ أَقْصَى رَاحَةِ الْبَالِ؟
مِنَ الثَّرَابِ مَعَ الْأَيَّامِ مُنْهَالٍ
إِلَّا تَرْكُنَا رُفَاتاً عِنْدَ غُرْبَالٍ

لا يَنْفَعُ الدَّنَسَ فِيهِ وَهِيَ حَائِرَةٌ
مَا تَصْنَعُ الْيَوْمَ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُهُ غَدًا
قَدْ أَكْمَلَ اللَّهُ ذِيَاكَ (الْهَلَالَ) لَنَا
وَلَا يَزَلْ فِي زُنُوسِ الْقَارِئِينَ ؛ لَهُ
فِيهِ الرِّوَاثُ مِنْ عِلْمِهِ ، وَمِنْ أَدَبِهِ
وَفِيهِ هِمَّةٌ نَفْسٍ زَانَهَا خُلِقَتْ
عَلَّمَتْ كُلَّ نَثُومٍ فِي الرِّجَالِ بِهِ
مَا كَانَ مِنْ دَوْلِ الْإِسْلَامِ مُنْصَرِمًا
نَرَى بِهِ الْقَوْمَ فِي عِزٍّ وَفِي ضَعْفٍ
وَمَا عَرَضَتْ عَلَى الْأَلْبَابِ فَآكِهَةٌ
وَضَعُفَتْ خَيْرَ (رَوَايَاتِ) الْحَيَاةِ ، فَضَعُفَتْ
وَصِفْنَا كَيْفَ تَجْفُو الرُّوحُ هَيْكَلَهَا
وَهَلْ تَحْجِنُ إِلَيْهِ بَعْدَ فُرْقَتِهِ
هِيَ ضَابُ لُبْنَانَ مِنْ مَنَعَاتِكَ اضْطَرَبَتْ
كَذَلِكَ الْأَرْضُ تَبْكِي فَقَدْ عَلِمَهَا

إِلَّا زَكَاةُ النُّهَى ، وَالْجَاهُ . وَالْمَالُ
الْخَيْرُ وَالشَّرُّ مِثْقَالٌ بِمِثْقَالٍ
فَلَا رَأَى الدَّهْرَ نَقْصًا بَعْدَ إِكْمَالِ
كَرَامَةِ الصُّحُفِ الْأُولَى عَلَى النَّالِ
وَمِنْ وَقَائِعِ أَيَّامِهِ وَأَحْوَالِ
هُمَا لِبَاغِي الْمَعَالَى خَيْرٌ مِنْوَالِ
أَنَّ الْحَيَاةَ بِأَمَالٍ وَأَعْمَالِ
صَوَّرَتْهُ ، كُلُّ أَيَّامِهِ بِتَمَثَالِ
وَالْمَلَكُ مَا بَيْنَ إِدْبَارٍ وَإِقْبَالِ
كَالْعِلْمِ تُبْرِزُهُ فِي أَحْسَنِ الْقَالَ
رَوَايَةِ الْمَوْتِ فِي أَسْلَوِيهَا الْعَالِي
وَيَسْتَسْدُ الْبَلَى بِالْهَيْكَلِ الْخَالِي
كَمَا يَحْجِنُ إِلَى أَوْطَانِهِ الْجَالِي (١)
كَأَنَّ لُبْنَانَ مَرْمِيٌّ بِزُلْزَالِ
كَالْأُمِّ تَبْكِي ذَهَابَ النَّافِعِ الْغَالِي

شهداء العلم والغربة (*)

ألا في سبيلِ الله ذاكَ الدمُ الغالي وللمجدِ ما أبقيَ من المثلِ العالي
وبعضُ المنايا همةً من ورائِها حياةً لأقوامٍ ، ودُنيا لأجيال
أعْيَنِي ، جودا بالدموعِ على دمٍ كريمِ المُصَفَّى من سُبابِ وآمال
تناهتْ به الأحداثُ من غُربةِ النوى إلى حادثٍ من غُربةِ الدهرِ قتال
جَرى أرجوانياً ، كُمَيْتاً ، مُشْعِشاً بأبيضٍ من غُسلِ الملائِكِ سَلْسَالِ (١)
ولاذ بقُضبانِ الحديدِ شَهِيدُهُ فعادتْ رَقيقاً من عيونِ وأطلال
سلامٌ عليه في الحياةِ ، وهامداً وفي العُصْرِ الخالي ، وفي العالَمِ التالى
خَلِيلِي ، قوماً في رَبِّي الغربِ ، واسقيا رِياحينَ هامٍ في الترابِ ، وأوصالِ (٢)
من الناعماتِ الراوياتِ من الصُّبا ذوتِ بينَ حِلٍّ في البلادِ وتَرحال
نعاها لنا الناعى ، فمال على أبٍ هَلوعٍ ، وأُمٍّ (بالكنانةِ) مِشْكال
طَوَى الغربَ نحوَ الشرقِ يَعدُّ وسَليكَهُ بمُضْطَرَبٍ في البرِّ والبحرِ ، مِرْقالِ (٣)

(*) شهداء العلم والغربة : هم طائفة من شباب مصر سافروا لتلقى العلم في جامعات أوربا ، فاصطدم القطار الذى يقلهم من أرض إيطاليا ، فقتل أحد عشر طالبا وجيء بهم الى مصر ، فاستقبلت جثثهم استقبالا رهيبا ، فاشتريت في جنازتهم جميع طوائف البلاد ومما كان يزيد الهول في هذا المصاب حدوته والبلاد مشتعله بثورتها في سنة ١٩٢٠ .

١ - الأرجوانى : منسوب الى الأرجوان ، وهو صبغ أحمر يشبه به الدم لشدة حمرة . والكميت : حمرة يخالطها السواد . ومعنى المشعشع : المزوج بالماء . والغسل (بكسر الفين) : ما يغسل به . يصفى يوم هؤلاء الشهداء بأنه يجرى أحمر مشوبا بسواد ممزوجا بلون أبيض ، كأنه الماء السلسال الذى أصابه من غسل الملائكة - ٢ - الأوصال : الأعضاء .
٣ - سليك : رجل من العرب اشتهر بقوة الجرى ويضرب به المثل في السرعة أراد تشبيهه الناعى به . مرقال : سريع .

يُسِرُّ إِلَى النَّفْسِ الْأَسَى غَيْرَ هَامِسٍ وَيُلْقِي عَلَى الْقَلْبِ الشَّجَى غَيْرَ قَوَالٍ
سَاءَ الْحِمَى بِالشَّاطِئِينَ وَأَرْضُهُ مَنَاحَةُ أَقْمَارٍ ، وَمَأْتَمُ أَشْبَالٍ

* * *

تَرَى الرِّيحَ تُدْرِى: مَا الَّذِي قَدْ أَعَادَهَا بِسَاطًا ، وَلَكِنْ مِنْ حَدِيدٍ وَأَثْقَالٍ ؟
يُقِلُّ مِنْ الْفِتْيَانِ أَشْبَالَ غَابَةٍ غُدَاةً عَلَى الْأَخْطَارِ رُكَّابَ أَهْوَالٍ
تُنْقِذُ الْعَوَادَى دُونَ (أَوْدِينَ) ، فَاثْنَى بَآخِرَ مِنْ ذُهُمِ الْمَقَادِيرِ ذِيَالٍ (١)
قَدْ اعْتَنَقَتْ حَتَّ الدَّخَانِ كَمَا التَّقَى كَمِيَّانَ فِي دَاجٍ مِنَ النَّقْعِ مُنْجَالٍ (٢)
فَسَبْحَانَ مَنْ يَرْمِي الْحَدِيدَ وَبِأَسِهِ عَلَى نَاعِمِ غَضٍّ مِنَ الزَّهْرِ مِنْهَالٍ
وَمَنْ يَأْخُذُ السَّارِينَ بِالْفَجْرِ طَالِعًا طُلُوعَ الْمَنَازِلِ مِنْ ثَنِيَّاتِ آجَالٍ (٣)
وَمَنْ يَجْعَلُ الْأَسْفَارَ لِلنَّاسِ هِمَّةً إِلَى سَفَرٍ يَنْوُونَهُ غَيْرَ قُفَّالٍ

* * *

فِيَا نَاقِلِيهِمْ ، لَوْ تَرَكْتُمْ رِفَاتَهُمْ أَقَامَ بَيْتِيًّا فِي حِرَاسَةِ لَالٍ (٤)
وَبَيْنَ (غَرِيبٍ أَلَدَى) وَ(كَافُورٍ) مَضْجَعٌ لِنُزَاعِ أَمْصَارٍ عَلَى الْحَقِّ نُزَالٍ (٥)
فَهَلْ عَطَفْتُمْ رَتَّةَ الْأَهْلِ وَالْحِمَى وَضَجَّةَ أَتْرَابٍ عَلَيْهِمْ وَأَمْثَالٍ ؟
لَشَنَّ فَاتَ مَصْرًا أَنْ يَمُوتُوا بِأَرْضِهَا لَقَدْ ظَفِرُوا بِالْبَغْتِ مِنْ تُرْبِهَا الْغَالِي
وَمَا شَغَلَتْهُمْ عَنْ هَوَاهَا قِيَامَةٌ إِذَا اعْتَلَّ رَهْنُ الْمُحْبِسِينَ بِأَشْغَالٍ (٦)

١- دهم : جمع ادهم ، وهو الأسود . وذيال : طويل الذيل . والذيل من كل شيء : آخره ، ومن الفرس : ذنبه . ٢- كميان : مثني كمي ، وهو الشجاع المتكمي ، أى المتغطى في سلاحه . والنقع : الفبار . ٣- الثنيات : قمم الجبال . ٤- يريد باليتيم : اللؤلؤ . واللآل بائع اللآلئ وصاندها وصانعها . ٥- غريب ألدى وكافور : بطلان من أبطال الحركة الاستقلالية في إيطاليا . ٦- رهن الحبسين : أول ما أطلق هذا التعبير كان يطلق على أبى العلاء المعرى ، والمحبسان هما العمى ولزومه البيت .

حَمَلْتُمْ من الغرب الشَّمْسَ لِمَشْرِقِ
عَوَاثِرَ لَمْ تَبْلُغْ صِبَاها ، وَلَمْ تَنْلِ
يُطَافُ بِهِمْ نَعَشًا فَنَعَشًا ، كَأَنَّهُمْ
تَوَابَيْتُ فِي الْأَعْنَاقِ تَتَرَى زَكِيَّةً
مُلفَةً فِي حُلَّةٍ شَفِيقَةٍ
أَظَلَّ جَلالُ العِلْمِ والمَوْتِ وَفَدَها
تُفَارِقُ دارًا من غُرُورٍ وباطِلٍ
فِيا حَلَبَةٍ رَفَّتْ على البَحْرِ حَلِيمَةً
جَرَّتْ بَيْنَ إِمَاضِ العَوَاصِمِ بِالضُّحَى
كَثِيرَةً باغِي السَّبْقِ لَمْ يَرِ مِثْلُها
لَكَ اللهُ ؛ هَذا الخُطْبُ في الوَهْمِ لَمْ يَقَعْ
بَلَى ، كُلُّ ذِي نَفْسٍ أَخَوِ المَوْتِ وابْنُهُ
وَلَيْسَ عَجِيبًا أَنْ يَمُوتَ أَخُو الصُّبَا
وَكُلُّ شَبَابٍ أَوْ مَشِيبٍ رَهِينَةٌ
وَمَا الشَّيْبُ مِنْ خَيْلِ العُلَا ؛ فَارْكَبِ الصُّبَا
يَسُنُّ الشَّبَابُ البَأْسَ والجُودَ لِلْفَتَى
وَيَا فَشًّا النِّيلِ الكَرِيمِ ، عِزَاءَ كَمِ

تَلَقَّى سِنَها مُظْلَمًا كَأَسِفَ انْبِالِ
مَدَاها ، وَلَمْ تُوصَلْ ضُحَاها بِأَصَالِ
مَصَاحِفُ لَمْ يَعْلُ الْمُصَلَّى على التَّالِي (١)
كِتَابُوتِ مُوسَى فِي مَنَازِلِ إِسْرالِ (٢)
هَلَالِيَّةٍ مِنْ رَايَةِ النِّيلِ تِمثالِ
فَلَمْ تُلَقْ إِلَّا فِي خُشُوعٍ وإِجْلالِ
إِلَى مَنَزَلٍ مِنْ جِوَرَةِ الحَقِّ مِخْلالِ
وَهَزَّتْ بِها (حُلُوانُ) أَعْطافُ مُخْثالِ (٣)
وَبَيْنَ ابْتِسَامِ الثَّغْرِ بِالمُوكِبِ الحَالِي
على عَهْدِ إِسْماعِيلَ ذِي الطَّوْلِ والِنَّالِ (٤)
وَتِلْكَ المَنَازِلُ لَمْ يَكُنْ على بِالِ
وَإِنْ جَرَّ أَذْيالُ الحِداثَةِ والمُخالِ
وَلَكِنْ عَجِيبٌ عَيْشُهُ عَيْشَةُ السَّالِي
بِمُعْتَرِضٍ مِنْ حادِثِ الدَّهْرِ مُغْتالِ
إِلَى المَجْدِ تَرْكَبُ مَتْنُ أَقْدَرِ جَوالِ
إِذَا الشَّيْبُ سَنَّ البَخْلَ بِالنَّفْسِ والمالِ
وَلَا تَذَكُّروا الْأَقْدارَ إِلَّا بِإِجْمالِ

١- المصلى : هو الذى يجيء أول الخيل فى السبق ، والتهالى : هو الذى يجيء تاليا له . ٢- تابوت موسى : هو الذى وضع فيه سيدنا موسى عليه السلام والقى فى البحر ، فالتقطه آل فرعون وقاموا على تربيته حتى كبر . واسرال : أى اسرائيل . ٣- الحلبة : الخيل التى تجمع للسباق . حلوان : اسم الباخرة التى اقلت رفات الشهداء فى عودتهم الى مصر . ٤- النبال : العطاء . وفى هذا البيت اشارة الى السباق الذى كان يقام فى مدينة حلوان فى عهد اسماعيل باشا .

فهذا هو الحق الذي لا يردّه
عليكم لواء العلم ؛ فالفوز تحته
إذا مالَ صفٌّ فاخلفوه بآخرٍ
ولا يصلحُ الفتيانُ لا علمَ عندهم
وليس لهم زادٌ إذا ما تزودوا
إذا جزعَ الفتيانُ في وقعٍ حادثٍ
ولولا معانٍ في الفدى لم تُعانيه
فغنّوا بهاتيك المصارعِ بينكم
ألستم ببنى القوم الذين تكبروا
رُدِّدْتُمْ إلى فرعونَ جدًّا ، وربما
تأفّفُ قال ، أو تلطفُ مُحْتال (١)
وليس إذا الأعلام خانت بخذل (٢)
وَصُولِ مَسَاعٍ ، لا ملولٍ ، ولا آل (٣)
ولا يجمعون الأمرَ أنصافِ جهال
بياناً جزاف الكيل كالْحَشَفِ البالي (٤)
فمَنْ لجليلِ الأمرِ أو مُفضِّلِ الحال ؟
نُفُوسُ الحواريين أو مُهْجُ الآل (٥)
ترنّمَ أبطالُ بأيامِ أبطال
على الضربات السبع في الأبد الخالي ؟ (٦)
رجعتم لعم في القبائل أو خال

١- قال : مبغض -٢- عليكم لواء العلم : أي الزموا أو التزموا .
٣- آل : من قولهم : هو لا يألُو جهداً -٤- الحشف البالي : الثمر اليابس .
٥- الحواريون : أصحاب عيسى . والآل : أصحاب محمد صلوات الله
عليهما -٦- الضربات السبع : يشير الى نوازل سماوية امتحن الله بها
قدماء المصريين . ويريد بالأبد : الزمن القديم المديد .

سعيد زغلول بك (*)

آلَ (زغلول) ، حَسْبُكُمْ من عزاء سُنَّةُ الموتِ في النَّبِيِّ وآلِهِ
في خِلَالِ الخطوبِ ما راع إلا أنها دون صبرِكم وجمالِهِ
حَمَلُ الرِّزْمِ عنكم في (سعيد) بلدُ شيخكم أبو أحماله (١)
قد دهاهُ من فقْدِهِ ما دهاكم وبكى ما بكيتُم من خِلاله
فكما كان دُخْرُكم ومُناسِكُم كان من دُخْرِهِ ومن آماله
ليت من فكَّ أسْرَكم لم يَكِلْهُ للمنايا تمُدُّهُ في اعتقاله
حجبت من ربيعِهِ ما رحوْتُم وطوَتْ رحلة العُلا من هلاله
آنست صحَّةٌ فمرّت عليها وتخطَّتْ شبابَهُ لم تُباله
إنما مِنْ كِتَابِهِ يُتَوَقَّى المرء ، لا مِنْ شبابِهِ واكتهاه
لست تدري الحِمَامُ بالغاب هل حا مَ على اللَّيْثِ ، أم على أشباله
با (سعيد) اتَّخَذَ ، ورفقاً بشيخِهِ والهِ من لواعيج الثُّكُلِ واله (٢)
ما كفاه نوائِبُ الحقِّ حتَّى زِدَتْ في هَمِّهِ وفي إشغاله
فجأً الدهرُ ، فاقتضبتُ القوافي من فُجَاءَاتِهِ وخَطْفِ ارتجاله
قُمْ فشاهدْ لو استطعتَ قياماً حَسْرَةَ الشعرِ ، والتَّياعَ خياله
كان لي منك في المجامع راوٍ عَجَزَ (ابنُ الحسين) عن أمثاله (٣)

(*) تفتيح شباب سعيد بك زغلول عن رجولة ممتازة ، وبشر طالعه عن طالع عظيم ولكنه لم يكد يؤتى ثمره حتى اقتطفه الموت ، فقضى سنة ١٩٢٢ وكان خاله سعد باشا زغلول متبنياً له .

- ١- شيخكم أبو أحماله : هو الزعيم سعد باشا . والبلد : مصر .
- ٢- الواله : الذي ذهب عقله أو كاد من شدة الوجد -٣- ابن الحسين : الشاعر المتنبي . وراوى الشعر وراويته : الذي يروى الشعر ويحفظه .

فَطِينٌ لِلصَّاحِاحِ مِنْ لُؤْلُؤِ الْقَوِ
لَمْ يَكُنْ فِي غُلُوِّ ضَيْقِ الصَّدِّ
لَا يُعَادَى ، وَيُتَّقَى أَنْ يُعَادَى
فَانْضِصْ فِي ذِمَّةِ الشَّبَابِ نَقِيًّا
إِنَّ لِلْعَصْرِ وَالْحَيَاةِ لِلْوَمَاءِ
صَانِكَ اللَّهُ مِنْ فُسَادِ زَمَانٍ
سَيَقُولُونَ : ما رثاه على الفضة
أَيُّهُمْ مَنْ أَتَى بِرَأْسِ كُلِّبٍ
لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ خَالِكَ إِلَّا
أَتَمَّنِّي لِمَصْرَ أَنْ يَجْرِيَ الْخَيْدُ
لَسْتُ أَرْجُوهُ كَالرَّجَالِ لَصَيْدٍ
كَيْفَ أَرْجُو (أَبَا سَعِيدٍ) لَشَيْءٍ
هُوَ أَهْلٌ لَأَنْ يَرُدَّ لِقَوِي
وَأَنَا الْمَرْءُ لَمْ أَرَ الْحَقَّ إِلَّا
رُبَّ حَرٍّ صَنَعْتُ فِيهِ ثَنَاءً

لِ ، وَأَدْرَى بَهْنٍ مِنْ لَآلِهِ (١)
رِ ، وَلَا كَانَ عَاجِزًا فِي اعْتِدَالِهِ
وَيُخْلِي سَبِيلَ مَنْ لَمْ يُوَالِهِ
طَاهِرًا مَا تُنَيِّتُ مِنْ أَذْيَالِهِ
لَسْتُ مِنْ أَهْلِهِ وَلَا مِنْ مَجَالِهِ
دَنَسَ اللُّومُ مِنْ ثِيَابِ رِجَالِهِ
لِ ، وَلَكِنْ رَثَاهُ زُلْفَى لِحَالِهِ
أَوْ شَفَى الْقَطْرَ مِنْ عَيَاءِ أَحْتِلَالِهِ ؟
أَنْنِي مَا حَيِّتُ فِي إِجْلَالِهِ
رُ لَهَا مِنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ
مِنْ حَرَامٍ انْتَخَابِهِمْ أَوْ حَلَالِهِ
كَانَ يُقْضَى بِكُفْرِهِ وَضَلَالِهِ ؟
أَمْرَهُمْ فِي حَقِيقَةِ اسْتِقْلَالِهِ
كَنْتُ مِنْ حِزْبِهِ وَمِنْ عُمَالِهِ
عَجَزَ النَّاحِتُونَ عَنْ تَمَثَالِهِ (٢)

١- اللال : صانع اللؤلؤ وبائعه -٢- يقول : اننى كثيرا ما اصنع
للأحرار قصائد ثناء ، فتقوم فى تصويرهم وتخليد أشكالهم ومزايابهم مقام
التمائيل التى تعجز المثالين الناحتين أن يصنعوا مثالها .

أمين بك الرافعى (*)

مال أحبابه خليلاً خليلاً وتولى اللداتُ إلا قليلاً
نصلوا أميس من غبار الليالى ومضى وحده يحثُ الرحىلا (١)
سكنت منهم الركابُ . كأن لم تضطرب ساعة ولم تمض ميلاً
جردوا من منازل الأرض إلا حجرًا دارسا وزملاً مهيلاً (٢)
وتعرّوا إلى البلى ، فكساهم خشنّة اللحد والدجى المسدولاً
في ينباب من الثرى رده الموت ت نقياً من الحقوق غسيلاً (٣)
طرحوا عنده الهموم ، وقالوا إن عبء الحياة كان ثقيلاً
إنما العالم الذى منه جئنا ملعب لا ينوع التمثيلاً
بطل الموت فى الرواية ركنٌ بُنيت منه هيكلاً وفصولاً
كلما راح أو غدا الموت فيها سقط. السّترُ بالدموع بكليلاً

* * *

(*) أمين بك الرافعى ، كان كاتباً سياسياً عظيماً ، وكان فى الصحفيين السياسيين يعد مثلاً عالياً ، لطهارة الدمة ، ونبل الغاية ، ونزاهة الضمير ، وله فى تمسكه برأيه وصلابته على الحق الذى يعتقده مواقف تضحية ، لا يصبر عليها الا من وطن نفسه على احتمال جميع مكاره الحياة ، وقد وقف حياته منذ نشأته على خدمة القضية المصرية ، وظل مجاهداً فى سبيل استقلال مصر حتى مات فى سنة ١٩٢٦ .

١ - نصلوا من غبار الليالى ، تعبير كئيب عن الموت ، اذ غبار الليالى عبارة عن أحداثها ، وليس فى امكان الحى التنصل من هذه الاحداث الا بالموت . يقول ان احبابه وخلانه سبقوه ، وتنصلوا من الدنيا وحوادثها ، وها هو ماض على اثرهم مسرعاً ، ليلحق بهم ، وينصل من بلاء الدنيا كما نصلوا -٢- يصف خروج الناس من الدنيا وليس فى ايديهم من ممتلكاتها الا الحجر الموضوع تحت رءوسهم ، والتراب المهيل فوق قبورهم ، فكأنه يقول : ليت شعري لم يتقاتل الناس ، ويتكالبون على بناء القصور وشراء الضياع ، وهم اذا ماتوا لا يصحبهم من هذه الممتلكات الا حجر واحد وحفنة من تراب تدارى جسومهم وتوارى رءوسهم -٣- اليباب : الخراب . يقول : ان هذا اليباب الذى نسميه بالمقابر موضع نقاه الموت من الاكدار ، وغسله من الاحقاد ، فهو من أجل ذلك صار أروح للأرواح عن المواضع الآهلة بالعمران .

— ١٣٥ —

ذكريات من الأحبة تُمحي بيد للزمان تمحو الطلولا
كل رسم من منزل أو حبيب سوف يمشى البلى عليه مُحيلا
رُبُّ تُكَلِّلُ أساك من قُرحة الشك لي ، ورزء نساك رزءاً جليلا

* * *

يابنات القريض ، قُمنَ مناحا تِ ، وأرسلنَ لوعةً وعويلا
من بنات الهليل أنتنَ أحنى نغمة في الأسى ، وأشجى هديلا (١)
إن دمعاً تذرفنَ إثرَ رفاق سوف يبكي به الخليلُ الخيلا
رُبُّ يومٍ يُناحُ فيه علينا لو نُحِسُ النواح والترتيلا
بمراثٍ كتَبَنَ بالدمع عنا أسطراً من جوى ، وأخرى غيلا
يجدُ القائلون فيها المعاني يومَ لا يأذن البلى أن نقولا

* * *

أخذ الموت من يد الحق سيفاً خالدي الغرار ، غضباً ، صقيلا (٢)
من سيوف الجهاد فولأذه الحد قُ ، فهل كان قيئه جبريلا ؟ (٣)
لمسته يدُ السماء ، فكان الـ برق والرعد خفقةً وصليلا
ولبأء الرجال أمضى من السيـ فِ على كف فارسٍ مسلولا
رُبُّ قلبٍ أصاره الحلقُ ضِرْغاً مأ ، وصدرٍ أصاره الحقُ غيلا (٤)

١- الهديل : الحمام . وصوت الحمام ، والهديل ايضاً : فرخ قالوا انه كان على عهد نوح ، فصاده جارج من جوارح الطير ، فليس من حمامة الا وهى تبكى عليه -٢- الغضب : السيف ، والفرار : حد السيف . وقوله : « خالدي » نسبة الى خالد بن الوليد . والصقيل : المصقول -٣- القين : هو الحداد الذى يصنع السيوف -٤- الضرغام : من اسماء الاسد . والفيل : موضع الاسد .

قِيلَ: حَلَلْتُ. قُلْتُ: عِرْقُ مَنْ أَلْتِ
لَمْ يَزِدْ فِي الْحَدِيدِ وَالنَّارِ إِلَّا
لَمْ يَخَفْ فِي حَيَاتِهِ شَبَحَ الْفَقْرَ
جَاعَ حِينًا، فَكَانَ كَاللَّبَنِ آبَى
تَأْكُلُ الْهَرَّةُ الصُّغَارَ إِذَا جَا
قِيلَ: غَالٍ فِي الرَّأْيِ قُلْتُ: هَبْوُهُ
وَقَدِيمًا بَنَى الْغُلُوُّ نَفُوسًا
وَكَمْ اسْتَهْضَمَ الشُّيُوخَ، وَأَذَكِي
مِنْ الرَّأْيِ مَا يَكُونُ نِفَاقًا
وَمِنَ النِّقَدِ وَالْجِدَالِ كَلَامٌ
وَأَرَى لِلصِّدْقِ دِينًا لَسَلِيلِ الْ
عَاشِ لَمْ يَغْتَبِ الرِّجَالَ، وَلَمْ يَجْ
قَدْ فَقَدْنَا بِهِ بَقِيَّةَ رَهْطِ
حَرَكُوهُ، وَكَانَ بِالْأَمْسِ كَالْكُهْ
يَا أَمِينَ الْحَقُوقِ، أَذِيتَ حَتَّى
وَلَوْ اسْطَغْتِ زِدْتَ مَصْرَ مِنَ الْحَقِّ عَلَى نَيْلِهَا الْمُبَارَكِ نَيْلًا
لَسْتُ أَنْسَاكَ قَابِعًا بَيْنَ دُرُجَتَيْ

بِرِّ أَرَاخَ الْبَيَانِ وَالتَّحْلِيلِ
لَمَحَّةَ حُرَّةٍ، وَصَبْرًا جَمِيلًا
رِ إِذَا طَافَ بِالرِّجَالِ مَهُولًا
مَا تُلَاقِيهِ يَوْمَ جُوعٍ هَزِيلًا
عَتَ، وَلَا تَأْكُلُ اللَّبَاءُ الشُّبُولَا
قَدْ يَكُونُ الْغُلُوُّ رَأْيًا أَصِيلًا
وَقَدِيمًا بَنَى الْغُلُوُّ عُقُولًا
فِي الشُّبَابِ الطَّمَاخَ وَالتَّأْمِيلَا
أَوْ يَكُونُ اتِّجَاهُهُ التَّضْلِيلَا
يُشَبِّهُ الْبَغْيَ، وَالْخَنَا، وَالْفُضُولَا
رَافِعِيَيْنَ وَالْعَفَافَ سَبِيلَا
هَلْ شَتُونَ النُّفُوسَ قَالًا وَقِيلَا
أَيَقْظُوا النَّيْلَ وَادِيًا وَنَزِيلَا
فِ حُزُونًا، وَكَالرَّقِيمِ سُهُولَا (١)
لَمْ تَخُنْ مَصْرَ فِي الْحَقُوقِ فَتِيلَا
الْحَقِّ عَلَى نَيْلِهَا الْمُبَارَكِ نَيْلَا
لَكَ مُكِبًّا عَلَيْهِمَا مَشْغُولَا

١- الكهف: كالبيت المنقور في الجبل. والرقيم: يقال هو الكتاب،
واذن فيكون تشبيهه سهول النيل بالرقيم، معناه أنها كانت وقتئذ مبسوطة
خالية مهياة لان يخط فوقها حروف الحياة الاولى. ولو سئل احد الحكماء
ما هي الحروف الاولى للحياة؟ لاجاب على الفور: هي اليقظة. ولعسرى
ان ربة الحكمة اذن هي التي الهمت امير الشعراء قوله في البيت السابق:
« ايقظوا النيل واديا ونزيلا » ففي تصوره الذهني لمعنى اليقظة سنق
خياله الى تشبيهه سهول وادي النيل بالرقيم.

قد تواريتَ في الخُشوع ، فخالو لك ضئيلاً ، وما خلقتَ ضئيلاً
سائل (الشعبَ) عنك ، و (العَلَمَ) الخفاقَ ، أو سائل اللواء الظليلاً (١)
كم إمامٍ قربتَ في الصفِّ منه ومُغنٍ قَعَدتَ منه رَسِيلاً ؟
تُنشِدُ النَّاسَ في القَضِيَّةِ لَحْنًا كالحواريِّ رَتَّلَ الإنجيلا
ماضيًّا في الجهاد لم تتأخَّر تَزِنُ الصفَّ ، أو تُقيم الرِّعِيلا (٢)
ما تبالي مَضِيَّتَ وحدك تحمي حَوَزة الحق ، أم مَضِيَّتَ قَبِيلا

* * *

إن يَفُتَّ فيك مِنبرَ الأَمْسِ شعري إن لي المنبرَ الذي لن يزولا
جلَّ عن مُنشِدٍ سِوَى الدهرِ يُلقِب علي الغابرين جِيلاً فجِلا

١- الشعب ، والعلم ، واللواء : أسماء صحف كان الفقييد يحررها
مناضلا فيها عن مبادئه -٢- الرعيل : طائفة من الخيل . والمراد أنه كان في
جيش المجاهدين في القضية المصرية يقوم الصفوف اذا مالت ، ويرد
الطوائف اذا نفرت .

الشيخ سلامة حجازي (٥)

يا نَرَى النِيلِ، في نَوَاحِيكَ طَيْرٌ كان دنيا ، وكان فرحة جِيلِ
لَمْ يَزَلْ يَنْزِلُ الْخَمَانِلَ حَتَّى حلَّ في رَبْوَةٍ على سَلْسِيلِ
أَفْعَدَ الرُّؤُوسَ فِي الْحَيَاةِ مَلِيًّا وأَقَامَ الرَّبِّيَ بِسِحْرِ الْهَدِيلِ (١)
يَا لِيَوَاءَ الْغَنَاءِ فِي دَوْلَةِ الْف ن : إِلَيْكَ اتَّجَهْتُ بِالْإِكْلِيلِ
عَبْقَرِيًّا كَأَنَّهُ زَنْبَقُ الْخُلْدِ بِدِ عَلَى فَرْعِهِ السَّرِيِّ الْأَسِيلِ (٢)
أَيْنَ مِنْ مَسْمَعِ الزَّمَانِ أَغَانِ يُّ عَلَيْهِنَّ رَوْعَةُ التَّمْثِيلِ ؟
أَيْنَ صَوْتُ كَأَنَّهُ رَنَّةُ الْبَلْبِ لِي فِي النَّاعِمِ الْوَرِيفِ الْظَلِيلِ ؟
فِيهِ مِنْ نَخْمَةِ الْمَزَامِيرِ مَعْنَى وَعَلَيْهِ قَدَاسَةُ التَّرْتِيلِ
كَلِمَا رَنَّ فِي الْمَسَارِحِ «إِنْ كَدَ تْ» انشَنَى بِالْهَتَافِ وَالتَّهْلِيلِ (٣)
كَتَبْتَابِ الْحَبِيبِ فِي أُذُنِ الصَّ ب ، وَهَمَمِيسِ النَّدِيمِ حَوْلَ الشُّمُولِ (٤)
كَيْفَ إِخْوَانُنَا هُنَاكَ عَلَى الْكَوِّ ثَرِ بَيْنَ الصَّبَا وَبَيْنَ الْقَبُولِ ؟ (٥)

(١) بلغ الشيخ سلامة حجازي أعلى قمم المجد في فن الغناء والتمثيل في عصره ، وقد رَوَى أن يعترف له بهذا النبوغ اعترافاً عملياً . فتألفت جماعة من أهل الفضل وانغموا على نقل جثمانه إلى ضريح يتناسب وهذا التقدير . وراوا من أفضل الوسائل لهذه الغاية أن يقيموا حفلة تذكارية تمجيدا لذكرى الفقيد ، وتم لهم ذلك ، وإقيمت الحفلة في شهر ديسمبر سنة ١٩٣١ وأنشدت فيها هذه القصيدة العصماء .

١- الهديل : الصوت الحسن الذي يشبه صوت الحمام ٢- السري :
الجدول ٣- أن كنت ، يشير إلى أن الفقيد قد ذاعت من أغانيه قصيدة
مطلعها :

ان كنت في الجيش ادعى صاحب العلم

فأننى في هواكم صاحب الألم

٤- الشمول : الخمر ٥- الصبا : ريح مهبها من جهة المشرق وهي
من العلف الرياح .

كيف في الخلد ضربُ أحمد بالعو د ، ونفخُ الأمين في الأرغول؟ (١)
فرحَ كُلُّهُ النعيمُ وعُرسُ كيف (عثمان) فيه كيف (الحمولي)؟ (٢)
فهنيئاً لكم ونعمةً بالِ إسترحم من ظل كل ثنيل
إنما منزلُ رُفَاتك فيه لبقايا من كل فن جميل
ذُبلت في ثراه رِيحانةُ الد ن ، وجفت رِيحانةُ التمثيل

* * *

قام يَجْزِي (سلامة) في ثراه وطنُ بالجزاء غيرُ بَخيل
قد يُوفى البناء والغرس أجراً ويكافى على الصنيع الجليل
مُحسنٌ بالبنين في حاضر العي ش ، وفي سالف الزمان الطويل
ويعدُّ الضريح من مَرَمِرِ الخلد الكريم المهذب المصقول (٣)
يدفنُ الصالحين في ورقِ المصحف حَف ، أو في صحائف الإنجيل

* * *

مصرُ في غيبةِ المشايخ ، والحا سِد ، والحاقد اللئيم الدليل
قامت اليوم حول ذِكراك تجرى وطنياً من الطراز القليل
من رجالٍ بنّوا لمصر حديثاً وأذاعوا مَحَامِيناً للنيل
هم سُقاةُ القلوب بالودِّ والصَّفد و . وهم تارة سُقاةُ العقول
ليس منهم إلا فتى عبقرى ليس في المجد بالدعى لدخيل

١ - أحمد : اسم أحد المعاصرين ؛ اشتهر بضرب العود . وامين : معاصر
آخر اشتهر بالأرغول - ٢ - عثمان : هو محمد عثمان ، وكان من المغنين
الكبار . والحمولي : هو عبده الحمولي - ٣ - الضريح : هو البناء الذي
اتفست لجة احياء ذكرى الفقيده على صنعه من المرمر المصقول ليدفن فيه
ج . ان الفقيه تكرر بما له .

أدهم باشا(*)

مُصَابُ بَنَى الدُّنْيَا عَظِيمٌ (بَادَهُمِ) وَأَعْظَمُ مِنْهُ حَيَرَةُ الشَّعْرِ فِي فَمِي
أَنْطَقُ وَالْأَنْبَاءُ تَتَرَى بِطِيبِ وَأَسْكُتُ وَالْأَنْبَاءُ تَتَرَى بِمَوْلَمِ ؟
أَتَيْتُ بَغَالٍ فِي الثَّنَاءِ مُنْضِدٍ فَمَنْ لِي بِغَالٍ فِي الرِّثَاءِ مُنْظَمِ ؟
عَسَى الشَّعْرُ أَنْ يَجْزِيَ جَرِيئًا ، لَفَقْدِهِ بَكَى التُّرْكَ وَالْيُونَانُ بِالْدمِ
وَكَمْ مِنْ شُجَاعٍ فِي الْعِدَاةِ مُكْرَمِ وَكَمْ مِنْ جَبَانٍ فِي اللَّدَاتِ مُذْمَمِ
وَهَلْ نَافِعُ جَرَى الْقَوَافِي لَغَايَةِ وَقَدْ فَتَكَتْ دُهُمُ الْمَنَایَا بِأَدَهُمِ ؟ (١)
رَمَتْ فَاصَابَتْ خَيْرَ رَامٍ بِهَا الْعِدَى وَمَا السَّهْمُ إِلَّا لِلْقَضَاءِ الْمُحْتَمِ
فَتَى كَانَ سَيْفُ الْهِنْدِ فِي صُورَةِ أَمْرِی وَكَانَ فَتَى الْفَتَيَانِ فِي مَسْكِ ضَيْغَمِ (٢)
لَحَاهُ عَلَى الْإِقْدَامِ حُسَادُ مِجْلِدِهِ وَمَا خُلِقَ الْإِقْبَالُ إِلَّا لِمُقْدِمِ
مُزْعَزَعُ أَجْيَالٍ ، وَغَاشِي مَعَاقِلِ وَقَائِدُ جَرَارٍ ، وَمُزْجِي عَرَمَرَمِ (٣)
سَلَوْا عَنْهُ (مِيلُونَا) وَمَا فِي شِعَابِهِ وَفِي ذِرْوَتَيْهِ مِنْ نُسُورٍ وَأَعْظَمِ
لِيَالِي بَاتَ الدِّينُ فِي غَيْرِ قَبْضَةٍ وَزُلْزَلَ فِي إِيْمَانِهِ كُلُّ مُسْلِمِ
وَقَالَ أَنَاسٌ : آخِرُ الْعَهْدِ بِالْمَلَا وَهَمَّتْ ظُنُونٌ بِالتُّرَاثِ الْمُقْسَمِ (٤)
فَأُطْلِعَ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُلْكِ كَوَكْبًا مِنْ النُّصْرَةِ دَاجٍ مِنْ الشُّكِّ مُظْلَمِ
وَرَحْنَا نُبَاهِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ عِزَّةً وَكُنَّا حَدِيثَ الشَّامَةِ الْمُتَرْحِمِ
مَفَاخِرُ التَّارِيخِ تُخْصَى لِأَدَهُمِ وَمَنْ يُقْرِضُ التَّارِيخَ يَرْبِخَ وَيَغْنَمَ

* * *

(*) أدهم باشا : هو القائد التركي الذي اشتهر في الحروب العثمانية اليونانية - ١ - دهم المنايا : أي سود المنايا - ٢ - المسك (بفتح الميم) : الجلد والضيغم : الأسد - ٣ - العرموم : الجيش الكبير - ٤ - الملا : الجماعة ، ويريد بها الدولة العثمانية . والتراث المقسم : البلاد التابعة للدولة في ذلك الوقت .

ألا أيها الساعون ، هل ليس الصفا
وهل أقبل الركبان ينعون (خالداً)
وهل مسجداً تتلون فيه رثاءه ؟
وكان إذا خاض الأسنة والظبي
ومن يعطى في هذى الدنية فسحة
(على) أبو الزهراء داهية الوغى
سواداً ، وقد غص الورود : منزم ؟
إلى كل رام بالجمار ومخرم ؟
فكم قد تلوتم مدحه بالترنم !
تنحت إلى أن يعبر الفارس الكمي
يُعمر وإن لاقى الحروب ويسلم
دهاء بباب الدار سيف ابن ملجم
(فروق) ، اضحكي وابكي فخاراً ولوعة

وقومي إلى نعش الفقيد المعظم
كأن شهيد قد أتاها نعيه
وخطى له بين السلاطين مضجعا
بخلت عليه في الحياة بموكب
وياداء ، ما أنصفت إذ رعت صدره
ويأياها الماشون حول سريريه
ويامصر ، من شيعت أعلى همامة
ويا قوم ، هذا من يُقام لمثله
ويا بحر ، تدري قدر من أنت حامل ؟
فخفت له بين البكا والتبسم
وقبرا بجانب الفاتح المتقدم
فتوبى إليه في المات بئاتم
وقد كان فيه الملك إن ريع يحتمي
أحطتم بتاريخ فصيح التكلم
وأثبت قلباً من رواصي المقطم
مثال لباعى قدوة متعلم
ويا أرض ، صونيه ، وياربى ، ارحم

عثمان باشا الغازي (٥)

هالةٌ للهِلالِ فيها اعتصامٌ كيف حامت حِيالُها الأَيَّامُ ؟
دخلتها عليك (عثمانُ) في السد م ، وقد كنتَ في الوغَى لأثرام
وإذا الداءُ كان داءَ المنايا صعبتُهُ لأهلِها الأحلام
فبرغم (المُشيرِ) أن يتَوَلَّى والخطوبُ المُرَوِّعاتُ جِسام
ويُدُّ الملكُ تستجيرُ يَدَيْهِ والسرايا تدعوه ، والأعلام
وبنوه يرجونه وهُمُ الجندُ دُ ، وهم قادةُ الجنودِ العِظام
مثَلَتْهم صِفاته للبرايا رُبَّ فردٍ سادت به أقوام
بطلَ الشرقِ . قد بَكَتْكَ المعالي ورثاك الوليُّ والأخصام
خَذَلَ الملكَ زنده يومَ أودِيَ ت ، وأهوى من راحتِهِ الحُسام
ودَهَى الدينَ والخلافةَ أمرُ فادحٌ ، رائعٌ ، جليلٌ ، جُسام
علمُ العصرِ والممالكِ وَلى وقليلٌ أمثالهُ الأعلام
سَلَّ (بلفنا) : أَكُنْتَ تُذَرِّكُ فيها وَلَوْ أَنَّ المحاصِرِينَ الأَنام
خِيَمَ الروش حولَ حِصْنِكَ ، لكن أين مِنْ هامةِ السَّماكِ الخيام ؟
وأحاطت بعِزِّمك الجندُ ، لكن عِزُّمُكَ الشُّهْبُ ، والجنودُ الظلام
كلما جَرَّدَ (المُحاصِرُ) سيفًا قطعَ السيفَ رأيِكَ الصَّصام
وإذا كانت العقولُ كِبَارًا سَلِمْتَ في المَضايِقِ الأجسام
وعجيبٌ لا يَأْخُذُ السيفُ منكم وَيَنالُ العلوى ، ويُعْطَى الأَوَّامُ
فخرجتم إلى العِدا لم تُبالوا ما لأُسْدٍ على سُغوبِ مُقام

(*) هو قائد تركي كبير ، اشتهر في الحروب العثمانية الروسية .

تَخْرَقُونَ الْجِيُوشَ جِيْشًا فَجِيْشًا	مِثْلَمَا يَخْرُقُ الْخِرَاءُ الْعَمَامَ
وَالْمَنَازِلَ مُحِيطَةً ، وَحِصُونَ الرُّ	وَيْسَ تَحْمِي الطَّرِيقَ وَالْأَلْغَامَ
وَلِنَارِ الْعَدُوِّ فَيْكُمْ قُعودٌ	وَلِسَيْفِ الْعَدُوِّ فَيْكُمْ قِيَامَ
جُرْحِ اللَّيْثِ يَوْمَ ذَاكَ ، فَخَانِ الْ	جَشَّ قَلْبٌ . وَزُلْزِلَتْ أَقْدَامُ
مَا دَفَعْتَ الْحُسَامَ عَجْزًا . وَلَكِنْ	عَجَزَتْ ضَيْغَمَ الْحُرُوبِ الْكِلَامَ
فَأَعَادُوهُ خَيْرَ شَيْءٍ أَعَادُوا	وَكَذَا يَعْرِفُ الْكِرَامُ الْكِرَامَ
فَتَقَلَّدَتْهُ وَكُنْتَ خَلِيقًا	سَلَبْتَنَا كَلِيكُمَا الْآيَامَ
مَا لَهَا عَوْدَةٌ . وَلَا لَكَ رَدٌّ	نِمْتَ عَنْهَا . وَمَنْ تَرَكْتَ نِيَامَ
إِنَّمَا الْمَلِكُ صَارُمٌ وَيَرَاعُ	فَإِذَا فَارَقَاهُ سَادَ الطَّغَامَ
وَنِظَامُ الْأُمُورِ عَقْلٌ وَعَدْلٌ	فَإِذَا وَلِيًّا تَوَلَّى النِّظَامَ
وَعَجِيبٌ خُلِقْتَ لِلْحَرْبِ لَبِثًا	وَسَجَايَاكَ كُلُّهُنَّ سَلَامَ
فَهِيَ فِي رَأْيِكَ الْقَوِيمِ حَلَالٌ	وَهِيَ فِي قَلْبِكَ الرَّحِيمِ حَرَامَ
لَكَ سَيْفٌ إِلَى الْيَتَامَى بَغِيضٌ	وَحَذَانٌ يُحْيِيهِ الْآيَاتُ
مُسْتَبَدٌّ عَلَى قَوِيٍّ ، حَلِيمٌ	عَنْ ضَعِيفٍ . وَهَكَذَا الْإِسْلَامَ

بطرس باشا غالى (*)

قبرَ الوزير ، تحيةً وسلاماً	الحلمُ والمعروفُ فيكَ أقاماً
ومحاسنُ الأخلاقِ فيكَ تغيَّبتْ	عاماً ، وسوف تغيَّبُ الأعواما
قد كنت صومعةً فصيرت كنيسة	في ظلِّها صليُّ المُطيفِ وصاماً
والقومُ حوَّلَكَ يا بن (غالى) خُشَّعٌ	يقضونَ حقاً واجباً وذمّاماً
يسعونَ بالأبصار نحوَ سريره	كالأرض تنشدُ في السماء غمّاماً
يبكونَ مؤثِّلهم ، وكهفَ رجائهم	والأريحيُّ المُفضِّلُ المقدّاماً
متسابقين إلى ثراك ، كأنهم	ناديك في عزِّ الحياة زحاماً
ودواغداة نُقلت بينَ عيونهم	لو كان ذلك محشراً وقياماً
ماذا لقيتَ من الرِّياساتِ العُلا	وأخذتَ من نِعَمِ الحياة جساماً ؟
اليوم يُغنى عنكَ لوعةُ بائس	وعزاءُ أرملةٍ ، وحزنُ يتامى
والرأيُ للتاريخ فيكَ ، ففي غدٍ	يزنُ الرجالُ ، وينطقُ الأحكاما
يقضى عليهم في البرية ، أو لهم	ويُديمُ حمداً ، أو يُؤيِّدُ ذاماً
أنت الحكيمُ ، فلا ترُعكَ منيةٌ	أعلِمتَ حياً غيرَ رِفْدِكَ داماً
إنَّ الذي خلقَ الحياةَ وضدّها	جَعَلَ البقاءَ لِوَجْهِهِ إِكراماً
قد عشتَ تُحدِّثُ للنصارى ألفةً	وتُجدُّ بينَ المسلمين وثاماً
واليومَ فوقَ مَشيدِ قبرِكَ ميتاً	وجَدَّ الموفِّقُ للمقالِ مقاماً

(*) بطرس باشا غالى ، كان رئيس الوزارة المصرية في أيام حكم الخديو عباس الثانى ، وقد اغتاله ابراهيم الوردانى في سنة ١٩١٠ لاسباب سياسية .

الحقُّ أبلغُ كالصباحِ لناظرٍ	لو أنَّ قومًا حَكَّموا الأحلاما
أَعَهَدَتْنَا وَالْقَبْطَ. إِلَّا أُمَّةٌ	للأرضِ واحدة تروم مَراما ؟
نُعَلِي تَعَالِيمَ الْمَسِيحِ لِأَجْلِهِمْ	وَيُوقِّرُونَ لِأَجْلِنَا الْإِسْلَامَا
الَّذِينَ لِلدِّيَانِ جَلٌّ جَلَالُهُ	لو شاءَ رَبُّكَ وَحَدَّ الْأَقْوَامَا
يَا قَوْمُ ، بَانَ الرُّشْدُ فَاقْضُوا مَا جَرَى	وَأَخُذُوا الْحَقِيقَةَ ، وَانْهِنُوا الْأَوْهَامَا
هَذِي رُبُوعُكُمْ ، وَتِلْكَ رُبُوعُنَا	مُتَقَابِلِينَ نَعَالِجِ الْأَيَامَا
هَذِي قُبُورُكُمْ ، وَتِلْكَ قُبُورُنَا	مُتَجَاوِرِينَ جَمَاجِمَا وَعِظَامَا
فَبِحُرْمَةِ الْمَوْتَى ، وَوَجِبِ حَقِّهِمْ	عِيشُوا كَمَا يَقْضَى الْجَوَارُ كِرَامَا

يبكى والدته (*)

إلى الله أشكو من عوادي النوى سهماً أصاب سويداء الفؤاد وما أضمى (١)
من الهاتكات القلب أول وهلة وما دخلت لحماً ، ولا لامست عظماً
توارد الذاعى ، فأوجست رنة كلاماً على سمعى ، وفى كبدى كلما (٢)
فما هتفاحتى نزا (٣) الجنب وانزوى فيا ويح جنبي ! كم يسيل ؟ وكم يدى ؟
طوى الشرق نحو الغرب ، والماء للشرى إلى ، ولم يركب بساطاً ولا يما (٤)
أباداً ولم ينيس ، وأدى ولم يفه وأدى وما داوى ، وأوهى وما رما
إذا طويت بالشهب والدهم شقة طوى الشهب ، وأجاب الغدافية اللهما (٥)
ولم أر كالأحداث سهماً إذا جرت ولا كالليالى رامياً يبعد المرى
ولم أر حكماً كالمقادير نافذاً ولا كلقاء الموت من بينها حتماً

(*) نظم أمير الشعراء هذه المراثية الرائعة ، على اثر اعلان الهدنة ،
وهر فى منغاه فى الاندلس سنة ١٩١٨ - اذ كان يعزل النفس بالعسودة الى
الوطن العزيز ولقاء آله ، وفى مقدمتهم والدته الحبيبة ، ولكنه ما كاد يتحدث
الى نفسه بهذا الامل المروق ، حتى وافاه البرق بنعيها ، فآثر هذا المصاب
الجبيم فى نفسه تأثيراً بالغاً ، ولم تمض ساعة حتى كتب هذه المراثية ،
وقد قيل انه من فرط تأثره بها تحاشى أن ينظر اليها بعد ، فبقيت
مستورة ضمن اوراقه الخاصة ، حتى نشرت فى الصحف غداً وفاته رحمه الله
١- عوادي النوى : عوائقه . وقوله : « أصاب سويداء الفؤاد وما أضمى »

أضمى : أى أصاب صميم القلب ولم يقتل - ٢- الكلم (بفتح الكاف) :
الجرح - ٣- نزا الجنب : يريد نزا القلب ، ويقال : نزا الطائر . اذا هم
بالطيران - ٤- بساطاً ولايما : أى لم يركب طيارة تسير فى الهواء : كما
سار بساط الزيج بسليمان عليه السلام . ولم يركب باخرة تسير على اليم .
أى البحر - ٥- الشهب : البيض . والدهم : السود . وجاب : قطع .
والغدافية : السوداء ، ويقصد بالشهب وبالدهم : الخيل البيضاء والسوداء
أو النهار والليل ، كانه يتعجب من سرعة هذا النعى فى وصوله اليه .

إلى حيثُ آباءُ الفتى يذهبُ الفتى
وما العيشُ إلا الجسمُ في ظلِّ رُوحِهِ
ولا خلدٌ حتى تملأَ الدهرُ حِكْمَةً
على نزلاءِ الدهرِ بعدك أو علماً
سَبِيلُ يَدِينُ العالَمونَ بها قَدْما

* * *

زَجَرْتُ تَصَاريفَ الزمانِ ، فما يَقَعُ
وقدَّرْتُ (للنعمانِ) يوماً وُضِدَهُ
شَرِبْتُ الأَسَى مصروفاً لو تعرَّضْتُ
فأتَرِغُ وناولُ يا زمانُ ؛ فإنما
قَتَلْتُكَ ، حتى ما أبا لي : أدْرَتَ لي
لَكَ اللهُ مِنْ مَطْعُونَةٍ بَقْنَا النوى
مُدْلَهَةٍ أَزْكَى مِنَ النَّارِ زَفَرَةٌ
سقاها بِشِيرِي وهى تَبْكِي صَبَابَةً
أَسْتُ جُرْحَها الأَنْبَاءُ غَيْرَ رَفِيقَةٍ
تَغَارُ على الحُمَى الفضائلُ والعُلا
أَكَانَتْ تَمَنَّاها وتَهْوَى لِقَاءَها
لِي اليَوْمَ منها كان بالأَمْسِ لي وهما (١)
فما اغْتَرَّتِ البُوسَى ، ولا غَرَّتِ النُّعْمَى (٢)
بأنفاسِها بالفَمِّ لم يَسْتَفِيقُ غَمًّا
نَدِيمُكَ (سُقْرَاطُ) الذى ابْتَدَعَ السَّما (٣)
بكأسِكَ نَجْماً ، أم أدْرَتَ بهارِجَما ؟
شَهِيدَةٌ حَرْبٍ لم تُقَارِفْ لها إنما
وَأَنْزَرَهُ مِنْ دَمْعِ الحَيَا عِبْرَةٌ سَخِما (٤)
فلم يَقَوْ مَغْناها على صَوْبِهِ رَسْما (٥)
وكم نازِعٍ سَهْماً فكان هو السَّهْما !
لِما قَبِلْتُ منها ، وما ضَمَّتِ الحُمَى !
إذا هِيَ سَهاها بذى الأَرْضِ مَنْ سَمَى ؟

١ - الزجر : العيافة والتكهن ، يقول : انه كان متكهنا بما صنعه الزمن معه وكان متوقعا له - ٢ - كان للنعمان بن المنذر يوم يؤس لا يفد فيه عليه احد الا قتله ، ويوم نعمى لا يسأل فيه الا اعطى ، ولهذين اليومين حوادث سارت من اجلها امثال كثيرة للعرب . ويرجع في هذا الى الكتب الادبيسة المطولة من شاء - ٣ - سقراط : امام الفلاسفة المتقشفين ، حكم عليه بالاعدام فشرب السم بيده ، ولم يرض ان يفر مع اصحابه الذين عزموا عليه بالفرار ٤ - العبرة السخما : اى السوداء ، ولا يكون هذا الا من اثر الحزن العميق .
٥ - الزسم : هو هنا مصدر « رسم المطر الديار » اذا عفاها وابقى اثرها لاحقا بالارض .

أَلَمَتْ عَلَيْهَا ، وَاتَّقَتْ ثَمَرَاتِهَا
فِيَا حَسْرَتَا أَلَا تَرَاهُم أَهْلَةً
رِيَّاحِينَ فِي أَنْفِ الْوَلِيِّ ، وَمَا لَهَا
وَأَلَا يَطُوفُوا خُشْعًا حَوْلَ نَعِيشِهَا
حَلَقَتْ بِمَا أَسْلَفَتْ فِي الْمَهْدِ مِنْ يَدٍ
وَقَبِيرٍ مَنُوطٍ بِالْجَلَالِ مُقَلَّدٍ
وَبِالْغَادِيَاتِ السَّاقِيَاتِ نَزِيلُهُ
لَمَّا كَانَ لِي فِي الْحَرْبِ رَأْيٌ وَلَا هَوَى
وَلَمْ يَكْ ظَلَمُ الطَّيْرِ بِالرَّقِّ لِي رِضًا
وَلَمْ آلُ شُبَّانَ الْبَرِيَّةِ رِقَّةً
وَكُنْتُ عَلَى نَهْجٍ مِنَ الرَّأْيِ وَاضِحٍ
وَمَا الْحُكْمُ إِلَّا أُولَى الْبِأْسِ دَوْلَةً

فَلَمَّا وَقُوا الْأَسْوَاءَ لَمْ تَرَهَا ذِمًّا
إِذَا أَقْصَرَ الْبَدْرُ التَّامُ مَضُوءًا قَدْ ذَمًّا
عَدُوٌّ تَرَاهُمْ فِي مَعَاطِيسِهِ رَغْمًا
وَلَا يُشْبِعُوا الرِّكْنَ اسْتِلاَمًا وَلَا لَثْمًا
وَأُولِيَّتْ جُمَانِي مِنَ الْمِنَّةِ الْعُظْمَى
تَلِيدَ الْخِلَالِ الْكَثْرَ ، وَالطَّارِفَ الْجَمًّا (١)
مِنَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ ، وَالْآيِ ، وَالْأَسْمَا
وَلَا رُمْتُ هَذَا التَّكَلُّفَ لِلنَّاسِ ، وَالْيَمَّا
فَكَيْفَ رِضَائِي أَنْ يَرَى الْبَشَرُ الظُّلْمَا ؟
كَأَنَّ ثَمَارَ الْقَلْبِ مِنْ وَلَدِي ثَمًّا
أَرَى النَّاسَ صِنْفَيْنِ : الذَّنَابَ أَوِ الْبَهْمَا (٢)
وَلَا الْعَدْلُ إِلَّا حَائِطٌ يَعْصِمُ الْحُكْمَا

* * *

نَزَلْتُ رُبِّي الدُّنْيَا ، وَجَدَّاتِ عَذْنِهَا
أُرِيحُ أُرِيحُ الْمِسْكَ فِي عَرَصَاتِهَا
وَإِنْ لَمْ أُرِخْ (مَرَوَانَ) فِيهَا وَلَا (لَخْمًا) (٣)
إِذَا ضَحِكْتُ زَهْوًا إِلَى سَمَاوِهَا
بَكَيْتُ النَّدَى فِي الْأَرْضِ ، وَالْبِأْسِ ، وَالْحَزْمَا
أُطِيفُ بِرِسْمٍ ، أَوْ أَلِمْ بِدِمْنَةٍ
أَخَالُ الْقُصُورَ الزُّهْرَ وَالْغُرَفَ الشَّمَا
قَمَا بَرَحْتُ مِنْ خَاطِرِي (مَصْرُ) سَاعَةً
وَلَا أَنْتِ فِي ذِي الدَّارِ زَايِلَتِ لِي هَمًّا

١ - التليد : القديم . والطارف : الجديد - ٢ - البهم (بفتح الباء) :
صغار الغنم - ٣ - مروان ولخم : قبيلتان عربيتان ، وهما من القبائل التي
تولت السيادة في بلاد الاندلس زمننا .

إذا جَنَنْيَ الليلُ أهْتَزَزْتُ إِيْلَيْكُمَا
فلما بدا للناسُ صُبحُ من المُنَى
وقرَّتْ سيوفُ الهندِ ، وارتكز القنا
وحنَّتْ نواقيسُ ، ورنَّتْ مآذنُ
أتى الدهرُ من دونِ الهناءِ ، ولم يزلْ
إذا جال في الأعْيادِ حلَّ نظامها
لئن فاتَ ما أمَلْتِه من مواكبِ
رثيتُ به ذاتَ التُّقى ونظمته
نمتكِ مناجيبُ العُلا ونميتها
وكنْتِ إذا هذى السَّماءُ تخايلتُ
أتيتُ به لم ينظم الشُّعرَ مثله
ولو نهَضتُ عنه السَّماءُ ، ومَخَضتُ
فجئنا إلى سُعْدَى ، وجئنا إلى سَلَمَى (١)
وأبصرَ فيه ذو البصيرةِ والأعْمَى
وأقلعتِ البلوى ، وأقشعتِ الغمَى
ورَفَّتْ وجوهُ الأرضِ تستقبلُ السَلَمَى
ولوعاً ببُنيانِ الرجاءِ إذا تمَّ !
أو العُريسِ أبلى في معاله هَذَا
فَدُونَكِ هذا الحشدُ والموكبُ الضُّخْمَا !
لعنصره الأزكى وجوهره الأسمى
فلم تُلَحِّقِي بنتاً ولم تُسَبِّقِي أُمَّا
تواضعتِ ، لكنْ بعد ما فُتَّتْها نجما
وجئْتِ لأخلاقِ الكرامِ به نظما
به الأرضُ كان المُنْزَنَ والتَّبَرَّ والكُرْمَا ! (٢)

١- الجنح (بضم الجيم وكسرهما) : طائفة من الليل - ٢- يريد أنه يشبه المزن في الكرم ، والتبر في العرق والنفاسة ، والخمر في السكر الذي يسكر الناس به من شعره .

الملك حسين(*)

لك في الأرض والسماء مآتمٌ قام فيها أبو الملائك هاشم^(١)
قعد الآل للعزاء ، وقامت باكيات على الحسين الفواطم^(٢)

* * *

يا أبا العليّة البهاليل ، سلّ آباءك الزهر : هل من الموت عاصم^(٣)
المنايا نوازلُ الشعر الأب يضي ، جارات كل أسود فاحم^(٤)
ما الليالي إلا قصارٌ ، ولا الدنّ يا سيوى ما رأيت أحلام نائم
انحسار الشفاه عن سنّ جدلا ن وراء الكرى إلى سنّ ناديم
سنة أفرحت ، وأخرى أساءت لم يدّم في النعيم والكرب حالم

* * *

المناحات في ممالك أبنا تلك بذرية العزاء قوائم^(٥)
تلك (بغداد) في الدموع ، وعمّا ن وراء السواد ، والشام واجم^(٦)

(*) هو ملك الحجاز الحسين بن علي ، زعيم الحركة العربية في طلب
تحرير أصقاع الجزيرة من حكم الاتراك ، وقد توفي سنة ١٩٣١ ودفن
بالقدس الشريف .

١- أبو الملائك : أي أبو الملوك . وهاشم هو أحد جدود النبي صلوات
الله عليه -٢- الآل : آل البيت النبوي الشريف ، والمقصود هنا رجاله .
والفواطم : يريد بهن نساء هذا البيت من ذرية السيدة فاطمة الزهراء بنت
الرسول صلى الله عليه وسلم ، وزوج الإمام علي كرم الله وجهه -٣- عليّة
(بكسر العين) : جمع علي ، وهو الشريف العالي القدر من الناس . والبهاليل :
جمع بهلول ، وهو السيد الجامع لكل خير . والآباء الزهر : هم المشرقي
الوجود ، المشابهون للنجوم الزهر في صفاء اللون والتلألؤ والظهور .
٤- يقول : ان المنايا تنزل بالشيب كما تنزل بالشباب ، فليس هناك من
عاصم منهن -٥- يشبه الحزن على الفقيده بالحزن على صرعى بدر : أولى
غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم -٦- بغداد : عاصمة العراق . والمراد
بها القطر كله . وعمان : عاصمة الاردن : كنى بها عن الاقليم جميعه .
والشام : يقصد بها سوريا وما اليها من الاقاليم المحصورة بين تركيا وبلاد
العرب ونهر الفرات والبحر المتوسط .

والحِجَازُ النَّبِيلُ رَبْعٌ مُصَلٌّ من رُبُوعِ الْهُدَى ، وَآخِرُ صَائِمٍ (١)
وَاشْتَرَكْنَا ، فَمِصْرُ عَبْرَى ، وَلَبْنَا نُسْكُوبُ الْعِیُونَ بِأَكْبَى الْحَمَائِمِ

* * *

قُمْنَا تَمَامُ بَنِيكَ فِي الشَّرْقِ زَيْنُ التَّسَاجِ ، مِلْءُ السَّرِيرِ ، نُورُ الْعَوَاصِمِ (٢)
الزَّكِيُّونَ عُنُصْرًا مِثْلَ إِبْرَاهِيمَ ، وَالطَّيِّبُونَ مِثْلَ الْقَاسِمِ (٣)
وَعَلَيْهِمْ إِذَا الْعِیُونَ رَمَتْهُمْ عُوذٌ مِنْ مُحَمَّدٍ وَتَمَائِمِ (٤)
قَدْ بَنَى اللَّهُ بَيْتَهُمْ فَهُوَ بَاقٍ مَا بَنَى اللَّهُ مَا لَهُ مِنْ هَادِمٍ
دَبَّرُوا الْمَلِكَ فِي الْعِرَاقِ وَفِي الشَّامِ مِ ، فَسَنُوا الْهُدَى ، وَرَدُّوا الْمَظَالِمِ
أَمِنَ النَّاسُ فِي ذَرَاهِمَ ، وَطَابَتْ عَرَبُ الْأَرْضِ تَحْتَهُمُ وَالْأَعَاظِمِ
وَبَنَوْا دَوْلَةً وَرَاءَ فَلَسْطِ يَنْ ، كَعَابَ الْهُدَى ، فَتَاةَ الْعَزَائِمِ
سَاسَهَا بِالْأَنَاةِ أَرْوَعُ (كَالِدَا) خَلِ ، مَاضِي الْجَنَانِ يَقْظَانُ ، حَازِمِ (٥)
قُبْرُصُ كَانَتْ الْحَدِيدَ ، وَقَدْتَدَ زَلِ قُضْبَانُهُ اللَّيْثُ الضَّرَاغِمِ (٦)
كَرَّةَ الدَّهْرِ أَنْ يَقُومَ لِوَاءِ تُحْشَرُ الْبَيْدُ تَحْتَهُ وَالْعَمَائِمِ (٧)

* *

١ - الحِجَازُ النَّبِيلُ : يقصد الحِجَازَ الَّذِي بَقِيَ مُحَافِظًا عَلَى عَهْدِهِ لِلْفَقِيدِ
وَالرَّبِيعِ : الدَّارُ - ٢ - الْعَوَاصِمُ : جَمْعُ عَاصِمَةٍ ، وَهِيَ الْبُلْدَانُ الْكَبِيرَةُ الَّتِي
نَقِبَ فِيهَا الْحُكُومَاتُ - ٣ - إِبْرَاهِيمَ وَالْقَاسِمِ : هُمَا مِنْ أَوْلَادِ النَّبِيِّ صَلَوَاتُ
اللَّهِ عَلَيْهِ - ٤ - عُوذٌ : جَمْعُ عُوْذَةٍ ، وَهِيَ الرِّقِيَّةُ تَحْفَظُ مِنَ الْعَيْنِ كَالْتَمِيمَةِ ،
وَجَمْعُ التَّمِيمَةِ : تَمَائِمُ - ٥ - الْأَنَاةُ : الرِّفْقُ . وَيُرِيدُ « بِالْأَرْوَعِ » : الْمَلِكُ
فَبَصَلَ . يُشَبِّهُهُ بِالْدَاخِلِ ، وَهُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الدَّاخِلِ صَفَرُ قُرَيْشٍ مُؤَسِّسُ
دَوْلَةِ بَنِي أُمَيَّةٍ فِي الْأَنْدَلُسِ - ٦ - قُبْرُصُ : جَزِيرَةٌ فِي الْبَحْرِ الْأَبْيَضِ الْمُتَوَسِّطِ ،
قُضِيَ فِيهَا الْمَلِكُ حُسَيْنٌ بَقِيَّةَ عَمْرِهِ بَعْدَ مَا اعْتَزَلَ الْمَلِكُ ، يُشَبِّهُهَا أَمِيرُ الشُّعْرَاءِ
فِي حَالَةِ أَقَامَةِ الْفَقِيدِ فِيهَا بِالْقَفْصِ الْحَدِيدِ الَّذِي يُحْبَسُ فِيهِ الْأَسَدُ ، وَصَنَعَ
الْإِقْفَاصَ الْحَدِيدِيَّةَ لِحَبْسِ الْأَسْوَدِ مَا لَوْفَ لِمَنْظَمِي الْحَدَائِقِ فِي عَصْرِنَا هَذَا .
٧ - الْعَمَائِمُ : الْأَجْمَاعُ الْمُتَفَرِّقُونَ .

قم تحدث (أبا علي) إلينا كيف غامرت في جوار الأراقم؟ (١)
لم تُبالِ النُّيُوبَ في الهامِ خُشناً وتعلقت بالحواشي النواعم
هاتِ حَدَثَ عن العوانِ وصِفْها لا تُرغِ في التراب ، ما أنا لائم (٢)
كلنا واردُ السَّرابِ ، وكلُّ حملٌ في وليمة الذئبِ طاعم (٣)
قد رجونا من المغانم حظاً وورَدنا الوَغَى ، فكُنَّا الغنائم

* * *

قد بعثت التضيئة اليومَ مِنّا ربّ عظمِ آتى الأمورَ العظامِ
أنتَ كالحقِّ أَلَفَ النَّاسَ يَقْظَا نَ ، وزادَ ائتلافَهُم وهوَ نائم
إنما الهمةُ البعيدةُ غَرْسُ مُتَانِي الجَنَى ، بَطِيءُ الكِثَامِ (٤)
ربّما غابَ عن يدِ غَرْسَتِهِ وحوّنه على المدى يدُ قادم
جداً موقِفٌ غُلِبَتْ عليه لم يَقِفْهُ للعُربِ قبلَكَ خادم
ذائداً عن ممالكٍ وشعوبٍ نُقِلَتْ في الأكفِ نَقْلَ الدراهم
كلُّ ماءٍ لهم ، وكلُّ سماءٍ مَوْطِيءُ الخيلِ ، أو مَطَارُ القشاعم (٥)
لِمَ لَمْ تَدْعُهُم إلى الهمةِ الشَّـمَاءِ والعلمِ والطَّماحِ المِزاحمِ؟
وركوبِ اللُّجَاجِ وهى طَوَاغِ والسَّمَوَاتِ وهى هُوجُ الشِّكَاثِمِ؟ (٦)

١- يشير الى انضمام الفقيد في صف الحلفاء ضد تركيا في اثناء الحرب الكبرى ، وقد كان لهذا الانضمام اثره في نهاية تلك الحرب .
٢- العوان : الحرب -٣- كلنا في وليمة الذئب طاعم : يريد كلنا مطعوم
ماكل لهذا الذئب -٤- الجنى : الثمار . والكثائم : محل ما تنبت تلك الثمار -٥- القشاعم : النسور ، جمع قشعم . ويريد « بالنسور » الطيارين الذين يشبهون النسور -٦- يريده « بركوب السموات » : ركوب الطيارات ويريد بهوج الشكاثم : اللجم ، أى اللجم الصعبة القيادة .

وإلى القُطْب والجَلِيدُ عليه والصَّحارى وما بها من سَائمٍ؟ (١)
اغسلوه بطيبٍ من وَضوءِ الرُّسُلِ ، كالوَرْدِ في رُباهِ البوامِ (٢)
وخذلوا من وِسادِهِم في المُصَلَّى رُقْعَةً كَفَّنُوا بها فرعَ هاشم
واستعبروا لِنعْشِهِ من ذَرى المنسَبِ عوداً ، ومن شريفِ القوائمِ
واحملوه على البُراقِ إن اسطَعَتْ سَمٌ ؛ فقد جَلَّ عن ظهورِ الرواسِمِ (٣)
وأديروا إلى العتيقِ (حُسيناً) يَبْتَهِلُ رُكْنَهُ ، وتدعو الدعائمِ (٤)
واذكروا للأميرِ مَكَّةَ ، والقَصَصَ سرّاً ، وعهدَ الصفا ، وطيبَ المواسِمِ
ظَمِي الحُرِّ للديارِ ، وإن كان على مَنهلٍ من الخلدِ دائمِ

* * *

نَقَلُوا النعْشَ ساعةً في رُبَا الفَتَحِ ، وطوفوا بِرَبِّهِ في المعالمِ
وقِفُوا ساعةً به في ثَرى الأَقْصَمِ من قومِهِ وتُرْبِ الغمامِ
وادفِنُوهُ في القُدُسِ بين سُلَيْمَانَ وداوَدَ والملوكِ الأَكْرامِ
إنما القُدُسُ منزلُ الوَحْيِ ، مَغْنَى كُلِّ حَبِيرٍ من الأوائلِ عالمِ
كُنْفَتِ بالغيوبِ ، فالأَرْضُ أَسْرَا رُمْدَى الدَّهْرِ ، والسماءُ طَلَّاسِ
وتَحَلَّتْ من البُراقِ بطُغْرَا ، ومن حافرِ البُراقِ بِخاتمِ (٥)

١- السائم : جمع سموم ، وهى الريح الحارة المحرقة -٢- الوضوء
(بفتح الواو) : ما يتوضأ به -٣- الرواسم : الابل ، او الخيل ، او الركائب
عامة -٤- العتيق : مسجد بيت المقدس حيث دفن الفقيده -٥- الطغراء :
ما يكتب في أول الكتاب . والبراق : هو ركوبة النبی صلوات الله عليه ليلة
اسرى به .

يرثي أباه (٥)

سألوني : لِمَ لَمْ أَرِثِ أَبِي ؟ ورثاء الأبِ دَيْنٌ أَيْ دَيْنٌ
أَيُّهَا اللُّوْأَمْ ، مَا أَظْلَمَكُمْ ! أَيْنَ لِي الْعَقْلُ الَّذِي يُسْعِدُ آيِنٌ؟ (١)
يَا أَبِي ، مَا أَنْتَ فِي ذَا أَوَّلُ كُلُّ نَفْسٍ لِلْمَنَآيَا فَرَضُ عَيْنِ
هَلَكْتُ قَبْلَكَ نَاسٌ وَقَرَى وَنَعَى النَّاعُونَ خَيْرَ الثَّقَلَيْنِ (٢)
غَايَةُ الْمَرءِ وَإِنْ طَالَ الْمَدَى آخِذٌ يَأْخُذُهُ بِالْأَصْغَرَيْنِ (٣)
وَطَبِيبٌ يَتَوَلَّى عَاجِزًا نَافِضًا مِنْ طِبِّهِ خُفَى حُنَيْنِ (٤)
إِنْ لِلْمَوْتِ يَدًا إِنْ ضَرَبَتْ أَوْشَكَتْ تَصْدُعُ شَمْلَ الْفَرْقَدَيْنِ
تَنْفُذُ الْجَوِّ عَلَى عِقْبَانِهِ وَتَلَاقَى اللَّيْثُ بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ
وَتَحْطُ الْفَرْخُ مِنْ أَيْكَتِهِ وَتَنَالُ الْبَبْغَا فِي الْمُثْنَيْنِ
أَنَا مَنْ مَاتَ ، وَمَنْ مَاتَ أَنَا لَقِيَ الْمَوْتَ كِلَانَا مَرَّتَيْنِ
نَحْنُ كُنَّا مُهْجَةً فِي بَدَنِ ثُمَّ صِرْنَا مُهْجَةً فِي بَدَنَيْنِ (٥)
ثُمَّ عُدْنَا مُهْجَةً فِي بَدَنِ ثُمَّ نَأَى جُثَّةً فِي كَفْنَيْنِ

(*) نظم هذه القصيدة حوالى سنة ١٨٩٧ يرثي بها والده الطيب
الذكر المرحوم على بك شوقى رحمه الله .

١- يسعد : يعين - ٢- الثقلان : الانس والجن . وخير الثقلين ، هو
سيدنا محمد صلوات الله عليه - ٣- الاصفران : القلب واللبان - ٤- خفى
حنين : مثل عربى يضرب عند اليأس من الحاجة المطلوبة والرجوع عن الطلب
بالخيبة - ٥- المهجة : الدم ، وقد يعبر بها عن الروح ، يقال : خرجت
مهجته ، أى روحه .

ثم نَحْيَا فِي (عَلَى) بَعْدَنَا وَبِهِ تُبْعَثُ أُولَى الْبَعْثَيْنِ (١)
انظر الكونَ وَقُلْ فِي وَصْفِهِ كُلُّ هَذَا أَصْلُهُ مِنْ أَبَوَيْنِ
فإِذَا مَا قِيلَ : مَا أَصْلُهُمَا ؟ قُلْ : هُمَا الرَّحْمَةُ فِي مَرَحَمَتَيْنِ
فَقَدَا الْجَنَّةَ فِي إِيجَادِنَا وَنَعِمْنَا مِنْهُمَا فِي جَنَّتَيْنِ
وَهُمَا الْعَذْرُ إِذَا مَا أَغْضِبَا وَهُمَا الصَّفْحُ لَنَا مُسْتَرْضَيْنِ
لَيْتَ شِعْرَى أَيْ حَىٍّ لَمْ يَدِينْ بِالَّذِي دَانَا بِهِ مُبْتَدِئَيْنِ ؟
وَقَفَّ اللَّهُ بَنَا حَيْثُ هُمَا وَأَمَاتَ الرُّسُلَ إِلَّا الْوَالِدَيْنِ (٢)
مَا أَبِي إِلَّا أَخٌ فَارَقْتُهُ وَدَّهُ الصَّدْقُ ، وَودَّ النَّاسَ مَيِّنِ (٣)
طَالَمَا قُمْنَا إِلَى مَائِدَةٍ كَانَتْ الْكِسْرَةُ فِيهَا كِسْرَتَيْنِ
وَشَرَبْنَا مِنْ إِنَاءٍ وَاحِدٍ وَغَسَلْنَا بَعْدَ ذَا فِيهِ الْيَدَيْنِ
وَتَمَشَّيْنَا يَدَى فِي يَدِهِ مَنْ رَأَانَا قَالَ عَنَا : أَخَوَيْنِ
نَظَرَ الدَّهْرُ إِلَيْنَا نَظْرَةً سَوَتْ الشَّرَّ فَكَانَتْ نَظْرَتَيْنِ
يَا أَبِي وَالْمَوْتُ كَأْسٌ مُرَّةٌ لَا تَذُوقُ النَّفْسُ مِنْهَا مَرَّتَيْنِ
كَيْفَ كَانَتْ سَاعَةٌ قَضَيْتُهَا كُلُّ شَيْءٍ قَبْلَهَا أَوْ بَعْدُ هَيِّنٌ ؟
أَشْرَبْتُ الْمَوْتَ فِيهَا جُرْعَةً أَمْ شَرِبْتُ الْمَوْتَ فِيهَا جُرْعَتَيْنِ ؟

١- على : هو احد نجلى امير الشعراء -٢- يريد في هذا البيت ان يقرر ان الابوة ضرب من ضروب الرسالة التي لم تنقطع كما انقطعت رسالة الانبياء ، وانما هي ستظل قائمة بوظيفتها من طبع الابناء على غرار الآباء ، مصداقا للآثر القائل : ما من مولود الا ويولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه -٣- المين : الكذب . وفي هذا البيت على سهولة ادائه اعظم الوان المدائح لوالده ، فان الوالد الذي لا يشعر ابنه بسلطة الاب ، هو الوالد المشتغل على جميع مكارم الاخلاق ، البالغ اعلى درجات الحكمة .

— ١٥٦ —

لا تَخَفْ بِعَدْلِكَ حُزْناً أَوْ بُكَاءً جَمَدَتْ مِنْى وَمِنْكَ الْيَوْمَ عَيْنُ
أَنْتَ تَدْعُ عَلَمَتْنِي تَرْكَةَ الْأَسَى كُلُّ زَيْنٍ مُنْتَهَاهُ الْمَوْتُ شَيْنُ
لَيْتَ شَعْرِي : هَلْ لَنَا أَنْ نَلْتَقَى مَرَّةً ، أَمْ ذَا افْتِرَاقُ الْمَلَوَيْنِ؟ (١)
وَإِذَا مِتُّ وَأُودِعْتُ الثَّرَى أَنْلَقَى حُفْرَةً أَمْ حُفْرَتَيْنِ ؟

١- الملوان : الليل والنهار ، الواحد منهما ملا .

مصطفى كامل باشا(*)

لَمَشْرِقَانِ عَلَيْكَ يَنْتَحِيَانِ قَاصِيَهُمَا فِي مَآثِمٍ وَالذَّاقِ
يَا خَادِمَ الْإِسْلَامِ ، أَجْرُ مُجَاهِدٍ فِي اللَّهِ مِنْ خُلْدٍ وَمِنْ رِضْوَانِ
لَمَّا نَعَيْتَ إِلَى الْحَجَّازِ مَثَى الْأَسَى فِي الزَّائِرِينَ وَرُوحَ الْحَرَمَانِ(١)
السَّكَّةُ الْكُبْرَى حِيَالَ رَبَاهُمَا مَنكُوسَةُ الْأَعْلَامِ وَالْقَضْبَانِ(٢)
لَمْ تَأْلَهَا عِنْدَ الشَّدَائِدِ خِدْمَةً فِي اللَّهِ وَالْمَخْتَارِ وَالسُّلْطَانِ
يَا لَيْتَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ فَازَتَا فِي الْمُحْفِلِينَ بِصَوْتِكَ الرُّنَّانِ
لِيرَى الْأَوَاخِرُ يَوْمَ ذَلِكَ وَيَسْمَعُوا مَا غَابَ مِنْ قَسٍّ وَمِنْ سَحْيَانِ(٣)
جَارَ التُّرَابِ وَأَنْتَ أَكْرَمُ رَاحِلٍ مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْوُجُودِ الْهَائِي؟
أَبْكِي صِبَاكَ ، وَلَا أَعَانِبُ مَنْ جَنَى هَذَا عَلَيْهِ كِرَامَةً لِلْجَانِي
يَتَسَاءَلُونَ: أَبَ (السُّلَالِ) قُضِيَتْ ، أَمْ بِالْقَلْبِ ، أَمْ هَلْ مُتَّ بِالسَّرَطَانِ؟
اللَّهُ يَشْهَدُ أَنَّ مَوْتَكَ بِالْحِجَا وَالْجَدُّ وَالْإِقْدَامِ وَالْعِرْفَانِ
إِنْ كَانَ لِلْأَخْلَاقِ رَكْنٌ قَائِمٌ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا ، فَاتَتْ الْبَاقِي
بِاللَّهِ فَتَشْرُ عَنْ فَوَادِكِ فِي الثَّرَى هَلْ فِيهِ آمَالٌ وَفِيهِ أَمَانِي؟
وَجَدَانُكَ الْحَيُّ الْمُقِيمُ عَلَى الْمَدَى وَلِرُبِّ حَيٍّ مَيِّتِ الْوُجْدَانِ
النَّاسُ جَارٍ فِي الْحَيَاةِ لَغَايَةٍ وَمُضِلُّ يَجْرِي بِغَيْرِ عِنَانِ

(*) هو الزعيم الخالد الذكر مصطفى كامل باشا مؤسس الحزب الوطني ، وقد توفي سنة ١٩٠٨ .
١ - الحرمان : حرما مكة والمدينة - ٢ - السكة الكبرى : يريد سكة حديد الحجاز ، وقد كان التقيد أعظم الدعاة المجاهدين في سبيل انشائها .
٣ - قس وسحبان : خطيبان عربيان يضرب بهما المثل في الطلاقة الخطابية والفصاحة والحكمة .

والخُلْدُ في الدنيا - وليس بهين -
فلو أن رُسَلَ الله قد جَبَنُوا لَمَّا
المجدُ والشرفُ الرفيعُ صَحيفةُ
وأحبُّ من طولِ الحياةِ بذلةُ
دَقَّاتُ قلبِ المرءِ قائمةٌ له :
فارفعْ لنفسِكَ بعدَ موتِكَ ذِكْرَها
للمرءِ في الدنيا وجَمُّ شئونِها
فهي الفضاءُ لراغبٍ مُتصلِّعٍ
الناسُ غادٍ في الشقاءِ ورائحُ
ومُنعمٌ لم يلقَ إلاَّ للذةِ
فاصبرْ على نُعمَى الحياةِ وبُؤْسِها
يا طاهرَ الغدواتِ ، والروحانياتِ ، وال
هل قامَ قبلكَ في المدائنِ فاتحُ
يدعو إلى العِلْمِ الشريفِ ، وعندَه
لصوكِ في عِلْمِ البلادِ مُنكِّسًا
ما احمرَّ من خجلٍ ، ولا من ريبةٍ
يُزجُّون نعلَكَ في السَّناءِ وفي السَّنا
وكانه نعلُ الحسينِ « بكرتلا »
في ذِمَّةِ الله الكريمِ وبرِّهِ

عليا المراتبِ لم تُتَحَ لجبان
ماتوا على دينٍ من الأديان
جُعِلَتْ أها الأَخلاقُ كالعنوان
قَصُرَ يُرِيكَ تقاصِرَ الأقران
إنَّ الحياةَ دقائقُ وثوانٍ
فالدكرُ للإنسانِ عُمرٌ ثانی
ما شاءَ من ربحٍ ومن خُسران
وهي المَضيقُ لِمُؤثِرِ السُّلوان
يَشقى له الرَّحماءُ وهو الهانی
في طيِّها شَجَنٌ من الأشجان
نُعمَى الحياةِ وبُؤْسِها سِيان (١)
خطراتِ ، والإسرارِ ، والإغْلان
غازٍ بغيرِ مُهندٍ وسِنان ؟
أنَّ العلومَ دعائمُ العُمران ؟
جَزَعُ الهلالِ على فتي الفتيان
لكنما يَبكى بدمعِ قاني (٢)
فكأنما في نعلِكَ القمران
يختالُ بين بُكَا ، وبين حَنان
ما ضمَّ من عُرفٍ ومن إحسان

١- سِيان : مثلان ، الواحد : سى
٢- قاني : أحمر .

وَمَشَى جَلالُ الموتِ وَهُوَ حَقِيقَةٌ
شَقَّتْ لِمَنْظَرِكَ الجيوبَ عَقائِلُ
والخلقُ حولَكَ خاشعونَ كعهدِهِم
يتساعَلونَ : بِأَيِّ قلبٍ تُرْتَقَى
لو أَنَّ أوطاناً تُصَوَّرُ هَيْكَلًا
أو كانَ يُحْمَلُ في الجوارحِ مِيتُ
أو صِيعَ من غُرِّ الفضائلِ والعُلا
أو كانَ للذكرِ الحَكِيمِ بَقِيَّةُ
ولقدَ نظَرْتُكَ والرَّدَى بِكَ مُحْدِقُ
يَبْغِي وَيَطْفِي ، والطبيبُ مُضِلُّ
ونواظِرُ العَوادِ عَنكَ أَمالُها
تُمَلِي وتَكُتِبُ والمشاعِلُ جَمَّةُ
فَهَشَّشْتَ لِي ، حَتَّى كَأَنَّكَ عانِدِي
ورَأَيْتُ كَيْفَ تَمُوتُ آسَادُ الشَّرَى
وَوَجَدْتُ في ذاكَ الخيالِ عِزائِمًا
وَجَعَلْتَ تَسألُنِي الرُّثاءَ ، فهاكِهِ
لولا مُغالِبَةُ الشُّجونِ لِخاطرِي
وأنا الَّذِي أَرِثِي الشَّموسَ إِذا هَوَتْ
قد كُنْتَ تَهْتَفُ في الوريِّ بِمِصائِدِي

وجلالُكَ المصدوقُ يَلْتَقِيانِ
وَبَكَتُكَ بالدَّمعِ الهَتُونِ غَوائِي (١)
إِذْ يُنصِتُونَ لخطبَةٍ وَبَيانِ
بَعْدُ المُنابِرُ ، أَمْ بِأَيِّ لسانٍ ؟
دَفَتوكَ بَيْنَ جوانِحِ الأوطانِ
حَمَلوكَ في الأَسْماعِ والأَجْبانِ
كَفَنُ لَسِيسَتِ أَحاسِنِ الأكْبانِ
لَمْ تَأْتِ بَعْدُ ؛ رُئِيتَ في القرآنِ
والدَّاءِ مِلْءُ مِعالِمِ الجِمانِ
قَنِيطُ ، وساعاتُ الرَّحيلِ دَوائِي
دَمْعُ تُعالِجُ كُثْمَهُ وتَعانِي
وَيَدَاكَ في القِرطاسِ تَرْتَجِفانِ
وأنا الَّذِي هَدَّ السَّقَامُ كِيانِي
وعَرَفْتُ كَيْفَ مِصارِغِ الشُّجْعانِ (٢)
ما لِلْمَنُونِ بِدَكِّهِنَّ يَدانِ
مَنْ أَدْمَعِي وَسِرائِرِي وَجَنائِي
لنَظَمْتُ فِيكَ يَتِيمَةَ الأَزمانِ
فَتَعَوَّدُ سِيرَتِها إِلى الدُّورانِ
وَتُجِلُّ فَوْقَ النِّيراتِ مَكَانِي

١- العقائل : جمع عقيلة وهي من كل شيء كريمته . والهتون : من هتن الدمع ، اذا قطر والغوائى جمع غائية ، وهي الفتاة تغنى بجمالها عن الحلى .
٢- آساد : جمع أسد . والشرى : طريق في جبل سلمى كثيرة الاسد .

مَاذَا دَهَانِي يَوْمَ بِنْتَ فَعَقْنِي
هَوْنٌ عَلَيْكَ ؛ فَلَا شِمَاتَ بِمَيِّتٍ
مَنْ لِلْحَسُودِ بِمَيِّتَةٍ بُلْغَتَهَا
عُوقِيَتَ مِنْ حَرْبِ الْحَيَاةِ وَحَرْبِهَا
يَا صَبِيَّ مِصْرَ ، وَيَا شَهِيدَ غَرَامِهَا
انْطَلَعْ عَلَى مِصْرٍ شَبَابُكَ عَالِيَا
فَلَعَلَّ مِصْرًا مِنْ شَبَابِكَ تَرْتَدِي
تَقْلَوْنَ أَنَّ بِالْهَرَمَيْنِ مِنْ عَزَمَاتِهِ
عَلِمْتَ شُبَانَ الْمَدَائِنِ وَالْقُرَى
مِصْرُ الْأَسِيفَةِ رِيفُهَا وَصَعِيدُهَا
أَقْسَمْتُ أَنَّكَ فِي التَّرَابِ طَهَارَةٌ
فِيكَ الْقَرِيضُ ، وَخَانِي إِمْكَانِي ؟
إِنَّ الْمَنِيَّةَ غَايَةُ الْإِنْسَانِ
عَزَّتْ عَلَى (كِسْرَى) أَنْوَشِيرَوَان ؟
فَهَلْ اسْتَرَحْتَ أُمَ اسْتَرَحَ الشَّانِي ؟ (١)
هَذَا ثَرَى مِصْرٍ ؛ فَنَمْ بِأَمَانٍ
وَالْبِسْ شَبَابَ الْجُورِ وَالْوِلْدَانِ
مَجْدًا تَنْيَهُ بِهِ عَلَى الْبُلْدَانِ
بَعْضُ الْمَضَاءِ تَحْرُكُ الْهَرَمَانِ
كَيْفَ الْحَيَاةُ تَكُونُ فِي الشُّبَانِ
قَبْرُ أَبْرُ عَلَى عِظَامِكَ حَانِي
مَلِكُ يَهَابُ سَوَالَهُ الْمَلَكَانِ

حسن بك أنور (*)

تُسَائِلُنِي (كِرْمَتِي) بالنهار وبِالليل: أَيْنَ سَمِيرِي (حَسَن)؟ (١)
وَأَيُّ النَّدِيمِ الشَّهِيدِ الْحَدِيثِ؟ وَأَيْنَ الطَّرُوبُ اللَّطِيفُ الْأُذُنِ؟
تَجِيُّ الْبَلَابِلُ فِي عُشَّهَا وَمُلْهَمُهَا صَبِيَّةٌ فِي الْفَنَنِ؟
فَقُلْتُ لَهَا: مَاتَ، وَاسْتَشَعَرَتْ لِيَالِي السَّرُورِ عَلَيْهِ الْحَزَنُ
لَيْثُنُ نَاءٍ مِنْ سِمَنِ جَسْمِهِ فَمَا عَرَفْتُ رُوحَهُ مَا السَّمَنِ
وَمَا هُوَ مَيِّتٌ، وَلَكِنَّهُ بِشَاشَةِ دَهْرٍ مَحَاها الزَّمَنُ
وَمَعْنَى خِلَا الْقَوْلِ مِنْ لَفْظِهِ وَحُلْمُ تَطَايَرِ عَنْهُ الْوَسَنِ (٢)

* * *

وَلَا يَذْكُرُ الْمَعْهَدُ الشَّرْقِيَّ (لَأَنُورَ) إِلَّا جَلِيلَ الْعِزِّ
وَمَا كَانَ مِنْ صَبْرِهِ فِي الصُّعَابِ وَمَا كَانَ مِنْ عَوْنِهِ فِي الْمِحَنِ
وِخْدَمَةٍ فَنٌ يُدَاوِي الْقُلُوبَ وَيَشْفِي النُّفُوسَ، وَيُذَكِّي الْفِطْنَ
وَمَا كَانَ فِيهِ الدَّعْوَى الدَّخِيلَ وَلَكِنْ مِنَ الْفَنِّ كَانَ الرُّكْنُ (٣)

* * *

وَلَوْ أَنْصَفَ الصَّحْبُ يَوْمَ الْوَدَاعِ دُفِنْتُ (كَاسِحَاقَ) لَمَّا دُفِنَ
فَغُيِّبَتْ فِي الْمِسْكِ، لَا فِي التُّرَابِ وَأُذْرِجَتْ فِي الْوَرْدِ، لَا فِي الْكَفَنِ
وَحُطَّتْ لَكَ الْقَبْرِ فِي رَوْضَةٍ يَمِيلُ عَلَى الْغُصْنِ فِيهَا الْغُصْنُ

(*) المرحوم حسن بك أنور: أحد الأعضاء المؤسسين لنادى الموسيقى الشرقي، وكان من الأصدقاء المقربين لأمير الشعراء، وقد توفى سنة ١٩٣٠
١- كان يطلق على دار أمير الشعراء كرمة ابن هانيء -٢- الوسن:
النعاس -٣- الركن: الركن، وقد حركت الكاف من أجل الشعر. والركن
من كل شيء: جانبه الأشد والأقوى.

— ١٦٢ —

وَيَنْتَجِبُ الطَّيْرُ فِي ظِلِّهَا وَيَخْلَعُ فِيهَا النِّسِيمُ الرَّسَنُ (١)
وَقَاسَتْ عَلَى الْعُودِ أَوْتَارَهُ تُعِيدُ الْحَنِينَ ، وَتُبْدِي الشَّجَنَ
وَطَارِحَكَ (النَّائِي) شَجْوَا النَّوَاحِ وَكُنْتَ تَتَيْنُ إِذَا النَّائِي أَنْ
وَمَالَ فَنَاحَ عَلَيْكَ (الْكَمَانُ) وَأَظْهَرَ مِنْ بَيْتِهِ مَا كَمَنْ

* * *

سَلَامٌ عَلَيْكَ سَلَامُ الرَّبَا إِذَا نَفَحَتْ ، وَالْغَوَادِي الْهَيْثُنْ
سَلَامٌ عَلَى جَبْرِهٍ بِالْإِمَامِ وَرَهْطِهِ بِصَحْرَائِهِ مُرْتَهَنُ
سَلَامٌ عَلَى حُفَرٍ كَالْقِيَابِ وَأُخْرَى ، كُمنَدِرِسَاتِ الدِّمَنِ (٢)
وَجَمْعٍ تَأَلَّفَ بَعْدَ الْخِلَافِ وَصَافِي وَصُوفِي بَعْدَ الضُّغْنِ
سَلَامٌ عَلَى كُلِّ طَوْدٍ هُنَاكَ لَهُ حَجَرٌ فِي بِنَاءِ الْوُطْنِ

١- الرسن : الحبل . ويقال : رسن الفرس : شده بالرسن .

٢- الدمن : جمع دمنة ، وهي آثار الديار .

أم الحسنين(*)

أَخَذَتْ نَعَشَكَ مِصْرُ بِالْيَمِينِ وَحَوَتْهُ مِنْ يَدِ الرُّوحِ الْأَمِينِ (١)
لَقِيَتْ طُهْرَ بَقَايَاكَ كَمَا لَقِيَتْ (يَنْزِرُ) أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ
فِي سَوَادِيهَا ، وَفِي أَحْشَائِهَا وَوَرَاءَ النَّحْرِ مِنْ حَبْلِ الْوَتِينِ (٢)

* * *

خَرَجَتْ مِنْ قَصْرِكَ الْبَاكِي ، إِلَى رَمْلَةِ الثَّغْرِ ، إِلَى الْقَصْرِ الْحَزِينِ
أَخَذَتْ بَيْنَ أَيْتَامِي مَذْهَبًا وَمَشَتْ فِي عَبْرَاتِ الْبَائِسِينَ
وَرَمَتْ طَرْفًا إِلَى الْبَحْرِ تَرَى مِنْ وَرَاءِ الدَّمْعِ أَسْرَابَ السَّفِينِ
فَبَدَتْ جَارِيَةً فِي حِضْنِهَا فَتَنُ الْوَرْدِ وَفَرْعُ الْيَاسْمِينِ (٣)
وَعَلَى جُؤْجُوتِهَا نُورُ الْهَدْيِ وَعَلَى سُكَّانِهَا نُورُ الْيَقِينِ (٤)
حَمَلَتْ مِنْ شَاطِئِي (مَرْمَرَةٍ) جَوْهَرَ السُّودِ وَالْكَنْزَ الثَّمِينِ (٥)
وَطَوَتْ بَحْرًا بِبَحْرِ ، وَجَرَتْ فِي الْأَجَاجِ الْمِلْحِ بِالْعَذْبِ الْمَعِينِ
وَاسْتَقَلَّتْ دُرَّةً كَانَتْ سَنَى وَسَنَاءً فِي جِبَاهِ الْمَالِكِينَ (٦)

(*) أم الحسنين : هي والدة سمو الخديو عباس باشا الثاني ، وقد توفيت بالاستانة سنة ١٩٣١ .

١- أخذت نعشك مصر باليمين : تعبير مقصود به القول أن مصر كلها أظهرت اهتماما وعناية كبيرين في استقبال نعش الفقيدة . أما الشطر الثاني من البيت فهو كناية عن أن النعش كان يحوى ذخيرة من الذخائر المقدسة ، ومن أجل ذلك قام جبريل أمين الملائكة بحراسته حتى يسلم هذه الذخيرة لقومها بدا بيد -٢- النحر : موضع القلادة من الصدر . والوتين : عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه -٣- جارية : سفينة ، وفي القرآن الكريم : « وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام » -٤- جُؤْجُوت السفينة : مقدمها . وسكانها : مؤخرها -٥- مرمرة : بحر في بلاد الترك . يقول : إن هذه السفينة لم تحمل من شاطئ تلك البلاد نعش ميتة ، وإنما حملت خلاصة السُّودد وجوهر الكنز الثمين -٦- السنى ، بالقصر : الضوء ، وبالماء : الرقعة .

ذَهَبَتْ عَنْ عَلِيَّةٍ صَيْدٍ ، وَعَنْ
والتَّقِيَّاتُ بَنَاتُ الْمُتَّقِي
خُرْدٍ مِنْ خَفِيرَاتِ الْبَيْتِ عَيْنِ
وَالْإَمِينَاتُ بُنَيَّاتُ الْأَمِينِ
لَيْسَتْ فِي مَطْلَعِ الْعِزِّ الضُّحَى
وَنَضَّتْهُ كَالشَّمُوسِ الْآفَلِينَ (١)
يَدُهَا بَانِيَةٌ غَارِسَةٌ
كَيْدِ الشَّمْسِ وَإِنْ غَابَ الْجَبِينِ

* * *

رَبَّةَ الْعَرْشَيْنِ فِي دَوْلَتِهَا
أَضْجَعَتْ قَبْلَكَ فِيهِ (مَرْيَمُ)
قَدَرَكِيتِ الْيَوْمَ عَرْشَ الْعَالَمِينَ
وَتَوَارَى بِنِسَاءِ الْمُرْسَلِينَ
إِنَّهُ رَحَلُ الْأَوَالِي شَدَّةً
لَهُمْ آدَمُ رُسُلِ الْآخِرِينَ

* * *

إِخْلَعِي الْأَلْقَابَ إِلَّا لِقَبًا
وَدَعِي الْمَالَ يَسِيرُ سُنَّتَهُ
عَبْقَرِيًّا ، هُوَ (أُمُّ الْمُحْسِنِينَ)
يَمْنُضُ عَنْ قَوْمٍ لِأَيْدِي آخِرِينَ
وَاقْذِفِي بِالْهَمِّ فِي وَجْهِ الثَّرَى
وَاسْخَرِي مِنْ شَانِيٍّ أَوْ شَامِتٍ
لِيسَ بِالْمَخْطِئِ يَوْمَ الشَّامِتِينَ
لَمْ تَدْنُ فِي وَلَدٍ أَوْ فِي قَرِينِ
لَتُغْطِي وَجْهَهَا بِالْدَارِعِينَ (٢)
لِيسَ يُحْيِي مَوَكِبُ الدَّفَنِ الدَّفِينِ
رُبُّ مَحْمُولٍ عَلَى الْمِدْفَعِ مَا
بَاطِلٌ مِنْ أُمٍّ مَخْدُوعَةٍ
مَنْعَ الْحَوْضِ ، وَلَا حَاطَ الْعَرِينِ (٤)
يَتَحَدَّثُونَ بِهِ الْحَقُّ الْمُبِينِ

* * *

١ - نضته : خلعتاه . والآفلين : جمع آفل . والآفل للشموس : المغييب .
٢ - حائق الجبل : اعلاه ، كأنه يقول : أن الموت ارتفاع عظيم - ٣ - الدارعين :
جمع دارع ، أي لابس الدرع - ٤ - العرين : مأوى الأسد . يقول : كثير مهن
تحمل نعوشهم فوق المدافع لم يدافعوا عن الحق ، ولم يمنعوا العدوان عن
الحمى ، فمادام هذا المظهر قد يناله في الدنيا غير مستحقه ، فهو أذن ليس
بإدى خطر ، وليس بالذى يعتز به حقيقة .

في (فروق) ورُباها مائتٌ
قام فيها ، من عَقِيلاتِ الحِمَى
أَسْرٌ مالت بها الدنيا ، فلم
قد خلا (بيبك) من حاتم
طارت النعمة عن أَيْكَتِهِ
اليتامى نُوحٌ ناحية
دولة مالت ، وسُلطانُ خلا
مُنْهَضُ الشرقِ (عَلِيٌّ) لم يزل
يُصْلِحُ اللهُ به ما أَفْسَدَتْ
أُمُّ عَبَّاسٍ ، ومالٍ لم أَقْلُ :
كنت كالورد لهم ، واستقبلوا
فيقال : الأُمُّ في موكبها

ذَرَفَتْ آماقها فيه العيون
مَلَأٌ بُدِّلَنْ مِنْ عِزٍّ يَهُونُ
تَلَقَّ إِلَّا عِنْدَكَ الركنَ الركين
ومن الكاسيين فيه الطاعمين (١)
وانقضى ما كان من خَفَضٍ وَلِين
والمساكينُ يَحْمُدُونَ الرِّين
دُوولَتْ نِعْماءُ بَيْنَ الأقربين
من بنيه سيِّدٌ في (عابدين)
فَتَرَاتُ الدهر من دُنْيا ودين
أُمُّ مَصْرٍ من بذاتِ وبنين ؟
دولة الرِّيحانِ حيناً بعدَ حين
ويُقالُ : الحرَمُ العالى المصون (٢)

* * *

الْعَفِيفُ (عَفَافٌ وَهُدَى
ادخلِ الجنةَ من رَوْضَتِهِ
(كالبقيع) الطُّهْرَضَمُ الطاهرين (٣)
إِنَّ فِيهَا غُرْفَةً لِلصَّابِرِينَ

١ - بيبك : قصر الفقيدة في الآستانة ، كان مصيفها كل عام . وحاتم : اسم رجل يضرب به المثل في الكرم البالغ ، فيقال : كرم حاتمى . وقد اشتهرت الفقيدة بالكرم ، ومن أجل ذلك قيل لها أم المحسنين -٢- يشير هذا البيت الى أن الفقيدة العظيمة كانت أم خديو وزوجة خديو .
٣ - العفيفى : علم على الموضع الذى أقيم فيه مدفن الفقيدة بجوار مدفن قرينها .

الدكتور احمد فؤاد(*)

أَوْحَتْ لَطَرْفُكَ فَاسْتَهْلُ شُثُونَا دَارُ مَرَرْتَ بِهَا عَلَى (قَيْسُونَا) (١)
غَاضَتْ بِشَاشَتُهَا ، وَقَضَّتْ شَمْلَهَا دُنْيَا تَغُرُّ السَّادِرَ الْمُفْتُونَا
نَزَلَتْ عَوَادِي الدَّهْرِ فِي سَاحَاتِهَا وَأَقْلُ رَفَرَفَهَا الْخَطُوبُ الْعُونَا (٢)
فَتَكَادُ مِنْ أَسْفٍ عَلَى آيِسِ الْحِمَى مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ تَثُورُ شُجُونَا
تِلْكَ (الْعِيَادَةُ) لَمْ تَكُنْ عَبَثًا ، وَلَا شَرَكًا لَصَيْدِ مَآرِبٍ وَكَمِينَا
دَارُ (ابْنِ سِينَا) نَزَهَتْ حُجْرَاتُهَا عَنْ أَنْ تَضُمَّ ضَلَالَةً وَمُجُونَا (٣)
خَبَتِ الْمَطَالِعُ مِنْ أَغْرِ مُؤَمِّلٍ كَالْفَجْرِ ثَغْرًا ، وَالصَّبَاحِ جَبِينَا (٤)
وَمِنْ الْوُفُودِ ، كَأَنَّهُمْ مِنْ حَوْلِهِ مَرْضَى (بَعِيسَى الرُّوحِ) يَسْتَشْفُونَا
مَثَلُ تَصَوُّرٍ مِنْ حَيَاةٍ حَرَّةٍ لِلنَّشْءِ يَنْطِقُ فِي السَّكُوتِ مُبِينَا
لَمْ تُخَصَّ مِنْ عَهْدِ الصَّبَا حَرَكَاتُهُ وَتَخَالُثُنَّ مِنَ الْخُشُوعِ سُكُونَا

* * *

جَمَحَتْ جِرَاحُ الْمُعْزِزِينَ ، وَأَعْضَلَتْ أَذْوَائُهُمْ ، وَتَغَيَّبَ الشَّافُونَ (٥)

(*) كان الدكتور احمد فؤاد مثالا نادرا من امثلة حسن الخلق ،
ونابغة من نوابغ الطب المدودين ، وقد توفى سنة ١٩٣١ .

١- قيسون : علم على مسجد بهذا الاسم في شارع محمد علي بالقاهرة
كانت دار الفقيد قريبة منه ، والشئون : الدموع . يقول : ان السرور على
هذه الدار يجعل العين تفيض دموعا ، حزنا لما أصاب تلك الدار من الخمول
بعد النباهة ، والسكون بعد الحركة ، والوجوم بعد الطلاقة والسرور ، وهذا
لفقد صاحبها طبعها -٢- أقل : حمل . والرفوف : شيء مثل الطاق يجعل
عليه طرائف البيت . والعون : جمع عون . والخطوب العون : أي التي
نزلت مرة قبل هذه . يريد ان هذه الدار قد عرفت عوائق الدهر وخطوبه
قبل هذا الخطب الاخير الذي حل بها -٣- يشبه الفقيد في الطب والامانة
للعلم يابن سينا -٤- خبت المطالع : انطفا نورها -٥- أدواء : جمع داء .

ماتَ الجوادُ بطِيبه وبأجره ولربُّما بذلَ الدواءَ مُعِينا
وتَجَسَّسَ راحتهُ العليلَ ، وتارةً تكسو الفقيرَ ، وتُطعمُ المسكينَا
أَدَى أمانةٍ عليه ، ولطالما حَمَلَ الصداقةَ وافيًا وأمينَا
وقضى حقوقَ الأهلِ ، يُحسِنُ تارةً بأبيه ، أو يَصِلُ القرابةَ حينَا
خُلُقٌ ودينٌ في زمانٍ لا نرى خُلُقًا عليه ولا تُصادِفُ دينَا

* * *

أمدأوى الأرواحِ قبلَ جُسومِها قُمْ داوِ فيكِ فؤادى المحزونَا
روحٌ بلفظك كلُّ رُوحٍ مُعَذَّبٍ حَيْرَانٌ طار بلبُّه الناعونَا
قد كالَ للقدرِ العِتَابَ ، وربُّما ظنَّ المدلَّةُ بالقضاءِ ظُنُونَا(١)
داوَيْتَ كلَّ مُحِطَّمٍ فشَفَيْتَهُ ونَسِيتَ داءَ في الضلوعِ دَفِينَا
كَبِدٌ على دَمِها اتَّكَأَتْ ولَحِمِها فَحَمَلَتْ هَمَّ المسلمينَ سِينِنَا
ظَلَّتْ وراءَ الحربِ تَشَقَّى بالنَّوَى وتَذُوبُ للوطنِ الكريمِ حَنِينَا

* * *

ناصرتَ في فجرِ القضيةِ (مصطفى) فنَصَرْتَ خُلُقًا في الشُّبابِ مَتِينَا(٢)
أَقْدَمْتَ في العشرينَ تحتَ لوائِهِ وروائعُ الإقدامِ في العشرينَا
لَمْ تَبْغِ دُنْيَا طالما أَعْضَى لَهَا حُمُسُ الدَّعَاةِ وطَاطُؤُوا العَرِينَا(٣)

* *

رُحْمَاكَ (يوسفُ) قِفْ رِكَابَكَ ساعةً واعطِفْ على يعقوبَ فيه حزينَا(٤)

١- المدلَّة: الذى ذهب فؤاده من هم وعشق ونحوه -٢- يشير الى انه كان من الانصار الكبار للزعيم مصطفى كامل باشا -٣- حمس: جمع حمس، بكسر الميم، أو أحمس: وهو الصلب في القتال والعقيدة، والحمس لقب لقريش، ومن تابغهم في الجاهلية لتحمسهم والتجائهم للحمساء، أى الكعبة. والعرين: الأنف -٤- يشبه الفقيد بسيدنا يوسف الصديق، لهدد لتشبيهه أبيه بسيدنا يعقوب في صبره على فراق ابنه ومحتنه.

لم يَدْرِ خَلْفَ النعشِ من حَرِّ الجوى أَيْشَقُّ جَنْبًا ، أَمْ يَشَقُّ وَتِينًا؟ (١)
ساروا بِمُهْجَتِهِ ، فَحُمِّلَ ثُكْلُهَا وَقَضَوْا بِعائلِهِ ، فَمَالَ غَبِينًا (٢)
أَتَعُودُ فِي رَكْبِ الرِّبْعِ إِذَا أَنْتَنِي بَهْجًا يَزُفُ الْوَرْدَ والنَّسْرِينَا ؟
هيهات من سَفَرِ المنيَّةِ أَوْبَةً حَتَّى يُهَيِّبَ الصُّبْحُ يالَسَارِينَا
ويقالُ لِلأَرْضِ الفُضَاءِ : تَمُخِّضِي فَتَرَدِّ شَيْخًا أَوْ تَمُجِّ جَنِينَا

* * *

اللهُ أَبْقَى ! آيُنَ مِنْ جَسَدِي يَدُّ لَمْ أَنَسْ رِفْقَ بَنَانِهَا واللِّينَا ؟ (٣)
حَتَّى تَمَثَّلَتِ العِنايةُ صُورَةً تُؤَيِّ بِرَاحٍ ، أَوْ تُجِيلُ عِيُونَا
فَجَرَرَتْ جُنْفَانِي ، وَمَدَّتْ كُرْبَةً لَوْلَا اعْتِنَاؤُكَ لَمْ تَكُنْ لِنَهُونَا
إِنَّ الشِّفَاءَ مِنَ الحَيَاةِ وَعَوْنَهَا مَا كَانَ . آسَ بِالشِّفَاءِ ضَمِينَا
وَالْيَوْمَ أَرْتَجِلُ الرِّثَاءَ ، وَأَنْزَوِي فِي مَأْتَمٍ أَبْكِي مَعَ البَاكِينَا
سَبْحَانَ مَنْ يَرِثُ الطَّبِيبَ وَطَبِيهَ وَيُرِي المَرِيضَ مِصَارِعَ الْآسِينَا !! (٤)

١- الوتين : عرق في القلب اذا قطع مات صاحبه -٢- المهجة : تطلق على الدم وعلى الروح ، يقال : خرجت مهجته ، أى روحه -٣- يشير : الى أن الفقيه كان أحد أطبائه الذين تمثلت عناية الله به في عنايتهم بعلاجه واعتناؤهم بشفائه -٤- الآسينا : جمع آسى ، وهو الطبيب .

نجل امام اليمن (*)

مضى الدهرُ بابنِ إمامِ اليَمَنِ وأودَى بزينِ شبابِ الزمنِ
وباتت بصنعاء تبكى السيوفُ عليه ، وتبكي القنا في عدن (١)
وأغولَ نجدُ ، وضجَّ الحجازُ ومالَ الحسينُ ، فعزَّ الحسنُ
وغصَّتْ مَناحاته في الخيام وغصَّتْ مآتمه في المُدُنِ
ولو أنَّ مَيتاً مَشى للعزاء مشى في مآتمه ذو يَزَن (٢)
فتى كاسمِه كان سيفَ الإله وسيفَ الرسولِ ، وسيفَ الوطنِ
ولُقبَ بالبدرِ من حُسنه وما البدرُ؟ ما قدره؟ وابنُ مَنْ؟

* * *

عزاءً جميلاً إمامَ الحمى وهونٌ جليلَ الرزايا يهُنُ
وأنتَ المُعانُ بإيمانه وظنُّك في الله ظنٌ حسنُ
ولكن متى رقَّ قلبُ القضاء ؟ ومن أين للموتِ عقلٌ يَزِن ؟
يجاملك العربُ النازحون وما العربيةُ إلا وطنُ
ويجمعُ قومك بالمسلمين عظيمُ الفروضِ وسمحُ السَّنِ
وأنَّ نبيَّهم واحدٌ نبيُّ الصوابِ ، نبيُّ اللِّسَنِ
ومصرُ التي تجمع المسلمين كما اجتمعوا في ظلال الرُّكنِ (٣)

(*) هو الامير سيف نجل الامام يحيى ، وقد توفى غرقا وهو يحاول
انقاذ رفيق له من الفرق سنة ١٩٣٣ .
١ - صنعاء : حاضرة اليمن . عدن : احدى الموانئ هناك ، وهى على
خليج عدن المشهور - ٢ - ذو يزن : أحد اقبال اليمن الاقدمين ، ولشجاعة
هذا الملك فى استرداد عرش ابيه واجداده اصبحت اليه اساطير كثيرة .
٣ - يريد بالركن : الكعبة .

تُعْزَى الْيَمَانِينَ فِي سَيْفِهِمْ وَتَأْخُذُ حِصَّتَهَا فِي الْحَزَنِ
وَتَقْعُدُ فِي مَأْتَمِ ابْنِ الْإِمَامِ وَتَبْكِيهِ بِالْعِبَرَاتِ الْهَثُنِ
وَتَنْشُرُ رِيحَانَتِي زَنْبَقِي مِنْ الشُّعْرِ فِي رَبَوَاتِ الْيَمَنِ
تَرِفَانِ فَوْقَ رُفَاتِ الْفَقِيدِ رَفِيفَ الْجَنَى فِي أَعَالَى الْغُصْنِ
قَضَى وَاجِبًا ، فَقَضَى دُونَهُ فَتَى خَالِصِ السَّرِّ ، صَافِي الْعَلَنِ
تَطْوَحُ فِي لُجَجِ كَالْجِبَالِ عِرَاضِ الْأَوَاسِي طِلَوَالِ الْقُنَنِ (١)
مَشَى مِشْيَةَ اللَّيْلِ ، لَا فِي السَّلَاحِ وَلَا فِي الدُّرُوعِ . وَلَا فِي الْجُنَنِ (٢)

* * *

مَنْ صِرْتَ يَا بَحْرُ غَمَدَ السَّيُوفِ وَكُنَّا عَهْدُنَاكَ غِمْدَ السُّفَنِ ؟
وَكُنْتَ صَوَانَ الْجُمَانِ الْكَرِيمِ فَكَيْفَ أُزِيلَ ؟ وَلِمَ لَمْ يُصَنَّ ؟
ظَفِرْتَ بِجَوْهَرَةٍ ، فَذَّةٌ مِنْ الشَّرَفِ الْبَقَرِيُّ الْيُمَنِ
فَتَى بِذَلِكَ الرُّوحَ دُونَ الرِّفَاقِ إِلَيْكَ ، وَأَعْطَى التَّرَابَ الْبَدَنِ
وَهَانَتْ عَلَيْهِ مَلَاهِي الشَّبَابِ وَلَوْلَا حَقُوقُ الْعُلَا لَمْ تَهْنِ
وَحَاضَكَ يُنْتَمِدُ أَتْرَابُهُ وَكَانَ الْقَضَاءُ لَهُ قَدْ كَمَنْ
غَدَرْتَ فَتَى لَيْسَ فِي الْغَادِرِينَ وَخُنْتَ أَمْرًا وَافِيًّا لَمْ يَخُنْ
وَمَا فِي الشَّجَاعَةِ حَتْفُ الشَّجَاعِ وَلَا مَدَّةَ عَمَرِ الْجَبَانِ الْجُبْنِ
وَلَكِنْ إِذَا حَانَ حَيْنُ الْفَتَى قَضَى ، وَيَعِيشُ إِذَا لَمْ يَحِينَ (٣)

* * *

أَلَا أَيُّهَا الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ أَبُو السُّجَرِ الرَّمَاحِ اللَّدُنِ

١- القنن : جمع فنة ، وهي راس الجبل . والأواسي من البناء :
الدعائم - ٢- الجنن : جمع جنة ، بالضم : وهي ما استترت به من سلاح
ودروع ونحو ذلك - ٣- الحنن : الاجل .

شَهِيدُ المُرُوءَةِ كَانَ البَقِيْعُ	أَحَقُّ بِهِ مِنْ تَرَابِ الْيَمَنِ
فَهَلْ غَسَّاهُ بِدَمْعِ الْعُقَاةِ	وَفِي كُلِّ قَلْبٍ حَزِينٍ سَكَنُ ؟
لَقَدْ أَغْرَقَ ابْنُكَ صَرْفُ الزَّمَانِ	وَاغْرَقْتَ أَبْتَاءَهُ بِالْمِنَنِ
أَتَذْكُرُ إِذْ هُوَ يَطْوِي الشُّهُورَ	وَإِذْ هُوَ كَالْخَشْفِ (حُلُو) أَغْنُ ؟ (١)
وَإِذْ هُوَ حَوْلَكَ حَسَنُ الْقُصُورِ	وَطَيْبُ الرِّيَاضِ ، وَصَفْوُ الزَّمَنِ ؟
بَشَاشَتُهُ لَذَّةٌ فِي الْعَيُونِ	وَنَعْمَتُهُ لَذَّةٌ فِي الْأُذُنِ ؟
يَلَاعِبُ طُرَّتَهُ فِي يَدَيْكَ	كَمَا لَاعَبَ الْمُهْرُ فَضْلَ الرَّسَنِ ؟
وَإِذْ هُوَ كَالشَّبَلِ يَحْكِي الْأَسْوَدَ	أَدَلَّ بِمِخْلَبِهِ وَافْتَتَنَ ؟ (٢)
فَتَشَبَّ : فَتَمَامَ وَرَاءَ الْعَرِينِ	يُشَبُّ الْحُرُوبَ ، وَيُطْنِي الْفِتْنَ ؟ (٣)
فَمَا بَالُهُ صَارَ فِي الْهَامِلِينَ	وَأَمْسَى عَفَاءً كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ ؟
نَظَّمْتُ الدَّمُوعَ رِثَاءً لَهُ	وَفَصَّلْتُهَا بِالْأَسَى وَالشَّجَنِ

١- الخشف (مثلثة الخاء) : الظبي . والاغن : الذي يخرج صوته من خياشيمه وهذا كناية عن ميعة الشباب - ٢- الشبل : ولد الاسد اذا أدرك الصيد . وادل بمخلبه : أي تباهى به وتخابل على أقرانه - ٣- العرين : بيت الاسد . ويشب الحروب : يوقدها . -

عبد الله بك الطوير (*)

يا قلبُ ، وَيَحَاكَ وَالْمَوْدَةُ ذِمَّةُ ماذا صَنَعْتَ بِعَهْدِ (عبدِ اللهِ) ؟
جاذبتني جَنِّي عَشِيَّةَ نَعْيِهِ وَخَفْتُمْتَ خَفَقَةَ مُوجِعِ أَوَاهِ (١)
وَلَوْ أَنَّ قَلْبًا ذَابَ إِثْرَ حَبِيبِهِ لَهَوَى بِكَ الرُّكْنَ الضَّعِيفُ الْوَاهِي
فَعَلَيْكَ مِنْ حُسْنِ الْمَرْوَةِ آمُرُ وَعَلَيْكَ مِنْ حُسْنِ التَّجَلُّدِ نَاهِ
نَزَلَ «الطَّوِيرُ» فِي التَّرَابِ مَنَازِلًا تَهْوَى الْمَكَارِمُ نَحْوَهَا بِشَفَاهِ
عَرَصَاتُهَا مَمْطُورَةٌ بِمَدَامِعِ مَوْطُوءَةٌ بِمَفَارِقِ وَجِيَاهِ
أَوَلَا يَمِينُ الْمَوْتِ فَوْقَ يَمِينِهِ فِيهَا ؛ لِفَاضَتِ مِنْ جَنَى وَمِيَاهِ (٢)

* * *

يا كَابِرًا مِنْ كَابِرِينَ ، وَطَاهِرًا مِنْ آلِ طُهِرٍ عَارِفٍ بِاللَّهِ
وَمُحَكَّمًا عِلْمَ الْقَضَاءِ مَكَانَهُ فِي الْمُقْسَطِينَ الْجِلَّةِ الْأَنْزَاهِ (٣)
وَحَكِيمًا اسْتَعَصَتْ أَعْيُنُهُ عَلَى كَذِبِ النِّعَمِ ، وَتُرْهَاتِ الْجَاهِ
وَأَخًا سَقَى الْإِخْوَانَ مِنْ (رَاوَوْقِهِ) بُودَادٍ لَا صَلِيفَ ، وَلَا تِيَاهِ (٤)

(*) المرحوم عبد الله بك الطوير : كان أحد رجال القانون في مصر ، وقد توفى سنة ١٩١٥ .

١ - خفق القلب : اضطرب في موضعه . والواو : كثير التأوه . وفي القرآن الكريم « ان ابراهيم لاواه حليم » - ٢ - اليمين : يراد بها هنا القوة . والجنى : الثمار - ٣ - المقسطين : اى العادلين . والجللة (بكسر الجيم) : نوم سادة عظماء ذوو اخطار . والانزاه : جمع نزه : وهو العفيف المتكرم . - الراووق : المصفاة ، كالباطية ونحوها من الانية التى يوضع فيها الشروب . والصلف : مجاوزة قدر الظرف والادعاء فوق ذلك تكبرا .

قد كان شعري شغل نفسيك ، فاقترح من كل (جائلة) على الأفواه
أنزلت منه حين فأتك جمعه في منزل بهج بنورك زاه
فاقرأ على «حسن» منه ، لعله بفتاه في مدح الرسول مبه (١)
وانزل بنور الخلد جدك ، واتصل بملائك من آله أشباه (٢)
ناعيك ناعى حاتم أو جعفر فالناس بين نوازل ودواه (٣)

-
- ١- حسان : هو ابن ثابت ، شاعر الرسول صلوات الله عليه .
٢- جدك ؛ منصوب على نزع الخافض ، أى انزل على جدك ، وكان الفقيه
منسوباً لال البيت النبوي -٣- حاتم : هو الطائي المشهور بالكرم .
وجعفر : لعله يقصد به جعفر البرمكي ، أو عبد الله بن جعفر أحد أجواد
العرب في العصر الأموي ، والمقصود تشبيهه الفقيه في كرمه بهذين الرجلين
الذين ضرب المثل بكرمهما .

سعد باشا زغلول (*)

شيعوا الشمس ومالوا بضحاها وانحنى الشرق عليها فبكاهها
ليتني في الركب لما أفلت (يوشع) ، همت ، فنادى ، فشذاها (١)
جلل الصبح سواداً يومها فكأن الأرض لم تخلع دُجاءها (٢)
انظروا تلقوا عليها شفقاً من جراحات الضحايا وديماها
وتروا بين يديها عبرة من شهيد يقطر الورد شذاها
آذن الحق ضحاياها بها ويحهُ !! حتى إلى المولى نعاها

* * *

كفَنوها حرةً علويةً كست الموتَ جلالاً ، وكساها
مِصرُ في أكفانها إلا الهدى لحمهُ الأكفانِ حقٌ وسُداها (٣)
خطر النعش على الأرض بها يخسرُ الأبصارَ في النعش سَداها (٤)
جاءها الحقُّ ، ومن عادتها تؤثرُ الحقُّ سبيلاً واتَّجاءها (٥)
ما دَرَتْ مصرُ : بدفن صُبِّحتْ أم على البعثِ أفاقَتْ من كَراها ؟
صَرَختْ تحسبها بنتُ الشرى طلبتْ من مِخلَبِ الموتِ أباهُ (٦)
وكانَ الناسُ لما نسلوا شَعَبُ السيلِ طَغَتْ في مُلتقاها

(*) زعيم مصر الخالد سعد باشا زغلول المتوفى سنة ١٩٢٧ .

١- يوشع : أحد أنبياء بني اسرائيل ، دعا الله ان يؤجل الغروب فاجابه
وثنى الشمس عن غروبها - ٢- جلل الصبح : كساه وغطى ضوءه .
٣- اللحمية : ما سدى به الثوب ، والسدى : ضد اللحمية - ٤- يحسر
الابصار : أي يردها كليله ضعيفة - ٥- الحق الاول : يقصد به الموت
والحق الثاني : يقصد به العدل - ٦- بنت الشرى : انثى الاسد .

وضعوا الرَّاحَ على النعشِ كما يَلْمَسُونَ الرُّكْنَ ، فارْتَدَّتْ نِزَاهَا
خَفَضُوا في يوم (سعد) هَامَهُمْ و (بسعد) رَفَعُوا أَمْسَ الْجِبَاهَا

* * *

سأئلوا « زَحْلَةً » عن أعراسها هل مَشَى الناعى عليها فمحاها؟ (١)
عَطَّلَ الْمُصْطَافَ من سُمَارِهِ وجَلَا عن ضِفَّةِ الوادى دُمَاهَا (٢)
فَنَحَّ الأبوابَ ليلاً (دِيرُهَا) وإلى (الناقوس) قامتَ بِيَعَتَاهَا
صَدَعَ البرقُ الدُّجَى : تنشرُهُ أَرْضُ (سُورِيَا) ، وتَطْوِيهِ سَمَاهَا (٣)
يَنْجِلُ الأنباءَ تَسْرِي مَوْهِنًا كعوادى الثُّكُلِ في حَرِّ سُراها (٤)
عَرَضَ الشُّكُّ لها فاضطربتْ تَطَأُ الآذَانَ هَمْسًا والشِّفَاها
قَاتٌ : ياقوم اجمعوا أحلامكم كلُّ نفسٍ في وَرِيدَيْهَا رَدَاهَا (٥)

* * *

يا عدوَّ القيدِ لم يَلْمَحْ له شَبَحًا في خِطَّةٍ إِلَّا أَبَاهَا
لا يَضِيقُ ذَرْعُكَ بالقيدِ الذى حَزَّ في سُوقِ الأوَالِ وبرَاهَا
وَقَعَ الرُّسْلُ عليه ، والتَوَتْ أَرْجُلُ الْأَحْرَارِ فيه فَعَفَاهَا
يا رُفَاتًا مِثْلَ رَيْحَانِ الضُّحَى كَلَّلَتْ (عَدْنُ) بها هَامَ رُبَاهَا (٦)

١- يشير البيت الى أن أمير الشعراء وقت نعى الفقيد كان يصطاف
في زحلة إحدى مصاريق لبنان -٢- السمار : جمع سامر ، وهم اخوان
الحديث في المساء . والضفة من النهر ومن الوادى : الجانب . الدمى :
جمع دمية . وهى الصورة يعملها المثال من الرخام -٣- صدع : شق وقطع
٤- الموهن : نصف الليل ، أو بعده بنحو ساعة -٥- الوريدان : مثنى
الوريد ، أحد شرايين الجسم -٦- عدن : الجنة . وهام رباهَا : اى رءوس
ربواتها . والربوات : الامكنة المرتفعة فيها .

وبقايا هيكل من كرم . وحياء أنزع الأرض حياها (١)
ودع العدل بها أعلامه وبكت أنظمة الشورى صواها (٢)
حَضَنْتُ نَعَشِكَ ، والتفت به راية كنت من الدل فداها
ضمت الصدر الذى قد ضمها وتلقى السهم عنها فوقها
عجبي منها ومن قائدها !! كيف يحى الأعزل الشيخ حماها ؟

* * *

منبر الوادى ذوت أعواده من أواشيها وجفت من ذراها
من رمى الفارس عن صهوةها ودها الفصحى بما ألجم فاها ؟
قدر بالمذنب ألوى والقرى ودها الأجيال منه ما دهاها
غال (بسطورا) وأردى عصبه لمست جرثومة الموت يداها
طاقت الكأس بساق أمة من رحيق الوطنيات سقاها
عطلت آذانها من وتر ساحر رن مليا فشجاها
أرغن هام به وجدانها وأذان عشقته أذناها
كل يوم خطبة روحية كالمزامير وأنغام لغاها
دلته مصرأ . ولو أن بها فلوأت دلته وحش فلاها
ذائد الحق وحامى حوضه أنفذت فيه المقادير منهاها
أخلمت (سعدا) من (البيت) يد تأخذ الآساد من أصل شراها
لو أصابت غير ذى روح لما سلمت منها الثريا وسهاها
تتحدى الطب فى قفازها علة الدهر التى أعيا ذواها

١- أنزع : ملا . والحياء : المطر - ٢- الصوى : جمع صوة - بضم
الصاد - وهى حجر يوضع فى الطريق كعلامة يهتدى بها .

من وراء الإذن نالت ضيغماً لم يتل أقرانه إلا وجها
لم تصارخ أضرح الناس يداً ولساناً ، ورقاداً ، وانتباها

* * *

هذه الأعواد من آدم لم يهد خفاها ، ولم يعر مطاها
نقلت (خوفو) ، ومالت (بمنا) لم يفت حياً نصيب من خطاها (١)
تخلط العمرين : شيباً ، وصيباً والحياتين : شقاء ، ورفاها
زورق في الدمع يطفو أبداً عرف الضفة إلا ما تلاها
تهلج الثكلي على آثاره فإذا خف بها يوما شفاها

* * *

تسكب الدمع على (سعد) دماً أمة من صحرة الحق بناها
من ليان هو في ينبوعها وإباء هو في صم صفاها
لقن الحق عليه كهلها واستقى الإيمان بالحق فتاها
بذلت مالا ، وأمناً ، ودماً وعلى قائدها ألفت رجاها
حملته ذمة أوفى بها وابتلته بحقوق فقضاها
ابن سبعين تلقى دونها غربة الأسر ، ووعشاء نواها (٢)
سفر من عدن الأرض ، إلى منزل أقرب منه قطباها
قاهر ألقى به في صخرة دفع النسر إليها فأراها
كرهت منزلها في تاجه درة في البحر والبر نفاها
اسألوها ، واسألوا شائتها ليم لم ينف من الدر سواها ؟
ولد الثورة سعد حرة بحياتي ماجد حر نماها

١- خوفو ، ومنا : من ملوك مصر الفراعنة .

٢- الوعشاء : الطريق العسر ، أو المشقة .

ما تَمَنَّى غَيْرَهَا نَسْلاً ، وَمَنْ يَلِدُ الزَّهْرَاءَ يَزْهَدْ فِي سِوَاهَا
سالت الغابة من أشبالها بين عَيْنَيْهِ وَمَاجَتْ بِلَبَّاهَا (١)
بارك الله لها في فرعها وقضى الخير لمصر في جنها
أولم يكتب لها دستورها بالدم الحر ، ويرفع مُنتداهَا؟ (٢)
قد كتبناها ، فكانت صورة صدرها حق وحق مُنتهاها
رقدَ الثائر إلا ثورة في سبيل الحق لم تخدم جُذاهَا
قد تولّاها صبياً فكوت راحتيه ، وفتيّا فرعاهَا (٣)
جالَ فيها قلماً مُستنهضاً ولساناً كلماً أَعْيَتْ حَدَاهَا (٤)
ورمى بالنفس في بُرْكانِهَا فتلقى أولَ الناس لظَاهَا
أَعْلِمْتُم بعد (موسى) مِنْ يَدٍ قَذَفَتْ فِي وَجْهِ (فِرْعَوْنَ) عَصَاهَا؟ (٥)
وَطِئَتْ نَادِبَةً صَارِخَةً شاةَ وَجْهِ الرِّقِّ - ياقوم - وشَاهَا (٦)
ظَفِرَتْ بِالْكَبِيرِ مِنْ مُسْتَكْبِرٍ ظَافِرِ الْأَيَّامِ مَنْصُورِ لِيَوَاهَا
القَنَا الصُّمُّ نَشَاوَى حَوْلَهُ وسيوفُ الهندي لم تَصْحُ ظُبَاهَا

* * *

أَيْنَ مِنْ عَيْنَيْ نَفْسٍ حُرَّةٍ كُنْتُ بِالْأُمِّسِ بَعِينِي أَرَاهَا ؟
كلما أَقْبَلْتُ هَزَّتْ نَفْسَهَا وَتَوَاصَى بِشَرُّهَا بِي وَنَدَاهَا

١ - اللبا : جمع لباة - كقطاة - وهي انثى الاسد - ٢ - المنتدى : البرلمان - ٣ - يشير الى عمل سعد باشا في الثورة العربية وهو في مستقبل شبابه - ٤ - اعيت : تعبت . حداها : من قولهم : حدا الابل ، أى ساقها وزجرها - ٥ - اشارة الى تحدى موسى لفرعون وسحرته بالعصا ، فكانت كما ورد في القرآن : « تلقف ما يافكون » - ٦ - شاه وجه الرق : أى قبح .

وَجَرَى الْمَاضِي ، فَمَاذَا اذْكُرْتُ وَاذْكُرْتُ النَفْسَ شَيْءٌ مِنْ وَفَاها؟
الْمُحُ الْأَيَّامَ فِيهَا ، وَأَرَى مِنْ وَرَاءِ السُّنِّ تِمَثَالٌ صَبَاها
لَسْتُ أَدْرِي حِينَ تَنْدَى نَضْرَةٌ عَلَتِ الشَّيْبَ ، أَمْ الشَّيْبُ عَلَاها؟
حَلَّتِ السَّبْعُونَ فِي هَيْكَلِها فَتَدَاعَى وَهِيَ مَوْفُورٌ بِنَاها
رَوْعَةُ النَّادِي إِذَا جَدَّتْ ، فَإِنْ مَزَحَتْ لَمْ يَذْهَبِ الْمَرْحُ بِهَاها
يَظْفَرُ الْعُذْرُ بِأَقْصَى سُخْطِها وَيَنَالُ الْوُدَّ غَايَاتِ رِضَاها
وَلَهَا صَبْرٌ عَلَى حُسَادِها يُشَبِّهُ الصَّفْحَ ، وَحِلْمٌ عَنْ عِدَاها
لَسْتُ أَنْسَى صَفْحَةً ضَاكِكَةً تَأْخُذُ النَفْسَ وَتَجْرِي فِي هَوَاها
وَحَدِيثًا كَرَوَايَاتِ الْهَوَى جَدَّ لِلصَّبِّ حَنِينٌ فَرَوَاها
وَقَنَاةٌ صَعْدَةٌ لَوْ وَهَبَتْ لِلسَّمَاءِ الْأَعْزَلِ اخْتَالَ وَتَاها (١)
أَيْنَ مِنْنِي قَامٌ كُنْتُ إِذَا سَمِعْتَهُ أَنْ يَرِثِي الشَّمْسَ رَثَاها؟
خَانَنِي فِي يَوْمٍ (سَعْدٍ) ، وَجَرَى فِي الْمَرَاثِي فَكَبَا دُونَ مَدَاها
فِي نَعِيمِ اللَّهِ نَفْسٌ أُوتِيَتْ أَنْعَمَ الدُّنْيَا فَلَمْ تَنْسَ ثَقَاها
لَا الْحِجْبَى لَمَّا تَذَاهَى غَرَّها بِالْمَقَادِيرِ ، وَلَا الْعِلْمُ زَهَاها
ذَهَبَتْ أَوَابَةٌ مُؤَمَّنَةٌ خَالِصًا مِنْ خَيْرَةِ الشُّكِّ هُدَاها
آنَسْتُ خَلْقًا ضَعِيفًا وَرَأْتُ مِنْ وَرَاءِ الْعَالَمِ الْفَانِي إِلَهَاها
مَا دَعَاها الْحَقُّ إِلَّا سَارَعَتْ لَيْتَهُ يَوْمَ «وَصَيْفٍ» مَا دَعَاها (٢)

١- القَنَاة : الرَّمْح . والصَّعْدَةُ : هِيَ الَّتِي نَبَتَتْ مَسْتَوِيَةً . فَلَا تَحْتَاجُ
لِلتَّقْيِيفِ . وَالسَّمَاءُ : أَحَدُ كَوْكَبَيْنِ نِيرَيْنِ ، يُوصَفُ أَحَدُهُمَا بِالرَّامِحِ ، لِأَنَّهُ
أَمَامُهُ كَوْكَبًا صَغِيرًا يُسَمَّى رَمَحَ السَّمَاءِ وَرَايَتُهُ ، وَيُوصَفُ الْآخَرُ بِالْأَعْزَلِ ،
حَيْثُ لَا يُوْجَدُ أَمَامَهُ شَيْءٌ . يَقُولُ إِنَّ لَهُ قَوَامًا لَوْ مَنَحَ لِلسَّمَاءِ الْأَعْزَلِ فِي السَّمَاءِ
لَاخْتَالَ بِهِ وَتَبَاهَى عَلَى السَّمَاءِ الرَّامِحِ - ٢- وَصَيْفٌ : يَقْصِدُ مَسْجِدَ وَصَيْفٍ ،
وَهِيَ الْقَرْيَةُ الَّتِي تَوْجَدُ فِيهَا مَمْتَلِكَاتُ الزَّعِيمِ ، وَالَّتِي قَضَى بِهَا .

الشاعر الموسيقى فردى (٠)

فى العقل والنَّعْمَةِ العَالِيَةِ مَضَى وَمَحَاسِنُهُ بَاقِيَةٌ
فَلَا سُوقَةٌ لَمْ تَكُنْ أَنْسَهُ وَلَا مَلِكٌ لَمْ تَبْزِنْ نَادِيَهُ
وَلَمْ تَخُلْ مِنْ طَيْبِهَا بَلَدَةٌ وَلَمْ تَخُلْ مِنْ ذِكْرِهَا نَاحِيَهُ
يَكَادُ إِذَا هُوَ غَنَّى الْوَرَى بِقَافِيَةٍ يُنْطِقُ الْقَافِيَهُ
يَتِيَّهُ عَلَى الْمَاسِ بَعْضُ النَّحَاسِ إِذَا ضَمَّ أَلْحَانَهُ الْغَالِيَهُ
وَتَحْكُمُ فِي النَّفْسِ أَوْتَارُهُ عَلَى الْعُودِ نَاطِقَةٌ حَاكِيه
وَتَبْلُغُ مَوْضِعَ أَوْتَارِهَا وَتُفْشِي سَرِيرَتَهَا الْخَافِيَهُ
وَكَمْ آيَةٍ فِي الْأَغَانِي لَهُ هِيَ الشَّمْسُ لَيْسَ لَهَا ثَانِيَهُ !
إِذَا مَا تَنَادَى بِهَا الْعَارِفُونَ قُلْ : الْبَرْقُ وَالرَّعْدُ مِنْ غَادِيهِ
فَإِنْ هَمَّسُوا بَعْدَ جَهْرٍ بِهَا فَخَفَّتْ الْحُلَى عَلَى الْغَانِيهِ
لَقَدْ شَابَ (فردى) وَجَازَ الْمَشِيبَ وَ(عَيْدَا) شَبِيبَتُهَا زَاهِيَهُ (١)
تُمَثِّلُ مِصْرَ لِهَذَا الزَّمَانِ كَمَا هِيَ فِي الْأَعْصُرِ الْخَالِيهِ
وَنَذَرُ تِلْكَ اللَّيَالِي بِهَا وَنَنْشُدُ تِلْكَ الرُّؤَى السَّارِيهِ
وَنَبْكِي عَلَى عِزِّنا الْمُنْقَضِي وَنَنْدُبُ أَيَّامَنَا الْمَاضِيهِ
فِيَا آلَ (فردى) ، نُمَزِّكُكُمْ وَنَبْكِي مَعَ الْأَسْرَةِ الْبَاكِهِ
فَقَدَدْنَا مَقْمُودَكُمْ شَاعِرًا يَقِلُّ الزَّمَانُ لَهُ رَاوِيَهُ

*) الشاعر الموسيقى فردى احد اعلام ايطاليا العالميين ، وقد توفى
سنة ١٩٠١ .

١- عيدا : رواية تمثيلية للفقيد .

اسماعيل أباطة باشا (*)

سقى الله (بالكفر الأباطى) مضجعاً
تضوع كافوراً من الخلد ساريا
يطيب ثرى (بردين) من نفع طيبه
كان ثرى (بردين) مس الغوالي (١)
فيالك غمداً من صفيح وجندل
حوى السيف مصقول الغراريما (٢)
وكنا استلنا في النوائب غربة
فلم يلف سياباً ، ولم تلف نابيا (٣)
إذا اهتز دون الحق يحمى حياضه
تأخر عنها باطل القوم ظاميا
طوته يد للموت ، لا الجاه عاصماً
إذا بطشت يوماً ، ولا المال فاديا

* * *

تنال حبا الأعمار عند رفيفه
وعند جفوف العود في السن ذاويا
وبعض المنايا تنزل الشهد في الثرى
ويخططن في التراب الجبال الرواسيا

* * *

يقولون : يرثي الراحلين ، فويحهم !
أأملت عند الراحلين الجوازيا ؟
أبوا حسداً أن أجعل الحي أسوة
لهم ، ومثلاً قد يُصادفُ حاذيا
فلما رثيت الميت أفضى حقوقه
وجدتُ حسوداً للرفات وشانيا
إذا أنت لم ترع العهد لهالك
فلمست لحي حافظ العهد راعيا
فلا يطوين الموت عهدك من أخ
وهبة بواد غير واديك نايا
أقام بأرض أنت لاقية عندها
وإن يتما تستبعدان التلاقيا

* * *

(*) اسماعيل أباطة باشا : احد سراة الزعماء في البلاد المصرية ، كان صاحب الصوت المتبوع في الجمعية التشريعية ، وقد توفي سنة ١٩٢٧ بعد ان ترك خلفه تاريخاً حافلاً بالمواقف الوطنية المحمودة .
١- بردين : قرية الفقيد ، وهى من أعمال مديرية الشرقية . والغوالي جمع غالية ، وهى المسك - ٢- الفرار من السيف : حده - ٣- قرب السيف : حده أيضا . ونابى : كليل لا يقطع .

رَئِيتُ حَيَاةً بِالثَّنَاءِ خَلِيقَةً وَخَلَّيْتُ عَهْدًا بِالْمَفَاخِرِ حَالِيَا
وَعَزَّيْتُ بَيْتًا قَدْ تَبَارَتْ سَمَاوُهُ مَشَايِخَ أَقْمَارًا ، وَمُرُودًا دَرَارِيَا (١)
إِلَى اللَّهِ (إِسْمَاعِيلُ) وَانزِلُ بِسَاحَتِهِ أَظْلُ النَّدَى أَقْطَارَهَا وَالنَّوَاحِيَا
تَرَى الرَّحْمَةَ الْكُبْرَى وَرَاءَ سَمَائِهَا تَلْفُ التَّقَى فِي سَيِّبِهَا وَالْمَعَاصِيَا
لَدَى مَلِكٍ لَا يَمْنَعُ الظِّلُّ لَائِدًا وَلَا الصَّفْحُ تَوَابًا ، وَلَا الْعَفْوُ رَاجِيَا
وَأَقْسَمُ كُنْتُ الْمَرْءَ لَمْ يَنْسَ دِينَهُ وَلَمْ تُلْهِهِ دُنْيَاوُهُ وَهَى مَا هِيَا
وَكُنْتُ إِذَا الْحَاجَاتُ عَزَّ قَضَاوُهَا لِحَاجِ الْيَتَامَى وَالْأَرَامِلِ قَاضِيَا (٢)
وَكُنْتُ تُصَلِّيُ بِالْمُلُوكِ جَمَاعَةً وَكُنْتُ تَقُومُ اللَّيْلَ بِالنَّفْسِ خَالِيَا
وَمَنْ يُعْطَى مِنْ جَاهِ الْمُلُوكِ وَسَيْلَةً فَلَا يَصْنَعُ الْخَيْرَاتِ ؛ لَمْ يُعْطَ غَالِيَا
وَكُنْتُ الْجَرَى النَّدْبَ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ تَلَقَّتْ فِيهِ الْحَقُّ لَمْ يَلْقَ حَامِيَا (٣)
بَصُرْتُ بِأَخْلَاقِ الرِّجَالِ فَلَمْ أَجِدْ — وَإِنْ جَلَّتْ الْأَخْلَاقُ — لِلْعِزِّ ثَانِيَا
مِنَ الْعِزِّ مَا يُحْيِي فُحُولًا كَثِيرَةً وَقَدَّمَ كَافُورَ الْخَصِيِّ الطَّوَاشِيَا
وَمَا حَظَّ مِنْ رَبِّ الْقَصَائِدِ مَا دَحَا وَأَنْزَلَهُ عَنِ رَتْبَةِ الشَّعْرِ هَاجِيَا
فَلَيْسَ الْبَيَانُ الْهَجْوُ إِنْ كُنْتُ سَاخِطًا وَلَا هُوَ زُورُ الْمَدْحِ إِنْ كُنْتُ رَاضِيَا
وَلَكِنْ هُنْدَى اللَّهِ الْكَرِيمِ وَوَحْيُهُ حَمَلَتْ بِهِ الْمَصْبَاحُ فِي الذَّائِرِ هَادِيَا
تُفَيِّضُ عَلَى الْأَحْيَاءِ نُورًا ، وَتَارَةً تُضِيءُ عَلَى الْمَوْتِ الرَّجَامِ الدَّوَاجِيَا (٤)
هِيَ كُلُّ تَفَنَّنِي ، وَالْبَيَانُ مُخَلَّدُ أَلَا إِنَّ عِتْقَ الْخَمْرِ يُنْسِي الْأَوَانِيَا

* * *

١- يشبهه شيوخ الاسرة الاباطية بالاقيمار ، وشبابها المرء بدرارى
النجوم ، على حين ان هذه الاقمار والنجوم تتبارى في الاشعاع والاضاءة .
٢- حاج : جمع حاجة - ٣- الندب : الخفيف عند الحاجة اليه - ٤- الرجاء :
القبور . والدواجى - جمع داجية : المظلمة .

ذهبت (أبا عبد الحميد) مُبرِّءًا
قليل المساوي في زمان يرى العلا
طويناك كالماضي تلقاه غمده
فكنت على الأفواه سيرة مُجمل
وفيت لمن أدناك في الملك حقة
أثاروا على آثار موتك ضجة
ومن سابق التاريخ لم يامن الهوى
إذا وضع الأحياء تاريخ جيلهم
من الدّام ، محمود الجوانب ، زاكيا (١)
ذُنوباً ، وناس يُخلّقون المساويا
فلم تسترح حتى نشرناك ماضيا (٢)
وكنت حديثاً في السامع عاليا
فكان عجباً أن يرى الناس واقيا
وهاجوا لنا الذكرى ، وردوا اللياليا
ملجاً ، ولم يسلم من الحقد نازيا (٣)
عرفت الملاحى منهمو ، والمُحابيا

* * *

إذا سلم الدستور هان الذى مضى
ألا كل ذنب ليلالى لأجله
وهان من الأحداث ما كان آتيا (٤)
سدلنا عليه صفحنا والتناسيا (٥)

١- زاكيا : اى ناميا مباركا -٢- الماضى . فى اول البيت : السيف ،
وفى آخره : من الزمن الماضى -٣- نازيا : اى وايبا . والملج التماسدى فى
الخصومة -٤- الأحداث : نوازل الايام -٥- سدلنا عليه الصفح : اى
سحبنا على كل الذنوب اعراضنا وسترناها بفقرانا .

على بهجت (*)

أحقُّ أنهم دفنوا عليًّا وخطوا في الثرى المرء الزكيا ؟
فما تركوا من الأخلاق سمحًا على وجه التراب ؛ ولا رضيًا ؟
مضوا بالصاحك الماضي وألقوا إلى الحُفَرِ الخفيفِ السُمَهريَّا ؟
فَمَنْ عَوْنُ اللغاتِ على مُلِمٍّ أصاب فصيحها والأعجميًّا ؟
لقد فقدت مُصَرِّفها حنينًا وبات مكانه منها خليًّا
ومن ينظرُ يرَ الفسْطاطَ تبكى بفائضه من العبراتِ رِيًّا
ألم يَعمِشِ الثرى قِحةً عليها وكان رِكابُها نحوَ الثريَّا ؟
فنَقَّبَ عن مواضعها عليُّ فجَدَّدَ دارسًا ، وجَلَّا خَفِيًّا
ولولا جُهْدُهُ احتجبتِ رؤسومًا فلا دِمْنًا تُريكِ ولا نُويًّا
تلفَّتِ الفنونُ وقد تَوَلَّى فلم تجدِ النصيرَ ولا الوليًّا
سَلُوا الآثارَ : مَنْ يَغْدُو يُغَالِي بها ، ويروحُ مُحْتَفِظًا خَفِيًّا ؟
ويُنزِلُها الرُّفوفَ كجوهريٍّ يُصَفِّفُ في خزائنها الحليًّا ؟
وما جَهِلَ العَتِيقَ الحُرَّ منها ولا غَيَّبَ المُقَلَّدَ والدَّعيًّا
فَتَى عافَ المِشارِبَ من دَنايَا وصانَ عن القَدَى ماءَ المَحِيَّا
أبى النفسِ في زمنٍ إذا ما عَجَمَتَ بنيهِ لم تجدِ الأبيَّا
تعوَّدَ أن يراه الناسَ رأسًا وليس يَرَوْنَهُ الذَّنْبَ الدُّنيَّا
وَجَدْتُ العلمَ لا يبنى نُفوسًا ولا يغنى عن الأخلاقِ شَيًّا

(*) رثى أمير البيان « أحمد شوقي » فقيد العلم والعاديات المغفور له
« على بهجت » بهذه اليتيمة العصماء التي قيلت في حفلة تأبينه ، وهي كما
نراها القارئ الكريم . اخذة من اخذ السحر ومعجزة من معجزات الشعر
(لشعر) بجريدة الأخبار بتاريخ ١٠ مايو سنة ١٩٢٤) .

ولم أر في السلاح أضلّ حداً من الأخلاق إن صَحِبَتْ غَوِيّاً
هما كالسيف ، لا تُنْصِفُهُ يَفْسُدُ عليك ، ونُحْذُهُ مُكْتَمِلاً سَوِيّاً

* * *

غديرٌ أنزع الأوطانَ خيراً وإن لم تَمْتَلِ منه دَوِيّاً
وقد تَأَتَّى الجداولُ في خشوعٍ بما قد يُعْجِزُ السَّيْلَ الأَثِيّاً
حياةٌ مُعَلِّمٌ طَفِئَتْ ، وكانت سراجاً يُعْجِبُ السَّارِى وَضِيّاً
سبقتُ القابسين إلى سناها ورُحْتُ بنورها أَخْبُو صَبِيّاً
أخذتُ على أريبٍ أَلْمَعِيٍّ وَمَنْ لَكَ بِالْمَعْلَمِ أَلْمَعِيّاً ؟
ورُبُّ مُعَلِّمٍ تَلَقَّاهُ فَظّاً غَلِيظُ القلبِ ، أو قَدْماً غَبِيّاً
إذا انتدب البنون لها سيوفاً من الميلادِ رَدَّهُمْ عَصِيّاً
إذا رَشَدَ المعلمُ كان مُوسَى وإن هو ضَلَّ كان السامِريّاً
ورُبُّ مُعَلِّمِينَ خَلَوْا وفاقوا إلى الحرية أنساقوا هديّاً
أناروا ظلمةَ الدنيا ، وكانوا لنار الظالمين بها صليّاً

* * *

أَرَقْتُ وَهْناً نَسِيْتُ «بناتِ بوم» على «المطرية» أَنْدَفَعَتْ بُكْيَا
بَكَتْ وَتَأَوَّهَتْ ، فَوَهِمْتُ شَرّاً وقبلى داخلَ الوَهْمِ الذُّكْيَا
قلبتُ لها الحذى ، وكان منى ضللاً أَنْ قَلْبْتُ لها الحَلْيَا
زَعَمْتُ الغَيْبَ خَلْفَ لسانِ طيرٍ جَهِلْتُ لسانَه فزَعَمْتُ غِيّاً
أصاب الغيبَ عند الطير قومٌ وصارَ البومُ بينهمو نَبِيّاً
إذا غَنَاهُمو وجدوا سَطِيحاً على فمه ، وَأَفْعَى الجُرْهُمِيّاً
رى الغربانُ شيخَ تَنُوخٍ قبلى وراشٍ من الطويل لها دَوِيّاً
نجا من ناجليهِ كُلِّ لَحْمٍ وَغَوَدَرَ لَحْمُهُنَّ به شَقِيّاً
نَعَسْتُ فَمَا وَجَدْتُ الغَمَضَ حَتَّى نَفَضْتُ على المَنَاحَةِ مُقْلَتِيّاً
فقلتُ : نذيرةٌ وبلاغٌ صِدْقٍ وَحَقٍّ لَمْ يُفَاجِئْ مَسْمَعِيّاً

ولكن الذي بكته البواكي خلبل عز مصرعه علياً
ومن يفجع بحر عبقرى يجد ظلم المنية عبقرياً
ومن تتراخ مدته فيكثر من الأحباب لا يخصى النعياً

* * *

أخى ، أقبل على من المنايا وهات حديثك العذب الشها
فلم أعدم إذا ما الدور نامت سميراً بالمقابر أو نجياً
بذكرنى الدجى لدة حميماً هنالك بات ، أو خلاً وفيّاً
نشدتلك بالمنية وهى حق ألم يك زخرف الدنيا فرياً
عرفت الموت معنى بعد لفظ تكلم ، واكشف المعنى الخبيّاً
أتاك من الحياة الموت فانظر أكنت تموت لو لم تلف حياً ؟
وللأشياء أضداد إليها تصير إذا صبرت لها ملياً
ومنتقلب النجوم إلى سكون من الدوران يطويهن طياً
فخبرنى عن الماضين ؛ إلى شدت الرحل أنتظر المضياً
وصف لي منزلاً حملوا إليه وما لمحو الطريق ولا المطياً
وكيف أتى الغنى له فقيراً وكيف ثوى الفقير به غنياً ؟
لقد لبسوا له الأزياء شتى فلم يقبل سوى التجريد زياً
سواء فيه من وافى نهراً ومن قذف اليهود به عشياً
ومن قطع الحياة صداً وجوعاً ومن مرت به شبعاً ورياً
وميت ضجت الدنيا عليه وآخر ما تحس له نعيّاً

تم الجزء الثالث

ايضاح لا بد منه

للاستاذ محمود أبو الوفا

حين طلب الى ان اشرف على طبع هذا الجزء من « الشوقيات » لم يكن في الوقت متسع لاجراجه على كل ما كنت اتوق له من ضبط وشرح وتعليق ، فقد كان الاتفاق بين الناشر والمطبعة قد تم على انجازه في عشرين يوما لا تزيد ، ولقد كان لزاما على ان اكون اداة انجاز لا اداة تعويق .

لهذه الاعتبارات رايت ان اسير في العمل على الوجه الآتي :

اولا : ترك الشرح والضبط كلما امن اللبس ووضح الكلام سواء اكان خوف اللبس من جهة الاعراب ام من جهة النطق بالمفردة اللغوية ، وحيث وجد اللبس فكان لابد من الضبط او التعليق او كليهما .

ثانيا : رايت ايضا ان اترك الكلمات التي تستعمل عين الفعل المضارع فيها على وجهين او ثلاث بدون شكل مطلقا حيث عدم الخطأ مضمون .

اما الشرح فتركته لا لضيق الوقت ومراعاة الاختصار فقط ، لاني احببت ان لا اتحكم في ذوق القراء والادباء وافرض عليهم فهمي انا ، فقد يجوز ان يفهم البيت على اكثر من وجه .

وهذا على ما فيه من تطويل فهو تمرين للعقول على نوع من الكسل الذهني احب ان يتحاشاه كل طابعي الدواوين .

اما بعد ، فكل ما في هذا الكتاب من خطأ او من مؤاخذه فهو الى ، اما ما فيه من فضل فمرجه الى الاستاذ حسين شوقي .

فالى ذوقه وحسن تنسيقه يرجع كل ما في هذا الكتاب من ذوق

وجمال .

محمود أبو الوفا

فهرس الجزء الثالث من الشوقيات

صفحة

- ٣ سليمان باشا أباطه ، ومطلعها :
من ظن بعدك أن يقول رثاء فليرث من هذا الورى من شاء
- ٥ مصطفى باشا فهمى ، مطلعها :
يأيها الناعى أبا الوزراء هذا اوان جلائل الانبياء
- ٩ أبو هيف بك ، مطلعها :
اجعل رثاءك للرجسال جزاء وابعثه للوطن الحزين عزاء
- ١٢ مولانا محمد على ، مطلعها :
بيت على أرض الهدى وسماؤه الحق حائطه واس بنائه
- ١٤ سيد درويش ، مطلعها :
كل يوم مهرجـان كللوا فيه ميتا بـرياحين الثناء
- ١٧ عمر المختار ، مطلعها :
ركزوا رفاتك فى الرمال لواء يستنهض الـرادى صباح مساء
- ٢٠ عبدالحليم العلـايلـى بك ، مطلعها :
لقد لى زعيمكم النـسـبـاء عزاء أهل دميـاط عزاء
- ٢٢ حافظ ابراهيم ، مطلعها :
قد كنت أوثر أن تقول رثائى يامنصف الموتى من الأحياء
- ٢٦ محمد تيمور ، مطلعها :
ضربوا القباب على اليباب وثـووا الى يوم الحساب
- ٢٩ يعقوب صروف ، مطلعها :
سماؤك يادنيا خداع سراب وأرضك عمران وشيك خراب
- ٣٣ حسين شيرين بك ، مطلعها :
أرايت زين العابدين مجهزا نقلوه نقل الورد من محرابه

صفحة

- ٣٦ محمد عبد المطلب ، مطلعها :
قام من علته الشاكي الوصب وتلقى راحة الدهر التعب
- ٣٨ يرثى جدته ، مطلعها :
خلقنا للحياة والممات ومن هذين كل الحادثات
- ٤١ محمد عبده ، مطلعها :
مفسر آى الله بالامس بيننا قم اليوم فسر للورى آية الموت
- ٤٢ رياض باشا ، مطلعها :
مات في المواكب ام حياة ونعش في المناكب ام عطات
- ٤٩ عثمان باشا غالب ، مطلعها :
ضجت لمصرع (غالب) في الارض (مملكة النباتات)
- ٥١ عبدالحى ، مطلعها :
طوى البساط وجفت الاقداح وغدت عواطل بعدك الافراح
- ٥٣ محمد ثابت باشا ، مطلعها :
سر ابا صالح الى الله واترك مصر فى مأتم وحزن شديد
- ٥٥ محمد فريد بك ، ومطلعها :
كل حى على المنية غادى تتوالى الركاب والموت حادى
- ٥٩ البنون والحياة الدنيا ، ومطلعها :
الضلوع تتقد والدموع تطرد
- ٦٢ ثروت باشا ، مطلعها :
يموت فى الغاب آو فى غيره الاسد كل البلاد وساد حين تتسد
- ٦٦ عبدالعزيز جاويش ، مطلعها :
أصاب المجاهد عقبى الشهيد وألقى عصاه المضاف الشريد
- ٦٩ تمزية ورجاء ، مطلعها :
كأس من الدنيا تدار من ذاقها خلع المدار
- ٧١ ذكرى هيجو ، مطلعها :
ما جل فيهم عيدك الماور الا وانت اجل يا فكتور

- ٧٢ عبده الحمولى ، مطلعها :
ساجع الشرق طار عن اوكله وتولى فن على آثاره
- ٧٦ قاسم بك امين ، مطلعها :
يايهنا الدمع السرى بدار تقضى حقوق الرفقة الاخيار
- ٨٠ تولستوى ، مطلعها :
(تولستوى) تجرى آية العلم دمعها عليك ويكى بائس وفقير
- ٨٢ عمر بك لطفى ، مطلعها :
قفوا بالتبور نسائل عمر متى كانت الارض مثوى القمر
- ٨٥ عمر بك لطفى ، مطلعها :
اليوم اصعد دون قبرك منبرا واقلد الدنيا رثاءك جوهرا
- ٨٨ الاميرة ، مطلعها :
حلفت بالمستره والروضة المعطره
- ٩١ ذكرى مصطفى كامل ، مطلعها :
لم يمت من له اثر وحياة من السير
- ٩٤ المنفلوطى ، مطلعها :
اخترت يوم الهول يوم وداع ونعاك فى عصف الرياح الناعى
- ٩٧ عاطف بركات باشا ، مطلعها :
خفضت لعزة الموت اليواعا وجد جلال منطقته فراعا
- ١٠١ المويلحى ، مطلعها :
كاتب مخسن البيان صناعه استخف العقول حينا يراعه
- ١٠٤ اسماعيل باشا صبرى ، مطلعها :
اجل وان طال الزمان موافى اخلى يدك من الخليل الوافى
- ١١٠ فوزى الغزى ، مطلعها :
جرح على جرح حنانك جلق حملت ما يوهى الجبال ويزهق
- ١١٤ كريمة البارودى ، مطلعها :
احيث تلوح المنى تافل كفى عظة ايها المنزل

- ١١٦ فتحى ونورى ، مطلعها :
انظر الى الاقصار كيف تزول والى وجوه السعد كيف تحول
- ١٢١ على باشا ابوالفتوح ، مطلعها :
ما بين دمعى المسيل عهد وبين ثرى على
- ١٢٥ جورجى زيدان ، مطلعها :
ممالك الشرق ام ادراس اطلال وتلك دولاته ام رسمها البالى
- ١٢٨ شهداء العلم والغربة ، مطلعها :
الا فى سبيل الله ذاك الدم الغالى ولل مجد ما ابقى من المثل العالى
- ١٣٢ سعيد بك زغلول ، مطلعها :
(آل زغلول) حسبكم من عزاء سنة الموت فى النبى وآله
- ١٣٤ أمين بك الرافعى ، مطلعها :
مال احبابه خليلا خليلا وتولى اللدات الا قليلا
- ١٣٨ الشيخ سلامة حجازى ، مطلعها :
يا ترى النيل فى نواحيك طير كان دنيا وكان فرحة جيل
- ١٤٠ ادهم باشا ، مطلعها :
مصاب بنى الدنيا عظيم (بادهم) واعظم منه حيرة الشعر فى فمى
- ١٤٢ عثمان باشا ، الغازى :
هالة للهلال فيها اعتصام كيف حامت حياها الايام
- ١٤٤ بطرس باشا غالى ، مطلعها :
قبر الوزير تحية وسلاما والحلم والمعروف فيك اقاما
- ١٤٦ يبكى والدته ، ومطلعها :
الى الله اشكو من عوادي النوى سهما اصاب سويداء الفؤاد وما اسمى
- ١٥٠ الملك حسين : مطلعها :
لك فى الارض والسماء ماتم قام فيها ابو الملائك هاشم
- ١٥٤ يرثى اياه ، مطلعها :
سالونى لم لم ارث أبى ورثاء الاب دين اى دين

صفحة

- ١٥٧ مصطفى كامل باشا ، مطلعها :
المشرقان عليك ينتحبان قاصيهما في مآتم والداني
- ١٦١ حسن بك أنور ، مطلعها :
تسائلني (كرمتي) بالنهار وبالليل : أين سميري (حسن) ؟
- ١٦٣ أم المحسنين ، مطلعها :
أخذت نعشك مصر باليمين وحوته من يد الروح الامين
- ١٦٦ الدكتور احمد فؤاد ، مطلعها :
أوجت لطرفك فاستهل شئونا دار مررت بها على قيسونا
- ١٦٩ نجل امام اليمن ، مطلعها :
مضى الدهر بابن امام اليمن وأودى بزين شباب الزمن
- ١٧٢ عبدالله بك الطوير ، مطلعها :
ياقلب ويحك والمودة ذمة ماذا صنعت بعهد عبد الله
- ١٧٤ سعد باشا زغلول ، مطلعها :
شيعوا الشمس ومالوا بضحاها وانحنى الشرق عليها فبكاهها
- ١٨٠ الشاعر الموسيقى فردى ، مطلعها :
فتى العقل والنفمة العالمة مضى ومحاسنه باقية
- ١٨١ اسماعيل أباطه باشا ، مطلعها :
سقى الله بالكفر الاباطى مضجعا تضرع كافورا من الخلد ساريا
- ١٨٤ علي بهجت بك ، مطلعها :
أحسبني أنهم دفنوا عليا وحطوا في الثرى المرء الزكيا

الشوقيات

شعر المرحوم

أحمد شوقي

الجزء الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بقلم الأستاذ محمد سعيد العريان

كان شوقي رحمه الله شاعراً ملء سمع الشرق ، ما يلفظ من قول إلا لقفته
الآلاف عن الآلاف من أبناء الأمة العربية ، تُنشده وتتغنى به وتضربه مثلاً ،
وما أحسب شاعراً في الأمة العربية منذ كانت وكان الشعر ؛ قد ذهب صيته
في الناس حياً مذهب شوقي أو بلغ مبلغه ، وقد كان حقيقاً بما بلغ ، لا من
أنه شاعر العربية الأول ، ولا من أن الأمة العربية قد عقلت فلم تنهجب مثله
في تاريخها المتطاوّل ؛ ولكنه جاء على فترة انقطع فيها أمل الأمل في نهضة
الشعر العربي ، بعد ما إناله من الانحطاط ، والركّة ، وضيق المذهب ، وسوء
التناول . وكأنما كان البارودي من قبله إرهاباً له ، ودعوة إليه ، وتنبيهها
إلى فضله ومكانه . وقد كان البارودي لما اجتمع له من أدوات الشعر ، وبما
تهيأ له من أسبابه العامة والخاصة ؛ أول من بعث الحياة في هذا الجسد الهامد ،
ونفخ فيه من قوّته ، وخلع عليه من شبابه ، فكان تصديراً بليغاً لهذا الفصل
الجديد في تاريخ الشعر العربي ، فلما خلا مكانه تلفّت الناس ينظرون على حذر
وخشية ، يريدون أن يسمعوا نغماً صافياً ، كهذا الذي عودهم البارودي
أن يسمعوه من إنشاده وتطريبه ، وما منهم إلا من ظن أن الشعر بعده
منتكس بعلمته ، وأن الرجل الذي كان يمدّه بأسباب الحياة والقوّة قد ذهب ،
فلا سبيل إليه بعد ولا أمل ؛ وفي هذه الفترة ظهر شوقي

على أن ذلك ليس هو كل السبب في ذهاب صيت شوقي ، وامتداد شهرته التي تأمر بها على شعراء الجيل ، وحل في الصدر من ناديم ، فقد انتدب والشرق على أبواب نهضة قد تهيأت له أسبابها ، واكتملت وسائلها ، وإن آمالا قوية لتجيش في نفوس أهله وتصطرع في خواطرهم ؛ فإنهم ليحسنون أثرها فيما تنفعل به عواطفهم ، ولا يحسنون لها تعبيراً ولا بياناً ؛ فاختر شوقي أن يكون لسان هذه الأمة فيما تحب وتكره ، وفيما تأمل وتحذر ، وفيما تنفعل به عواطفها من ذكريات وحوادث ، وكان لسان صدق في التعبير عن كل أولئك في بيان ساحر ولفظ رصين ، فلم تلبث الأمة العربية أن رأت فيه شاعرها ، فألقت إليه مقاليد الإمارة ، وبايعته عن رضا .

وقد ذهب شوقي إلى ربه منذ أكثر من عشر سنين (١) ، وما زال صدى ألحانه يتردد عذبا مطرباً ، وما زال مكانه من ديوان العربية خالياً ؛ لم يتأهل بعد شاعر من شعراء الجيل أن يقتعد ذروته .

بلى ، في مصر وفي سائر بلاد العربية شعراء ، وإن منهم لمن بلغ في فنه ما لم يبلغ شوقي ، ولكنهم فيما اختاروا لأنفسهم من مذاهب الشعر ؛ لم يبلغ واحد منهم أن يكون من الأمة ما كان لها شوقي : لسانها المعبر عن كل ما يلم بها من الأحداث ، وما يهمس في ضميرها من الأماني .

أمن عجز أم من قوة كان شوقي شاعر الأمة وكان هؤلاء شعراء أنفسهم ؟ سؤال لست أجده اليوم جوابه ، وإن العربية لتدخل في تاريخ جديد ، فلعل هذا التاريخ أن يجيب في غد عن هذا التساؤل ، حين يرسم للشاعر مهمته ، ويحدد مكانه من نفسه ومن أمته ؛ وأيا ما كان الجواب فلن يضيع حق

(١) ظهرت الطبعة الأولى من هذا الجزء سنة ١٩٤٣ .

— ٥ —

هذا الشاعر الذى خطَّ هذه الصفحات الأولى من التاريخ ، فحفظ. للشعر العربى شبابه وخطابه خطاه إلى القوة والمجد والخلود .

* * *

وبعد ، فهذا هو الجزء الرابع من الشوقيات ، دفعه إلى مَنْ دفعه قُصاصات من صحف ، وجُزأت من ورق ، وبقية من مطبوعات أو مخطوطات أكلها البلى ؛ لأنظر فى ترتيبها ، وتبويبها ، وإخراجها ديوانا .

ومن التجوز أن نسمي ذلك جزءا ؛ فما هو إلا بقية ، أو شئ من البقية التى لم تنشر فى الأجزاء الثلاثة الأولى من الديوان ؛ فليس يجمعها باب ، ولا تضمها وحدة ؛ ولا تميزها خصيصة من خصائص شعر شوق ، وإن منها لآخر ما قال ، وأوائل ما نظم من شعر الصبا ، ولقد تكون هذه وحدها خصيصة لهذه المجموعة من شعر شوق ؛ فإن الباحث ليجد فيها مادة تعينه على الموازنة بين ما كان هذا الشاعر فى أولاه ، وما صار فى آخرته ، وإنها بذلك لحقيقة أن تعينه على باب من القول ، لعل أسبابه لاتتهيا له من غير أن ينظر فى هذا الجزء من ديوانه .

على أن ذلك الجزء ليس هو كل ما بقى من شعر شوق بعد الأجزاء الثلاثة الأولى ، ولكنه كل ما دُفع إلى مما تهيأ لجامعه أن يجمعه ، وأرى شيئا ما قد فاته أو هو قد أغفل نشره ؛ استجابة لبعض الدواعى العامة ، أو الخاصة ، أو لعل الشاعر - رحمه الله - كان له رأى فى إغفال شئ من نظمه ؛ لجدة أسباب ، أو زوال أسباب ، ومهما يكن من شئ ؛ فهذه حقيقة ينبغى أن أذكرها ، لعل سائلا يسأل من بعد ، أو لعل مدعيا أن يدعى .

وقد رتبت هذا الجزء على ستة أبواب :

الباب الأول منها « متفرقات في السياسة والتاريخ والاجتماع » ، وهو اثنان وأربعون وثمانمائة بيت ، في ثلاث وثلاثين قطعة^(١) ، وإن منها آخر ما أنشأ^(٢) ، وإن منها القديم الذي تطاولت عليه السنون ، وتراكت الحوادث ، حتى ليوشك أن ينساه التاريخ^(٣)

والباب الثاني « الخصوصيات » ، وهو ستة وخمسون ومائة بيت ، في عشرين قطعة^(٤) ، أكثرها في الحديث عن نفسه ، وولده ، وبعض خاصته ، وإنه فيما تحدث عن ولده من هذا الباب ؛ ليهيئ للباحث النفسى أن يقول قولاً في الشاعر الأب ، وفي أبوة الشاعر .

والباب الثالث « الحكايات » ، وهو تسعة وسبعمائة بيت ، في خمس وخمسين قطعة^(٥) ، أكثرها مما نشره من قبل في طبعة « الشوقيات » الأولى ؛ ولغة الشاعر في هذا الباب غير لغته في سائر شعره . وإنه لباب يُسمح فيه للشاعر أن يترخص ، وأحسبه في بعض ما قص من الحكايات في هذا الباب ؛ كان يرمز لبعض ما مرَّ به من كيد الناس في حياته ويعرض^(٦) .

والباب الرابع « ديوان الأطفال » ، وهو ثلاثة وعشرون ومائة بيت ، في عشر قطع ، وأكثره من الأناشيد العامة التي نظمها لمناسباتها ، ثم أرادها لتكون مما ينشده الناشئة .

(١) زيد إليها في هذه الطبعة الثانية اثنان وتسعون ومائة بيت ، في خمس قطع .

(٢) انظر « فتية الوادي عرفنا صوتكم » يخاطب بها الشباب الذين نهضوا بمشروع القرش في سنة ١٩٣٢ ، وكانت تلاوتها يوم وفاته .

(٣) انظر « معالي العهد » و « رسالة الناشئة » .

(٤) زيد إليها في هذه الطبعة الثانية ثلاثة عشر بيتاً في قطعة .

(٥) زيد إليها في هذه الطبعة الثانية واحد وعشرون بيتاً ، في قطعة .

(٦) انظر « نديم الباذنجان ! » و « النعاب والأرانب في السفينة » وغيرهما .

والخامس من « شعر الصبا » ، وهو تسعة وتسعون بيتاً ، في ثمانى قطع من أوليات شعره .

أما الباب السادس « محجوبيات » ؛ فهو باب طريف ، يشير إلى ما كان من ودّ بين الشاعر وصديقه الدكتور محجوب ثابت ، وعدّته ثلاثة وستون بيتاً في أربع قطع ، ولا أحسب ذلك كل ما كان من « محجوبيات » شوق ، ولكنه كل ما ألقى إلى (١) .

* * *

فهذا هو الجزء الرابع من « الشوقيات » كما هو بين يدي قارئه ، ولعلنى كنت مستولاً - وقد حملت تبعة نشره - أن أشرح ، أو أعلّق على بعض ما قد يحتاج إلى التعليق والشرح من أبياته ، ولكنى آثرت والكتاب في طبعته الأولى أن أجعله خالصاً لشعر شاعره ، وألا أستأثر بالتوجيه في الشرح ، كما يقول صديقى الأستاذ محمود أبو الوفا ، في كلمته بالجزء الثالث من الديوان .

على أن بعض كلمات قد اقتضانى موضوعها أن أجليها ببعض الشرح . فاكتفيت من ذلك بالنزر في بعض الصفحات . مكتفياً بما أثبت في رأس كل قصيدة . من ذكر السبب ، والحادثة ، وبعض التاريخ ، إن دعا إلى ذلك موضوعها .

وإني لأرجو بذلك أن أكون قد أدّيت واجبي على وجه يُعذرني عند الناقد من بعض ما قد يراه في هذا الجزء من هنات . وما أبرئ نفسي .

(١) وليس يفوتنى أن أشير إلى قطعتين لم تنشرا في هذا الجزء ، أحدهما بعنوان « دنشواي » ، والأخرى بعنوان « الرقيب » ، وكنت قد هياتهما للنشر في الطبعة الأولى في موضعهما من باب « المتفرقات » ، ثم غاب عنى أصلهما ، فلم يتهيا لى نشرهما في هذه الطبعة كذلك .
أوفيماً عدا ذلك حرصت أن يكون الديوان بالكامل ، ودون استبعاد أى قصيدة حرصاً على تراث الشاعر أحمد شوقي .

متفرقات

في السياسة والتاريخ والاجتماع

الْجَامَعَةُ الْمِصْرِيَّةُ

« أنشأها في حفلة افتتاح منشآت الجامعة المصرية سنة ١٩٣١ »

تاج البلاد . تحيةً وسلاماً
العلمُ والملِكُ الرفيعُ ؛ كلاهما
فكَانَتْ المأمونُ في سُلْطَانِهِ :
أهدى إليك الغربُ من ألقابه
من كلِّ مملكةٍ . وكلِّ جماعةٍ
رَدَّتْكَ مصرُ . وصَحَّتْ الأَحْلَامُ
لك - يا « فؤادُ » - جلالَةٌ ومُقام
في ظِلِّكَ الأَعْلَامُ . والأَقْلَامُ (١)
في العلمِ ما تسمو له الأَعْلَامُ
يسعى لك التقديرُ والإِعْظَامُ

* * *

ما هذه العُرفُ الزواهرُ كالضُّحَى
من كلِّ مرفوعِ العمودِ مُنَوَّرِ
تتحطَّمُ الأُمِّيَّةُ الكبرى على
هذا البذاءِ الفاطميِّ مَنَارَةٍ
مهدَّةٌ تَهَيَّأَ للوليدِ ، وأَيْكَةُ
شُرُفَاتِهِ نورُ السبيلِ . وركنُهُ
وملاعبُ تَجْرِي الحُظُوظُ مع الصَّبَا
الشامخاتُ كأنها الأَعْلَامُ ؟
كالصبحِ مُنْصَدِّعٍ به الإِظْلَامُ
عَرَصَاتِهِ ، وتمزُّقُ الأَوْهَامِ
وقواعدُ الحضارةِ وِدْعَامِ
سَيَرْنُ فيها بُلْبُلٌ وَحَمَامِ
للعبقريةِ مَنْزِلُ وَمُقَامِ
في ظِلِّهِنَّ ، وتُوَهَّبُ الأَقْسَامُ (٢)

(١) المأمون بن الرشيد العباسي ، وعصره من ازدهار عصور الدولة الإسلامية .

(٢) الأقسام : الحظوظ .

يمشي بها الفتيان ، هذا ماله
ألقى أواسيه ، وطال برُكْنِه
من آلِ إسماعيلَ ، لا العَمَّاتُ قد
لم يُعْطَ. هِمَّتْهُمْ ، ولا إحسانَهم
وبنى فؤادَ حائطِه ، يُعِينُه
نفسُ تُسَوِّدُه ، وذاك عصامُ^(١)
نَفْسُ من الصَّيْدِ المملوكِ كُرامُ^(٢)
قَصَّرن عن كرم ، ولا الأعمام
بان على وادي المملوكِ هُمَام
شعبٌ عن الغاياتِ ليس يَدَام

* * *

أنظر أبا الفاروق غرسك ، هل دَنَتْ
وهل انثنى الوادى وفى فمه الجَنَى
فى كلِّ عاصمةٍ وكلِّ مدينةٍ
كم نستعيرُ الآخرين ونَجْتَدِي
اليومَ يَرَعَى فى خمائلِ أرضِهم
حبُّ غَرَسَتْ بِراحَتَيْكَ ، ولم يَزَلْ
حتى أنافَ على قوائمِ سُوقِه
فقريبُه للحاضرين وليمةٌ
عِظَةُ لفاروق وصالحِ جيلِه
ونموذجُ تَحَدُّو عليه ، ولم يَزَلْ
شَيَّدَتْ صَرْحاً للذخائرِ عالياً
رَفَّ عُيُونُ الكُتُبِ فيه طوائفُ
ثمراته ، وبدت له أعلامُ ؟
وأقى العراقِ مُشاطراً والشام ؟
شُبَّانُ مِضَرَ على المناهلِ حاموا
هيهات ! ما للعارياتِ دَوام
نَشَأُ إلى داعي الرَّحِيلِ قِيام
يَسْقِيه من كِلتا يديكَ غَمَام
ثمراً تنوُّ وراءَه الأكمام
وبعيدُه للغابرين طعام
فيما يُنِيلُ الصبرُ والإقدام
بسرَّاتِهِمْ يتشَبَّهُ الأَقوام
يَأْوِي الجمالُ إليه والإلهام
وجلائلُ الأسفارِ فيه رُكام

(١) يشير الى قول النابغة :

نفس عصام سودت عصاما
وعصام حاجب النعمان بن المنذر ، واليه ينسب كل عصامي .
(٢) الأواسى : الدعائم والأبنية المحكمة .

إسكندرية ، عاد كنزك سالماً
لمنته من لَهَبِ الحريق أناملُ
وأنت جراحتك القديمة راحة
تهب الطريف من الفخار ، وربما
حتى كأن نم يلتهمه ضرام^(١)
برد على ما لامست ، وسلام
جرح الزمان بعرفها يكتام
بعثت تليد المجدي وهو رمام

* * *

أرأيت ركن العلم كيف يُقام ؟
انعلم في سبل الحضارة والعلا
باني الممالك حين تَشُدُّ بانياً
قامت ربوع العلم في الوادي ، فهل
فهما الحياة ، وكل دور ثقافة
ما العلم ما لم يصنعه حقيقة
يا مهران العلم ، حولك فرحة
ما أشبهتكَ مواسم الوادي ، ولا
إلا نهاراً في بشاشة صبحه
وأطال «خوفو» من مواكب عزه
يومي بتاج في الحضارة مُعْرِق
تاج تنقل في العصور مُعْظماً
لما اضطلعت به مَشَى فيه الهدى
سبقت مواكبك الربيع وحسنه
أرأيت الاستقلال كيف يُرام ؟
حاد لكل جماعة ، وزمام
ومثابة الأوطان حين تضام
للعبقريّة والنبوغ قِيام ؟
أو دور تعليم هي الأجسام
للطالبين ، ولا البيان كلام
وعليك من آمال مصر زحام
أعياده في الدهر ، وهي عظام
قعد البناء ، وقامت الأهرام
فاهتزت الربوات ، والآكام
تغنو الجباه لعزه ، والهام
وتألفت دُول عليه جسام
ومرشد الدستور ، والإسلام
فالنيل زهو ، والضفاف وسام

(١) يشير الى حديث التاريخ عن حريق مكتبة الاسكندرية .

— ١٣ —

الجيزةُ الفيحاءُ هَزَّتْ منكِباً	سبع النوالُ عليه واليه م
لبست زخارفها، ومست طيبها	وترددت في أيكها الأنعامُ
قد زدتها هَرَمًا يُحجُّ فِناؤه	ويُشدُّ للدنيا إليه حزام
تقفُ القرونُ غداً على درجاته	تُملِي الثناء ، وتكتبُ الأيام
أعوامُ جهْدٍ في الشبابِ ، وراءها	من جهْدٍ خيرٍ كهولةِ أعوام
بلغَ البناءُ على يديك تمامه	ولكل ما تبنى يداك تمام

بَنُكَ مُصْرَ

« انشئت في مجلس الاحتفال بوضع الحجر
الاول في اساس « بنك مصر » في مايو ١٩٢٥ »

نُراوَحُ بالحوادثِ ، أو نُعاذِي	ونُنْكِرُها . ونُعْطِيها القِيادا
ونَحْمَدُها وما رعتِ الضُّبْحايا	ولا جَزَتِ المواقِفَ والجِهادا
لَحَاها اللهُ ، باعْتِنا خيالاً	من الأَحلامِ ، واشْتَرَتِ اتِّحادا
مَشِينا أَمْسِ نَلْقَها جَمِيعاً	ونَحْنُ اليَوْمَ نَلْقَها فُرَادَى (١)
أَظَلَّتْنا عن الإِصلاحِ ، حتَّى	عَمَجَزْنا أَنْ نُنَاقِشَها الفِسادا
تُلاقِينا ، فلا نَجِدُ الصِّيَاصِي	ونَلْقَها ، فلا نَجِدُ العِتادَا (٢)
وَمَنْ لَقِيَ السُّبَاعَ بِغَيْرِ ظَفِرٍ	ولا نابٍ تَمزَّقَ أو تَفادَى
خَفَضْنا من عُلُوِّ الحَقِّ حتَّى	تَوَهَّمْنا السِّيادَةَ أَنْ نُبادَا
ولمَّا لم نَنَلْ للسِّيفِ رَدًّا .	تنازَعْنا الحِماثِلَ والنُّجادا
وأَقْبَلْنا على أَقْوالٍ زورٍ	تَجىءُ الغَىَّ تَقْلِيئُهُ رَشادا
ولو عُدْنا إِلَيْها بَعْدَ قَرْنٍ	رَحِمْنا الطُّرُسَ مِنْها والهِدادا
وَكَمْ سَحَرٍ سَمِعْنا مِنْهُ حينَ	تَضاعَلْ بَيْنَ أَعْيُنْنا وَنادَى
هَنِيئاً للعدوِّ بِكُلِّ أَرْضٍ	إِذا هُوَ حَلٌّ في بِلَدٍ تَعادَى
وَبُعْدًا لِلسِّيادَةِ والمَعالي	إِذا قَطَعَ القِرابَةَ والودادا
وَرَبُّ حَقِيقَةٍ لا بَدَّ مِنْها	خَدَعْنا النُّشْرَ عَنْها والسَّوادا

(١) يشير الى ما كان من حدة الخلاف بين زعماء مصر في ذلك التاريخ .

(٢) الصياصي : الحصون . والعِتاد : عدة الحرب .

ولو طلّعو عليها عالجوها بهمة أنفيس عَظُمَتْ رُرادا
تُجِدُ لحادثِ الأيامِ صَبْرًا وآونةً تُعِدُّ له عِنادا
وتخلف بالذهي البيض المواضي وبالخلق المثقفة الصُّعادا
لمحنا الحَظَّ. ناحيةً ، فلما بلغناها أَحَسَّ بنا ، فحادا
وليس الحَظُّ. إلا عبقرياً يُحبُّ الأريحيةً ، والسُّدادا
ونحن بنو زمانٍ حَوْلِي تَنَقَّلَ تاجرًا ، ومَشَى ، ورادا
إذا قعد العبادُ له يسوقِ شرى في السوقِ ، أو باع العبادا
وتعجبه العواطفُ في كتابِ وفي دمع المُشَخَّصِ ما أجدادا

* * *

يُؤمِّننا على الدستورِ أنا نرى من خلفِ حَوَازِيهِ فؤادا
أبو الفاروقِ نرجوه لفضلِ ولا نخشى لِمَا وَهَبَ ارتدادا
ملأنا باسمه الأفواهَ فخراً ولقبناه بالأمسِ (المكادا)(١)
نُناجيه ، فنسترعى حكيماً ونسأله فنستجدي جَوَادا
ولم يزلِ المحبِّبَ ، والمفدَى ومرهمَ كلِّ جُرحٍ ، والضُّمادا

* * *

تَدْفُقُ مَضْرَفُ الوادى ، فروى وصابَ غمامُهُ ، فسقى ، وجادا
دعا فتنافستُ فيه نُفوسُ بمصرَ لكلِّ صالحةٍ تُنادى
تُقدِّمُ عونها ثِقَةً ومالاً وأحياناً تُقدِّمُهُ اجتهدا
وأقبلَ من شبابِ القومِ جمعُ كما بنتُ الكهولُ بَنَى ، وشادا
كَانَ جوانبَ الدارِ الخلايا وهم كالنحل في الدار احتشادا

(١) الميكادو : الملك في لغة اليابان .

فِيادَارًا مِنْ الْهِمَمِ الْعَوَالِي
تَأْتِي حِينَ أَسْسَكَ ابْنُ حَرْبٍ
وَلَا تُرْجَى الْمَتَانَةُ فِي بِنَاءِ
بَنَى الدَّارَ الَّتِي كُنَّا نَرَاهَا
وَلَمْ يَبْعُدْ عَلَى نَفْسٍ مَرَامٌ
وَلَمْ أَرْ بَعْدَ قُدْرَتِهِ تَعَالَى
جَرَى وَالنَّاسُ فِي رَيْبٍ وَشَكٍّ
وَعَوْدَى دُونَهَا حَتَّى بَنَاهَا
يَهُونُ الْكِيدُ مِنْ أَعْدَى عَائِدٍ
فَجَاءَتْ كَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى
نَصُونُ كَرَاهِمِ الْأَمْوَالِ فِيهَا
وَنُخْرِجُهَا، فَتَكْسِبُ، ثُمَّ تَأْوِي
وَلَمْ أَرْ مِثْلَهَا أَرْضًا أَغْلَتْ
وَلَا مُسْتَوْدَعًا مَالًا لِقَوْمٍ
وَمِنْ عَجَبٍ نُنَبِّئُهَا أَصُولًا
كَأَنَّ الْقَطْرَ مِنْ شَوْقٍ إِلَيْهَا
وَلَوْ مَلَكَتْ كُنُوزَ الْأَرْضِ كَفَى
وَلَوْ أَنَّ النُّجُومَ عَنَّتْ لِحُكْمِي

سُقَيْتِ التَّبِيرَ . لَا أَرْضِي الْعِهَادَ (١)
وَحِينَ بَنَى دَعَائِمَكَ الشَّدَادَا
إِذَا الْبِنَاءُ لَمْ يُعْطَ . اتَّشَادَا
أَمَانِي الْمَخِيلَ ، أَوْ رُقَادَا
إِذَا رَكِبْتَ لَهُ الْهِمَمَ الْبِعَادَا
كَمَقْدِرَةِ ابْنِ آدَمَ إِنْ أَرَادَا
يَرُومُ السَّبْقِ : فَاخْتَرَقَ الْجِيَادَا
وَمِنْ شَأْنِ الْمَجْدِدِ أَنْ يُعَادَى
عَلَيْكَ إِذَا الْوَلِيُّ سَعَى وَكَادَا
عُلُومًا فِي الْمَشَارِقِ وَانْطِيَادَا (٢)
وَنُنْزِلُهَا الْخَزَائِنَ وَالنُّضَادَا
رُجُوعَ النَّحْلِ قَدْ حُمِّلَ زَادَا
وَمَا سُقَيْتِ ، وَلَا طَعِمَتْ سَمَادَا
إِذَا رَجَعُوا لَهُ أَدَى وَزَادَا
وَتِلْكَ فِرْعُوعُهَا تَغْشَى الْبِلَادَا
سَمَا قَبْلَ الْأَسَاسِ بِهَا عِمَادَا
جَعَلْتُ أَسَاسَهَا مَاسًا وَرَادَا
فَرَشْتُ النِّيرَاتِ لَهَا مِهَادَا

(١) العهد : المطر .

(٢) الانطِيَاد : الارتفاع .

دَارُ بَنِّكَ مِضْرَ

« نطعمها لنشيد في حفلة افتتاح الدار
الجديدة لبنك مصر في يونيو سنة ١٩٢٧ »

نَبَذَ الهوى ، وصَحَا من الأحلامِ
ثَابَتَ سلامته ، وأَقْبَلَ صَحْوُهُ
صَاحَتْ به الآجَامُ : هُنْتَ ! فلم يَنَمْ .
أَمَّ وراءَ الكهفِ جُهدُ حَيَاتِهِمْ
نَفَضُوا العيونَ من الكرى . واستأنفوا
مَنْ ليس في رَكْبِ الزمانِ مُعَبِّراً
في كُلِّ حاضرةٍ وكلِّ قَبِيلَةٍ
مِنْ كُلِّ مُتَنَعٍ على أَرْسانِهِ
شَرَقُ تَنَبَّهَ بعدَ طَوْلِ مَنَامٍ
إِلَّا بَقَايَا فَتْرَةٍ وَسَقَامٍ
أَعْلَى الهوانِ يُنَامُ في الآجَامِ ؟
حَرَكَاتُ عَيْشٍ في سُكُونِ حِمَامٍ
سَفَرَ الحَيَاةِ ، وَرِحْلَةَ الأَيَّامِ
فَاعْدُدْهُ بينِ غَوَابِرِ الأَقْوَامِ
هَمِّمْ ذَهَبْنَ يَرْمُنَ كُلَّ مَرَامٍ
أَوْ جَامِعٍ يَعدُّو بِنِصْفِ لِحَامِ

* * *

بِامِضْرُ . أَنْتِ كِنَانَةُ اللَّهِ الَّتِي
اسْتَقْبَلِي الآمَالَ فِي غَايَاتِهَا
وَاخْذِي طَرِيفَ المَجْدِ بعدَ تَلِيدِهِ
يَعْنَى بِسُودَدِ قَوْمِهِ . وَحَقُوقِهِمْ
مَا تَأْجُلُ العَالَى . وَلَا نُؤَابَهُ
لَا تُسْتَبَاحُ . وَلِلْكِفَانَةِ حَامٍ
وَنَامَلِي الدُّنْيَا بِطَرَفِ سَامٍ
مِنْ رَاحَتِي مَلِكٍ أَغْرَّ هُمَامٍ
وَيَدُودُ دُونَ حِيَاضِهِمْ ، وَيُحَايِ
بِالْحَانِثِينَ إِلَيْكَ فِي الإِقْسَامِ

جَرَّبْتِ نَعْمَى الحَادِثَاتِ وَبُؤْسَهَا أَعْلَمْتِ حَالاً آذَنْتِ بَدَوامِ؟

* * *

عَبَسَتْ إِلَيْنَا الحَادِثَاتُ ، وَطَلَمَا نَزَلَتْ فَلَمْ نُغْلَبْ عَلَى الْأَحْلَامِ
وَتَبَّتْ بِقُومٍ يَضْمِدُونَ جِرَاحَهُمْ وَيُرْقِدُونَ نَوَازِي الْأَلَامِ
الْحَقُّ كُلُّ سَلَاحِهِمْ وَكِفَاحِهِمْ وَالْحَقُّ نِعَمَ مُثَبَّتُ الْأَقْدَامِ

* * *

يَبْنُونَ حَائِطَ مُلْكِهِمْ فِي هُدْنَةٍ وَعَلَى عَوَاقِبِ شِحْنَةٍ وَخِصَامِ
قُلُوبٍ لِلْحَوَادِثِ : أَقْدِمِي ، أَوْ أَحْجِمِي إِنَّا بَنُو الْإِقْدَامِ وَالْإِحْجَامِ
نَحْنُ النَّيَامُ إِذَا اللَّيَالَى سَالَمَتْ فَإِذَا وَثَبْنَ فَنَحْنُ غَيْرُ نِيَامِ
فِينَا مِنَ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ بَقِيَّةٌ لِحَوَادِثِ خَلْفِ الْعُيُوبِ جِسَامِ

* * *

أَيْنَ الْوُفُودُ الْمُتَلَقُونَ عَلَى الْقَرَى الْمُنْزَلُونَ مَنَازِلَ الْأَكْرَامِ (١)
الْوَارِثُونَ الْقُدْسَ عَنْ أَحْبَارِهِ وَالْمُخَالِفُونَ أُمِّيَّةً فِي الشَّامِ؟
الْحَامِلُو الْقُضْحَى وَنُورَ بَيَانِهَا يَبْنُونَ فِيهِ حَضَارَةَ الْإِسْلَامِ؟
وَيُؤَلِّفُونَ الشَّرْقَ فِي بُرْهَانِهَا لَمْ الضِّيَاءُ حَوَاشِيَ الْإِظْلَامِ؟
تَاقُوا إِلَى أَوْطَانِهِمْ ، فَتَحَمَّلُوا وَهَوَى الدِّيَارِ وَرَاءَ كُلِّ غَرَامِ
مَا ضُرَّ لو حَبَسُوا الرُّكَائِبَ سَاعَةً وَثَنُوا إِلَى الْفُسْطَاطِ فَضَلَ زِمَامِ؟
لِيُضَيِّفَ شَاهِدُهُمْ إِلَى أَيَّامِهِ يَوْمًا أَغْرَّ مُلَمَّحَ الْأَعْلَامِ

(١) يعنى وفود البلاد العربية التى اجتمعت لتكريمه ومبايعته بامارة
الشعر فى مارس من تلك السنة نفسها .

— ١٩ —

وِيرَى وَيَسْمَعُ كَيْفَ عَادَ حَقِيقَةً مَا كَانَ مُتْنِعًا عَلَى الْأَوْهَامِ ...
... مِنْ هِمَّةِ الْمَحْكُومِ وَهُوَ مُكَبَّلٌ بِالْقَيْدِ . لَا مِنْ هِمَّةِ الْحُكَّامِ

* * *

مِصْرُ التَّقَى فِي مِهْرَجَانِ مُحَمَّدٍ وَتَجَمَّعَتْ لِنَحْيَةِ وَسَلَامِ (١)
هَزَّتْ مَنَاكِهَهَا لَهُ . فَكَأَنَّهُ عُرْسُ الْبَيَانِ . وَمَوْكِبُ الْأَقْلَامِ
وَكَأَنَّهُ فِي الْفَتْحِ عُمُورِيَّةٌ وَكَأَنِّي فِيهِ أَبُو تَمَّامِ (٢)
أَسِمُ الْعَصُورِ بِحُسْنِهِ . وَأَنَا الَّذِي يَرَوِي . فَيَنْتَظِمُ الْعَصُورَ كَلَامِي

* * *

شَرَفًا مُحَمَّدٌ ، هَكَذَا تُبَيِّ الْعَلَا : بِالصَّبْرِ آوِنَةٌ وَبِالْإِقْدَامِ
هِمَمُ الرِّجَالِ إِذَا مَضَتْ لَمْ يَثْنِهَا خَدَعُ الشَّاءِ وَلَا عَوَادِي الذَّمِّ
وَتَمَامُ فَضْلِكَ أَنْ يَعْيَبَكَ حُسْدُ يَجِدُونَ نَقْصًا عِنْدَ كُلِّ تَمَامِ

* *

الْمَالُ فِي الدُّنْيَا مَنَازِلُ نُقْلَةٍ مِنْ أَيْنَ جِئْتَ لَهُ بَدَارِ مُقَامِ ؟!
فَرَفَعْتَ إِيوَانًا كَرُكْنِ النَّجْمِ . لَمْ يُضْرَبْ عَلَى كِسْرِي . وَلَا بَهْرَامِ
صَيَّرْتَ طِينَتَهُ الْخُلُودَ : وَجِئْتَ مِنْ وَادِي الْمُلُوكِ بِجَنْدَلٍ وَرَغَامِ
هَذَا الْبِنَاءُ الْعَبْقَرِيُّ أَقْبَى بِهِ بَيْتٌ لَهُ فَضْلٌ وَحَقٌّ ذِمَامِ
كَانَتْ بِهِ الْأَرْقَامُ تُدْرِكُ حِسْبَةً وَالْيَوْمَ جَاوَزَ حِسْبَةَ الْأَرْقَامِ
يَا طَالَمَا شَغَفَ الظَّنُونَ . وَطَالَمَا كَثُرَ الرَّجَاءُ عَلَيْهِ فِي الْإِلَامِ

(١) هو المرحوم محمد طلعت حرب باشا مؤسس البنك .

(٢) قصيدة أبي تمام في فتح عمورية ذائعة مشهورة

— ٢٠ —

ما زلتَ أنتَ وصاحبك بِرُكنه حتى استقام على أعزِّ دِعامِ
أَسْتُثْمِرُ بالحاسدين جِدَارَه وبنيتمو بمعاول الهدَّامِ
شَرَكَاتُك الدنيا العريضةُ لم تُنَلْ إلا بطول رِعايةٍ وقيامِ
اللهُ سَخَّرَ للكنانةِ خازناً أخذ الأمانَ لها من الأعوامِ
وكانَ عهدك عهدُ يوسفَ : كُلُّهُ ظلٌّ ، وُسْبُلَةٌ ، وقطرُ غمامِ
وكانَ مالَ المودعين وزرعمهم في راحتِكَ ودائعُ الأيتامِ
ما زلتَ تَبْنِي رُكنَ كُلِّ عَظيمةٍ حتى أتيتَ برابعِ الأهرامِ

—————

« أنشئت في الاحتفال الخمسيني لدار العلوم ،
بمسرح حديقة الازبكية في يوليو سنة ١٩٢٧ »

اتَّخَذَتِ السَّمَاءُ يَا دَارُ رُكْنًا
وَجَمَعَتِ السَّعَادَتَيْنِ ، فَبَاتَتْ
نَادِمًا الدَّهْرَ فِي ذَرَاكِ ، وَفَضًّا
وَإِذَا الْخُلُقُ كَانَ عِقْدَ وَدَادٍ
وَأَرَى الْعِلْمَ كَالْعِبَادَةِ فِي أَبْـسَعِ غَايَاتِهِ : إِلَى اللَّهِ أَدْنَى
وَاسِعِ السَّاحِ ، يَرْسُلُ الْفِكْرَ فِيهَا
هَلْ سَأَلْنَا أَبَا الْعَلَاءِ وَإِنْ قُلْنَا --- سَبَّ عَيْنًا فِي عَالَمِ الْكَوْنِ وَسَنَى
كَيْفَ يَهْزَأُ بِخَالِقِ الطَّيْرِ مَنْ لَمْ
يَعْلَمِ الطَّيْرَ ؛ هَلْ بَكَى أَوْ تَغْنَّى ؟

✻ ✻ ✻

أَنْتِ كَالشَّمْسِ رَافِعَةً ، وَالسَّمَاءِ رَافِعَةً ، وَكَالْمَحَرَّةِ صَحْنًا
لَوْ تَمَسَّرَتْ كُنْتَ كَالْكَبَةِ الْغَرِّاءِ ذِيلاً مِنَ الْجَلَالِ وَرُدُنَا
إِنْ تَكُنِ لِلثَّوَابِ وَالْبِرِّ دَارًا أَنْتِ لِلْحَقِّ وَالْمُرَاشِدِ مَعْنَى
قَدْ بَلَغْتَ الْكَمَالَ فِي نِصْفِ قَرْنٍ كَيْفَ إِنْ تَمَّتِ الْمَلَاوَةُ قَرْنًا ؟ !

لَا تَعُدُّى السَّيِّئِينَ إِنْ ذُكِرَ الْعَسْلَمُ ؛ فَمَا تَعْلَمِينَ لِلْعَلَمِ سِنًا
سَوْفَ تَفْنَى فِي سَاحَتَيْكَ اللَّيَالَى وَهُوَ بَاقٍ عَلَى الْمَدَى لَيْسَ يَفْنَى
يَا عَكَظًا حَوَى الشَّبَابَ فِصْحًا قُرَشِيِّينَ فِي الْمَجَامِعِ ، لُسْنَا
بَثُّهُمْ فِي كَنَانَةِ اللَّهِ نُورًا مِنْ ظَلَامٍ عَلَى الْبَصَائِرِ أَخْنَى
عَلِّمُوا بِالْبَيَانِ ، لَا غُرْبَاءَ فِيهِ يَوْمًا ، وَلَا أَعَاجِمَ لَكُنَّا
فَتِيَّةٌ مُحْسِنُونَ ، لَمْ يُخْلِفُوا الْعَسْلَمَ رَجَاءً ، وَلَا الْمَعْلَمَ ظَنًّا
صَدَعُوا ظُلْمَةً عَلَى الرَّيْفِ حَلَّتْ وَأَضَاءُوا الصَّعِيدَ سَهْلًا ، وَحَزْنَا
مَنْ قَضَى مِنْهُمْ تَفَرَّقَ فِكْرًا فِي نُهُى النَّشْءِ ، أَوْ تَقَسَّمَ ذِهْنًا
نَادَى دَارَ الْعُلُومِ أَنْ شِئْتَ : «يَا عَا قُلْ لَهَا : يَا ابْنَهُ «الْمُبَارِكِ» (١) إِلَيْهِ
هُوَ فِي الْمَهْرَجَانِ حَتَّى شَهِيدٌ قَدْ جَرَتْ كَاسِمُهُ أُمُورُكَ يُعْمِنَا
وَهُوَ فِي الْعُرْسِ - إِنْ تَحَجَّجَ ، أَوْ لَمْ يَحْجَجْ - وَالِدُ الْعُرُوسِ الْمُهْتَا
مَا جَرَى ذِكْرُهُ بِنَادِيكَ حَتَّى يَحْجَجْ - وَالدُّ الْعُرُوسِ الْمُهْتَا
رُبَّ خَيْرٍ مُلِئَتْ مِنْهُ سُرُورًا وَقَفَ الدَّمْعُ فِي الشُّشُونِ فَأَنْتَى
أَدْرَى إِذْ بَنَاكَ أَنْ كَانَ يَبْنَى ذَكَرَ الْخَيْرِينَ فَاهْتَجَّتْ حُزْنًا
حَائِطُ الْمَلِكِ بِالْمَدَارِسِ إِنْ شِئْتَ - - - - - ، وَإِنْ شِئْتَ بِالْمَعَاظِلِ يُبْنَى فَوْقَ أَنْفِ الْعَدُوِّ لِلضَّادِ حِصْنًا ؟
انْظُرِ النَّاسَ ، هَلْ تَرَى الْحَيَاةَ عَظِلَّتْ مِنْ نَبَاهَةِ الذِّكْرِ مَعْنَى ؟
لَا الْغَنَى فِي الرِّجَالِ نَابَ عَنِ الْفَضْلِ وَسَاطِئِهِ ، وَلَا الْجَاهُ أُنْفَى رُبَّ عَاثٍ فِي الْأَرْضِ لَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ
ضُ لَهْ إِنْ أَقَامَ أَوْ سَارَ وَزَنَا

(١) يعنى منشئ دار العلوم المرحوم علي مبارك باشا .

عاش لم ترميه بعين ، وأودى هملأ لم تهب لنا عيه أذنا
نظم الله ملكه بعباد عبقرين أورثوا الملك حسنا
شغلته عن الحسود المعالي إنما يحسد العظيم ويؤشنا
من ذكى الفؤاد يورث علما أو بديع الخيال يخلق فنا
كم قديم كرقعة الفن حر لم يقلل له الجديدان شأنا
وجديد عليه يختلف الدهر ، ويفنى الزمان قرنا فقرنا
فاحتفظ بالذخيرتين جميعا عادة القطر بالذخائر يعنى
يا شبابا سقوني الود مَحْضاً وسقوا شائى على الغل أجنا
كلما صار للكهولة شعى أنشدوه . فعاد أمرد لذنا
أسرة الشاعر الرواة ، وما عَنَـوْهُ ، والمرء بالقريب معنى
هم يضمنون فى الحياة بما قال : ويُلفون فى المات أضنا
وإذا ما انقضى وأهلوه لم يعـلـم شقيقاً من الرواة أو آينا
النبوغ النبوغ حتى تنصبوا راية العلم كالللال وأسنى
نحن فى صورة الممالك ما لم يُصْبِح العلم والمعلم منا
لا تناذوا الحصون والسفن ، واذعوا العـ

لم يُنشئ لكم حصونا وسُفنا
إن ركب الحضارة اخترق الأز ض ، وشق السماء ريعاً ومزنا
وصحبتناه كالغبار . فلا رجلاً شدنا ، ولا ركاباً زمنا
دان آباؤنا الزمان ملى وملى لحادث الدهر دنا !
كم نباهى بلحد ميت ؟ وكم نحمل من هادم ولم يبين منا ؟ !
قد أنى أن نقول : « نحن » ، ولانسـمع أبناءنا يقولون : « كُنا » !

إِسْكَندَرِيَّةُ آنَ أَنْ تَتَجَدَّدِي

« نظمها لحفلة الافتتاح دار جديدة لبنك مصر
في الاسكندرية ، في يونيو سنة ١٩٢٩ »

أَمْسِ انْقَضَى ، وَالْيَوْمُ مِرْقَاةُ الْغَدِ
يَا غُرَّةَ الْوَادِي وَسُدَّةَ بَابِهِ
فِيضِي كَأَمْسٍ عَلَى الْعُلُومِ مِنَ النُّهَى
وَسَمِي النَّبَالَةَ بِالْمَلَايِمِ تَتَّسِمُ
وَضَمِي رَوَايَاتِ الْخُلَاعَةِ وَالْهَوَى
لَا تَجْعَلِي حُبَّ الْقَدِيمِ وَذَكَرَهُ
إِنَّ الْقَدِيمَ ذَخِيرَةٌ مِنْ صَالِحِ

إِسْكَندَرِيَّةُ ، آنَ أَنْ تَتَجَدَّدِي
رُدِّي مَكَانَكَ فِي الْبَرِيَّةِ يُرَدِّدِ
وَعَلَى الْفَنُونِ مِنَ الْجَمَالِ السَّرْمَدِي
وَسَمِي الصَّبَابَةَ بِالْعَوَاطِفِ تَخْلُدِ
لِمَثْلَيْنِ مِنَ الْعَصُورِ ، وَشُهْدِ
حَسْرَاتِ مِضْيَاعٍ ، وَدَفْعِ مُبَدِّدِ
تَبْنِي الْمَقْصَرِ : أَوْ تَحُثِّ الْمُقْتَدِي

* * *

لَا تَفْتَتِنِيكَ حَضَارَةٌ مَجْلُوبَةٌ
لَوْ مَالَ عَنْكَ شِرَاعُهَا وَبُخَارُهَا
وُجِدَتْ وَكَانَ لَغَيْرِ أَهْلِكَ أَرْضُهَا
جَارِي النَّزِيلِ : وَسَابِقِيهِ إِلَى الْغَنَى
وَابْنِي كَمَا يَبْنِي الْمَعَاهِدَ . وَاشْرَعِي
إِنِّي حَلَرْتُ عَلَيْكَ مِنْ أُمِّيَّةِ

لَمْ يُبْنَ حَانِطُهَا بِمَالِكَ وَالْيَدِ
لَمْ يَبْقَ غَيْرُ الصَّيْدِ وَالْمَتَصِيدِ
وَسَهَاوَهَا . وَكَأَنَّهَا لَمْ تَوْجَدْ
وَالِي الْحِجَا ، وَإِلَى الْعُلَا وَالسُّودِ
لَشَبَابِكَ الْعِرْفَانَ عَذَبَ الْمَوْرَدِ
رَبَّضْتُ كَجُنْحِ الْمَيْهَتِ الْمُنْطَلِقِ

أخزانة الوادى ، عليك تحية
ما أنت إلا من خزائن يوسف
وعلى الندى وكل أبلج فى الندى
بالقصد ، موحية لمن لم يقصد
فلدت من مال البلاد أمانة
يا طلما افتقرت إلى المتقلد
وبلغت من إيمانها ورجائها
ما يبلغ المحراب من مُتعبد
فلو أن أستار الجلال سعت إلى
غير العتيق ليست مما يرندى

* * *

إننا نعظم فيك ألوية على
وإذا طعمت من الخلية شهدها
جَنَبَاتِهَا حَشْدُ يَرُوح وَيَغْتَدِي
فاشهد لقائدها وللمُتَجَنِّد
لا تمنح المحبوب شكرك كله
إسكندرية شرفت بعصابة
خدموا حمى الوطن العزيز ، فبوركوا
مابال ذاك الكوخ صرح وانجلى
من كسر بيت ، أو جدار سقيفة
فإذا طلعت على جلاله ركنها
عن حائطى صرح أشم مُرد؟
رَفَع الثباتُ بِنَايةً كالفرقد
قل: تلك إحدى معجزات (محمد) (١)

فَتِيَّةُ الْوَادِي عَرَفْنَا صَوْتَكُمْ

« يخاطب الشاعر بهذه القصيدة شباب مصر الذين نهضوا ببشروع القروش سنة ١٩٣٢ ، وهي آخر ما جادت به شاعريته ، وكانت نلادتها يوم وفاته ! »

لا يُقِيمَنَّ عَلَى الضَّيْمِ الْأَسَدُ نَزَعَ الشُّبْلُ مِنَ الْغَابِ الْوَتْدُ
كَبَرَ الشُّبْلُ . وَشَبَّتْ نَابُهُ وَتَغَطَّى مَنَكِيَاهُ بِاللَّبْدِ
اتْرُكُوهُ يَمْشِ فِي آجَامِهِ وَدَعُوهُ عَنْ حِمَى الْغَابِ يَذُدُ
وَاعْرَضُوا الدُّنْيَا عَلَى أَظْفَارِهِ وَابْعَثُوهُ فِي صَحَارَاهَا يَصِدُ

* * *

فَتِيَّةُ الْوَادِي ، عَرَفْنَا صَوْتَكُمْ مَرَحِبًا بِالطَّائِرِ الشَّادِي الْغَرْدِ
هُوَ صَوْتُ الْحَقِّ ، لَمْ يَبْغِ ، وَلَمْ يَحْمِلِ الْحَقْدَ ، وَلَمْ يُخَفِ الْحَسَدِ
وَخَلَدَ مِنْ شَهْوَةٍ مَا خَالَطَتْ صَالِحًا مِنْ عَمَلٍ إِلَّا فَسَدَ
حَرَّكَ الْبَلْبِلُ عِطْفِي رُبُوعَ كَانَ فِيهَا الْيَوْمُ بِالْأَيْكِ أَنْفَرَدَ
زَنْبِقُ الْمَدْنِ ، وَرِيحَانُ الْقُرَى قَامَ فِي كُلِّ طَرِيقٍ وَقَعَدَ
بَاكِرًا كَالنَّحْلِ فِي أَسْرَابِهَا كُلُّ سِرْبٍ قَدْ تَلَاقَى وَاحْتَشَدَ
قَدْ جَنَى مَا قَلَّ مِنْ زَهْرِ الرُّبَا سَمِ اعْطَى بَدَلُ الزَّهْرِ الشُّهْدَ
بَسَطَ الْكَفَّ لِمَنْ صَادَفَهُ وَمَضَى يَقْصُرُ خَطْوًا وَيَمُدُّ
يَجْعَلُ الْأَوْطَانَ أُغْنِيَّتَهُ وَيُنَادِي النَّاسَ : مَنْ جَادَ وَجَدَ

— ٢٧ —

كلّما مرّ ببابٍ ذقّه أو رأى داراً على الدرب قصّه
غادياً في المدين، أو نحو القرى والحا يسألُ قرشاً للبلد
أيّها الناس، اسمعوا، أصغوا له أخرجوا المال إلى البرّ يمدّ
لا تردّوا يدهم فارغة طالبُ العونِ لمصرٍ لا يردّ

* * *

سيرى الناس عجيباً في غدٍ يغرسُ القرشُ، ويبني، ويلد
ينهض الله الصناعات به من عثار لبثت فيه الأبد
أو يزيد البرّ داراً قعدت لكفاح السِّلّ، أو حرب الرّمْد
وهو في الأبدى، وفي قدرتها لم يَضِقْ عنه ولم يعجز أحد

* * *

تلك مصرُ الغدِ تبني مُلكها نادى الباني وجاءت بالعُدّة
وعلى المالِ بنتُ ساطانها ثابتَ الآسائس مرفوعَ العمَد
وأصارتُ بنكَ مصرٍ كهفها حبّذا الركنُ وأعظمُ بالسند
شغلٌ من همةٍ قد بَعُدَتْ ومداهَا في المعالي قد بَعُدْ
ردّها العصرُ إلى أسلوبه كلُّ عصرٍ بأساليب جُدْ
البنونَ استنهضوا آباءهم ودعا الشبلُ من الوادى الأسد
أصبحت مصرُ، وأضحى مجدها همةُ الوالدِ، أو شغلُ الولد
هذه الهمةُ بالأمس جرّت فحوتُ في طلب الحقّ الأمد

* * *

أيّها الجيلُ الذي نرجو لِعَدِ غدُك العِزُّ، ودنياك الرّغد
أنت في مدرّجَةِ السَّيلِ، وقد ضلّ مَنْ في مدرّجِ السَّيلِ رَقْد

فَدَّتْ نِ الْحَقُّ ، فَهَدَتْ فِي مَثَلِهِ
رُبَّ عَامٍ أَنْتَ فِيهِ وَاجِدٌ
عَلَّمَ الْآبَاءَ . وَامْتَفَقَ قَائِلُهُ :
اجْمَعِ الْقُرَشَ إِلَى الْقُرَشِ يَكُنْ
الْمَلَبِ الْقَطَنَ . وَزَاوِلْ غَيْرَهُ
نَحْنُ قَبْلَ الْقَطَنِ كُنَّا أُمَّةً
قَدْ أَخَذْنَا فِي الصَّنَاعَاتِ الْمَدَى
وَعَزَلْنَا قَبْلَ إِدْرِيسَ الْكُسَا
إِنْ نَلِكُ الْيَوْمَ لَوَاءً تَخَائِدًا
مِنْ نَوَاحِي الْقَصَبِ أَوْ سُبُلِ الرُّشْدِ
فَادْخُرْ فِيهِ لَعَامٍ لَا تَجِدُ
أَيُّهَا الشَّعْبُ ، تَعَاوَنُ وَاقْتَصِدِ
لَكَ مِنْ جَمْعِهِمَا مَالٌ لُبْدُ
وَاتَّخِذْ سُوقًا إِذَا سُوقٌ كَسَدُ
تَهَيَّطِ الْوَادِي ، وَتَرَعِي ، وَتَرِدِ
وَبَنَيْنَا فِي الْأَوَالِي مَا خَلَدَ
وَنَسَجْنَا قَبْلَ دَاوُدَ الزَّرْدِ
كَمْ لَوَاءُ لَكَ بِالْأُمَمِ انْعَقِدْ !

عِيدُ الْجِهَادِ (٥)

د نظميہا احتفالا بعد الجهاد الوطنى
فى ١٣ نوفمبر سنة ١٩٢٦ هـ

خَطَوْنَا فى الْجِهَادِ خُطَاً فِسَاحَا
رَضِينَا فى هَوَى الْوَطَنِ الْمَفْدَى
وَلَمَّا سُلِّتَ الْبَيْضُ الْمَوَاضِى
فَحَطَّمْنَا الشُّكَيْمَ سِوَى بَقَايَا
وَقَمْنَا فى شِرَاعِ الْحَقِّ نَلْقَى
نُعَالِجَ شِدَّةً ، وَنَرَوْضُ أُخْرَى
وَنَسْتَوِى عَلَى الْعُقْبَاتِ إِلَّا
وَمَنْ يَصْبِرُ يَجِدْ طَوْلَ التَّمَنَّى
وَأَيَّامٌ كَأَجَوَافِ اللَّيَالِى
قَضِينَاهَا حِيَالَ الْحَرْبِ نَخْشَى
تَرَكَّنَ النَّاسَ بِالْوَادِى قَعُودَا
جُنُودَ السُّلَمِ لَا ظَفَرُ جَزَاهُمْ
وَلَا تَلْقَى سِوَى حَيٍّ كَمِيتِ

وَهَادَنَّا ، وَلَمْ نُلْقِ السَّلَاحَا
دَمَ الشَّهْدَاءِ وَالْمَالِ الْمُطَاحَا
تَقَلَّدْنَا لَهَا الْحَقَّ الصُّرَاحَا
إِذَا عَضَّتْ أَرِينَاهَا الْجِمَاحَا
وَنُدْفَعُ عَنْ جَوَانِبِهِ الرِّيحَا
وَنَسْعَى السَّعَى مَشْرُوعاً مَبَاحَا
كَمِينِ الْغَيْبِ وَالْقَدَرِ الْمُتَاحَا
عَلَى الْأَيَّامِ قَدْ صَارَ اقْتِرَاحَا
فَقَدَنَ النُّجُومَ وَالْقَمَرَ اللَّيَاحَا
بِقَاءِ الرُّقِّ ، أَوْ نَرْجُو السَّرَاحَا
مِنَ الْإِعْيَاءِ كَالْإِبِلِ الرِّزَاحَى
بِمَا صَبَرُوا ، وَلَا مَوْتُ أَرَاخَا
وَمَنْزُوفٍ وَإِنْ لَمْ يُسْقَ رَاخَا

ترى أَسْرَى وما شهدوا قِتالاً ولا اعتقلوا الأَسِنَّةَ والصَّفاحا
وجَرَحَى السَّوِطَ لا جَرَحَى المواضَى بما عمل الجواسيسُ اجترَاحا
صباحُك كان إقبالاً وسعداً فيا يومَ الرِّسالةِ ، عِمَّ صَباحا
وما نألوا نهارَكَ ذكرياتٍ ولا برهانَ عِزِّكَ التِّمَاحا
تكاد حِلالك في صفحات مصرٍ بها التاريخُ يُفَتِّحُ افْتِتاحا
جلالك عن سَنَا الأَضْحَى تَجَلَّى ونُورُك عن هلالِ الفطرِ لاحا
هما حقٌّ ، وأنتِ مُلِيتَ حقّاً ومَثَلَتِ الضَّحِيَّةُ والسَّماحا
بَعَثنا فيكَ « هاروناً وموسى » إلى « فرعونَ » فابْتَدَأَ الكَفاحا (١)
وكان أعزُّ مِنْ رُوما سيوفاً وأَطْفَى من قياصرِها رماحا
يكاد من الفتوح وما سَقَتُهُ يَخالُ وراءَ هيكَلِهِ « فِتَاحا »

* * *

ورُدُّ المسلمون فقيل : خابوا فيالكَ خيبةٌ عادت نجاحا !
أثارت إلهيا من غايَتِيهِ ولا مَتَ (٢) فُرْقَةً وأَسَنَتْ جِراحا
وشدَّتْ مِنْ قُوَى قَومٍ مِراضٍ عزائمهم فردَّتْها صِنَاحا
كَأَنَّ بِلالَ نُودِي : قُمْ فَأَذُنْ فرَجَّ شِعبابَ مَكَّةَ والبِراطِحا
كَأَنَّ النَّاسَ في دينٍ جَديدٍ على جَنبائِهِ استَبَقوا الصِّلاحا
وقد هانَت حِياتُهُمْ عَلَیْهِمْ وكانوا بِالحِياةِ هُمُ الشَّحاحا
فَتَسَمِعُ في مآثمهم غِناةً وتَسَمِعُ في ولائِهم نُواحا

(١) يشير الى مقابلة سعد زغلول وصاحبيه لممثل بريطانيا
في مصر في نوفمبر من سنة ١٩١٨ ليطلبوا باستقلال البلاد .
(٢) لامت : لامت .

— ٣١ —

حَوَارِيِّينَ أَوْ فَدُنَا ثِقَاتٍ . إِذَا تُرِكَ الْبَلَاغُ لَهُمْ ، فَصَاحَا
فَكَانُوا الْحَقَّ مَنْقِبُضًا حَيًّا . تَحْدَى السَّيْفَ مُنْصَلِتًا وَقَاحَا
لَهُمْ مِنَّا بَرَاءَةٌ أَهْلٍ بِدِرٍ . فَلَا إِثْمًا نَعُدُّ وَلَا جُنَاحَا
تَرَى الشَّحْنَاءَ بَيْنَهُمْ عِتَابًا . وَتَحْسِبُ جِدَّهُمْ فِيهَا مُزَاحَا
جَعَلْنَا الْخُلْدَ مِنْزَلَهُمْ ، وَزَدْنَا . عَلَى الْخُلْدِ الثَّنَاءَ وَالْامْتَدَاحَا

* * *

يَمِينًا بِالتَّى يُسَعَى إِلَيْهَا . غُدُّوا بِالنَّدَامَةِ ، أَوْ رَوَاحَا
وَتَعَبَقُ فِي أَنْوْفِ الْحَجِّ رُكْبَنَا . وَتَحْتَ جِبَاهِهِمْ رَحْبًا ، وَسَاحَا
وَبِالْدُسْتُورِ . وَهُوَ لَنَا حَيَاةٌ . نَرَى فِيهِ السَّلَامَةَ وَالْفَلَاحَا
أَخَذْنَاهُ عَلَى الْمُهْجِ الْغَوَالِي . وَلَمْ نَأْخُذْهُ نَيْلًا مُسْتَبَاحَا
بَنِينَا فِيهِ مِنْ دَمْعٍ رِوَاقًا . وَمِنْ دَمٍ كُلُّ نَابِتَةٍ جَنَاحَا ...
... لَمَّا مَلَأَ الشَّبَابُ كُرُوحَ سَعْدٍ . وَلَا جَعَلَ الْحَيَاةَ لَهُمْ طِمَاحَا
سَلَوْا عَنْهُ الْقَضِيَّةَ ، هَلْ حَمَاهَا . وَكَانَ حِمَى الْقَضِيَّةِ مُسْتَبَاحَا ؟
وَهَلْ نَظَمَ الْكُهُولَ الصَّيْدَ صَفًّا . وَأَلَّفَ مِنْ تَجَارِيهِمْ رَدَاحَا ؟
هُوَ الشَّيْخُ الْفَتَى ، لَوْ اسْتَرَاحَتْ . مِنَ الدَّأْبِ الْكُوكَبُ مَا اسْتَرَاحَا
وَلَيْسَ بِذَاتِ النَّوْمِ اغْتِبَاقًا . إِذَا دَارَ الرِّقَادُ ، وَلَا اصْطَبَاحَا
فِيَالِكَ ضَيِّغًا سَهَرِ اللَّيَالِي . وَنَاضِلَ دُونَ غَايَتِهِ ، وَلَاخَى
وَلَا حَطَمَتْ لَكَ الْأَيَّامُ نَابًا . وَلَا غَضَّتْ لَكَ الدُّنْيَا صِيَا

معالي العهد

« نظمها في ميلاد الامير السابق محمد عبد المتعم

معالي العهد قُمتَ بها فطِما وكانَ إليك مرجعُها قديما
تنقُلُ من يدٍ ليدٍ كريما كروحِ الله إذ خُلفَ «الكَلِما» (١)

* * *

تنحَّى لابنِ مريمَ حينَ جاء وخلقِ النّجمِ للقمرِ الفضاء
ضياءُ ليلِيونَ تلا ضياء يفيضُ ميامِنًا ، وهُدَى عَمِيا

* * *

كذا أنتم بَنِي البيتِ الكريمِ وهل مُتَجَزَّئُ ضوئُ النّجوم ؟
وأين الشُّهبُ من شرفِ صَمِيمِ تالِقَ عِقْدُهُ بِكُمُو نَظْمِيا ؟

* * *

أرى مُستقبلاً يَبْدو عُجَابا وعُنواناً يَكِينُ لَنَا كِتَابا
وكان «محمّد» أَمَلًا شِهابا وكان اليأسُ شيطاناً رَجِبا

* * *

وَأُثِرَتْ (الهياكلُ) والمباني كما كانت وأزِنَ في الزمانِ

(١) روح الله : عيسى ، والكليم : موسى ، عليهما السلام .

— ٣٣ —

وأصبح ما تُكِنُّ من المعاني على الآفاق مسطوراً رقيماً

* * *

سألتُ ، فقميل لي : وضعتُهُ طفلاً
فقلت : كذلكم آنستُ قبلاً
وهذا عيذُهُ في مضر يُجلى
وكان الله بالنجوى عليماً

* * *

(بمَنَزَرِهِ) الإمارة هل فجرًا هلالاً في منازلِهِ - أغراً
فبانت مِصرٌ حولَ المهدِ (ثَغْرًا) وباتَ الثَّغرُ للدنيا ندماً

* * *

لِجِيلِكَ في غدٍ جيلِ المعالي وشعبِ المجدِ والهَمِّ العوالي ..
... أزفُ نوابغِ الكليمِ الغوالي وأهلي حِكْمَتِي الشَّعبِ الحكما

* * *

إذا أقبلتَ يا زمنَ البئينا وشبوا فيك واجتازوا السنينَا
فدُرٌّ مِنْ بَعْدِنَا لَهُمُو يَمِينَا وكن لورودك الماءَ الحميا

* * *

ويا جيلَ الأميرِ ، إذا نشأتَا وشاءَ الجَدُّ أن تُعطى ، وشئتَا
فخذُ سُبُلًا إلى العلياء شتَّى وخلِّ دَلِيلَكَ الدينَ القويما

* * *

وضنَّ به ؛ فإنَّ الخيرَ فيه وخُذْهُ من الكتابِ وما يليه
ولا تأخذْهُ من شَفَتَي فقيهٍ ولا تهجرْ مع الدينِ العلوما

— ٣٤ —

وثيقٌ بالنَّفْسِ في كُلِّ الشُّونِ وكن مما اعتقدتَ على يَقيِنِ
كَأَنَّكَ من ضَمِيرِكَ عِنا، دِينِ فمن شَرَفِ المَبَادِي أَنْ تُقِيما

* * *

وإن تَرُمَ المَظَاهِرَ في الحَيَاةِ فرُمها باجتهادِكَ والثباتِ
ونُحَدها بالمساعي باهراتِ تُنافِسُ في جلالِتها النجومِ

* * *

وإن تَخْرُجَ لحربٍ أو سلامٍ فاقْدِمِ قَبْلَ إقدامِ الأَنامِ
وكن كالليث : يَبْأَى من أَمامٍ فيَمْلَأُ كُلَّ ناطِقَةٍ وُجُومِ

* * *

وكن شَعْبَ الخصائصِ والمزايا ولا تَكُ ضائِعًا بينَ البَرَايا
وكن كالنحلِ والدُّنْيَا الخَلَايا يَمُرُّ بها ، ولا يَمْضِي عَقِيما

* * *

ولا تَطْمَحْ إلى طَلَبِ المُحَالِ ولا تَقْنَعْ إلى هَجْرِ المعالي
فإن أَبْطَأَنَ فاصْبِرْ غيرَ سَالٍ كصَبِرِ الأنبياءِ لها قَدِيما

* * *

ولا تَقْبَلْ لغيرِ اللَّهِ حُكُما ولا تَحْمِلْ لغيرِ الدهرِ ظُلُما
ولا تَرَضَ القليلَ الدُّونَ قِسْما إذا لم تَقْدِرِ الأَمْرَ المَروما

* * *

ولا تَيَاسَسْ ، ولا تَكُ بالضُّجُورِ ولا تَثِقَنَّ من مَجَرَى الأُمُورِ

— ٣٥ —

فليس مع الحوادث من قدِيرٍ ولا أحدٌ بما تأتي عليا

* * *

وفي الجهال لا تَضِعِ الرجاء كوضع الشمس في الوَحْلِ الضياء
يَضِيعُ شعاعها فيه هباءً وكان الجهلُ ممقوتاً ذمياً

* * *

بالِغ في التدبِيرِ والتحرى ولا تعجلْ ، وثق من كلِّ أمر
وكن كالأسدِ: عند الماء تجري وليست وُرداً حتى تحوما

* * *

وما الدنيا بمثوى للعبادِ فكُن ضيفَ الرعايةِ والودادِ
ولا تستكثرَنَّ من الأعادي فشرُّ الناسِ أكثرُهم خُصوما

* * *

ولا تجعلْ تودُّدَكَ ابتذالاً ولا تسمَحْ بحلمِكَ أن يُذالا
وكن ما بين ذاك وذاك حالا فلن تُرضى العدو ولا الحميا

* * *

وصلِّ صلاةً من يَرْجُو وَيَخْشَى وقبل الصَّومِ صُمْ عن كلِّ فحشا
ولا تحسب بأن الله يُرْشِي وأنَّ مُزَكِّيَّ آمِنَ الجحيمِ

* * *

لكلِّ جَنَى زكاةٌ في الحياةِ ومعنى البرِّ في لفظِ الزكاة
وما لله فينا من جُباةٍ ولا هو لِأمرِيءٍ زَكَّى غريباً

* * *

— ٣٦ —

فإن تك عالماً فاعمل ، وفطن
وإن تك صانعاً شيئاً فأتقن
وإن تك حاكماً فاعدل ، وأحسن
وكن للفرض بعدئذٍ مقبياً

* * *

وصن لغة يحق لها الصيَانُ
فخير مظاهر الأمم البيانُ
وكان الشعب ليس له لسانُ
غريباً في موطنه مضياً

* * *

ألم تَرَهَا تُنالُ بكل ضير
وكان الخير إذ كانت بخير ؟
أينطق في المشارق كل طير
ويبقى أهلها رخماً وبوما ؟

* * *

فعلّمها صغيرك قبل كل
ودع دَعْوَى تَمَنُّهُمْ واخل
فما بالعي في الدنيا التحلّي
ولا خرس الفتى فضلاً عظيماً

* * *

وخذ لغة المعاصِر ، فهي دنيا
ولا تجعل لسان الأصل نسيّاً
كما نقل الغراب فضل مشياً
وما بلغ الجديد ، ولا القديم

* * *

لجيلك يوم نشأته مقال
فأما أنت يا نجل المعالي
فتنظر من أبيك إلى مثال
يُحير في الكمالات الفهوما

* * *

نصائح ما أردت بها لأهدى
ولا أبغى بها جذواك بَعْدَى

— ٣٧ —

ولكنني أحِبُّ النَّفْعَ جهدي وكان النَّفْعُ في الدنيا لزوماً

* * *

فإن أقرنتَ - يامولايَ - شعري فلن أباك يَعْرِفُهُ وَيَذَرِي
وَجَدُّكَ كانَ شَأْوِي حينَ أَجْرِي فَأَصْرَعُ في سوابِقِهَا (تَمَبَا)

* * *

بنونا أنتَ صُنِّحُهُمُو الْأَجَلُ وعهدُكَ عِصْمَةٌ لَهُمُ وظِلُّ
فلَمْ لا نَرْتَحِيكَ لَهُمُ وكلُّ يَعِيشُ بِأَنْ تَعِيشَ وَأَنْ تَدُومَا؟

رِسَالَةُ النَّاشِئَةِ

« اهداها الى الامير السابق محمد عبد المنعم »

أَحْمَدُكَ اللَّهُ وَأُطْرِى الْأَنْبِيَاءَ مَصْدَرَ الْحِكْمَةِ طُرًّا وَالضِّيَاءَ
وَلَهُ الشُّكْرُ عَلَى نِعْمَى الْوُجُودِ وَعَلَى مَا نِلْتُ مِنْ فَضْلِ وَجُودِ

* * *

أُعْبِدُ اللَّهَ بِعَقْلٍ يَا بُنَى وَبِقَلْبٍ مِنْ رَجَاءِ اللَّهِ حَتَّى
أُرْجُهُ تُعْطَى مَقَالِيدَ الْمَلَكِ وَأَخْشُهُ خَشْيَةً مَنْ فِيهِ هَلَكُ
أُنْظِرِ الْمُلْكَ ، وَأَكْبِرْ مَا خَلَقَ وَتَمَتَّعْ فِيهِ مِنْ خَيْرِ رَزَقِ
أَنْتَ فِي الْكَوْنِ مَحَلُّ التَّكْرِمَةِ كُلُّ شَيْءٍ لَكَ عَبْدٌ أَوْ أَمَةٌ
سُخَّرَ الْعَالَمُ مِنْ أَرْضٍ وَمَاءِ لَكَ ، وَالرَّيْحُ ، وَمَا تَحْتَ السَّمَاءِ
أَذْكُرِ الْآيَةَ إِذْ أَنْتَ جَنِينُ لَكَ فِي الظُّلْمَةِ لِلنُّورِ حَنِينُ
كُلِّ يَوْمٍ لَكَ شَأْنٌ فِي الظُّلَمِ حَارٍ فِيهِ كُلُّ « بَقْرَاطٍ » عَلَمُ
كَانَ فِي جَنْبِكَ شَيْءٌ مِنْ عِلْقٍ حِينَ سَسَّتْهُ يَدُ اللَّهِ خَفَقُ
صَارَ حِسًّا وَحَيَاةً بَعْدَ مَا كَانَ فِي الْأَضْلَاعِ لَحْمًا وَدَمَا
دَقَّ كَالنَّاقُوسِ وَسَطَ الْهَيْكَلِ فِي انْتِفَاضٍ كَانْتِفَاضِ الْبُلْبُلِ
قَلْ لِمَنْ طَبَّبَ ، أَوْ مَنْ نَجَّمَ : صَنَعَةُ اللَّهِ ، وَلَكِنْ زَغُتَمَا

آمِنَا بِاللَّهِ إِيمَانًا الْعَجُوزُ إِنْ غَيْرَ اللَّهِ عَقْلًا لَا يَجُوزُ
أَيُّهَا الطَّالِبُ لِلْعِلْمِ اسْتَمِعْ خَيْرَ مَا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ جُمِعْ
هُوَ إِنْ أُوتِيَتْهُ أَسْنَى النَّعَمِ هَلْ تَرَى الْجُهَالَ إِلَّا كَالنَّعَمِ ؟
أُطْلِبِ الْعِلْمَ لِيَذَاتِ الْعِلْمِ ، لَا لظُهُورِ بَاطِلٍ بَيْنَ الْمَلَا
عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ لِلْعِلْمِ مَذَاقُ فَإِذَا فَاتَكَ هَذَا فَافْتَرَاقُ
طَلِبُ الْمَحْرُومِ لِلْعِلْمِ سُدَى لَيْسَ لِلْأَعْمَى عَلَى الضُّوءِ هُدَى
فَإِذَا فَاتَكَ تَوْفِيقُ الْعَلِيمِ فَامْتَنِعْ عَنْ كُلِّ حَصِيلٍ عَقِيمٍ ؛
وَاطْلُبِ الرِّزْقَ هُنَا أَوْ هُنَا كَمْ مَعَ الْجَهْلِ يَسَارٌ وَغِنَى !
كُلْ مَا عَلِمَكَ الدَّهْرُ أَعْلَمَ التَّجَارِبُ عُلُومُ الْفَهْمِ
إِنَّمَا الْأَيَّامُ وَالْعِيشُ كِتَابُ كُلُّ يَوْمٍ فِيهِ لِلْعِبْرَةِ بَابُ
إِنْ رُزِقْتَ الْعِلْمَ زِنَهُ بِالْبَيَانِ مَا يُفِيدُ الْعَقْلُ إِنْ عَى اللِّسَانُ
كَمْ عَلَيْهِمْ سَقَطَ الْعَيُّْ بِهِ مُظْلَمٌ لَا تَهْتَدِي فِي كُتُبِهِ
وَأَدِيبُ فَاتَهُ الْعِلْمُ فَمَا جَاءَ بِالْحِكْمَةِ فِيمَا نَظَّمَا
إِنْ لِلْعِلْمِ جَمِيعًا فِلَسْفَةٌ مَنْ تَغَيَّبَ عَنْهُ تَفُتُّهُ الْمَعْرِفَةُ
اقْرَأِ التَّارِيخَ إِذْ فِيهِ الْعِبَرُ ضَاعَ قَوْمٌ لَيْسَ يَدْرُونَ الْخَبَرَ
كُنْ إِلَى الْمَوْتِ عَلَى حُبِّ الْوَطَنِ مَنْ يَخُنْ أَوْطَانَهُ يَوْمًا يُخَنُ
وَطَنُ الْمَرْءِ جَمَاهُ الْمُفْتَدَى يَذْكُرُ الْمِنَّةَ مِنْهُ وَالْيَدَا
قَدْ عَرَفْتَ الدَّارَ وَالْأَهْلَ بِهِ كُلُّ حُبٍّ شُعْبَةٌ مِنْ حُبِّهِ
هُوَ مَحْبُوبُكَ بِإِذٍ مُحْتَجِبُ يَعْرِفُ الشُّوقَ لَهُ مَنْ يَغْتَرِبُ
لَكَ مِنْهُ فِي الصَّبَا مَهْدٌ رَحِيمُ فَإِذَا وُورِيَتْ فَالْقَبْرُ الْكَرِيمُ

كم عزيز عندك استودعته وعهودي بعدك استرعيتهُ
ودفين لك فيه كرمًا تذرفُ الدمعَ للذكرهُ دما
كن نشيطًا عاملاً جمَّ الأملُ إنما الصحةُ والرزقُ العملُ
كلُّ ما أتقنتَ محبوبٌ وحيه مُتقنُ الأعمالِ سرُّ الله فيه
يُقْبِلُ الناسُ على الشيءِ الحسنِ كلُّ شيءٍ بجزاءٍ وثمنٍ
أنظرِ الآثارَ ، ما أزيئها ! قد حباها الخلدَ مَنْ أتقنها
تلك آثارُ بني مصرَ الأولِ أتقنوا الصنعةَ حتى في الجعلِ
أيُّها التاجرُ ، بُلِّغْتَ الأربُ طالعُ التاجرِ في حُسنِ الأدبِ
بابُ حانوتِكَ بابُ الرازي لا تُفارقُ بابهُ ، أو فارقِ
واحترِم في بابهِ مَنْ دَخَلَ كلُّهم منه رسولٌ وصلا
تاجرُ القومِ صدوقٌ وأمينٌ لفظهُ مِنْ فيه للقومِ يمينُ
إن للإقدامِ ناساً كالأسدِ فتشبههُ ؛ إنَّ مَنْ يُقدِّمُ يسُدُ
منهمو كلُّ فتى سادَ وشاد منهمو «إسكندر» و«ابنُ زياد»
وشجاعُ النفسِ منهم في الكروبِ كشجاعُ القلبِ في وقتِ الحروبِ
و«أبل» «سقراط» والشُّجعانُ طَلَّ إنما مَنْ يَنْصُرُ الحقَّ البطلُ
همُ جمالُ الدهرِ حيناً بعد حينٍ من غزاةٍ أو دُعاةٍ مصلحينِ
لهمُ من هيبةٍ عندَ الأممِ ما ليراعى غنمٍ عندَ الغنمِ
قل إذا خاطبتِ غيرَ المسلمينِ : لكمو دينُ رضيتُم ولى دينُ
خلِّ للديانِ فيهم شأنهُ إنه أولى بهم سبحانه !
كلُّ حالٍ صائرٌ يوماً لفصدٍ فدعِ الأفذارَ تجرى واستعيدِ

فلک بالسَّعْدِ والنَّحْسِ يَدُورُ لا تُعَارِضُ أَبَدًا مَجْرَى الْأُمُورِ
قلْ إِذَا شِئْتَ : صُوفٌ وَغَيْرُ ! وَإِذَا شِئْتَ : قَضَاءٌ وَقَدَرُ !
وَأَعْمَلِ الْخَيْرَ ، فَإِنْ عِشْتَ لَبِقَى طَيِّبَ الْحَمْدِ ، وَإِنْ مِتْ بَقَى
مَنْ يَمُتْ عَنْ مِنَّةٍ عِنْدَ يَتِيمٍ فَرَحِمٌ سَوْفَ يُجْزَى مِنْ رَحِيمٍ
كَنْ كَرِيمًا إِنْ رَأَى جُرْحًا أَسَا وَتَعَهَّدَ وَتَوَلَّى الْبُوسَا
وَأَسَخُ فِي الشَّدَّةِ وَأَزْدَدَ فِي الرَّخَاءِ كُلُّ خُلُقٍ فَاضِلٍ دُونَ السَّخَاءِ
فِيهِ كُلُّ بَلَاءٍ يُدْفَعُ لَسْتَ تَذَرِي فِي غَايِ مَا يَقَعُ
جَامِلِ النَّاسِ تَحْزَنُ رِقَّ الْجَمِيعِ رَبِّ قَيْدٍ مِنْ جَمِيلٍ وَصَنِيعِ
عَامِلِ الْكَلِّ بِإِحْسَانٍ تُحِبُّ فَقَدِيمًا جَمَلُ الْمَرْءِ الْأَدَبِ
وَتَجَنَّبُ كُلَّ خُلُقٍ لَمْ يَرْقُ إِنْ ضَيَّقَ الرِّزْقُ مِنْ ضَيْقِ الْخُلُقِ
وَتَوَاضَعُ فِي أَرْتِفَاعٍ تُعْتَبِرُ فَهَمَا ضِدَّانِ كِبَرٌ وَكِبَرُ
كُلُّ حَيٍّ مَا خَلَا اللَّهُ يَمُوتُ فَاتَرُكُ الْكِبَرَ لَهُ وَالْجَبَرُوتُ
وَأَرْخِ جَنْبَكَ مِنْ دَاءِ الْحَسَدِ كَمْ حَسُودٍ قَدْ تَوَفَّاهُ الْكَمَدُ
وَإِذَا أَغْضِبْتَ فَاغْضَبْ لِعَظِيمٍ شَرَفٍ قَدْ مَسَّ ، أَوْ عَرِضِ كَرِيمٍ
وَتَجَنَّبُ فِي الصَّغِيرَاتِ الْغَضَبِ إِنَّهُ كَالذَّارِ وَالرُّشْدُ الْحَطَبُ
أَطْلُبِ الْحَقَّ بِرِفْقٍ تُحْمَدِ طَالِبُ الْحَقِّ بِعُنْفٍ مُعْتَدِ
وَاعْصِ فِي أَكْثَرِ مَا تَأْتِي الْهَوَى كَمْ مُطِيعٍ لِهَوَى النَّفْسِ هَوَى
أَذْكَرِ الْمَوْتِ وَلَا تَفْزَعُ فَمَنْ يَحْقِرُ الْمَوْتَ يَنْتَلِ رِقَّ الزَّمَنِ
أَحْبِبِ الْطِفْلَ وَإِنْ لَمْ يَكُ لَكَ إِنَّمَا الْطِفْلُ عَلَى الْأَرْضِ مَلَكُ
هُوَ لُطْفُ اللَّهِ لَوْ تَعَلَّمَهُ رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا يَرْحَمُهُ

عَظْفَةٌ مِنْهُ عَلَى لُغَبَتِهِ تُخْرِجُ الْمَخْزُونَ مِنْ كُرْبَتِهِ
وَحَدِيثُ سَاعَةِ الضُّيْقِ مَعَهُ يَمْلَأُ الْعَيْشَ نَعِيمًا وَسَعَةً
يَأْمُلِيْمَ الصُّومِ فِي الشَّهْرِ الْكَرِيمِ صُمُّ عَنْ الْغِيْبَةِ يَوْمًا وَالنَّهْمِ
وَإِذَا صَلَّيْتَ خَفَ مَنْ تَعْبُدُ كَمْ مُصَلٍّ ضَجَّ مِنْهُ الْمَسْجِدُ !
وَاجْعَلِ الْحَجَّ إِلَى «أُمِّ الْقُرَى» غِيبَ حَجٍّ لِبُيُوتِ الْفُقَرَا
هَكَذَا «طُهُ» وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ وَقَارِ اللَّهِ إِلَّا تَخَذَعَهُ
وَتَسَمَّحَ وَتَوَسَّعَ فِي الزَّكَاةِ لَهَا مَحْبُوبَةٌ عِنْدَ الْإِلَهِ
فَرَضَ الْبِرَّ بِهَا فَرَضَ حَكِيمٍ فَإِذَا مَا زِدْتَ فَاللَّهُ كَرِيمٍ
لَيْسَ لِي فِي طِبِّ «جَالِينُوسَ» بَاغٌ بَيِّنْدَ أَنَّ الْعَيْشَ دَرَسُ وَاطَّلَاغٌ
احْذَرِ التُّخْمَةَ إِنْ كُنْتَ فَهِمٌ إِنْ «عِزْرَائِيلَ» فِي حَلَقِ النَّهْمِ
وَآتَقِ الْبَرْدَ ؛ فَكَمْ خَلَقَ قَتْلَ مَنْ تَوَقَّاهُ اتَّقَى يَصْفَ الْعِلَلِ
اتَّخَذَ سُكْنَاكَ فِي طَلْقِ الْجَوَاءِ بَيْنَ شَمْسٍ ، وَنَبَاتٍ ، وَهَوَاءِ
خَيْمَةً فِي الْبَيْدِ خَيْرٌ مِنْ قَصُورِ تَبْخُلُ الشَّمْسُ عَلَيْهَا بِالْمُرُورِ
فِي غَدٍ تَأْوِي إِلَى قَفْرِ حَلَاكَ يَسْتَوِي الصُّعْلُوكُ فِيهِ وَالْمَلِكُ
وَاتْرِكِ الْخَمَرَ لِمَشْغُوفٍ بِهَا لَا يَرَى مَنَدُوحَةً عَنْ شُرْبِهَا
لَا تُنَادِمِ غَيْرَ مَأْمُونٍ كَرِيمٍ إِنْ عَقَلَ الْبَعْضُ فِي كَفِّ النَّدِيمِ
وَعَنِ الْمَيْسِرِ مَا اسْطَغَتْ ابْتِعَاذُ فَهَوَ سَلُّ الْمَالِ بَلْ سَلُّ الْكَبْذِ
وَتَعَشَّقْ ، وَتَعَفَّفْ ، وَآتَقِ مَا دَرَى اللَّذَّةَ مَنْ لَمْ يَعِشَقِ !

حَجُّ الْأَمِيرِ

• أرسل الأبيات الآتية في بركة إلى
شريف مكة سنة حج الخديو عباس «

دامت معاليك فينا يا ابن فاطمة	ودام منكم لأفق البيت فيراس
قل للخديو إذا وافيت سُدَّتْهُ	تمشى إليه ويمشى خلفك الناس
حَجُّ الْأَمِيرِ له الدنيا قد ابْتَهَجَتْ	والعوْدُ والعيدُ أفراحٌ وأعراس
فلتَحَيَّ مَلَّتُنَا ! فلتَحَيَّ أُمَّنَا !	فليحى سُلْطَانُنَا ! فليحى عَبَّاس !

إِسْمَاعِيل

« وقال وقد أنشرف في مدينة نابلي على
الدار التي كان يقيم فيها الخديوي إسماعيل :

أبكيتك إسماعيل مصرَ : وفي البكا
ومن القيام ببعض حقك أننى
هذى بيوت الروم ، كيف سكنتها
ومن العجائب أن نفسك أقصرت
ما زال يخلى منك كلَّ محلَّةٍ
نظرَ الزمان إلى ديارك كلها
بعد التذكُّر راحة المستعير
أرقى لِعِزِّكَ والنعيم المدير
بعد القصور المزريات بقيصر ؟
والدهرُ في إحراجها لم يُقصر
حتى دُفِعَتْ إلى المكانِ الأفسرِ
نظرَ (الرشيد) إلى منازل (جعفر) (١)

(١) جعفر البرمكى ، ونكبة البرامكة مشهورة في تاريخ الرشيد .

حَرِيقُ مَيْتِ غَمَرٍ (*)

اللهُ يحكمُ في المدائنِ والقرى
ما جَلَّ خطبُ ثم قيسَ بغيره
فسلى (عمورة) أو (سدون) ناسياً
مدنَ لقينَ من القضاء وناره
هذى طولك أنفسا وحجارة
قد جئت أبكيها وأخذ عيرة
أجد الحياة حياة دهر ساعة
وأعد من خزم الأمور وعزمها
ما زلت أسمع بالشقاء رواية
فعل الزمان بشمل أهلك فعلة
بالأمس قد سكنوا الديار، فأصبحوا
فلذا لقيت لقيت حيا بانسا
والأمهات بغير صبر : هذه
من كل مودعة الطلول دموعها

يا (ميت غمر) خذى القضاء كما جرى
إلا وهونه القياس وصغرا
أو (مرتنيق) غداة ووريت الثرى
شررا بجنب نصيبها مستصغرا
هل كنت ركنًا من جهنم مسعرا؟!
فوقفت معتبرا بها مستعبرا
وأرى النعيم نعيم غمر مقصرا
للنفس أن ترضى ، وألا تضجرا
حتى رأيت بك الشقاء مصورا
ببنى أمية ، أو قرابة جعفرا
لا ينظرون ، ولا مساكنهم ترى
وإذا رأيت رأيت ميتا منكرا
تبكى الصغير ، وتلك تبكى الأصغرا
من أجل طفل في الطلول استأخرا

— ٤٦ —

كانت تُؤمل أن تطول حياته واليوم تسأل أن يعود فيقبرا

* * *

طلعت عليك النار طلعة شؤمها
ملكت جهاتك ليلة ونهارها
لا ترهب الطوفان في طغيانها
لو أن (نيرون) الجماد فؤاده
أو أنه ابتلى (الخيلى) بمثلها
أو أن سيلاً عاصم من شرها
أمسى بها كل البيوت مبوباً
أمرتهمو ، وتملكت طرقاتهم
خفت عليهم يوم ذلك مؤرداً
حيث التفت ترى الطريق كأنها
وترى الدعائم في السواد كهيكل
وتشم رائحة الرفات كريهة
كثرت عليها الطير في حوماتها
هل تأمنين طوارق الأحداث أن
والناس من داني القرى وبعيدها
يتساءلون عن الحريق وهوله

فمحتك أساساً ، وغيرت الذرا
حمرء يبدو الموت منها أحمرأ
لو قابلته ، ولا تهاب الأبحرأ
يُدعى لينظرها لعاف المنظرأ
— أستغفرُ الرحمن — ولئى مُدبرأ
عصم الديار من المدايع ما جرى
ومطنباً ، ومسيجاً ، ومسوراً
من فر لم يجد الطريق ميسراً
وأضلهم قدر ، فضلوا المضدرا
ساحات حاتم غب نيران القرى
خمدت به نار المجوس ، وأقفرأ
وتشم منها التاكلات العنبرأ
يا طير ، « كل الصبيد في جوف الفرا »
تغشى عليك الوكر في سنة الكرى
تأنى لتمشى في الطلول وتخبرأ
وأرى الفرائس بالتساؤل أجندأ

* * *

بارب ، قد خمدت ، وليس سواك من
يطفى القلوب المشعلات تحسرا

فتحوا اكتئاباً للإعانة فاكتتب
إن لم تكن للبائسين فمن لهم ؟
فتولّ جَمْعاً في اليبابِ مُشتتاً
فعلت بمصرَ النارُ ما لم تأتِه
أو ما تراها في البلاد كقاهرٍ
فادفع قضاءك ، أو فصير ناره
مدوا الأكفَ سخيّةً ، واستغفري
أولى بمعطى الميسرين وبرهم
يا أيها السجّناء في أموالهم
لا يملك الإنسانُ من أحواله
لا يُبطرنك من حرير موطى
وإذا الزمانُ تنكرت أحداثه
بالصبر ، فهو بهمّهم لا يشتري
أو لم تكن للاجئين فمن ترى ؟
وارحم رَمياً في التراب مُبعثراً
آياتك السبعُ القديمة في الورى
في كل ناحية يُسير عسكراً ؟
برداً ، وخذ باللطف فيما قدرا
يا أمةً قد آن أن تستغفرا
من كان مثلهمو فأصبح مُعيراً
أأمنتُم الأيام أن تتغيرا ؟
ما تملك الأقدارُ ، مهما قدرا
فلربّ ما شئ في الحرير تعثرا
لأخيك ، فاذكره عسى أن تذكر

خُطْبَةُ غَلِيُوم

« وخطب غليوم عامل المانيا خطبة في سنة ١٩٠٦
كان لها وقع عظيم ، وحدثت أزمة أوشسكت
أن تنتهى الى حرب أوروبية طاحنة ، فقال : »

ياربُّ ، ماحكمك ؟ ماذا ترى	في ذلك الحلم العريض الطويل ؟
قد قام غليوم خطيباً ، فما	أعطاك من مُلكك إلا القليل !
شيد في جنيتك ملكاً له	ملكك إن قيس إليه الضئيل
قد ورث العالم حياً ، فما	غادر من فج ، ولا من سبيل
فالتصف للجرمان في زعمه	والنصف للرومان فيما يقول
ياربُّ ، قل : سيفك أم سيفه ؟	أيهما - ياربُّ - ماضٍ ثقيل ؟ !
إن صدقت - ياربُّ - أحلامه	فإن خطب المسلمين الجليل
لا نحنُ جرمانُ لنا حصّة	ولا برومانُ فنُعطي فتيل
ياربُّ ، لا تنس رعاياك في	يوم رعاياك الفريق الذليل
جناية الجهل على أهله	قديعة ، والجهل بشس الدليل
يا ليت لم نمدد بشر يدًا	وليت ظلّ السلم باقي ظليل !
جئ علينا غصبة جازفوا	فحسننا الله ، ونعّم الوكيل !

نَادَى الْمَوْسِيقَى الشَّرْقَى

« وقال يخاطب الملك فؤاد الاول في حفلة
افتتاح نادى الموسيقى الشرقى سنة ١٩٢٩ »

خَطَّطْتُ يَدَاكَ الرُّوضَةَ الْغَنَاءَ وِفَرَعْتَ مِنْ صَرْحِ الْفَنُونِ بِنَاءَ
مَازَلْتَ تَذْهَبُ فِي السُّمُورِ بِرُكْنِهِ حَتَّى تَجَاوَزَ رُكْنُهُ الْجَوَازَ
دَارٌ مِنَ الْفَنِّ الْجَمِيلِ تَقَسَّمَتْ لِلْسَاهِرِينَ رَوَايَةً وَرُؤَا
كَالرُّوضِ تَحْتَ الطَّيْرِ أَعْجَبَ أَيْكُهُ لَحَظَ الْعَيُونِ ، وَأَعْجَبَ الْإِصْفَاءَ
وَلَقَدْ نَزَلَتْ بِهَا ، فَلَمْ نَرَ قَبْلَهَا فَلَكَا جَلَا شَمْسَ النَّهَارِ عِشَاءَ
وَتَوَهَّجَتْ حَتَّى تَقْلُبَ فِي السَّنَا (وَادَى الْمُلُوكِ) حَجَارَةً وَفَضَاءَ
فَتَلَفَّتُوا يَتَهَامِسُونَ : لَعَلَّهُ فَجَرُ الْحَضَارَةِ فِي الْبِلَادِ أَضَاءَ
تِلْكَ الْمَعَازِفُ فِي طُلُولِ بِنَائِهِمْ أَكْثَرْنَ نَحْوَ بِنَائِكَ الْإِيْمَاءِ
وَتَمَائِلَتْ عِيدَانُهُنَّ تَحِيَّةً وَتَرَنَّمَتْ أَوْتَارُهُنَّ ثَنَاءَ

* * *

يَابَانِي الْإِيْوَانِ ، قَدْ نَسَقْتَهُ وَحَدَوْتَ فِي هِنْدَامِهَا (الْحَمْرَاءُ) (١)
أَيْنَ (الْغَرِيضُ) يَحِلُّهُ أَوْ (مَعْبَدُ) (٢) يَتَبَوَّأُ الْحُجَرَاتِ وَالْأَبْهَاءَ ؟

(١) من قصور بني الأحمر في غرناطة بالاندلس : (الهمبرا) .

(٢) القريضة ، ومعبد : من امراء الفناء العربى .

- ٥٠ -

العَبْقَرِيَّةُ من ضَنَائِنِه التي
لما بَنَيْتَ الْآيَةَ واستَوَهَبْتَهُ
فَسَمِعْتَ من مُتَفَرِّدِ الْأَنْعَامِ ما
والفَنُّ رِيحَانُ الْمُلُوكِ ، وَرُبَّمَا
لَوْلَا أَيْادِيهِ عَلَى أَبْنَانِنَا
كَانَتْ أَوَائِلُ كُلِّ قَوْمٍ فِي الْعُلَا
لَوْلَا ابْتِسَامُ الْفَنِّ فِيهَا حَوْلُهُ
جَرَّدَ من الْفَنِّ الْحَيَاةَ وَمَا حَوَتْ
بِالْفَنِّ عَالِجَتِ الْحَيَاةَ طَبِيعَةً
تَأْوِي إِلَيْهَا الرُّوحُ من رَمَضَائِهَا
نَبْضُ الْحَضَارَةِ فِي الْمَمَالِكِ كُلِّهَا
إِنْ صَحَّ فَهِيَ عَلَى الزَّمَانِ صَخِيحَةٌ

يَحْبُو بِهَا - سُُبْحَانَهُ - مَنْ شَاءَ
بَعَثَ الْهَزَارَ ، وَأَرْسَلَ الْوَرَقَاءَ
فَاتَ (الرَّشِيدَ) ، أَخْطَأَ النَّدَمَاءُ
خَلَدُوا عَلَى جَنَابَتِهِ أَسْمَاءَ
لَمْ تُلَفَّ أَمْجَدَ أُمَّةٍ آبَاءَ
أَرْضًا ، وَكُنَّا فِي الْفَخَارِ سَمَاءَ
ظَلَّ الْوَجُودُ جَهَامَةً وَجَفَاءَ
تَجِدِ الْحَيَاةَ من الْجَمَالِ خَلَاءَ
قَدْ عَالَجَتْ بِالْوَاخَةِ الصَّحْرَاءَ
فُتْصِيبُ ظِلًّا ، أَوْ تُصَادِفُ مَاءَ
يَجْرِي السَّلَامَةُ أَوْ يَدُقُّ الدَّاءُ
أَوْ زَافَ كَانَتْ ظَاهِرًا وَطِلَاءَ

* * *

انظُرْ - أَبَا الْفَارُوقِ - غَرَسَكَ ، هَلْ تَرَى
مِنْ حَبَّةٍ ذُخِرَتْ ، وَأَيْدٍ ثَابَرَتْ
وَأَكْنَتِ الْفَنُّ الْجَمِيلَ خَمِيلَةً
بَذَلَ الْجُهُودَ الصَّالِحَاتِ عَصَابَةً
صَحَبُوا رَسُولَ الْفَنِّ لَا يَأْلُوهُ
دَفَعُوا الْعَوَائِقَ بِالثِّبَاتِ ، وَجَاوَزُوا
إِنْ التَّعَاوُنَ قُوَّةً عُلُويَّةً

بِالْغُرُوسِ إِلَّا نِعْمَةً وَنَمَاءً ؟
جَاءَ الزَّمَانُ بِجَنَّةٍ فَيُحْيَا
رَمَتْ الظُّلَالَ ، وَمَدَّتِ الْأَفْيَاءُ
لَا يَسْأَلُونَ عَنِ الْجُهُودِ جَزَاءَ
حُبًّا ، وَصَدَقَ مُودَّةً ، وَوَفَاءَ
مَا سَرَّ مِنْ قَدَرِ الْأُمُورِ وَسَاءَ
تَبْنِي الرِّجَالِ ، وَتُبْدِعُ الْأَشْيَاءَ

فَلْيَهْنِهِمْ ؛ حَازَ الْبَغَاتُكَ سَعْيُهُمْ وَكَسَا نَدِيَّهُمْو سَنَا وَسَنَا
لَمْ تَبْدُ لِلْأَبْصَارِ إِلَّا غَارِسًا لِيُخَالِفِ الْأَجْيَالِ أَوْ بَنَاءَ
تَغْدُو عَلَى الْفَتَرَاتِ تَرْتَجِلُ النَّدَى وَتَرْوَحُ تَصْطَنِعُ الْيَدَ الْبَيْضَاءَ
فِي مَوَكِبٍ كَالْغَيْثِ سَارَ رِكَابُهُ بِشَرًّا ، وَحَلَّ سَعَادَةً وَرَخَاءَ
أَنْتَ اللَّوَاءُ الْتَفَ قَوْمُكَ حَوْلَهُ وَالتَّاجُ يَجْعَلُهُ الشُّعُوبُ لِيَوَاءَ
مِنْ كُلِّ مِثْدَنَةٍ سَمِعْتَ مَحَبَّةً وَبِكُلِّ نَاقُوسٍ لَقِيتَ دُعَاءَ
يَتَأَلَّفَانِ عَلَى الْهَتَافِ ، كَمَا انْبَرَى وَتَرُّ يُسَايِرُ فِي الْبَنَانِ غِنَاءَ

—————

في دار الأوبرا (*)

« هذه القصيدة لم يتبين لي - على وجه اليقين - سبب
انشادها ، واحسبه نظمها لمناسبة احتفال في دار
الأوبرا أقامته جمعية من جمعيات البر بابناء السبيل »

حَبَّذا المَحَاةُ والظُلُّ الظِّلِيلُ وثَناءُ في فَمِ الدارِ جميلِ
لم تَزَلْ تَجْرِي به تحت الثَّرى لُجَّةُ المعروفِ والنَّيلِ الجزيلِ
صُنِعَ إِسْمَاعِيلَ ، جَلَّتْ يَدُهُ كُلُّ بُنيانٍ على الباني دليلِ
أَتَرَاهَا سُدَّةً من بابهِ فَتَحَتْ للخيرِ جِيلًا بعدَ جيلِ ؟
مَلْعَبُ الأَيَّامِ ، إِلَّا أَنَّهُ ليس حَظُّ الجِدِّ منه بالقليلِ
شهدَ الناسُ بها « عائدةً » وشَجَى الأَجْيالَ من « فِرْدَى » الهديلِ
والتَّنَفُّسُ في ذَرَاهَا دَوْلَةٌ رَكْنُهَا السُّودُدُ والمجدُّ الأثيلِ
أَيْنَعَتْ عَصْرًا طويلاً ، وَأَتَى دونَ أَنْ تُسْتَبَافَ العَصْرُ الطويلِ
كَمْ ضَفَرْنَا الغارَ في مِحْرابِها وعقدناه لِسَبَاقِ أَصِيلِ
كَمْ بدورٍ وُدَّعَتْ يَوْمَ النَّوى وشموسٍ شُيِّعَتْ يَوْمَ الرِّحيلِ
رُبَّ عُرْسٍ مَرَّ للبرِّ بها ماجَ بالخيرِ والسَّمَحِ المُنيلِ
ضَحِكَ الأَيْتَامُ في ليلته ومشى يَسْتَرُوحُ البرَّءَ العليلِ

— ٥٣ —

والتقى البائسُ والتُعْمَى به وسعى المأوى لأبناء السبيل
ومن الأرض جَلِيبٌ وَندٍ ومن الدور جَوَادٌ وبخيل

* * *

يا شباباً حُنَفَاءَ ضمهم منزلٌ ليس بمذمومِ النزولِ
يصرفُ الشبان عن وَرْدِ القَدَى ويُنجيهم عن المَرَعَى الوَبيلِ
اذهبوا فيه وجيئوا إخوةً بعضكم خِدَنُ لبعضٍ وخليلِ
لا يَضُرُّنكمو قَلَّتْهُ كلُّ مولودٍ وإنْ جلَّ ضئيلِ
أرجقتُ في أمركم طائفةٌ تَبِعُ الظنَّ عن الإنصافِ ميلِ
اجعلوا الصبرَ لهم حِيلَتكم قَلَّتِ الحيلةُ في قالٍ وقيلِ
أريدون بكم أن تجمعوا رِقَّةَ الدين إلى الخُلُقِ الهزيلِ ؟
خَلَّتِ الأرضُ من الهَدْيِ ، ومن مُرشدٍ للنَّشْرِ بالهَدْيِ كَفِيلِ
فترى الأسرةَ فَوْضَى ، وترى نَشَأً عن سُنَّةِ البرِّ يَمِيلِ
لا تكونوا السَّيْلَ جَهْمًا خَشِينًا كُلَّمَا عَبَّ ، وكونوا السلسبيلِ
رُبَّ عَيْنٍ سَمْحَةٍ خَاشِعَةٍ رَوَّتِ العُشْبَ ، ولم تنسِ النخيلِ
لا تُماروا الناسَ فيما اعتقدوا كلُّ نفسٍ بكتابٍ وسبيلِ
وإذا جئتم إلى ناديكمو فاطرحوا خلفكموا العِبءَ الثقيلِ
هذه لِيَلْتَكُم في «الأوبرا» ليلةُ القدرِ من الشهرِ النبيلِ
مهرجَانٌ طَوَّفَ الهادى به ومشى بين يديه جِبْرِئِيلِ
وتجلَّتْ أَوْجُهُ زَيْنُهَا غُرُرٌ من لَمَحَةِ الخيرِ تَسِيلِ

— ٥٤ —

فَكَانَ اللَّيْلَ بِالْفَجْرِ انْجَلَى وَكَانَ الدَّارَ فِي ظِلِّ الْأَصِيلِ

* * *

أَيُّهَا الْأَجَوَادُ لَا نَجْزِيكُمْ لَذَّةَ الْخَيْرِ مِنَ الْخَيْرِ بِدِيلِ
رَجُلٍ الْأُمَّةِ يُرْجَى عَنْدهُ لَجْلِيلِ الْعَمَلِ الْعَوْنُ الْجَلِيلِ
إِنْ دَارَا حُطَّتُمْوَهَا بِالذِّدَى أَخَذَتْ عَهْدَ الذِّدَى أَلَّا تَمِيلَ

مَضْرَعُ بَطْرُسَ غَالِي بَاشَا

« حينما قتل بطرس غالي باشا في مصر برصاصة
من يد ابراهيم الورداني في سنة ١٩١٠ هاجت
النفوس ، واستاء كثير من الاقباط ، لوقوع
الجريمة على اعيم ووزير قبلى ، فقال في ذلك : »

بَنَى الْقَبِيضَ . إِخْوَانُ الدُّهُورِ ، رُوِيَ كُمْ
حَمَلْتُمْ لِحِكْمِ اللَّهِ صَلَبَ (ابن مريم)
سَدِيدُ الْمَرَامِي قَدْ رَمَاهُ مُسَدَّدٌ
وَوَاللَّهِ ، إِنْ لَمْ يُطْلَقِ النَّارَ مُطْلِقٌ
قَضَاءٌ ، وَمِقْدَارٌ ، وَآجَالُ أَنْفُسٍ
نَبِيدٌ كَمَا بَادَتْ قِبَائِلُ قَبْلَنَا
تَعَالَوْا عَسَى نَطْوِي الْجَفَاءَ وَعَهْدَهُ
أَلَمْ تَكُ (مصر) مَهْدَنَا ثُمَّ لَحَدْنَا
أَلَمْ نَكُ مِنْ قَبْلِ (المسيح ابن مريم)
فَهَلَّا تَسَافِينَا عَلَى حَبِّهِ الْهَوَى
وَمَا زَالَ مِنْكُمْ أَهْلٌ وَدَّ وَرَحْمَةً
فَلَا يَثْنِيكُمْ عَنْ ذِمَّةِ قَتْلِ (بَطْرُسِ)

هَبَّوْهُ (يسوعاً) فِي الْبَرِيَّةِ ثَانِيَا
وَهَذَا قَضَاءُ اللَّهِ قَدْ غَالَ (غاليا)
وَدَاهِيَةُ السُّوَّاسِ لَاقَى الدَّوَاهِيَا
عَلَيْهِ ؛ لِأَوْدَى فَجْأَةً ، أَوْ تَدَاوِيَا
إِذَا هِيَ حَانَتْ لَمْ تُؤَخَّرْ ثَوَانِيَا
وَيَبْقَى الْأَنَامُ اثْنَيْنِ : مَيِّتًا ، وَنَاعِيَا !
وَنَسْبِيذُ أَسْبَابِ الشُّقَاقِ نَوَاحِيَا
وَبَيْنَهُمَا كَانَتْ لِكُلِّ مَغَانِيَا ؟
و (موسى) وَ (طه) نَعْبُدُ النِّيلَ جَارِيَا ؟
وَهَلَّا فَدَيْنَاهُ ضِيفَافًا وَوَادِيَا ؟
وَفِي الْمُسْلِمِينَ الْخَيْرُ مَا زَالَ بَاقِيَا
فَقِدْمًا عَرَفْنَا الْقَتْلَ فِي النَّاسِ فَاشِيَا

تَحِيَّةُ غَلِيُومِ الثَّانِي لِصَلَاحِ الدِّينِ فِي الْقَبْرِ

عَظِيمُ النَّاسِ مَنْ يَبْكِي الْعِظَامَا	وَيَنْدُبُهُمْ وَلَوْ كَانُوا عِظَامَا
وَأَكْرَمُ مَنْ غَمَامٍ عِنْدَ مَحَلِّ	فَتَى يُحْيِي بِدَحْيَةِ الْكِرَامَا
وَمَا عُدُّ الْمَقْصَرِ عَنْ جِزَاءِ	وَمَا يَجْزِيَهُمْ إِلَى كَلَامَا ؟
فَهَلْ مِنْ مُبْلِغٍ غَلِيُومَ عَنِّي	مَقَالًا مُرْضِيًّا ذَاكَ الْمَقَامَا ؟
رِعَاكَ اللَّهُ مِنْ مَلِكٍ هُمَامٍ	تَعَهَّدَ فِي الثَّرَى مَلِكًا هُمَامَا
أَرَى النَّسِيَانَ أَظْمَأَهُ ؛ فَلَمَّا	وَقَفْتَ بِقَبْرِهِ كُنْتَ الْغَمَامَا
تُقَرَّبُ عَهْدَهُ لِلنَّاسِ حَتَّى	تَرَكْتَ الْجَلِيلَ فِي التَّارِيخِ عَامَا
أَتَدْرِي أَيَّ سُلْطَانٍ تُحْيِي	وَأَيَّ مُلْكٍ تُهْدِي السَّلَامَا ؟
دَعَوْتَ أَجَلَ أَهْلِ الْأَرْضِ حَرْبًا	وَأَشْرَفَهُمْ إِذَا سَكَنُوا سَلَامَا
وَقَفْتَ بِهِ تُذَكِّرُهُ مُلُوكًا	تَعُودُ أَنْ يُلَاقُوهُ قِيَامَا !
وَكَمْ جَمَعَتْهُمْ حَرْبٌ ، فَكَانُوا	حَدَائِدَهَا ، وَكَانَ هُوَ الْحُسَامَا
كِلَامٌ لِلْبَرِيَّةِ دَامِيَاتٌ	وَأَنْتَ الْيَوْمَ مَنْ ضَمَدَ الْكِلامَا
فَلَمَّا قُلْتَ مَا قَدْ قُلْتَ عَنْهُ	وَأَسْمَعْتَ الْمَمَالِكَ وَالْإِنَامَا
تَسَاءَلَتِ الْبَرِيَّةُ وَهِيَ كَلَمَى	أَحْبَابًا كَانَ ذَاكَ أَمِ انتِقَامَا ؟
وَأَنْتَ أَجَلٌ أَنْ تُزْرَى بِمِيتٍ	وَأَنْتَ أَبَرُّ أَنْ تُؤْذَى عِظَامَا
فَلَوْ كَانَ الدَّوَامُ نَصِيبَ مَلِكٍ	لَنَالَ بِحَدِّ صَارِمِهِ الدَّوَامَا

الفَنَارُ (١٠)

سَمَا يُنَاغِي الشُّهُبَا هَلْ مَسَّهَا فَالْتَهَبَا؟
كَالدَّيْدِبَانِ أَلْزَمُوا ذُو فِي الْبَحَارِ مَرْقَبَا
شَيَّعَ مِنْهُ مَرْكَبَا وَقَامَ يَلْقَى مَرْكَبَا
بَشَّرَ بِالْدارِ وَبِالْأُ أَهْلِي السُّرَاةِ الْغُيَّيَا
وَحَطَّ بِالنُّورِ عَلَى لَوْحِ الظَّلَامِ : مَرْحَبَا
كَالْبَارِقِ الْمُلِحِّ لَمْ يُؤَلِّ إِلَّا عَقَبَا
يَارُبَّ لَيْلٍ لَمْ تَذُقْ فِيهِ الرُّقَادَ طَرَبَا
بِتَنَا نُرَاعِيهِ كَمَا يَرَعَى السُّرَاةُ الْكُوكَبَا
سَعَادَةً يَعْرِفُهَا فِي النَّاسِ مَنْ كَانَ أَبَا
مَشَى عَلَى الْمَاءِ . وَجَا بَ كَالْمَسِيحِ الْعَبَّيَا
وَقَامَ فِي مَوْضِعِهِ مُسْتَشْرِفًا مُنْقَبَا
يَرْمِي إِلَى الظَّلَامِ طَرًا فَأَ حَائِرًا مُدْبَذَبَا
كَمُجْهِرٍ أَدَارَ عَيْنَيْنَا فِي الدُّجَى ، وَقَلْبَنَا
كَمَصْرِ الْأَعْشَى أَصَا بِهِ فِي الظَّلَامِ . وَنَا
وَكَالسَرَّاجِ فِي يَدِ السَّرَّاحِ ، أَضَاءَ ، وَخَبَا
كَلِمَةٍ مِنْ خَاطِرٍ مَا جَاءَ حَتَّى ذَهَبَا
مُجْتَنِبُ الْعَالَمِ فِي عُزْلَتِهِ مُجْتَنِبَا

إِلَّا شِرَاعًا ضَلَّ ، أَوْ فُلُكًا يُقَاسَى الْعَطْبَا

حَلِيسُ الْعَبَارِ وَدَنْمِينِ

وَكَانَ حَارِثُ الْفَنَاءِ رِجُلًا . مُهَذَّبًا

يَهْوَى الْحَيَاةَ ، وَيُحِبُّ الْعَيْشَ سَهْلًا طَيِّبًا

أَتَمَّتْ عَلَيْهِ سَنَوَاتٌ مُبَعَدًا مُتَوَرِّبًا

لَمْ يَرَ فِيهَا زَوْجَهُ وَلَا ابْنَهُ الْمَحِبَّ

وَكَانَ قَدْ رَعَى الْخَطِيبَ ، وَوَعَى مَا خَطَبَا

فَقَالَ : يَا حَارِثُ ، خَلَّ السُّخْطُ . وَالتَّعَبُ

مَنْ يُسَعِفُ النَّاسَ إِذَا نُودِيَ كُلُّ فَأْبَى ؟

مَا النَّاسُ إِخْوَتِي وَلَا آدَمُ كَانَ لِي أَبَا

.....

أَنْظِرْ إِلَيَّ ، كَيْفَ أَقْضِي لَهُمْ مَا وَجَبَا ؟

قَدْ عَشْتُ فِي خِدْمَتِهِمْ وَلَا تَرَانِي تَعِبَا

كَمْ مِنْ غَرِيقٍ قَمْتُ عَنْسَدَ رَأْسِهِ مُطَبِّبَا

وَكَانَ بَجْسًا هَامِدًا حَرَكْتُهُ فَاضْطَرَبَا

وَكُنْتُ وَطْأْتُ لَهُ مَنَاكِبِي ، فَرَكِبَا

حَتَّى أَتَى الشُّطُّ ، فَبَشَّ مَنْ بِهِ وَرَحْبَا

وَطَارَدُونِي ، فَأَنْقَلَبْتُ خَاسِرًا مُخِيبَا

مَا نَلْتُ مِنْهُمْ فِضَةً وَلَا مُنِخْتُ ذَهَبَا

وَمَا الْجَزَاءُ ؟ لَا تَسَلْ كَانَ الْجَزَاءُ عَجَبَا !

— ٥٩ —

أَلْقُوا عَلَى شَبَكَا وَقَطَّعُونِي إِزْبَا
وَاتَّخِذِ الصَّنَاعُ مِنْ شَحْمِي زَيْتًا طَيِّبًا
وَلَمْ يَزَلْ إِسْعَافُهُمْ لِي الْحَيَاةَ مَذْهَبًا
وَلَمْ يَزَلْ سَجِيَّتِي وَعَمَلِي الْمُحِبِّبَا
إِذَا سَمِعْتُ صَرْخَةً طَرْتُ إِلَيْهَا طَرَبًا
لَا أَجِدُ الْمُسْعِفَ إِلَّا مَلَكًا مُقَرَّبًا
وَالْمُسْعِفُونَ فِي غَدٍ يُؤَلْفُونَ مَوَكِبَا
يَقُولُ «رِضْوَانُ» لَهُمْ هَيَّا أَدْخُلُوهَا مَرْحَبَا
مُذْنِبُكُمْ قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا أَذْنَبَا

الْقَمَرُ عَلَى آفَاقِ كَلَاذُومِينَ لَيْلَةَ الْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ الْأَسْنَى

فَلْيَدْنَاهُ مِنْ زَائِرٍ مُرْتَقِبٍ	بدا للوجودِ بِمَرَأَى عَجَبٍ
تَهْزُ الْجِبَالَ تَبَاشِيرُهُ	كَمَا هَزَّ عِطْفَ الطُّرُوبِ الطَّرَبُ
وَيُحِلِّي الْبَحَارَ بِلَآلَائِهِ	فَمِنَّا الْكُثُوسُ ، وَمِنْهُ الْعَجَبُ
مَنَارُ الْحُزُونِ إِذَا مَا اعْتَلَى	مَنَارُ السُّهُولِ إِذَا مَا انْقَلَبَ
أَنَانَا مِنَ الْبَحْرِ فِي زَوْزَقٍ	لُجَيْنًا مَجَازِيفُهُ مِنْ ذَهَبٍ
فَقَلْنَا : سُلَيْمَانُ لَوْ لَمْ يَمُتْ	وَفِرْعَوْنُ لَوْ حَمَلَتْهُ الشُّهُبُ
وَكِسْرَى وَمَا خَمَدَتْ نَارُهُ	وَيُوسُفُ لَوْ أَنَّهُ لَمْ يَشِبْ
وَهِيَهَاتَ ! مَا تُوجُّوا بِالسَّنَا	وَلَا عَرْشُهُمْ كَانَ فَوْقَ السُّحُبِ
أَنَافَ عَلَى الْمَاءِ مَا بَيْنَهَا	وَبَيْنَ الْجِبَالِ وَشَمُّ الْهَضْبِ
فَلَا هُوَ خَافٍ ، وَلَا ظَاهِرٌ	وَلَا سَافِرٌ ، لَا ، وَلَا مُنْتَقِبٌ
وَلَيْسَ بِثَاوٍ ، وَلَا رَاحِلٌ	وَلَا بِالْبَعِيدِ ، وَلَا بِالْمُقْتَرِبِ
تَوَارَى بِنِصْفٍ خِلَالَ السُّحُبِ	وَنِصْفُ عَلَى جَبَلٍ لَمْ يَغِبْ
يَجِدُّهَا آيَةٌ قَدْ خَلَتْ	وَيَذْكُرُ مِيلَادَ خَيْرِ الْعَرَبِ

أَثِينَا (*)

« أوفدته الحكومة المصرية الى (أثينا) عاصمة اليونان لحضور مؤتمر المشرقين ، فقال مخاطبها : »

إن تسألني عن مِصْرَ (حَوَاء) القرى
فَالصُّبْحُ في (مَنْفٍ) و (ثيبة) واضحٌ
بِالْهَيْلِ مِنْ (مَنْفٍ) ومن أرباضِها
خَلَّتِ الدُّهُورُ وما التَّقَتْ أَجْفَانُهُ
ما قَلَّ سَاعِدَهُ الزَّمَانُ ، ولم يَنْتَلِ
كَالدَّهْرِ لو مَلَكَ الْقِيَامَ لِفَتْكَةٍ
وثلَاثَةٌ شَبَّ الزَّمَانُ حِيَالَهَا
قَامَتْ عَلَى النِّيلِ الْعَهِيدِ عَهِيدَةً
من كُلِّ مَرْكُوزٍ كَرَضُوهُ فِي الثَّرَى
الْجَنُّ فِي جَنَابَاتِهَا مَطْرُوقَةٌ
وَالْأَرْضُ أَضْيَعُ حِيلَةً فِي نَزْعِهَا
تلك الْقُبُورُ أَضْنُ مِنْ غَيْبِهَا

وَقَرَارَةُ التَّارِيخِ وَالْآثَارِ
مَنْ ذَا يُلَاقِي الصُّبْحَ بِالْإِنْكَارِ ؟
مَجْدُوعُ أَنْفٍ فِي الرَّمَالِ كُفَّارِي (١)
وَأَنْتَ عَلَيْهِ كَلِيلَةٌ وَنَهَارُ
مِنْهُ اخْتِلَافُ جَوَارِفٍ وَذَوَارِ
أَوْ كَانَ غَيْرَ مُقْلَمٍ الْأَطْفَارِ
شُمٌّ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ ، كِبَارِ (٢)
تَكْسُوهُ ثَوْبَ الْفَخْرِ وَهِيَ عَوَارِ
مَتَطَاوِلٍ فِي الْجَوِّ كَالْإِعْصَارِ
بِبِدَائِعِ الْبِنَاءِ وَالْحَفَّارِ
مِنْ حِيلَةِ الْمَصْلُوبِ فِي الْمِسْمَارِ
أَخْفَتُ مِنَ الْأَعْلَاقِ وَالْأَذْخَارِ

(*) نشرت بمجلة رعمسيس سنة ١٩١٢ .

(١) الكفاري : العظيم الاذنين ، يشير الى تمثال ابي الهول .

(٢) يشير الى الاهرام .

نام المُلوك بها الدهورَ طويلةً يجدون أرواحَ ضَجَعَةٍ وقرارِ
كلُّ كاهلِ الكهفِ فوقَ سريره والدهرُ دونَ سريره بهجارِ
أملاكُ مصرَ القاهرونَ على الورى المنزلونَ منازلَ الأقمارِ
هتَكَ الزمانَ حجابَهم ، وأزالهم بعدَ الصَّيانِ إزالةَ الأسرارِ
هيهاتَ ! لم يلمِسْ جلالَهُمُ البلى إلا بأيدي الرِّغامِ قِصارِ
كانوا وطَرَفُ الدهرِ لا يسمُو لهم ما بالهم عُرِضُوا على النُّظارِ ؟
لو أمهلوا حتى النُّشورِ يدُورهم قاموا لخالقِهم بغير غُبارِ !

ذِكْرِي مُحَمَّدٌ فَرِيدٌ

« القيت في الاحتفال بالذكرى الخامسة
للمغفور له محمد فريد بك سنة ١٩٢٤ » :

نُجِدُّ ذِكْرِي عَهْدِكُمْ وَنُعِيدُ	وَنُدْنِي خَيَالَ الْأَمْسِ وَهُوَ بَعِيدُ
وَلِلنَّاسِ فِي الْمَاضِي بِصَائِرُ يَهْتَدِي	عَلَيْهِنَّ غَاوٍ ، أَوْ يَسِيرُ رَشِيدُ
إِذَا الْمَيِّتُ لَمْ يَكُرْمْ بِأَرْضِ ثَنَاؤُهُ	تَحِيرُ فِيهَا الْحَيُّ كَيْفُ يَسُودُ
وَنَحْنُ قَضَاءُ الْحَقِّ ، نَرعى قَدِيمَهُ	وَأَنْتُمْ أَسَاسُ فِي الْبِنَاءِ وَطِيدُ
وَنَعْلَمُ أَنَّا فِي الْبِنَاءِ دَعَائِمُ	مَجَالُ الضَّحَايَا أَنْتَ فِيهِ فَرِيدُ
فَرِيدُ ضَحَايَانَا كَثِيرٌ ، وَإِنَّمَا	وَلَا فَوْقَ مَا قَاسَيْتَ فِيهِ مَزِيدُ
فَمَا خَلَفَ مَا كَابَدْتَ فِي الْحَقِّ غَايَةَ	وَأَنْتَ بِآفَاقِ الْبِلَادِ شَرِيدُ
تَغَرَّبْتَ عَشْرًا أَنْتَ فِيهِنَّ بِائِسُ	وَتَرْزَحُ تَحْتَ الدَّاءِ ، وَهُوَ عَتِيدُ
تَجُوعُ بِبُلْدَانٍ ، وَتَعْرِى بِغَيْرِهَا	مَنْ الْمَالِ لَمْ تَبْخُلْ بِهِ ، وَتَلِيدُ
أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْحَقِّ طَارِفُ	إِذَا جَزَعَ الْحَاضِرُ وَهُوَ يَجُودُ
وَجُودُكَ بَعْدَ الْمَالِ بِالنَّفْسِ صَابِرًا	عَلَى سِرِّهِ نَبْنِي الْعُلَا ، وَنَشِيدُ
فَلَا زِلْتَ تَمَثَالًا مِنَ الْحَقِّ خَالِصًا	وَكَيْفُ يُحَايِ دُونَهُ ، وَيَذُودُ
يُعَلِّمُ نَشْءَ الْحَيِّ كَيْفَ هَوَى الْجَمَى	

النَّخِيلُ مَا بَيْنَ الْمُنتَزِهِ وَأَبَى قَيْر

« نظمها بالاسكندرية في صيف سنة ١٩٣١ »

أرى شَجَرًا في السماء احتجبُ وشقَّ العنانَ بمرأى عجبُ
مآذنُ قامت هُنا أو هناك ظواهرُها درجٌ من شذب
وليس يؤذُنُ فيها الرجالُ ولكن تصيح عليها الغُربُ
وباسقةٍ من بنات الرمالِ نمت وربت في ظلالِ الكُثبِ
كساريةِ الفُلُكِ ، أو كالمِسْلَةِ ، أو كالفنارِ وراءَ العُقبِ
تطولُ وتقصرُ خلفَ الكُثيبِ إذا الريحُ جاء به أو ذهب
تُخالُ إذا انقادت في الضحى وجرَّ الأصيلُ عليها اللهبُ
. وطافَ عليها شعاعُ النهارِ من الصَّخْرِ ، أو من حواشي السُّحبِ
.. وصيفةً فرعونَ في ساحةٍ من القصرِ واقفةً ترتقبُ
قد اعتصبتُ بفصيصِ العقيقِ مفصلةً بِشُذورِ الذهبِ
وناطتُ قلائدَ مرجانِها على الصدرِ ، واتشحتُ بالقصبِ
وسدَّتْ على ساقِها مِرْزَرًا تعقَّدُ من رأسِها للذنبِ

* * *

أهذا هو النخلُ ملكُ الرياضِ أميرُ الحقولِ ، عروسُ العزبِ ؟

طعامُ الفقيرِ ، وحلوى الغنى	وزادُ المسافرِ والمُغتربِ ؟
فيا نخلةَ الرملِ ، لم تبخلِ	ولا قصرتِ نخلاتُ التُّربِ
وأعجبُ : كيف طوى ذِكرُكُنَّ	ولم يحتفلِ شعراءُ العربِ ؟ !
أليس حراماً خلُّو القصا	ثدي من وصفِكُنَّ ، وعُطلُ الكتبِ ؟
وأنتنَّ في الهاجراتِ الظلالُ	كانَّ أعاليكُنَّ العُقبِ
وأنتنَّ في البید شاةُ المُعيلِ	جناها بجانبِ أخرى حلبَ
وأنتنَّ في عَرَصاتِ القصورِ	حسانُ الدُّمى الزائئاتُ الرَّحِبِ
جناكُنَّ كالكرمِ شتى المذاقِ	وكالشَّهيدِ في كل لون يُحِبُّ

الْبَحْرُ الْأَبْيَضُ

« نظمت بالاسكتلندية في صيف سنة ١٩٢١ »

أَمِنْ الْبَحْرِ صَائِغٌ عَبْقَرِيٌّ بِالرَّمَالِ النَّوَاعِمِ الْبَيْضِ مُغْرَى؟
طَافَتْ تَحْتَ الضُّحَى عَلَيْهِنَّ، وَالْجَوُّ هَرُّ فِي سُوقِهِ يُبَاعُ وَيُشْرَى
جِثْنُهُ فِي مَعَاصِمٍ وَنُحُورٍ فَكَسَا مِعْصَمًا، وَآخَرَ عَرَى
وَأَبَى أَنْ يُقْلَدَ الدُّرُّ وَالْيَا قُوتَ نَحْرًا، وَقُلْدَ الْمَاسِ نَحْرًا
وَتَرَى خَائِمًا وَرَاءَ بَنَانٍ وَبَنَانًا مِنَ الْخَوَاتِمِ صِفْرًا
وَسِوَارًا يَزِينُ زَنْدَ كَعَابٍ وَسِوَارًا مِنْ زَنْدِ حَسَنَاءَ فَرَا
وَتَرَى الْغَيْدَ لَوْلَا ثُمَّ رَطْبًا وَجُمَانًا حَوَالِي الْمَاءِ نَشْرًا
وَكَاَنَّ السَّمَاءَ وَالْمَاءَ شِقًّا صَدَفٍ، حُمْلًا رَفِيفًا وَدُرًّا
وَكَاَنَّ السَّمَاءَ وَالْمَاءَ عُرْسُ مُتْرَعُ الْمَهْرَجَانِ لَمَحًا وَعِطْرًا
أَوْ رَبِيعٌ مِنْ رِيثَةِ الْفَنِّ أَبْهَى مِنْ رَبِيعِ الرَّبِّ، وَأَفْتَنُ زَهْرًا
أَوْ تَهَاوِيلُ شَاعِرٍ عَبْقَرِيٌّ طَارَحَ الْبَحْرَ وَالطَّبِيعَةَ شِعْرًا
يَا سِوَارِي فَيَرُوزَجٍ وَلُجَيْنٍ بَهُمَا حُلَيْتُ مَعَاصِمٍ مِضْرًا
فِي شُعَاعِ الضُّحَى يَعُودَانِ مَاسًا وَعَلَى لَمَحَةِ الْأَصَائِلِ تَبْرًا
وَمَشَتْ فِيهِمَا النُّجُومُ فَكَانَتْ فِي حَوَائِثِهِمَا يَوَاقِيتُ زَهْرًا

لَكَ فِي الْأَرْضِ مَوْكَبٌ لَيْسَ يَأْلُو السَّيْرَ وَالطَّيْرَ وَالشَّيَاطِينَ حَشَرًا (١)
سِرَتْ فِيهِ عَلَى كَنُوزِ (سُلَيْمًا) نَ) تَعْدُ الْخُطَى اخْتِيَالًا وَكِبْرًا
وَتَرَنَنْتَ فِي الرِّكَابِ ، فَقَلْنَا رَاهِبٌ طَافَ فِي الْأَنَاجِيلِ يَقْرَأُ
هُوَ لَحْنٌ مُضَيِّعٌ ، لَا جَوَابًا قَدْ عَرَفْنَا لَهُ ، وَلَا مُسْتَقْرًا
لَكَ فِي طَيْهِ حَدِيثٌ غَرَامٍ ظَلَّ فِي خَاطِرِ الْمُلْحَنِ سِرًّا

* * *

قَدْ بَعَثْنَا تَحِيَّةً وَثَنَاءً لَكَ يَا أَرْفَعَ الزَّوَاخِرِ ذِكْرًا
وَعَشِيْنَاكَ سَاعَةً تَنْبُشُ الْمَا ضَيَّ نَبْشًا ، وَتَقْتُلُ الْأَمْسَ فِكْرًا
وَفَتَحْنَا الْقَدِيمَ فِيكَ كِتَابًا وَقَرَأْنَا الْكِتَابَ سَطْرًا فَسَطْرًا
وَنَشَرْنَا مِنْ طِيَّهِنَّ اللَّيَالِي فَلَمَحْنَا مِنَ الْحَضَارَةِ فَجْرًا
وَرَأَيْنَا مِصْرًا تُعَلِّمُ (يُونَا) ، وَيُونَانٌ تَقْبِيسُ الْعِلْمِ مِصْرًا
تِلْكَ تَأْتِيكَ بِالْبَيَانِ نَبِيًّا عَبْقَرِيًّا ، وَتِلْكَ بِالْفَنِّ سِحْرًا
وَرَأَيْنَا الْمَنَارَ فِي مَطْلَعِ النَّجْمِ عَلَى بَرْقِهِ الْمُلَمَّحِ يُسْرِى
شَاطِئُ مِثْلُ رُقْعَةِ الْخُلْدِ حُسْنًا وَأَدِيمِ الشَّبَابِ طِيْبًا وَيَشْرَا
جَرَّ فَيَرْوِزُجَا عَلَى فِضَّةِ الْمَا ، وَجَرَّ الْأَصِيلُ وَالصَّبْحُ تَبْرًا
كَلَمًا جِئْتُهُ تَهْلُلُ بِشْرًا مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ ، وَافْتَرَّ ثَغْرًا
إِنْشَى مَوْجَةً ، وَأَقْبَلَ يُرْخِي كِلَّةً تَارَةً وَيَرْفَعُ سِتْرًا
شَبَّ وَانْحَطَّ. مِثْلَ أَسْرَابِ طَيْرٍ مَاضِيَاتٍ تَلُفُّ بِالسَّهْلِ وَغْرًا
رُبَّمَا جَاءَ وَهْدَةً فَتَرْدَى فِي الْمَهَاوِي ، وَقَامَ يَطْفَرُ صَخْرًا
وَتَرَى الرَّمْلَ وَالْقَصُورَ كَأَيْكَ رَكِبَ الْوَكْرُ فِي نَوَاحِيهِ وَكُرَا

(١) لَيْسَ يَأْلُو الرِّيحَ ... الخ : لَيْسَ يَقْصُرُ عَنْهَا .

وترى جَوْشَقًا يُزِينُ رَوْضًا وترى رِبوةً تَزِينُ مِصرًا

* * *

سَيْدُ المَاءِ ، كَمْ لَنَا مِنْ (صِلَاحٍ) و(عَلَى) وَراءَ مائِكَ ذِكْرِي (١)
كَمْ مَلَأْنَاكَ بِالسَّفِينِ مَوَاقِيـَـرَ (٢) كُشْمُ الجِبَالِ جُنْدًا وَوَفْرًا
شَاكِياتِ السِّلَاحِ يَخْرُجْنَ مِنْ مِصْرٍ بِلَمُومَةٍ ، وَيَدْخُلْنَ مِصرًا
شَارِعَاتِ الجَنَاحِ فِي قُبُجِ المَا ۝ كَنَسْرٍ يَشْدُ فِي السُّحْبِ نَسْرًا
وَكَاَنَّ اللُّجَاجَ حِينَ تَنْزَى وتسُدُّ الفِجَاجَ كَرًّا وَفْرًا ...
... أَجْمٌ بَعْضُهُ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ زَحَفَتْ غَابَةٌ لَتَمْزِيقِ أُخْرَى !
قَذَفَتْ هُهْنَا زَيْرًا وَنَابًا وَرَمَتْ هُهْنَا عَوَاءَ وَظُفْرًا
أَنْتَ تَغْلِي إِلَى القِيَامَةِ كَالْقِدْرِ ، فَلَا حَظَّ يَوْمَهَا لَكَ قِدْرًا

(١) يريد صلاح الدين الأيوبي ومحمد على باشا .

(٢) مَوَاقِيرُ : مَوْقِرَةٌ : مَثْقَلَةٌ بِمَا تَحْمِلُ .

قِفَتْ حَتَّى شُبَّانَ الْجِمَى

• نظمها في الطلاب المصريين الذين يطلبون العلم في أوروبا •

قِفَتْ حَتَّى شُبَّانَ الْجِمَى قَبْلَ الرِّحْلِ بِقَافِيَةٍ
عَوَّدَتْهُمْ أَمْسَالَهَا فِي الصَّالِحَاتِ الْبَاقِيَةِ
مَنْ كُلُّ ذَاتِ إِشَارَةٍ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ خَافِيَةٍ
قُلْ : يَا شَبَابُ ، نَصِيحَةٌ مِمَّا يُزَوِّدُ غَالِيَهُ
هَلْ رَاعَكُمْ أَنْ الْمَدَا رَسَ فِي الْكِنَانَةِ خَاوِيَهُ ؟
مُجِرَتْ فَكُلُّ خَلِيَّةٍ مَنْ كُلُّ شُهْدٍ خَالِيَهُ
وَتَعَطَّلَتْ هَالَاتُهَا مِنْكُمْ ، وَكَانَتْ حَالِيَهُ
عَدَتْ السِّيَاسَةُ وَهِيَ آ مَرَّةً عَلَيْهَا نَاهِيَهُ
فَهَجَرْتُمُ الْوَطَنَ الْعَزَّ يَزَ إِلَى الْبِلَادِ لِقَاصِيَهُ

* * *

أَنْتُمْ غَدًا فِي عَالَمٍ هُوَ وَالْحَضَارَةُ نَاحِيَةٍ
وَارَيْتُمْ فِيهِ شَيْبَتِي وَقَضَيْتُمْ فِيهِ ثَمَانِيَةَ
مَا كُنْتُ ذَا الْقَلْبِ الْغَلِيظِ ، وَلَا الْمَطْبَاعِ الْجَافِيَةِ
سِيرُوا بِهِ تَتَعَلَّمُوا سِرَّ الْحَيَاةِ الْعَالِيَةِ

— ٧٠ —

وتأملوا البُنيانَ ، وادّكروا الجهودَ البانية
ذوقوا الثمارَ جَنِيَّةً وِرْدُوا المناهلَ صافية
واقضوا الشبابَ ؛ فإنَّ سا عتَه القصيرةَ فانية
واللهِ لا حَرَجٌ عليكم في حديثِ الغانية !
أو في اشتِهَاءِ السُّخْرِ من لَحْظِ العيونِ الساجية
أو في المسارحِ فَهَى بالنَّسْفِيسِ اللطيفةِ راقية !

ثَنَى عِظْفَيْهِمَا الْهَرَمَانِ تِيهَا

• وقال يحيى الملك فسؤاد في أيار
زبارقه للحيزة في ديسمبر سنة ١٩٣٠ •

بأرض الحيزة اجتاز النمام
وزار رياض إسماعيل غيث
ثَنَى عِظْفَيْهِمَا الْهَرَمَانِ تِيهَا
هَلَمَّى مَنْفٌ ؛ هذا تاجُ خوفو
نَمَتْهُ من بني فرعون هام
تَالَّقَ في سمالكِ عبقرياً
ترعرعت الحضارة في حلاه
ونال الفن في أولى الليالي
وحل سماءها البدر التمام
كوالده له المِنَّهُ الجِسام
وقال الثالثُ الأدنى : سلام
كقُرْصِ الشمسِ يَعْرِفُهُ الأنام
ومن خلفاء إسماعيل هام
عليه جلالةٌ ، وله وسام
وشبَّ على جواهره النظام
وأخراهنَّ عِزًّا لا يُرام

* * *

مشى في حيزة الفُسطاط ظلُّ
إذا ما مَسَّ تُرْباً عاد مِسْكَاً
وإن هو حلَّ أرضاً قام فيها
فمدرسةٌ اخرب الجهل تُبْنَى
كظِلِّ النيلِ بُلٌّ به الأوام
ونافس تحته الذهب الرغام
جدارٌ للحضارة أو دِعام
ومُسْتَشْفَى يُدَادُ به السقام

ودارٌ يُستَغاثُ بها فيَمضي إلى الإسعافِ أنجادُ كرامُ
أساةُ جِراحةٍ حيناً ، وحيناً ميازيبُ إذا انفجر الضرام
وأحواضُ يراضُ النيلُ فيها وكلُّ نجيبةٍ ولها لجام
أبا الفاروقِ ، أقبَلنا صُفوفاً وأنتَ من الصفوفِ هو الإمام
إلى البيتِ الحرامِ بك اتَّجهنا ومِصرُ - وحَقُّها - البيتُ الحرام
طلعتَ على الصعيدِ فهشَّ حتى علا شَفَتَي أبي الهول ابتسام
ركابُ سارتِ الآمالُ فيه وطافَ به التلفتُ والزَّحام
فماذا في طريقك من كُفُور أجلُ من البيوتِ بها الرُّجام ؟
كأنَّ الراقدين بكل قاعٍ هُمُ الأيقاظُ ، واليقظُ النِّيام
لقد أزمَ الزمانُ الناسَ ، فانظرُ فعندَكَ تُفرِّجُ الإزمَ العظام
وبعدَ غدٍ يُفارقُ عامٌ بؤسَ ويخلفه من النِّعماء عام
يدورُ بمِصرَ حالاً بعدَ حالٍ زمانٌ ما لِحالِهِ دَوام
ومِصرُ بِناءٍ جدِّكَ لم يُتِمَّم أليس على يَدَيْكَ له تمام ؟
فلسنا أُمَّةً قعدتْ بِشمسٍ ولا بلدًا بضاعتُه الكلام
ولكنَّ هِمَّةً في كلِّ حينٍ يَشُدُّ بِناءَها المَلِكُ الهُمام
نرومُ الغايةَ القُصوى ، فنَمضي وأنتَ على الطريقِ هو الزَّمام
ونقصِرُ خطوةً ، ونَمُدُّ أخرى وتُلجُّنا المسافةُ والمِرام
وتَصبرُ للشدائدِ في مقامٍ ويغلِبُنا على صبرٍ مقام

— ٧٣ —

فَقُوْ حَضَارَةَ الْمَاضِي بِأُخْرَى لَهَا زَهْوٌ بِعَصْرِكَ ، وَأَتْسَامُ
نَرَفُ صَحَائِفُ الْبَرْدِي فِيهَا وَيَنْطِقُ فِي هِيَاطِهَا الرُّنْحَامُ
رَعَّتْكَ وَوَادِيًا تَرَعَاهُ عَنَّا مِنْ الرَّحْمَنِ عَيْنٌ لَا تَنَامُ
فَإِنْ يَلُوكَ تَاجُ مِصْرَ لَهَا قِيَامًا فَمِصْرُ لِنَاجِهَا الْعَالِي قِيَامُ
لِتَهْنَأُ مِصْرُ ، وَلِيَهْنَأُ بَنُوهَا فَبَيْنَ الرَّأْسِ وَالْجِسْمِ التَّشَامُ

الأميرة فتحية

« وقال في برقية يهنئ الاميرة السابقة فتحية »

فتحيةً دنيا تدوم . وصحةً تبقى : وبهجةً أمة . وحياة
مولاي إن الشمس في عليائها أننى ، وكل الطيبات بنات !

تَهْنِئَةٌ

د. وقّال يهنئ الدكتور على باشا ابراهيم بمناسبة
الانعام عليه برتبة الباشوية سنة ١٩٢٠ .

يَدُ الْمَلِكِ الْعَلَوِي الْكَرِيمِ	عَلَى الْعِلْمِ هَزَتْ أَخَاهُ الْأَدَبُ
لِسَانُ الْكِنَانَةِ فِي شُكْرِهَا	وَمَا هُوَ إِلَّا لِسَانُ الْعَرَبِ
قَضَتْ مِصْرُ حَاجَتَهَا يَا (عَلِيُّ)	وَنَالَتْ ، وَنَالَ بَنُوهَا الْأَرْبُ
وَهَنَّتْ بِالرُّتَبِ الْعَبْقَرِيِّ	وَهَنَّتْ بِالْعَبْقَرِيِّ الرُّتَبِ
عَلِيُّ ، لَقَدْ لَقَّبَتْكَ الْبِلَادُ	بِأَيِّ الْجِرَاحِ ، وَنِعَمَ اللَّقَبِ
سِلَاحُكَ مِنْ أَدْوَاتِ الْحَيَاةِ	وَكُلُّ سِلَاحٍ أَدَاةُ الْعَطَبِ
وَلَفْظُكَ (يَنْجُ) ، وَلَكِنَّهُ	لَطِيفُ الصَّبَا فِي جُفُونِ الْعَصَبِ
أَنَامِلُ مِثْلُ بَنَانِ الْمَسِيحِ	أَوَايِ الْجِرَاحِ ، مَوَاحِي النَّدَبِ
نَعَالِجُ كَفَّالِكَ بَوَسَ الْحَيَاةِ	فَكَفَّ تَدَاوِي ، وَكَفَّ تَهَبِ
وَيَسْتَمْسِكُ الدَّمُ فِي رَاحَتَيْكَ	وَفَوْقَهُمَا لَا يَقْرُ الدَّهَبُ
كَأَنَّكَ لِلْمَوْتِ مَوْتُ أَنْبِيحِ	فَلَمْ يَرَوْجْ وَجْهَكَ إِلَّا هَرَبُ !

يا قاهرَ الغربِ العتيْدِ

وقال في حفل تكريم البطل العالمي في حفل
الانتقال السيد نصير ، في ديسمبر سنة ١٩٣٠

شرقاً نصيرُ ، أرفعَ جبينكِ عالياً
بهنيكِ ما أعطيتَ من إكرامها
اليومَ يومُ السابقين ، فكن فتى
وإذا جريتَ مع السوابق فاقنهم
حتى براكِ الجمعِ أولَ طالع
هذا زمانٌ لا توسطَ عنده
كن سابقاً فيه ، أو أبقَ بمعزلٍ
يا قاهرَ الغربِ العتيْدِ ، ملأته
قلبتُ فيه يداً تكاد ليشده
إن الذي خلق الحديدَ وبأسه
زخرخته ، فتخاذلتْ أجلاؤه
لِمَ لا يَلِينُ لك الحديدُ ولم تنزلْ
الأزمة اشتدَّت ورانَ بلاؤها
(شمشون) أنت ، وقدرست أركانها
وتلقُ من أوطانك الإكليلا
ومُنِحتَ من عطف ابنِ إسماعيل
لم يَبْغِ من قصبِ الرمانِ بليلا
عُرراً تسيل إلى المدى وحجولا
ويرَوِّا على أعرافك المنيلا
يَبْنِي المغامرُ عالياً وجليلا
ليس التوسطُ للنبوغِ سبيلا
بشاء مصرَ على الشفاءِ جميلا
في البأسِ ترفع في الفضاء الفيلا
جعل الحديدُ لساعديك قليلا
وطرخته أرضاً ، فصلَّ صليلا
تتلو عليه وتقرأ التنزيلا ؟
فاصلِمِ برُكنك رُكنها ليملا
فتمش في أركانها لتزولا

أَحْمَلْتُ إِنْسَانًا عَلَيْكَ ثَقِيلًا *	قُلْ لِي تُصَيِّرْ وَأَنْتَ بَرٌّ صَادِقُ
أَحْمَلْتُ دَيْنًا فِي حَيَاتِكَ مَرَّةً ؟	أَحْمَلْتُ يَوْمًا فِي الضُّلُوعِ غَلِيلًا ؟
أَحْمَلْتُ ظُلْمًا مِنْ قَرِيبٍ غَادِرٍ	أَوْ كَاشِحٍ بِالْأَمْسِ كَانَ تَخْلِيلًا ؟
أَحْمَلْتُ مَنًا بِالنَّهَارِ مُكَرَّرًا	وَاللَّيْلِ ، مِنْ مُشَدِّ إِلَيْكَ جَمِيلًا ؟
أَحْمَلْتُ طُغْيَانَ اللَّثِيمِ إِذَا اغْتَنَى	أَوْ نَالَ مِنْ جَاوِ الْأُمُورِ قَلِيلًا ؟
أَحْمَلْتُ فِي النَّادَى الْغَيْبِ إِذَا التَّقَى	مِنْ سَامِعِيهِ الْحَمْدَ وَالتَّبَجِيلًا ؟
تلك الحياة ، وهذه أثقالها	وُزْنُ الْحَلِيدِ بِهَا فَعَادَ فَشِيلًا !

بَنُ زَيْدُون

« أنشأها نرحيباً بديوان ابن زيدون ، حين ظهر مطبوعه
لأول مرة في مصر ، بعناية الأستاذ الأديب كامل كيلاني »

يا أَبْنُ زَيْدُون ، مَرَحَبًا قد أَطْلَتِ التَّغْيِبَا
إِنْ دِيوَانَكَ الَّذِي ظَلَّ سِرًّا مُحَجَّبًا ،
يَشْتَكِي الْيَتَمَ دُرَّهُ وَيُقَاسَى التَّغْرِبَا ...
... صَارَ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ لِلْأَلْيَسَاءِ مَطْلَبَا
جَاءَنَا « كَامِلٌ » بِهِ عَرَبِيًّا مُهَذَّبَا
تَجِدُ النَّصَّ مُعْجِبًا وَتَرَى الشَّرْحَ أَعْجَبَا
أَنْتَ فِي الْقَوْلِ كُلِّهِ أَجْمَلُ النَّاسِ مَذْهَبَا
بِأَيِّ أَنْتَ هَيْكَلًا مِنْ فَنُونِ مُرَكَّبَا
شَاعِرًا أَمْ مُصَوِّرًا كُنْتَ ، أَمْ كُنْتَ مُطْرِبَا ؟
تَرْسِلُ اللَّحْنَ كُلَّهُ مُبْدِعًا فِيهِ ، مُغْرِبَا
أَحْسَنَ النَّاسِ هَاتِفًا بِالغَوَايِ مُشْبِبَا
وَنَزِيلَ الْمُتَوَجِّسِينَ ، النَّدِيمَ الْمُقْرِبَا
كَمْ سَقَامٍ بِشِعْرِهِ مِدْحَةً أَوْ تَعْتِبَا
وَمَنْ الْمَذْحِ مَا جَزَى وَأَذَاعَ الْمُنَاقِبَا

• • •

وإذا الهَجْرُ هَاجَهُ لِمَعَانَاتِهِ أَبَا

- ٧٩ -

ورآه رذيسلة لا ثماشى التأديبا
ما رأى الناس شاعرا فاضل الخلق طيبا
دس للناشقين فى زنبق الشعر عقربا

* * *

جلت فى الخلد جولة هل عن الخلد من نبا ؟
صف لنا ما وراءه من عيون ، ومن ربي
ونعيم ونصرة وظلال من الصبا
وصف الحور موجزا وإذا شئت مطينا

* * *

قم ترى الأرض مثلما كنتمو أميس ملعبا
وترى العيش لم يزل لبنى الموت مأربا
وترى ذاك بالذى عند هذا معذبا

* * *

إن مروان عصابة يصنعون العجائب^(١)
طوفوا الأرض مشرقا بالأيادي ومغربا
هالة أطلعك فى ذروة المجدي كوكبا
أنت للفتح تنتمى وكفى الفتح منصبا
لست أرضى بغيره لك جدا ولا أبا

(١) يشير الى اصله « الرومى » والى ايدى بنى مروان على العروبة،
بما فتحوا من بلاد الروم ، وبما استعرب من اهلها .

الْبُلْبُلُ الْغَرْدُ الَّذِي هَزَّ الرَّبِّيَّ

« انشدت في الحفلة التي اقامتها رابطة الادب الجديد ، تكريما
للشاعر الاستاذ « محمود أبو الوفا » ، وكانت هذه القصيدة
سببا الى عناية الحكومة المصرية وقتئذ بالشاعر - ابي الوفا -
وتسفيره الى أوروبا لعمل رجل صناعة بدل ساقه المبتورة ! »

وعِصَابَةٌ بِالْخَيْرِ أَلْفَ شَمْلُهُمْ والخَيْرُ أَفْضَلُ عُصْبَةٍ وَرِفَاقَا
جَعَلُوا التَّعَاوَنَ وَالْبِنَايَةَ هَمَّهُمْ واستنهمضوا الآدَابَ وَالْأَخْلَاقَا
وَلَقَدْ يُدَاوُونَ الْجِرَاحَ بِبِرِّهِمْ وَيُقَاتِلُونَ الْبُؤْسَ وَالْإِمْلَاقَا
يَسْمُونَ بِالْأَدَبِ الْجَدِيدِ ، وَتَارَةً يَبْنُونَ لِلْأَدَبِ الْقَدِيمِ رِوَاقَا
بَعَثَ اهْتِمَامُهُمْ ، وَهَاجَ حَنَانُهُمْ زَمَنٌ يُثِيرُ الْعُطْفَ وَالْإِشْفَاقَا
عَرَضَ الْقَعُودُ فَكَانَ دُونَ نُبُوغِهِ قِيدًا ، وَدُونَ خُطَى الشَّبَابِ وَثَاقَا

* * *

الْبُلْبُلُ الْغَرْدُ الَّذِي هَزَّ الرَّبِّيَّ وَشَجَى الْغُصُونَ ، وَحَرَّكَ الْأَوْرَاقَا
خَلَفَ الْبَهَاءَ عَلَى الْقَرِيضِ وَكَأْسِهِ فَسَقَى بِعَذْبِ نَسِيهِ الْعُشَاقَا
فِي الْقَيْدِ مُتَمَنِّعُ الْخُطَى ، وَخِيَالِهِ يَطْوِي الْبِلَادَ وَيَنْشُرُ الْآفَاقَا
سَبَاقُ غَايَاتِ الْبَيَانِ جَرَى بِلَا سَاقٍ ، فَكَيْفَ إِذَا اسْتَرَدَّ السَّاقَا ؟
لَوْ يَطْعَمُ الطَّبُّ الصَّنَاعُ بَيَانَهُ أَوْ لَوْ يُسَيِّغُ لِمَا يَقُولُ مَذَاقَا ...
... غَالِي بِقِيَمَتِهِ ، فَلَمْ يَصْنَعْ لَهُ إِلَّا الْجَنَاحَ مُحَلِّقًا خَفَاقَا !

خَلِيلُ مُطْرَانَ (١)

« نظمها لتنشيسه في حفلة أقيمت بدار الجامعة المصرية في ١٨ يونيو سنة ١٩١٣ لتكريم الشاعر خليل مطران ، لمناسبة انعام الخديوي عباس حلمي الثاني عليه بوسام ، وكانت الحفلة برئاسة الامير محمد علي توفيق شقيق الخديوي »

لُبْنَانُ ، مَجْدُكَ فِي الْمَشَارِقِ أَوَّلُ	وَالْأَرْضُ رَابِيَةٌ وَأَنْتَ سَنَامُ
وَبَنُوكَ الْطِفُّ مِنْ نَسِيمِكَ ظِلُّهُمْ	وَأَشْمُ مِنْ هَضْبَاتِكَ الْأَحْلَامُ
أَخْرَجْتَهُمُ لِلْعَالَمِينَ جَحَاجِحًا	عُرْبًا ، وَأَبْنَاءَ الْكَرِيمِ كَرَامُ
بَيْنَ الرِّيَاضِ وَبَيْنَ أَفْقِ زَاهِرِ	طَلَعَ الْمَسِيحُ عَلَيْهِ وَالْإِسْلَامُ
هَذَا أَدِيبُكَ يُحْتَفَى بِوَسَامِهِ	وَبِيَانِهِ لِلْمَشْرِقَيْنِ وَسَامُ
وَيُجَلُّ قَدْرُ قِلَادَةٍ فِي صَدْرِهِ	وَلَهُ الْقَلَائِدُ سِمَاطُهَا الْإِلَهَامُ
صَدْرُهُ حَوَالِيهِ الْعِجَالُ ، وَمِلْؤُهُ	كَرَمٌ ، وَخَشْيَةُ مُؤْمِنٍ ، وَذِمَامُ
حَلَاةٍ إِحْسَانُ الْخَدِيوِ ، وَطَالَمَا	حَلَاةَ فَضْلُ اللَّهِ وَالْإِنْعَامُ
لِعِجَالِكَ يَا مُطْرَانُ ، أَمْ لِنَهَاكَ ، أَمْ	لِخِلَالِكَ التَّشْرِيفُ وَالْإِكْرَامُ ؟!
أَمْ لِلْمَوَاقِفِ لَمْ يَقِفْهَا ضَيْغَمُ	لَوْلَاكَ لَا ضُطْرِبَتْ لَهُ « الْأَهْرَامُ ؟!
هَذَا مَقَامُ الْقَوْلِ فِيكَ ، وَلَمْ يَزَلْ	لَكَ فِي الضَّمَائِرِ مَحْفِلُ وَمَقَامُ
غَالِي بِقِيَمَتِكَ الْأَمِيرُ مُحَمَّدُ	وَسَعَى إِلَيْكَ يَحْفَهُ الْإِعْظَامُ

(١) زيدت هذه في الطبعة الثانية .

— ٨٢ —

في مجمع هزّ البيان لواءه	بك فيه ، واعتزّت بك الأعلام
ابن الملوك تلاّ الشناء مخلّداً	هَيَّهَات يذهبُ للملوكِ كلام
فمن البشِيرِ لِبَطْنِكَ وبينها	نَسَبٌ تُضِيءُ بنوره الأيام
يبلى المكينُ القُحْمُ من آثارها	يوماً ، وآثارُ الخليل قيام

—————

غاندى

« انشأها تحية لغاندى الزعيم الهندى المشهور » حين مروره بمصر
سنة ١٩٣١ ، فى طريقه الى مؤتمر المائدة المستديرة بلندن ،

بَنَى مِصْرَ ، اَرْفَعُوا الغارَ وَحَيُّوا بَطْلَ الهِنْدِ
وَأَدُّوا وَاجِبًا ، واقضوا حقوقَ العلمِ الفردِ
أخوكم فى المقاساة وعَزَّكِ الموقفُ التَّكْدِ
وفى التَّضحيةِ الكبرى وفى المَطْلَبِ ، والجُهدِ
وفى الجرح ، وفى الدمع وفى النَّفْيِ من المهْدِ
وفى الرحلة للحق وفى مرحلةِ الوفدِ
قِفُوا حيَّوه من قُربِ على الفلَكِ ، ومن بُعدِ
وغطُّوا البرَّ بالآس وغطُّوا البحرَ بالوردِ

• • •

على إفريزِ (راجبوتا نَ) (١) تمثالُ من المجدِ
نبيُّ مِثْلُ (كونفشيؤ سَ) ، أو من ذلك العهدِ
قريبُ القولِ والفعلِ من المنتظرِ المهدي
شبيهه الرسل فى الدُّودِ عن الحقِّ ، وفى الزهدِ

(١) الباخرة التى اقلت غاندى من الهند الى لندن .

— ٨٤ —

لقد علّم بالحق وبالضبر ، وبالقصد
ونادى المشرق الأقصى قلباه من اللحد
وجاء الأنفس المرضى فداواها من الحقد
دعا الهندوس والإسلا م للألفة والود
بسحر من قوى الروح حوى السيفين في غمد
وسلطان من النفس يقوى رائض الأسد
وتوفيق من الله وتيسير من السعد
وحظ ليس يعطاه يوى المخلوق للخلد
ولا يؤخذ بالحو ولا الصول ، ولا الجند
ولا بالنسل والمال ولا بالكدر والكد
ولكن هبة المولى - تعالى الله - للعبد

* * *

سلام النيل ياغندي وهذا الزهر من عندي
ولجلال من الأهرا م ، والكرنك ، والبردى
ومن مشيخة الوادى ومن أشبال المردي
سلام حالب الشاة سلام غازل البردي
ومن صد عن الملح ولم يقبل على الشهد
ومن تركب ساقيه من الهند إلى السند
سلام كلما صليت عريانا ، وفي اللبد
وفي زاوية السجن وفي سلسلة القيد

مِنْ (المائِدَةِ الْخَضِرَا (١) خُذْ حِذْرَكَ يَا غُنْدِي
وَلَا حَظَّ وَرَقَ «السَّيْرِ» وَمَا فِي وَرَقِ «اللُّورِدِ»
وَكُنْ أَبْرَعَ مَنْ يَلَهُ بِبُ الشَّطْرَنْجِ وَالنُّرْدِ
وَلَا فِي الْعَبْقَرِيِّينَ لِقَاءَ النَّدِّ لِلنَّدِ
وَقُلْ : هَاتُوا أَفَاعِيَكُمْ أَتَى الْحَاوِي مِنَ الْهِنْدِ !
وَعُدَّ لَمْ تَحْفِلِ الدَّامَ وَلَمْ تَغْتَرَّ بِالْحَمْدِ
فَهَذَا النُّجْمُ لَا تَرْقَى إِلَيْهِ هِمَّةُ النُّقْدِ
وَرُدَّ الْهِنْدَ لِلْأُمَمَةِ مِنْ حَدٍّ إِلَى حَدٍّ

(١) يطير الى المؤتمر الذي كان مسافرا اليه للبحث في دستور الهند.

تَحِيَّةُ أَبُولُو

• أبولو : مجلة فنية لخدمة الشعر الحى ، كان يصدرها مرة كل شهر - فى سنة ١٩٧٢ -
الدكتور أحمد زكى أبو شادى ، فقال يحييها •

أبولُو ، مَرَحَبًا بِكَ يَا أَبُولُو فَإِنَّكَ مِنْ عُمَاظِ الشَّعْرِ ظِلْ
عُمَاظُ وَأَنْتِ لِلْبُلْغَاءِ سُوقُ عَلَى جَنَابَاتِهَا رَحَلُوا وَحَلُّوا
وَيَنْبُوعُ مِنَ الْإِنْشَادِ صَافٍ صَدَى الْمُتَادِّبِينَ بِهِ يُقَلُّ
وَمِضْمَارُ يَسُوقُ إِلَى الْقَوَائِ سَوَابِقُهَا إِذَا الشُّعْرَاءُ قَلُّوا
يَقُولُ الشُّعْرَ قَائِلُهُمْ رَصِينًا وَيُحْسِنُ حِينَ يُكْثِرُ أَوْ يُقَلُّ
وَلَوْلَا الْمُحْسِنُونَ بِكُلِّ أَرْضٍ لَمَا سَادَ الشُّعُوبُ وَلَا اسْتَقَلُّوا

* * *

عَسَى تَأْتِينَنَا بِمُعَلِّقَاتٍ نَرْوِحُ عَلَى الْقَدِيمِ بِهَا نُدِلُ
لَعَلَّ مَوَاهِبًا خَفِيَّتْ وَضَاعَتْ تُذَاعُ عَلَى يَدَيْكَ وَتُسْتَغَلُّ
صَحَائِفُكَ الْمَدْبُجَةُ الْجَوَاشِي رَبِّى الْوَزْدِ الْمُفْتَحِ أَوْ أَجَلُ
رِيَاحِينَ الرِّيَاضِ يُمَلُّ مِنْهَا وَرَيْحَانُ الْقَرَائِحِ لَا يُمَلُّ
بِمَهْدُ عَبْقَرَى الشُّعْرِ فِيهَا لِكُلِّ ذَخِيرَةٍ فِيهَا مَحَلُّ
وَلَيْسَ الْحَقُّ بِالْمَنْقُوصِ فِيهَا وَلَا الْأَعْرَاضُ فِيهَا تُسْتَحَلُّ
وَلَيْسَتْ بِالْمَجَالِ لِتَقْدِ بَاغٍ وَرَاءَ يَرَاعِيهِ حَسَدُ وَغِلُّ

أغنية

« نظمها بلبنان في صيف سنة ١٩١٢ لغنيها احدى القيان »

بي مثلُ ما بكِ يا قمرية الوادي ناديتُ ليلي ، فقوى في الدجى نادى
وأرسل الشجر أسجاعاً مفصلةً أو رددي من وراء الأيك إنشادى
لنكتفى الوجدة ، فالجرحان من شجنٍ ولا العصابة ؛ فالدمعان من وادٍ
تذكرى : هل تلاقينا على ظمٍ ؟ وكيف بل الصدى ذو الغلة الصادى ؟
وأنت في مجلس الرياح لاهيةً ما سرت من سامرٍ إلا إلى نادى
تذكرى قبلة في الشعر حائرةً أضلها فمشت في فرقك الهادى
وقبلة فوق خد ناعم عطرٍ أبهى من الورد في ظل الندى الغادى
تذكرى منظر الوادي ، ومجلسنا على الغدير ، كمصفورين في الوادي
والغصن يحنو علينا رقةً وجوى والماء في قدمينا رائح غادٍ
تذكرى نغمات ههنا وههنا من لحن شادية في اللوح أوشادى
تذكرى موعداً جاد الزمان به هل طرت شوقاً ؟ وهل سابت ميعادى ؟
فناث ما نلت من سؤلٍ ، ومن أملٍ ورحت لم أحص أفراحى وأعيادى ؟

« غناها بين يدي ملك العراق المغفور له فيصل الاول الموسس بيقار محمد عبد الوهاب بمناسبة زيارته لتلك البلاد في سنة ١٩٣١ »

يا شراعاً وراء دجلة يجرى
مِر على الماء كالْمسيحِ رويداً
وأَتِ قاعاً كرفرفِ الخلدِ طيباً
قِفْ ، تمهلْ ، وخُذْ أماناً لقلبي
والذوايى والنُدائى ؛ أَمِنْهُمْ
خَطَرَتْ فوقه المِهارةُ تعدو
أُمَّةٌ تُنْشِئُ الحياةَ ، وتبْنى
نَحْتَ تاجٍ من القِرابَةِ والمُدِّ
ملكِ الشطِّ ، والفِراطينِ ، والبطِّ ..

الرَّجُلُ السَّعِيدُ^(١)

وهي ترجمة أبيات فرنسية عنوانها :

L. homme heureux

لسمو الامير حيدر فاضل .

عَفِيفُ الْجَهْرِ وَالْهَمْسِ قَصَى الْوَاجِبَ بِالْأَمْسِ
وَلَمْ يَغْرِضْ لِذِي حَقٍّ بِنُقْصَانٍ وَلَا بِخُسْ
وَعِنْدَ النَّاسِ مَجْهُولٌ وَفِي أَلْسِنِهِمْ مَنَسِي
وَفِيهِ رَقَّةُ الْقَلْبِ لآلَامِ بَنَى الْجَنَسِ
فَلَا يَغْبِطُ. ذَا نَعْمَى وَيَرْتِي لِأَخِي الْبُؤْسِ
وَلِلْمَحْرُومِ. وَالْعَاقِي حَوَالَى زَادِهِ كُرْسِي
وَمَا نَمَّ ، وَلَا هَمٌّ بِبَغْضِ الْكَيْدِ رَالِدَسْ
يَنَامُ اللَّيْلَ مَسْرُورًا قَلِيلَ الْهَمِّ وَالْهَجْسِ
وَيُصْبِحُ لَا غُبَارَ عَلَى سَرِيرَتِهِ كَمَا يُنْمِي

* * *

فِيَا أَسْعَدَ مِنْ، يَمْشَى عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْإِنْسِ

(١) نشرت في مجلة الكشكول سنة ١٩٢٥ .

— ٩٠ —

وَمَنْ طَهَّرَهُ اللَّهُ مِنْ الرِّيبَةِ وَالرُّجْسِ
أَنْلَى قَدْرِي تَشْرِيفاً وَهَبْ لِي قُرْبَكَ الْقُدْسِي
عسى نَفْسُكَ أَنْ تُدَمِّجَ فِي أَحْلَامِهَا نَفْسِي
فَالْقَى بَعْضُ مَا تَلْقَى مِنَ الْغَيْطَةِ وَالْأُنْسِ !

الآثر

وَجَدْتُ الحَيَاةَ طَرِيقَ الزُّمَرِ إِلَى بَغْتَةٍ وَشُشُونٍ أُخْرٍ
وَمَا بَاطِلًا يَنْزِلُ النَّازِلُونَ وَلَا عَبَثًا يُزْمَعُونَ السَّفَرُ
فَلَا تَحْتَقِرْ عَالَمًا أَنْتَ فِيهِ وَلَا تَجْهَلِ الْآخَرَ الْمُنتَظَرُ
وَاخْذُ لَكَ زَادَيْنِ : مِنْ سِيرَةٍ وَمِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ يُدْخَرُ
وَكُنْ فِي الطَّرِيقِ عَفِيفَ الْخُطَا شَرِيفَ السَّمَاعِ ، كَرِيمَ النَّظَرِ
وَلَا تَخُلْ مِنْ عَمَلٍ فَوْقَهُ تَعَشَّ غَيْرَ عَبْدٍ ، وَلَا مُحْتَقَرُ
وَكُنْ رَجُلًا إِنْ أَتَوْا بَعْدَهُ يَقُولُونَ : مَرُّ هَذَا الْآثَرِ

— ٩٢ —

السُّتَارُ

قَدُمْتُ بَيْنَ يَدَيَّ نَفْسًا أَذْنَبْتُ
وَأَتَيْتُ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالْإِقْرَارِ
وَجَعَلْتُ أَسْتُرُ عَنْ سِوَاكَ ذُنُوبَهَا
حَتَّى عَيَّيْتُ ، فَمَنْ لِي بِسْتَارِ !

الخصوصيات

أَبُو عَلِيٍّ

« قَالَ عِنْدَمَا بَشَّرَ بِابْنِهِ عَلِيٍّ شَوْقِي »

صَارَ شَوْقِي أَبَا عَلِيٍّ فِي الزَّمَانِ « التَّرْلِي »
وَجَنَاهَا جَنَابَةً لَيْسَ فِيهَا بِأَوَّلٍ !

الزَّمنُ الأخير

« وقال في ذلك أيضاً

على ، لو استشرت أباك قبلاً فإن الخير حظّ المستشير
إذا لعلّمت أنا في غناء وإن نك من لقائك في سرور
وما ضيقنا بمقدمك المَفدى ولكن جئت في الزَّمن الأخير !

صَاحِبُ عَهْدِهِ

• وقال ايضا •

رُزِقْتُ صَاحِبَ عَهْدِهِ	وَتَمَّ لِي النُّسْلُ بَعْدِي
هُمْ بِحُسْدُونِي عَلَيْهِ	وَيَغِيْطُونِي بِسَعْدِي
وَلَا أَرَانِي وَنَجَلِي	سَنَلْتَقِي عِنْدَ مَجْدِي
وَسَوْفَ بَعْلَمُ بَيْتِي	أَنِّي أَنَا النُّسْلُ وَحْدِي
فِيَا عَلِي ، لَا تَلُمْنِي	فَمَا احْتِقَارُكَ قَصْدِي
وَأَنْتَ مِنِّي كَرُوحِي	وَأَنْتَ مَنْ أَنْتَ عِنْدِي !
فَإِنْ أَسَاءَكَ قَوْلِي	كَذَّبْ أَبَاكَ بِوَعْدِي !

يَا لَيْلَةَ!

« وكانت ولادة بنته أمينة ووفاة والده
في ساعة واحدة ، فقال في ذلك »

يا لَيْلَةَ سَمَّيْتُهَا لَيْلَتِي لأنها بالناس ما مَرَّتِ
أَذْكُرُهَا ، والموتُ في ذِكْرُهَا على سبيلِ الْبَيْتِ وَالْعِبْرَةِ
لِيَعْلَمَ الْغَافِلُ مَا أَمْسَهُ ؟ ما يَوْمُهُ ؟ ما مُنْتَهَى الْعِيشَةِ ؟
نَبَّهَتِ الْمَقْدُورُ فِي جُتْحِهَا وكنتُ بينَ النَّوْمِ وَالْيَقَظَةِ
الموتُ عَجَلَانُ إِلَى وَالِدِي والوَضْعُ مُسْتَعَصٍ عَلَى زَوْجَتِي
هذا فَتَى يُبْكِي عَلَى مِثْلِهِ وهذه في أَوَّلِ النَّشَاةِ
وتلك في مِضْرَ عَلَى حَالِهَا وذلكَ زَهْنُ الْمَوْتِ وَالْغُرْبَةِ
والقلبُ ما بَيْنَهُمَا حَائِرٌ من بَلَدَةٍ أُسْرَى إِلَى بَلَدَةٍ
حَتَّى بَدَا الصُّبْحُ ، فَوَلَّى أَبِي وأَقْبَلْتُ بَعْدَ الْعَنَاءِ أَبْنَتِي
فَقُلْتُ أَحْكَامُكَ حِرْزُنَا إِيَّاها يَا مُخْرَجَ الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ !

أَمِينَة

«وقال حين اكتملت بنته حولا يصفها في هذا العمر»

أَمِينَتِي فِي عَامِهَا الْأَوَّلِ مِثْلُ الْمَلِكِ
صَالِحَةُ لِلْحُبِّ مِنْ كُلِّ ، وَلِتَبْرُكِ
كَمْ خَفَقَ الْقَلْبُ لَهَا عِنْدَ الْبُكَاءِ وَالضَّحِكِ
وَكَمْ رَعَتْهَا الْعَيْنُ فِي السُّكُونِ وَالتَّحَرُّكِ
فَإِنْ مَشَتْ فَخَاطِرِي يَسِيرُهَا كَالْمُنِيرِ
أَلْحَظْهَا كَأَنَّا مِنْ بَصَرِي فِي شَرَكِ
فِيَا جَبِينِ السُّعْدِ لِي وَيَا عُيُونَ الْفَلَكَ
وَيَا بِيَاضَ الْعَيْشِ فِي الْأَيَّامِ ذَاتِ الْحَلَكِ
إِنَّ اللَّيَالِي وَهِيَ لَا تَنْفَكُ حَرْبَ أَهْلِكَ
لَوْ أَنْصَفْتُكَ طِفْلَةً لَكُنْتَ بِنْتُ الْمَلِكِ !

طِفْلَةٌ لَاهِيَةٌ

« وقال يهنئها بسنتها الثانية »

أَمِينَةٌ ، يَا بِنْتِي الْغَالِيَّةُ	أَهْنُوكِ بِالسَّنَةِ الثَّانِيَةِ
وَأَسْأَلُ أَنْ تَسْلَمِي لِي السَّنِينَ	وَأَنْ تُرْزُقِي الْعَقْلَ وَالْعَافِيَةَ
وَأَنْ تُقَسِّمِي لِأَبْرُ الرُّجَالِ	وَأَنْ تَلِدِي الْأَنْفُسَ الْعَالِيَةَ
وَلَكِنْ سَأَلْتُكَ بِالْوَالِدَيْنِ	وَنَاشَدْتُكَ اللَّعْبَ الْغَالِيَةَ
أَتَدْرِينَ مَآمَرٌ مِنْ حَادِثٍ	وَمَا كَانَ فِي السَّنَةِ الْمَاضِيَةِ ؟
وَكَمْ بُلْتُ فِي حُلُلٍ مِنْ حَرِيرٍ	وَكَمْ قَدْ كَسَرْتُ مِنْ الْآتِيَةِ ؟
وَكَمْ سَهَرْتُ فِي رِضَاكِ الْجَفُونَ	وَأَنْتِ عَلَى غَضَبٍ غَافِيَةٍ ؟
وَكَمْ قَدْ خَلْتُ مِنْ أَبِيكَ الْجُيُوبُ	وَلَيْسَتْ جُيُوبُكِ بِالْخَالِيَةِ ؟
وَكَمْ قَدْ شَكَا الْمُرُّ مِنْ عَيْثِهِ	وَأَنْتِ وَحَلَوَاكِ فِي نَاحِيَةٍ ؟
وَكَمْ قَدْ مَرَضْتُ ، فَأَسْقَمْتِهِ	وَقَمْتُ ، فَكُنْتُ لَهُ شَافِيَةٍ ؟
وَيَضْحَكُ إِنْ جِئْتَهُ تَضْحَكِينَ	وَيَبْكِي إِذَا جِئْتَهُ بَاكِئَةٍ !
وَمِنْ عَجَبِ مَرَّتِ الْحَادِثَاتُ	وَأَنْتِ لِأَحَدِثِهَا نَاسِيَةٍ !
فَلَوْ حَسَدَتْ مُهْجَةً وَلَدَهَا	حَسَدْتُكِ مِنْ طِفْلَةٍ لَاهِيَةٍ !

الآنانية

« ونظم هذه الحكاية فيها ونى كلب لها اسود صغير »

يا حَبْدًا أَمِينَةً وَكَلْبُهَا تُجِيهُ جَدًّا كَمَا يُحِبُّهَا
أَمِينَتِي تَحْبُو إِلَى الْحَوْلَيْنِ وَكَلْبُهَا يُتَاهِزُ الشَّهْرَيْنِ
لَكِنَّهَا بَيِّضَاءُ مِثْلُ الْعَاجِ وَعَبْدُهَا أَسْوَدُ كَالدِّيَاجِي
يَلْزَمُهَا نَهَارَهَا وَتَلْزُمُهُ وَمِثْلَمَا يُكْرِمُهَا لَا تُكْرِمُهُ
فَعِنْدَهَا مِنْ شِدَّةِ الْإِشْفَاقِ أَنْ تَأْخُذَ الصَّغِيرَ بِالْخِنَاقِ
فِي كُلِّ سَاعَةٍ لَهُ صِيَاخُ وَقَلَّمَا يَنْعَمُ ، أَوْ يَرْتَاحُ
وَهَذِهِ حَادِثَةٌ لَهَا مَعَهُ تُنْبِيكَ كَيْفَ اسْتَأْثَرَتْ بِالْمَنْفَعَةِ
جَاءَتْ بِهِ إِلَى ذَاتِ مَرَّةٍ تَحْمِلُهُ وَهِيَ بِهِ كَالْبَرَّةِ
فَقُلْتُ : أَهْلًا بِالْعُرُوسِ وَابْنِهَا مَاذَا يَكُونُ يَا ثَرَى مِنْ شَأْنِهَا ؟
قَالَتْ : « غَلَامِي يَا أَبِي جَوْعَانُ وَمَا لَهُ كَمَا لَنَا لِسَانُ
فَمُرَّهُمْوَا يَأْتُوا بِخَبْزٍ وَلَبَنٍ وَيُحْضِرُوا آيِيَّةَ ذَاتِ ثَمَنٍ
فَقُمْتُ كَالْعَادَةِ بِالْمَطْلُوبِ وَجِئْتُهَا أَنْظَرُ مِنْ قَرِيبٍ
فَعَجَّتْ فِي اللَّبَنِ اللَّبَابَا كَمَا تَرَانَا نَطْعِمُ الْكَلَابَا

— ١٠١ —

ثم أرادت أن تلوق قبله فاستطعمت بنت الكرام أكله
هناك ألقت بالصغير للورا واندفعت تبكي بكاء مفترى
تقول : بابا ، أنا (دحا) وهو (كُخ)

معناه : بابا ، لى وحيدى ما طيخ
فقل لمن يجهل خطب الآنية قد فطر الطفل على الأنانية

نُجَبَة

د وقال فيما ينفع امينة من اللعب ، وانصار الى
داس السنة الميلادية الذى يكثر فيه بيومها .

صِغَارٌ بِحُلُوانٍ تَسْتَبْشِرُ ورُؤْيُهَا الفَرْحُ الأَكْبَرُ
تَهْزُ اللُؤَاءَ بَعِيدِ الْمَسِيحِ وتُحْيِيهِ مِنْ حَيْثُ لَا تَشْعُرُ
فَهَذَا يَلْعَبْتَهُ يَزْدَهِي وهذا بِحُلَّتِهِ يَفْخَرُ
وهذا كَقُصْنِ الرُّبَا يَنْتَفِي وهذا كَرِيحِ الصَّبَا يَخْطِرُ
إِذَا اجْتَمَعَ الْكُلُّ فِي بَقْعَةٍ حَسِبْتَهُمُوا بَاقَةً تَزْهَرُ
أَوْ أَفْتَرَقُوا وَاحِدًا وَاحِدًا حَسِبْتَهُمُو لَوْلَا يُنْثَرُ
وَمِنْ عَجَبٍ مِنْهُمْو الْمُسْلِمُونَ أَوْ الْمُسْلِمُونَ هُمْ الأَكْثَرُ
فَلَا سِفَةَ كُلُّهُمْ فِي اتِّفَاقٍ كَمَا اتَّفَقَ الْآلُ وَالْمَعَشَرُ
دَسْمِيرُ شَعْبَانُ عِنْدَ الْجَمِيعِ وَشَعْبَانُ لِلْكَلِّ دِيسْمِيرُ
وَلَا لُغَةً غَيْرَ صَوْتٍ شَجِي كَرَوْضٍ بَلَابُلُهُ تَصْفِيرُ
وَلَا يَزْدَرِي بِالْفَقِيرِ الْغَنَى وَلَا يُنْكَرُ الْأَبْيَضَ الْأَسْمَرُ
فِي أَلَيْتَ شِعْرِي أَضَلَّ الصِّغَارُ أَمْ الْعَقْلُ مَا غَنَهُمْ يُؤْثَرُ؟
سؤال أَقْدَمُهُ لِلْكِبَارِ لَعَلَّ الْكِبَارَ بِهِ أَخْبَرُ

ولى طفلةً جازتِ السَّنتَيْنِ كبعضِ الملائِكِ ، أو أطهرَ
بِعَيْنَيْنِ فى مثل لونِ السماءِ وسنَّينِ يا حَبْدًا الجَوْهرَ !
أَتَتْنِي تَسْأَلْنِي لُغْبَةً لِتَكْسِرَهَا ضِمْنًا ما تَكْسِرُ
فقلتُ لها : أيُّ هذا الملاكُ تحبُّ السَّلامَ ، ولا أنْكِرُ
ولكنَّ قبْلَكَ خابَ المسيحُ وباءَ بمنشوره القَيْصَرُ
فلا تَرْجُ سلْمًا من العالمينَ فإنَّ السِّباعَ كما تُفْطِرُ
وَمَنْ يَعدِمُ الظُّفْرَ بَيْنَ الذَّنابِ فإنَّ الذَّنابَ به تَظْفَرُ !
فإنَّ شِئتَ تحيا حياةَ الكِبَارِ يُؤمِّلُكَ الكلُّ ، أو يحذرُ
فخذْ ، هالكَ (بُنْدُقَةً) نارها سلامٌ عليك إذا تُسْعَرُ
لعلَّكَ تألفُها فى الصُّبا وتخلُفُها كلَّما تكبَرُ
ففيها الحياةُ لمن حازها وفيها السَّعادةُ والمُفَخَّرُ
وفيها السَّلامُ الوطيدُ البناءُ لمن آثرَ السَّلمَ أو يُؤثِرُ
فلوبيلُ مُمِسِكَةٌ موزَّرا ولوبيلُ تُمَسِّكها موزَّر(١)

* * *

أجابَتْ وما التُّطْقُ فى وُسْعِها ولَكِنَّها العَيْنُ قد تُخْبِرُ
تقول : عجيبُ كلامُكَ لى أيا لَشْرًّا يا والِدِي تَأْمُرُ ؟
تَزِينُ لبنتِكَ حبَّ الحروبِ وحُبُّ السَّلامِ بها أَجْدَرُ !
وأنتَ امرؤ لا تُحِبُّ الاذى ولا تَبْتَغِيهِ ، ولا تَأْمُرُ !

(١) لوبيل : اسم تدلُّل به أمينة ، وموزَّر : نوع من البنادق سريع
الطلاق كان له شهرة قبل الحرب الحاضرة .

— ١٠٤ —

فقلتُ : لأمرٍ ضَلَلْتُ السَّبِيلَ وَرُبَّ أَخِي ضَلَّةٍ يُغْدِرُ
فلو جِئَ بالرَّشْلِ في واحدٍ وبالكُتُبِ في صفحةٍ تُنْشَرُ
وبالْأَوَّلِينَ وَمَا قَدَّمُوا وبالْآخِرِينَ وَمَا أَخَّرُوا
لِيَنْهَضَ مَا بَيْنَهُمْ خَاطِبًا على الْعَرْشِ نَصْرًا لَهُ مِنْبَرُ
يَقُولُ : « السَّلَامُ » يُحِبُّ السَّلَامَ وَيُجْرِمُكُمْ عَنْهُ مَا يُجْرِمُ
لَهُمُ الْعِبَادُ فَلَمْ يَسْمَعُوا وَكُفَّتِ الْعِبَادُ فَلَمْ يُبْصِرُوا

زَيْنُ الْمُهْودِ (١)

« وقال وقد قبلها قبلة في الصباح »

يا شِبةَ سَيِّدةِ البُتُو	لو ، وصورةَ الملكِ الطَّهْرُو
نَسَى جمالكِ في الإنا	تِ جمالَ يوسفَ في الذكور
زَيْنُ الْمُهْودِ اليومَ أَنه	مِ ، وفي غدِ زَيْنُ الخُذور
إِنَّ الأَهْلَةَ إن سَرَتْ	سارت على نَهْجِ البُذور
بِأبي جَبِينُ كالصَّبَا	حِ إذا هَيَّأَ للسُّفور
بَقِيَّتْ عليه من الدُّجَى	تلك الخُيُوطُ من الشُّعور
وكرائمُ من لَوَلُو	زَيْنُ مَرْجَانِ النُّحُور
سبحانَ مُؤَيَّيها يَتَا	نِمْ في المَرَّاشِف ، والثُّغُور
تَسْقَى وتُسْقَى من لُعا	بِ النُّحْلِ ، أو طَلَّ الزُّهور
وكانَ نَفْحَ الطَّيِّبِ حو	لَ نَضِيدِها أنفاسُ حُور
وغريبةٌ فوقَ الخُلو	دِ ، بديعةٌ من وَرْدِ جُور
صفراءُ عند رَواحِها	حمراءُ في وقتِ البُكور
قُلَّتْها وشَمَمَتْها	وسقِيَتْها دَمْعُ السُّرُور

(١) زبدت في هذه الطعمة الثانية

أَوَّلُ خَطْوَةٍ

« وقال يذكر دخول ولده على في السنة الثانية من عمره »

هذِهِ أَوَّلُ خَطْوَةٍ هَذِهِ أَوَّلُ كَبْوَةٍ
فِي طَرِيقِ لَيْلٍ عَنْهُ لَوْ يَعْقِلُ غُنْوَةً (١)
يَأْخُذُ الْعِيشَةَ فِيهِ مَرَّةً آتَا ، وَحُلُوهُ
يَا عَلِيَّ إِن أَنْتَ أَوْفِي تَ عَلَى سِنِّ الْفُتُوهِ
دَافِعِ النَّاسَ ، وَزَاجِمِ وَخُذِ الْعِيشَ بِقُوهِ
لَا تَقُلْ : كَانَ أَبِي ! إِيْسَاكَ أَنْ تَحْنُوَ حَلْوَهُ !
أَنَا لَمْ أَغْنَمْ مِنَ النَّاسِ سِوَى فَنَاجَانِ قَهْوِهِ
أَنَا لَمْ أَجْزَ عَنِ الْمَدِّحِ مِنَ الْأَمْلاكِ فَرَوِهِ !
أَنَا لَمْ أَجْزَ عَنِ الْكُتُبِ مِنَ الْقُرَاءِ حُطْوِهِ !
ضَيَّعَ الْكُلَّ حَيَاتِي وَعَفَا ، وَالْمُرُوءَ !

(١) الفنوة . الغنى ، يقول : هو في غنى عن سلوك طريقى .

يَوْمُ فِرَاقِهِ

« وقال وقد بكى طفلاً وتشبها به الا يخرج »

بكيا لأجل خُروجه في زَوْرَةٍ
يا لَيْتَ شِعْرِي . كيف يومُ فِرَاقِهِ ١٩
لو كان يَسْمَعُ يَوْمَذاك بُكَاهُمَا
رُدَّتْ إِلَيْهِ الرُّوحُ من إشفاقه

مَظْلُوم

• وكتب الى عزيزه وظهره صاحب المظوفة المرحوم احمد
مظلوم باشا من باريز . يهنئه بالانشان الجيدى الاول .

أَقْسَمْتُ لَوْ أَمَرَ الزَّمَانُ سَهَابَهُ
فَسَعَتْ لِصَدْرِكَ شَمْسُهَا وَنُجُومُهَا
لِبُنْيَلٍ قَدَرَكِ فِي الْمَعَالَى حَقَّهُ
شَكَتِ الْمَعَالَى أَنَّهُ مَظْلُومُهَا

— ١٠٩ —

سَرَّنَا أَنْكَ ارْتَقَيْتِ

« وبعث من باريس بهذا التاريخ الى صاحب
!السعادة محمود شكرى باشا بهننه برتبة المتمايز .

ياعزيزاً لنا عصر عِلْمنا أنه بالرُّضَا الخليويِّ فائِز
سَرَّنَا أَنْكَ ارْتَقَيْتِ وترقى فكأنَّا نحوزُ ما أَنْتَ حائِز
رُتْبَةُ أَلْسُنُ الْعُلَا أرختها أَنْتَ محمودُ في الْعُلَا الْمُتَمَايِز

١٩٠٣

بَلَّغْتَنِي أَمَلًا

« وقال يشكر مساجب المعطوفة المرحسوم
احمد مظلوم باشا على معروف صنعه معه »

ذِي هَمَّةٍ دُونَهَا فِي شَأْوِهَا الْهِمَمُ لَمْ تَتَّخِذْ «لَا»، وَلَمْ تَكْذِبْ لَهَا «نَعَمْ»
بَلَّغْتَنِي أَمَلًا مَا كُنْتُ بِالْفَهْمِ لَوْلَا وَفَاؤُكَ - يَا مَظْلُومٌ - وَالكَرَمُ
وَدَاذُكَ الْعِزُّ وَالنَّعْمَى لَخَاطِبِهِ وَوُدُّ غَيْرِكَ ضَحَكَ السُّنَّ، وَالكَأَمُ
أَكَلَمَا قَعَدْتُ بِكَ عَنْكَ مَعْدَرَةٌ مَشَتْ إِلَى الْأَيَادِي مِنْكَ وَالنَّعْمُ
تُجِلُّ فِي قَلَمِ الْأَوْطَانِ حَامِلُهُ فَكَيْفَ يَصْبِرُ عَنْ إِجْلَالِكَ الْقَلَمُ ؟

أَصِيبَ الْمَجْدُ يَوْمَ أَصِيبَتْ

وكتب ال صديقه المفضل سعادة المرحوم اسماعيل
ناشا صبرى يهنئه بالسلامة . على اثر حادثة فى القطار .

انتفى الصحفُ عنك مُخَبَّرَاتِ بِحَادِثَةٍ وَلَا كَالْحَادِثَاتِ
بِخَطْبِكَ فى القِطَارِ أَبَا حُسَيْنٍ وَلَيْسَ مِنَ الْخُطُوبِ الْهَيْذَاتِ
أَصِيبَ الْمَجْدُ يَوْمَ أَصِيبَتْ فِيهِ وَلَمْ تَخُلْ الْفَضِيلَةُ مِنْ شَكَاةِ
وَسَاءِ النَّاسِ أَنْ كَبِتِ الْمَعَالَى وَأَزْعَجَهُمْ عِثَارُ الْمَكْرُمَاتِ
وَلَسْتُ بِنَاسِ الْآدَابِ لَمَّا تَرَاخَتْ رَبُّهَا مُتَلَهِّفَاتِ
وَكَانَ الشُّعْرُ أَجْزَعَهَا فُؤَادًا وَأَحْرَصَهَا لَدَيْكَ عَلَى حَيَاةِ
هَجَرْتَ الْقَوْلَ أَيَّامًا قِصَارًا فَكَانَتْ فِتْرَةً لِلْمُعْجَزَاتِ
وَأَنْ لِيَالِيَا أَمْسَكَتَ فِيهَا لِسُودَ اللَّيْرَاعِ وَلِللَّوَاةِ
فَقُلْ لِي عَنْ رُضْوَيْكَ : كَيْفَ أَمْسَتْ ؟ فَقَلْبِي فِي رُضْوَيْهِ مُؤَلِّمَاتِ
وَهَبْ لِي مِنْكَ خَطًّا أَوْ رَسُولًا يُبَلِّغُ عَنْكَ كُلَّ الطَّيِّبَاتِ

سألتك بالوداد

• وكتب الى سعادته منهته بتميينه وكيلا لنظارة الحفانية •

سألتك بالوداد أبا حسين وبالذمم السوالف والعهود
وحب كامن لك في فؤادي وآخر في فؤادك لي أكيد
أحق أن مطوي الليالي سينشربين (أحمد) و (الوليد)؟ (١)
وأن مناهلاً كنا لديها ستدنو للتائس والورود ؟
قدومك في رقيق في نصبي سعود في سعود في سعود
وقدت على ربوعك غيب نأي وكنت البذر مأمول الوفود
لئن رفعلك منزلة فاعلى لقد خلقت الأهلة للصعود
واقسم ما لرفعتك أنتها ولا فيها احتمال للمزيد

(١) أحمد والوليد : المتنبي والبحتري .

أَهْنَأُ أَخِي

• وكتب الى صديقه الفاضل صاحب العسرة
حسرة بك فهمي يهنئه برتبة التمايز الرفيعة :

قالوا « تمايز » حمزة فلت : « التمايز » من قديم
لو لم يميزوه بها لامتاز بالخلق العظيم
رتب كرائم في العلا وجهن منك إلى كريم
فاهنأ أخى بوفودها وتلق تهنئة الحميم
وارق المنازل كلها حتى تُنيف على النجوم

يَا نَصِيب

« وقال يعاقب صديقه الشاعر خليل
بك مطران ، وقد جهاده إنه ربح ربحا »

لقد وافقني البشري وأنشئتُ ما سرّاً
وقالوا عنك لي أميس ربحت النمرة الكبرى
فيا مطران ، ما أولى ويا مطران ، ما أخرى
لقد أقبلت الدنيا فلا تجزع على الأخرى
أخذت الصفر باليمنى وكان الصفر باليسرى
وكانت فضة بيضا فصارت ذهباً صفرا
وقال البعض : ألقين وقالوا : فوق ذا قدراً

— ١١٥ —

الْمَدَامَةُ

(وقال من بعض شيعراء الترك)

كُنْ في التواضعِ كالمُدا
مَةِ حينَ نُجَلَى في الكُثُوسِ
مَشَتْ اتِّشَادًا في الصُّدُ
فَحَكِّمُوهَا في الرُّؤُوسِ

تاريخ

وقال يورخ ديوانه الاول - الشوقيات -
وقد صدر في سنة ١٣١٧ هـ :

وَجَنَّاتٍ مِنْ الْأَشْعَارِ فِيهَا
جَنِّي لِلْمَجْتَنِّي مِنْ كُلِّ ذَوْقٍ
تَأْمَلْكُمْ تَمَنُّوْهَا وَأَرْخُ
لِشَوْقِيَّاتٍ : أَحْمَدَ أَيُّ شَوْقٍ

١٣١٧

أَلَيْقُ دِيوَانِ ظَهَرَ

« قال بؤرخ الشمويات أيضا »

مَجْمُوعَةٌ لِأَحْمَدِ مُعْجَزُهُ فِيهَا بَهَرٌ
تُعَدُّ فِي تَارِيخِهَا أَلَيْقُ دِيوَانِ ظَهَرَ

١٣١٧

الحكايات

أَنْتَ وَأَنَا

كان عظيمَ الجسمِ هَمَشَرِيًّا	بِحُكُونٍ أَنْ رَجُلًا كُرْدِيًّا
بكَثْرَةِ السُّلَاحِ فِي الْجُيُوبِ	وَكَانَ يُلْقِي الرُّعْبَ فِي الْقُلُوبِ
وَيُرْعِبُ الْكِبَارَ ، وَالصَّغَارَا	وَيُفْزِعُ الْيَهُودَ ، وَالتَّنَّصَارَى
يَصِيحُ بِالنَّاسِ : أَنَا ؟ أَنَا ! أَنَا !	وَكَلَّمَا مَرَّ هُنَاكَ وَهُنَا
صَغِيرِ جِسْمٍ ، بَطْلٍ ، قَوِيٍّ	نَحْنَى حَدِيثُهُ إِلَى صَبِيٍّ
وَلَيْسَ يَمْنُنُ يَدْعُونَ الْقُوَّةَ	لَا يَعْرِفُ النَّاسُ لَهُ الْفُتُوَّةَ
فَتَعْلَمُونَ صِدْقَهُ مِنْ كِذْبِهِ	فَقَالَ لِلْقَوْمِ : سَأُذَرِّبُكُمْ بِهِ
وَالنَّاسُ مِمَّا سَيَكُونُ فِي وَجَلٍ	وَسَارَ نَحْوَ الْهَمَشَرِيِّ فِي عَجَلٍ
بِضَرْبَةٍ كَادَتْ تَكُونُ الْقَاضِيَةَ	وَمَدَّ نَحْوَهُ يَمِينًا قَاسِيَةَ
وَلَا أَنْتَهَى عَنْ زَعَمِهِ ، وَلَا تَرَكَ	فَلَمْ يُحَرِّكْ سَاكِنًا ، وَلَا أَرْتَبَكَ
الآنَ صرنا اثنين : أَنْتَ وَأَنَا	بَلْ قَالَ لِلْغَالِبِ قَوْلًا لَيْنًا

نَدِيمُ الْبَاذِنَجَانِ

كان لسلطانٍ نديمٌ وافي
وقد يزيدُ في الثنا عليه
وكان مَولاهُ يرى ، ويعلمُ
فجلسا يوماً على الخِوانِ
فأكل السلطانُ منه ما أكلُ
قال النديمُ : صدقَ السلطانُ
هذا الذي غنى به «الرئيس» (١)
يذهبُ ألفَ عِلَّةٍ وعِلَّةٍ
قال : ولكنْ عنده مراره
قال : نعم ، مُرٌّ ، وهذا عَيْبُهُ
هذا الذي مات به «بُقراطُ»
فالتفتَ السلطانُ فيمنَ حوله
قال النديمُ : يأمليكَ الناسُ
جعلتُ كمنِ أنادِمَ السلطانا

يُعيدُ ما قال بِلَا اختلافٍ
إذا رأى شيئاً حَلًا لديه
ويسمعُ التَّمليقَ ، لكنْ يَكْتُمُ
وجيءٌ في الأكلِ بباذِنجانِ
وقال : هذا في المذاقِ كالعسلِ
لا يستوى شُهدُ وباذِنجانِ
وقال فيه الشَّعرُ «جالينوسُ»
ويُبردُ الصَّدْرَ ، ويُشفي الغَلَّةَ
وما حَمَدْتُ مرَّةً آثارَهُ
مُدُّ كُنْتُ يامولاي لا أحيهُ
وسمُّ في الكأسِ به «سُقراطُ»
وقال : كيف تجدون قولَهُ ؟
عُذراً ، فما في فعلتي من باسٍ
ولم أنادِمَ قَطُّ باذِنجانا

(١) الرئيس : ابن سينا .

ضِيَاةٌ قُطَّةٌ (١)

لستُ بناسٍ ليلةً من رَمَضانَ مرَّتْ
تطاوَلتْ مثلَ ليا لي القطبِ ، واكفهرتِ
إِذْ انفلتْ من سُحو رى ، فدَخلتْ حُجركى
أنظُرُ في ديوانِ شِعـرٍ ، أو كتابِ سيرةٍ
فلم يرُعنى غيرُ صو تِ كمُواءِ الهرةِ
فقمْتُ ألقى السَّعْ في السُّورِ ، والأسيرةِ
حتى ظفِرتُ بالي على قد تجرَّتْ
فمُدَّ بدت لي ، والتقتْ نَظَرُتْها ونظركى
عاد رَمادُ لَحْظِها مثلَ بَصيصِ الجَمرةِ
وردَدَتْ فجيحَها كَحَشِرٍ بِقَفرةِ
وليسَتْ لي من ورا السَّـرِ جِلْدَ النَمرةِ
كرَّتْ ، ولكن كالجبا في قاعدًا ، وفَرَّتْ
وانتفضتْ شوارِباً عن مثلي بيتِ الإبرةِ
ورفعتْ كفاً ، وشا لت ذنباً كالمذرةِ

— ١٢٣ —

ثم ارتقت عن المُوا اء ، فَعَوْتُ ، وَهَرْتُ
لم أَجْزِها بِشِرَّةٍ عن غضبٍ وَشِرَّةٍ
ولا غَبِيتُ ضَعْفَهَا ولا نَسِيتُ قُدْرَتِي
ولا رَأَيْتُ غَيْرَ أُمٍّ بالبنينَ بَرَّةٍ
رَأَيْتُ ما يَعْطِفُ نَفْءُ سَ شاعرٍ من صورة
رَأَيْتُ جِدَّ الأُمِّها تِ في بناءِ الأُسرةِ
فلم أَزَلْ حَتَّى اطمَأَنَّ جأشُها ، وَقَرْتُ
أَتَيْتُها بِشَرِيَّةٍ وجئتُها بِكِسرةِ
وَصُنْتُها من جانِبِي مَرَقَدِها بِسُتْرِي
وزِدْتُها الدَّفءَ ، فَقَرَّ بَتُّ لها مِجْمَرِي
ولو وجدتُ مِصِيدًا لَجِئْتُها بِفأْرَةٍ
فاضْطَجَعْتُ تحتَ ظِلِّها لِالأَمْنِ واسْبَطْتُ
وقَرَأْتُ أَوْرادَها وما دَرْتُ ما قَرْتُ
وسَرَحَ الصَّغارُ في ثُدِيِّها ، فَدَرْتُ
غُرَّ نِجومٍ تُسَبِّحُ في جَنَباتِ السُّرَّةِ
اِخلَطُوا ، وَعَاشُوا كالْعَمَى حَوْلَ سُفرةِ

— ١٢٤ —

نَحْسِبُهُمْ ضَفَادِعًا أَرْسَلْتَهَا فِي جَرَّةٍ
وَقُلْتُ : لَا بَأْسَ عَلَى طِفْلِكَ يَا جُوَيْرِي
تَخْفَضُ عَنْ خَمْسَةٍ إِنْ شِئْتَ ، أَوْ عَنْ عَشْرَةٍ
أَنْتِ وَأَوْلَادُكِ حَتَّى يَكْبُرُوا فِي خُفْرَتِي

الصِّيَادُ وَالْعُصْفُورَةُ (١)

صارت لبعض الزاهدين صوره	حكاية الصياد والعصفوره
ولا أرادوا أولياء الحق	ما هزموها فيها بمستحق
كم لاعب في الزاهدين لاه	ما كل أهل الزهد أهل الله
والشعر للحكمة مذك كان وطن	جعلتها شعراً لتلفت الفطن
ما نطقته السن التجريب	وخير ما ينظم للأديب

* * *

وكل من فوق الثرى صياد	ألقى غلام شركا يصطاد
لم ينهها النهى، ولا الحزم زجر	فانحدرت عصفورة من الشجر
قال : على العصفورة السلام	قالت : سلام أيها الغلام
قال : حنتها كثرة الصلاة	قالت : صبي منحنى القنطرة ؟ !
قال : برتتها كثرة الصيام	قالت : أراك بادى العظام !
قال : لباس الزاهد الموصوف	قالت : فما يكون هذا الصوف ؟
فأبن عبيد والفضيل فيه	سلي إذا جهلت عارفيه
قال : ليهاتيك العصا سليله	قالت : فما هذى العصا الطويلة ؟
ولا أرد الناس عن تبرك	أهش في المرعى بها ، وأتكى

(١) زيدت في هذه الطبعة الثانية

قالت: أرى فوق التراب حبًّا	مما اشتهى الطيرُ ، وما أحبًّا
قال: تشبَّهْتُ بأهل الخيرِ	وقلت أقرى بآسائِ الطيرِ
فإنْ هَدَى اللهُ إليه جاععا	لم يَكْ قربانى القليلُ ضائعاً
قالت: فجدلى يا أخا التنسكِ	قال: ألقطيه . بآرك الله لكِ
فصلَّيتُ فى الفخِّ نار القارى	ومَصْرَعُ العصفورِ فى المنقارِ
وهتفتُ نقول للأغرابِ	مقالةً العارفِ بالأسرار :
«إياكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِالزُّهَادِ	كم تَحْتَ ثوبِ الزُّهْدِ من صيادٍ»

الْبَلَابِلُ الَّتِي رَبَّاهَا النَّبِيُّ

أُنبِئْتُ أَنَّ سُلَيْمَانَ الزَّمَانِ وَمَنْ	أَصْبَى الطَّيُورَ ، فَنَاجَتْهُ ، وَنَاجَاهَا
أَعْطَى بَلَابِلُهُ يَوْمًا - يُؤَدِّبُهَا	لِحَرَمَةٍ عِنْدَهُ - لِلْيَوْمِ - يَرْعَاهَا
وَاشْتَقَّ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ رُؤْيَتَهَا	فَأَقْبَلَتْ وَهِيَ أَغْصَى الطَّيْرِ أَفْوَاهَا
أَصَابَهَا الْعَيْ ، حَتَّى لَا اقْتِدَارَ لَهَا	بِأَنَّ تَبُّثَ نَبِيِّ اللَّهِ شَكَاوَاهَا
فَنَالَ سَيِّدَهَا مِنْ دَائِهَا غَضَبٌ	وَوَدَّ لَوْ أَنَّهُ بِالدَّبْحِ دَاوَاهَا
فَجَاءَهُ الْهَيْهْدُ الْمَعْهُودُ مُعْتَذِرًا	عَنْهَا ، يَقُولُ لِمَوْلَاهُ وَمَوْلَاهَا
بَلَابِلُ اللَّهِ لَمْ تَخْرُسْ ، وَلَا وَلِدَتْ	خُرْسًا ، وَلَكِنَّ يَوْمَ الشُّؤْمِ رَبَّاهَا

الدِّيكُ الْهِنْدِيُّ وَالِدَّجَاجُ الْبَلْدِيُّ

بَيْنَا ضِعَافٌ مِنْ دَجَاجِ الرِّيفِ تَخْطِرُ فِي بَيْتٍ لَهَا طَرِيفٌ
إِذَا جَاءَهَا هِنْدِيٌّ كَبِيرُ الْعُرْفِ فَقَامَ فِي الْبَابِ قِيَامَ الضَّيْفِ
يَقُولُ: حَيَّا اللَّهَ ذِي الْوُجُوها وَلَا أَرَاهَا أَبَدًا مَكْرُوهَا
أَتَيْتُكُمْ أَنْشُرُ فِيكُمْ فَضْلِي يَوْمًا ، وَأَقْضِي بَيْنَكُمْ بِالْعَدْلِ
وَكُلُّ مَا عِنْدَكُمْ حَرَامٌ عَلَيَّ ، إِلَّا الْمَاءُ ، وَالْمَنَامُ
فَعَاوَدَ الدَّجَاجُ دَائِمَ الطَّيِّبِشِ وَفَتَحَتْ لِلْعَلَجِ بَابَ الْعُشِّ
فَجَالَ فِيهِ جَوْلَةً الْمَلِكِ يَدْعُو لِكُلِّ فَرْخَةٍ وَدِيكٍ
وَبَاتَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ السَّعِيدَةَ مُتَمَعًا بِدَارِهِ الْجَدِيدَةِ
وَبَاتَتِ الدَّجَاجُ فِي أَمَانٍ تَحْلُمُ بِالذَّلَّةِ وَالْهَوَانِ
حَتَّى إِذَا تَهَلَّلَ الصَّبَاحُ وَاقْتَبَسَتْ مِنْ نُورِهِ الْأَشْبَاحُ
صَاحَ بِهَا صَاحِبُهَا الْفَصِيحُ يَقُولُ: دَامَ مَنْزِلِي الْمَلِيحُ !
فَانْتَبَهَتْ مِنْ نَوْمِهَا الْمَشْثُومِ مَذْعُورَةً مِنْ صَبِيحَةِ الْغَشُومِ
تَقُولُ: مَا تِلْكَ الشُّرُوطَ بَيْنَنَا غَدَرْتَنَا وَاللَّهُ غَدْرًا بَيْنَنَا !
فَضَحِكَ الْهِنْدِيُّ حَتَّى اسْتَلْقَى وَقَالَ: مَا هَذَا الْعَمَى يَا حَقْمَقُ !
مَنْ مَلَكَتُمْ أَلْسِنَ الْأَرْيَابِ ؟ قَدْ كَانَ هَذَا قَبْلَ فَتْحِ الْبَابِ !

العُصْفُورُ وَالْغَدِيرُ الْمَهْجُورُ

أَلَمْ عَصْفُورٌ بِمَجْرَى صَافٍ يَسْبِقُ الثَّرَى مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي الثَّرَى
فَاغْتَرَفَ الْعَصْفُورُ مِنْ إِحْسَانِهِ فَقَالَ : يَا نَوْرَ عَيْونِ الْأَرْضِ
هَلْ لَكَ فِي أَنْ أَرْشِدَ الْإِنْسَانَ فَيَنْظُرَ الْخَيْرَ الَّذِي نَظَرْتُ
لَعَلَّ أَنْ تُشْهَرَ بِالْجَمِيلِ فَالْتَفَتَ الْغَدِيرُ لِلْعَصْفُورِ
يَا أَيُّهَا الشَّاكِرُ دُونَ الْعَالَمِ النَّيْلُ - فَاسْمَعْ ، وَافْقَه - الْحَدِيثُ -
مَنْ طُولٍ مَا أَبْصَرَهُ النَّاسُ نُسِي وَهَكَذَا الْعَهْدُ بِوُدِّ النَّاسِ
وَقَدْ عَرَفْتَ حَالِي ، وَضِدَّهَا إِنْ خَفِيَ النَّافِعُ فَالنَّفْعُ ظَهَرَ

قَدْ غَابَ تَحْتَ الْغَابِ فِي الْأَلْفِافِ خَشْيَةً أَنْ يُسْمَعَ عَنْهُ ، أَوْ يُرَى
وَحَرَّكَ الصَّنِيعُ مِنْ لِسَانِهِ وَمُخْجَلُ الْكَوْثَرِ يَوْمَ الْعَرْضِ
لَيَعْرِفَ الْمَكَانَ وَالْإِمْكَانَ ؟ وَيَشْكُرَ الْفَضْلَ كَمَا شَكَرْتُ ؟
وَتُنْسِيَ النَّاسَ حَدِيثَ النَّيْلِ ؟ وَقَالَ يُهْدِي مُهْجَةً الْمَعْرُورِ
أَمَّاكَ اللَّهُ يَدَ ابْنِ آدَمَ - يُعْطَى ، وَلَكِنْ يَأْخُذُ الْخَبِيثَا
وَصَارَ كُلُّ الذِّكْرِ لِلْمَهْنَدِسِ وَقِيْعَةُ الْمَحْسِنِ عِنْدَ النَّاسِ
فَقُلْ لِمَنْ يَسْأَلُ عَنِّي بَعْدَهَا يَا مَسْعُومَ صَافِي ، وَصُوفِي ، وَاسْتَرَا !

الْأَفْعَى النِّيلِيَّةُ وَالْعَقْرَبَةُ الْهِنْدِيَّةُ

وهلِّدِ واقعةً مُستغربةً	في هَوَسِ الأفْعَى ونُخبِثِ العَقْرَبَةَ
رَأَيْتُ أَفْعَى مِنْ بَنَاتِ النِّيلِ	مُعْجَبَةً بِقَدِّهَا الْجَمِيلِ
تَحْتَقِرُ النَّصْحَ ، وَتَجْفُو النَّاصِحَا	وَتَدَّعَى الْعَقْلَ الْكَبِيرَ الرَّاجِحَا
عَنْتُ لَهَا رَبِيبَةَ السَّبَاخِ	تَحْوِيلُ وَزْنَيْهَا مِنَ الْأَوْسَاخِ
فَحَسِبْتُهَا - وَالْحِسَابُ يُجَدَى -	سَاحِرَةً مِنْ سَاحِرَاتِ الْهِنْدِ
فَانْخَرَطْتُ مِثْلَ الْحُسَامِ الْوَالِجِ	وَانْدَفَعْتُ تِلْكَ كَسْهُمْ زَالِجِ
حَتَّى إِذَا مَا أَبْلَغَتْهَا جُحْرَهَا	دَارَتْ عَلَيْهِ كَالسُّوَارِ دَوْرَهَا
تَقُولُ : يَا أُمَّ الْعَمَى وَالطَّيْشِ	أَيْنَ الْفِرَارُ يَا عَدُوَّ الْعَيْشِ ؟
إِنْ تَلْجِي فَاَلْمَوْتُ فِي الْوَلُوجِ	أَوْ تَخْرُجِي فَالْهَلَكُ فِي الْخُرُوجِ
فَسَكَنْتُ طَرِيدَةً الْبُيُوتِ	وَاجْتَرْتُ الْأَفْعَى بِذَا السَّكُوتِ
وَهَجَعْتُ عَلَى الطَّرِيقِ هَجْعَةً	فَخَرَجْتُ ضَرْئُهَا بِشُرْعَةٍ
وَنَهَضْتُ فِي ذِرْوَةِ الدِّمَاغِ	وَاسْتَرْسَلْتُ فِي مُؤْلِمِ الثَّلَاغِ
فَانْتَبَهَتْ كَالْحَالِمِ الْمَذْعُورِ	تَصِيحُ بِالْوَيْلِ ، وَبِالْثُّبُورِ
حَتَّى وَهَتَّ مِنَ الْفَتَاةِ الْقَوَّةِ	فَنَزَلَتْ عَنْ رَأْسِهَا الْعُلُوءَةُ

— ١٣١ —

تقول : صبراً للبلاء ، صبرا وإن وجدتِ قسوةً فعُدرا
فرأسك الداء ، وذا الدواء وهكذا فلتُرْكَبُ الأعداء
من مَلَكِ الخَصَمِ ونامَ عنه يُضْبِحُ يَلْقَى ما لقيت منه
لولا الذى أبصرَ أهلُ التجَرِبةِ مِنى لما سُموا الخبيثَ عقرِبة

السُّلُوقِيُّ وَالْجَوَادُ

قال السُّلُوقِيَّ مرَّةً للجَوَادِ وهو إلى الصَّيْدِ مَسُوقُ الْقِيَادِ
بِاللهِ قُلْ لِي يَارْفِيقَ الهِنَا فَأَنْتَ تَذَرِي لِي الْوَفَا فِي الْوِدَادِ
أَلَسْتَ أَهْلَ الْبَيْدِ ، أَهْلَ الْفَلَا أَهْلَ السُّرَى وَالسَّيْرِ ، أَهْلَ الْجِهَادِ ؟
أَلَمْ تَكُنْ رَبُّ الصِّفَاتِ الَّتِي هَامَ بِهَا الشَّاعِرُ فِي كُلِّ وَادِ ؟
قال : بَلَى ، كُلُّ الَّذِي قَلَّتْهُ أَنَا بِهِ الْمَشْهُورُ بَيْنَ الْعِبَادِ
قال : فَمَا بِأَلْكَ يَا صَاحِبِي إِذَا دَعَا الصَّيْدُ ، وَجَدَّ الطَّرَادِ
تَشْكُو ، فَتُشْكِيكَ عَصَا سَيِّدِي إِنَّ الْعَصَا مَا خُلِقَتْ لِلْجَوَادِ
وَتَنْشِي فِي عَرَقٍ سَائِلٍ مُنْكَسَ الرَّأْسِ ، ضُشِيلَ الْفُؤَادِ
وَذَا السُّلُوقِيَّ أَبَدًا صَابِرٌ يَنْقَادُ لِلْمَالِكِ أَيْ انْقِيَادًا ؟
فقال : مَهْلًا يَا كَبِيرَ الثُّهَى مَا هُكَذَا أَنْظَارُ أَهْلِ الرَّشَادِ
السُّرُّ فِي الطَّيْرِ وَفِي الْوَحْشِ لَا فِي عَظَمِ سَيْقَانِكَ يَا ذَا السَّدَادِ
مَا الرَّجُلُ إِلَّا حَيْثُ كَانَ الْهَوَى إِنَّ الْبُطُونَ قَادِرَاتُ شِدَادِ
أَمَّا تَرَى الطَّيْرَ عَلَى ضَعْفِهَا تَطْوِي إِلَى الْحَبِّ مِثَاتَ الْبِلَادِ ؟

فَارُّ الْغَيْطِ وَفَارُّ الْبَيْتِ .

يُقَالُ : كَانَتْ فَارَّةُ الْغَيْطَانِ
قَدْ سَمَتْ الْأَكْبَرَ نُورَ الْغَيْطِ:
فَعَرَفَ الْغِيَاضَ وَالْمُرُوجَا
وَصَارَ فِي الْحِرْفَةِ كَالْآبَاءِ
وَأَتَعَبَ الصَّغِيرُ قَلْبَ الْأُمِّ
فَقَالَ سَمِّنِي بِنُورِ الْقَصْرِ
إِنِّي أَرَى مَا لَمْ يَرِ الشَّقِيقُ
لَأَدْخُلَنَّ الدَّارَ بَعْدَ الدَّارِ
لَعَلَّنِي إِنْ ثَبَتَتْ أَقْدَامِي
أَتِيَكُمَا بِمَا أَرَى فِي الْبَيْتِ
فَعَطَفَتْ عَلَى الصَّغِيرِ أُمُّهُ
تَقُولُ : إِنِّي - يَاقَتِيلَ الْقَوْتِ -
كَانَ أَبُوكَ قَدْ رَأَى الْفَلَاحَا
فَاعْمَلْ بِمَا أَوْصَى تُرِيحَ جَنَانِي
فَاسْتَضَحَكَ الْفَارُّ . وَهَزَّ الْكَتِفَا
ثُمَّ مَضَى لِيَا عَلَيْهِ صَمَمَا
فَكَانَ يَأْتِي كُلَّ يَوْمٍ جُمُعَةً
تَتِيَهُ بِابْنَيْهَا عَلَى الْفِيرَانِ !
وَعَلَّمَتْهُ الْمَشَى فَوْقَ الْخَيْطِ .
وَأَتَقَنَ الدُّخُولَ وَالْخُرُوجَا
وَعَاشَ كَالْفَلَاحِ فِي هِنَاءِ
بِالْكِبَرِ ، فَاحْتَارَتْ بِمَا تُسَمَّى
لَأَنَّنِي - يَا أُمُّ - فَارُّ الْعَصْرِ
فَلِي طَرِيقٌ ، وَلَهُ طَرِيقُ
وَثْبًا مِنَ الرَّفِّ إِلَى الْكَرَارِ
وَنَلْتُ - يَا كُلَّ الْمَنَى - مَرَامِي
مِنْ عَسَلٍ ، أَوْ جُبْنَةٍ ، أَوْ زَيْتِ
وَأَقْبَلْتُ مِنْ وَجْدِهَا تَفْضُئَةً
أَخَذَنِي عَلَيْكَ ظُلْمَةُ الْبُيُوتِ
فِي أَنْ تَكُونَ مِثْلَهُ فَلَاحَا
أَوَّلَا ، فَيَسِرْ فِي ذِمَّةِ الرَّحْمَنِ
وَقَالَ : مَنْ قَالَ بِذَا قَدْ خَرِفَا
وَعَاهَدَ الْأُمُّ عَلَى أَنْ تَكْتُمَا
وَجُبْنَةً فِي فَمِهِ ، أَوْ شَمْعَةً

— ١٣٤ —

حتى مَضَى الشهرُ ، وجاءَ الشهرُ وعُرفَ اللَّصُّ ، وشاعَ الأمرُ
فجاءَ يوماً أمُّه مُضْطَرِباً فسألته : أينَ خَلَى الذَّنْبَا ؟
فقال : لَيْسَ بِالْفَقِيدِ مِنْ عَجَبٍ في الشَّهِيدِ قَدْ غَاصَ ، وفي الشَّهِيدِ ذَهَبَ
وجاءها ثَانِيَةً في حَجَلٍ منها يُدَارَى فَقَدْ إِحْدَى الْأَرْجُلَ
فقال : رَفُّ لَمْ أَصِبْهُ عَالِي صَبْرَتِي أَعْرَجَ في المعالي
وكانَ في الثَّالِثَةِ ابْنُ الْفَارَةِ قد أَخْلَفَ الْعَادَةَ في الزِّيَارَةِ
فاشْتَغَلَ الْقَلْبُ عَلَيْهِ ، واشتعلَ وسارتِ الْأُمُّ لَهُ على عَجَلٍ
فصادَفْتَهُ في الطَّرِيقِ مُلْقَى قد سَحِقَتْ مِنْهُ الْعِظَامُ سَحَقًا
فناحتِ الْأُمُّ ، وصاحتُ : وَاها ! إنَّ المعالي قَتَلَتْ فتاها !

مَلِكُ الْغُرَبَانِ وَنُدُورُ الْخَادِمِ

كَانَ لِلْغُرَبَانِ فِي الْعَصْرِ مَلِيكَ
فِيهِ كُرْسِيٌّ ، وَخِذْرٌ ، وَمُهَوِّدٌ
جَاءَهُ يَوْمًا نُدُورُ الْخَادِمِ
قَالَ : يَا فَرَعَ الْمُلُوكِ الصَّالِحِينَ
سُوسَةٌ كَانَتْ عَلَى الْقَصْرِ تَدُورُ
فَابْعَثْ الْغُرَبَانَ فِي إِهْلَاكِهَا
ضَحَكَ السُّلْطَانُ مِنْ هَذَا الْمَقَالِ
أَنَا رَبُّ الشُّوَكَةِ الضَّافِي الْجَنَاحِ
« أَنَا لَا أَنْظَرُ فِي هَذِي الْأُمُورِ »
ثُمَّ لَمَّا كَانَ عَامٌ بَعْدَ عَامٍ
وَإِذَا النُّخْلَةُ أَقْوَى جِذْعُهَا
فَهَوَّتْ لِلْأَرْضِ كَالْتَّلِّ الْكَبِيرِ
فَدَهَا السُّلْطَانُ ذَا الْخَطْبِ الْمَهُولِ
يَأْنُدُورُ الْخَيْرِ ، أَسْعِفْ بِالصَّبَاحِ
قَالَ : يَا مَوْلَايَ ، لَا تَسْأَلْ نُدُورُ
وَلَهُ فِي النُّخْلَةِ الْكَبِيرِ أَرِيكَ
لِصْغَارِ الْمُلِكِ أَصْحَابِ الْعُهُودِ
وَهَوَّ فِي الْبَابِ الْأَمِينِ الْحَازِمِ
أَنْتِ مَا زِلْتِ تُحِبُّ النَّاصِحِينَ
جَازَتْ الْقَصْرَ ، وَدَبَّتْ فِي الْجُدُورِ
قَبْلَ أَنْ نَهْلِكَ فِي أَشْرَاكِهَا
ثُمَّ أَدْنَى خَادِمَ الْخَيْرِ ، وَقَالَ :
أَنَا ذُو الْمَنْقَارِ ، غَلَّابُ الرِّيحِ
أَنَا لَا أَبْصِرُ تَحْتِي بِأَنْدُورِ !
قَامَ بَيْنَ الرِّيحِ وَالنُّخْلِ خِصَامٌ
فَبَدَأَ لِلرِّيحِ سَهْلًا قَلْعُهَا
وَهَوَّى الدِّيَوَانَ ، وَانْقَضَّ السَّرِيرُ
وَدَعَا خَادِمَهُ الْغَالِي يَقُولُ :
مَا تَرَى مَا فَعَلْتَ قَيْنَا الرِّيحِ ؟
« أَنَا لَا أَنْظَرُ فِي هَذِي الْأُمُورِ » !

الظَّبْيُ وَالْعَقْدُ وَالْخِنْزِيرُ

ظَبْيٌ رَأَى صُورَتَهُ فِي الْمَاءِ	فَرَفَعَ الرَّأْسَ إِلَى السَّمَاءِ
وَقَالَ يَا خَالِقَ هَذَا الْجَيِّدِ	زِنْتُهُ بِعَقْدِ اللُّلُؤِ النَّضِيدِ
فَسَمِعَ الْمَاءُ يَقُولُ مُفَصَّحًا	طَلَبْتَ يَا ذَا الظَّبْيِ مَا لَنْ تُمْنَحَا
إِنَّ الَّذِي أَعْطَاكَ هَذَا الْجَيِّدَا	لَمْ يُبْقِ فِي الْحَسَنِ لَهُ مَزِيدَا
لَوْ أَنَّ حُسْنَهُ عَلَى النُّحُورِ	لَمْ يَخْرُجِ الدَّرُّ مِنَ الْبُحُورِ
فَاغْتَنَ الظَّبْيُ بِذِي الْمَقَالِ	وَزَادَهُ شَوْقًا إِلَى اللَّالِي
وَلَمْ يَنْلَهُ فَمُهُ السَّقِيمُ	فَعَاشَ دَهْرًا فِي الْفَلَا يَهِيمِ
حَتَّى تَقْضَى الْعُمْرُ فِي الْهَيْامِ	وَهَجَرَ طَيِّبَ النَّوْمِ وَالطَّعَامِ
فَسَارَ نَحْوَ الْمَاءِ ذَاتَ مَرَّةٍ	يَشْكُو إِلَيْهِ نَفْعُهُ وَضَرَّهُ
وَبَيْنَمَا الْجَارَانِ فِي الْكَلَامِ	أَقْبَلَ رَاعِيَ الدَّيْرِ فِي الظَّلَامِ
يَتَّبَعُهُ حَيْثُ مَشَى خِنْزِيرُ	فِي جِيْدِهِ قِلَادَةٌ تُشِيرُ
فَانْدَفَعَ الظَّبْيُ لِذَاكَ يَبْكِي	وَقَالَ مِنْ بَعْدِ انْجِلَاءِ الشُّكِّ
مَا آفَةُ السَّعْيِ سِوَى الضَّلَالِ	مَا آفَةُ الْعَمْرِ سِوَى الْآمَالِ
لَوْلَا قَضَاءُ الْمَلِكِ الْقَدِيرِ	لَمَا سَعَى الْعَقْدُ إِلَى الْخِنْزِيرِ
فَالْتَفَتَ الْمَاءُ إِلَى الْغَزَالِ	وَقَالَ : حَالُ الشَّيْخِ شَرُّ حَالِ
لَا عَجَبٌ ؛ إِنَّ الْمُسْنِينَ مَوْقِظَةٌ	حَفِظْتَ عُمْرًا لَوْ حَفِظْتَ مَوْعِظَةً

وَلِيَّ عَهْدِ الْأَسَدِ وَخُطْبَةُ الْحِمَارِ

لَمَّا دَعَا دَاعِي أَبِي الْأَشْبَالِ مُبَشِّرًا بِأَوَّلِ الْأَنْجَالِ
سَعَتْ سِبَاغُ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَانْعَقَدَ الْمَجْلِسُ لِلْهَنَاءِ
وَصَدَرَ الْمَرْسُومُ بِالْأَمَانِ فِي الْأَرْضِ لِلْقَاصِي رِبْهَا وَالْدَّائِي
فَضَاقَ بِالذُّيُولِ صَحْنُ الدَّارِ مِنْ كُلِّ ذِي صُوفٍ وَذِي مِيقَارِ
حَتَّى إِذَا اسْتَكْمَلْتَ الْجُمُعِيَّةَ نَادَى مَنَادَى اللَّيْثِ فِي الْمَعِيَّةِ
هَلْ مِنْ خَطِيبٍ مُحْسِنٍ خَبِيرٍ يَدْعُو بِطَوْلِ الْعَمْرِ لِلْأَمِيرِ ؟
فَنَهَضَ الْفِيلُ الْمَشِيرُ السَّامِي وَقَالَ مَا يَلِيقُ بِالْمَقَامِ
ثُمَّ تَلَاهُ الثَّغْلَبُ السَّفِيرُ يُنْشِدُ ، حَتَّى قِيلَ : ذَا جَرِيرِ
وَانْدَفَعَ الْقَرْدُ مَدِيرُ الْكَاسِ فَقِيلَ : أَحْسَنْتَ أَبَا نُوَيسِ !
وَأَوْمَأَ الْحِمَارُ بِالْعَقِيرَةِ يَرِيدُ أَنْ يَشْرَفَ الْعَشِيرَةِ
فَقَالَ : بِاسْمِ خَالِقِ الشَّعِيرِ وَبَاعِثِ الْعَصَا إِلَى الْحَمِيرِ ! ..
فَأَزَعَجَ الصَّوْتُ وَلِيَّ الْعَهْدِ فَمَاتَ مِنْ رِعْدَتِهِ فِي الْمَهْدِ
فَحَمَلَ الْقَوْمُ عَلَى الْحِمَارِ بِجُمْلَةِ الْأَنْيَابِ وَالْأَظْفَارِ
وَانْتَدَبَ الثَّغْلَبُ لِلتَّابِينَ فَقَالَ فِي التَّعْرِيفِ بِالْمَسْكِينِ :
لَا جَعَلَ اللَّهُ لَهُ قَرَارًا عَاشَ حِمَارًا وَمَضَى حِمَارًا !

الْأَسَدُ وَالتَّغْلِبُ وَالْعِجْلُ

نَظَرَ اللَّيْثُ إِلَى عَجَلٍ سَمِينٍ كَانَ بِالْقَرَبِ عَلَى غَيْظٍ أَمِينٍ
فَاشْتَهَتْ مِنْ لَحْمِهِ نَفْسُ الرَّئِيسِ وَكَذَا الْأَنْفُسُ يُضْبِيهَا النَّفِيسُ
قَالَ لِلتَّغْلِبِ : يَا ذَا الْاِحْتِيَالِ رَأْسُكَ الْمَحْبُوبُ . أَوْ ذَاكَ الْغَزَالِ !
فَدَعَا بِالسَّعْدِ وَالْعُمْرِ الطَّوِيلِ وَمَضَى فِي الْحَالِ لِلْأَمْرِ الْجَلِيلِ
وَأَتَى الْغَيْظَ . وَقَدْ جَنَّ الظَّلَامُ فَرَأَى الْعَجَلَ فَأَهْدَاهُ السَّلَامُ
قَائِلًا : يَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الْوَزِيرُ أَنْتَ أَهْلُ الْعَفْوِ وَالْبِرِّ الْغَزِيرِ
حَمَلَ الذَّنْبَ عَلَى قَتْلِ الْحَسَدِ فَوَشَى بِي عِنْدَ مَوْلَانَا الْأَسَدِ
فَتَرَامَيْتُ عَلَى الْجَاهِ الرَّفِيعِ وَهَوَّيْنَا لَمْ يَزَلْ نِعَمَ الشَّفِيعِ !
فَبَكَى الْمَغْرُورُ مِنْ حَالِ الْمَخْبِثِ وَدَنَا يَسْأَلُ عَنْ شَرْحِ الْحَدِيثِ
قَالَ : هَلْ تَجْهَلُ يَا حُلُوَّ الصِّفَاتِ أَنَّ مَوْلَانَا أَبَا الْأَفْيَالِ مَاتَ ؟
فَرَأَى السُّلْطَانَ فِي الرَّأْسِ الْكَبِيرِ مَوْطِنَ الْحِكْمَةِ وَالْحِذْقِ الْكَثِيرِ
وَرَأَى خَيْرَ مَنْ يُسْتَوَزَرُ وَلِأَمْرِ الْمُلْكِ رَكْنًا يُذْخِرُ
وَلَقَدْ عَدُّوا لَكُمْ بَيْنَ الْجُدُودِ مِثْلَ آبِيَسَ وَمَعْبُودِ الْيَهُودِ
فَأَقَامُوا لِمَعَالِكُمْ سَرِيرَ عَنْ بَعِيْنِ الْمُلْكِ السَّامِ الْخَطِيرِ
وَأَسْتَعَدَّ الصَّيْرُ وَالْوَحْشُ لَذَاكَ فِي أَنْتَظَارِ السَّيِّدِ الْعَالِيِ هُنَاكَ
فَإِذَا قَتَمَ بِأَعْبَاءِ الْأُمُورِ وَانْتَهَى الْأَنْسُ إِلَيْكُمْ وَالسُّرُورِ
بَرُّنُونِي عِنْدَ سُلْطَانِ الزَّمَانِ وَاطْلُبُوا لِي الْعَفْوَ مِنْهُ وَالْأَمَانِ

— ١٣٩ —

وكفاكم أنى العبدُ المطيع أخدمُ المنعمَ جهدَ المستطيع
فأحَدُ العِجلِ قرنيه ، وقال : أنت منذُ اليومِ جارى ، لا تُنال !
فأمضِ واكشِفْ لى إلى الليثِ الطريق
أنا لا يَشقى لَدَيْهِ بى رفيق
فمَضَى الخِلانِ تَوًّا للفَلاه ذا إلى الموتِ ، وهذا للحِياه
وهناك ابتلعَ الليثُ الوزير وحبًا الثعلبَ منه باليسير
فانثنى يضحكُ من طيشِ العُجول وجَرى فى حَلَبَةِ الفَخْرِ يقول :
سليمَ الثعلبُ بالزأسِ الصغير ففداه كلُّ ذى رأسٍ كبير !

القرْدُ وَالْفِيلُ

قَرِدَ رَأَى الْفَيْلَ عَلَى الطَّرِيقِ
وَكَانَ ذَاكَ الْقَرْدُ بَصْفَ أَعْمَى
فَقَالَ : أَهْلًا بِأَبْنَى الْأَهْوَالِ
تَفْدِي الرَّئُوسَ رَأْسَكَ الْعَظِيمَا
لِلَّهِ مَا أَظْرَفَ هَذَا الْقَدَا
وَأَمْلَحَ الْأُذُنَ فِي الْأَسْتِرْسَالِ
وَأَحْسَنَ الْخُرُطُومَ حِينَ تَاهَا
وَوَظَّهَكَ الْعَالَى هُوَ الْبِسَاطُ
فَعَدَّهُ الْفَيْلُ مِنَ السُّعُودِ
فَجَالَ فِي الظَّهْرِ بِلَا تَوَانٍ
أَوْفَى عَلَى الشَّيْءِ الَّذِي لَا يُذَكَّرُ
فَاتَهُمُ الْفَيْلُ الْبَعُوضُ ، وَاضْطَرَبَ
فَوَقَعَ الضَّرْبُ عَلَى السَّلِيمِ
وَنَزَلَ الْبَصِيرُ (١) ذَا اكْتِثَابِ
فَقَالَ : لَا مُوجِبَ لِلْنَدَامَةِ
مَنْ كَانَ فِي عَيْنَيْهِ هَذَا الدَّاءُ

مَهْرُولًا خَوْفًا مِنَ التَّغْوِيقِ
يُرِيدُ يُخْصِي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا
وَمَرْحَبًا بِمُخْجَلِ الْجِبَالِ
فَقِفْ أَشَاهِدْ حُسْنَكَ الْوَسِيمَا
وَالْطَّفَ الْعَظَمَ وَأَبْهَى الْجِلْدَا !
كَأَنَّهَا دَائِرَةُ الْغُرْبَالِ !
كَأَنَّهُ انْخَلَتْ فِي صِبَاهَا !
لِلنَّفْسِ فِي رُكُوبِهِ أَنْبِسَاطُ
وَأَمَرَ الشَّاعِرَ بِالصُّعُودِ
حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ مِنْ مَكَانٍ
وَأَدْخَلَ الْأَصْبَعَ فِيهِ يَخْبِرُ
وَضَيَّقَ الثَّقَبَ ، وَصَالَ بِالذَّنْبِ
فَلَحِقَتْ بِأُخْتِهَا الْكَرِيمِ
يَشْكُو إِلَى الْفَيْلِ مِنَ الْمُصَابِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى السَّلَامَةِ
فِي الْعَمَى لِنَفْسِهِ وَقَاءُ

(١) البصير : الأعمى .

الشَّاةُ وَالْغُرَابُ

مَرَّ الْغُرَابُ بِشَاةٍ قَدْ غَابَ عَنْهَا الْفَطِيمُ
تَقُولُ وَالْدمْعُ جَارٍ وَالْقَلْبُ مِنْهَا كَلِيمٌ :
يَا لَيْتَ شِعْرِي يَا أَبْنَى وَوَاحِدِي ، هَلْ تَدُومُ ؟
وَهَلْ تَكُونُ بِجَنِّبِي غَدًا عَلَى مَا أَرْوَمُ ؟
فَقَالَ : يَا أُمَّ سَعْدٍ هَذَا عَذَابُ أَلِيمٍ
فَكَّرْتُ فِي الْغَدِ . وَالْفِكْرُ مُقْعِدٌ وَمُقِيمٌ
لِكُلِّ يَوْمٍ خُطُوبٌ تَكْفِي ، وَشُغْلٌ عَظِيمٌ
وَبَيْنَمَا هُوَ يَهْدِي أَقَى النَّعْيِ الذَّمِيمِ
يَقُولُ : خَلَّفْتُ سَعْدًا وَالْعَظْمُ مِنْهُ مَشِيمٌ
رَأَى مِنَ الذَّنْبِ مَا قَدْ رَأَى أَبُوهُ الْكَرِيمِ
فَقَالَ ذُو الْبَيْنِ لِلْأُمِّ حِينَ وَلَّتْ تَهِيمُ :
إِنَّ الْحَكِيمَ نَبِيٌّ لِسَانُهُ مَعْصُومٌ
أَلَمْ أَقُلْ لَكَ تَوَا لِكُلِّ يَوْمٍ مُمُومٌ ؟
قَالَتْ : صَدَقْتَ ، وَلَكِنْ هَذَا الْكَلَامُ قَلِيمٌ
فَإِنْ قَوْمِي قَالُوا : وَجْهُ الْغُرَابِ مَشُومٌ

أُمَّةُ الْأَرَانِبِ وَالْفِيلِ

يَحْكُونَ أَنَّ أُمَّةَ الْأَرَانِبِ
وَابْتَهَجَتْ بِالْوَطَنِ الْكَرِيمِ
فَاخْتَارَهُ الْفِيلُ لَهُ طَرِيقًا
وَكَانَ فِيهِمْ أَرَنْبٌ لَبِيبٌ
نَادَى بِهِمْ : يَا مَعْشَرَ الْأَرَانِبِ
اتَّحِدُوا ضِدَّ الْعَدُوِّ الْجَافِي
فَاقْبَلُوا مُسْتَضَوِّبِينَ رَايَةً
وَانْتخبُوا مِنْ بَيْنِهِمْ ثَلَاثَةً
بَلْ نَظَرُوا إِلَى كِمَالِ الْعَقْلِ
فَنَهَضَ الْأَوَّلُ لِلْخِطَابِ
أَنْ تُتْرَكَ الْأَرْضُ لَذِي الْخُرُطُومِ
فَصَاحَتْ الْأَرَانِبُ الْغَوَالِي :
وَوَثَبَ الثَّانِي فَقَالَ : إِنِّي
فَلَنْدَعُهُ يُبِيدُنَا بِحِكْمَتِهِ
فَقِيلَ . لَا يَا صَاحِبَ السُّمُورِ
وَانْتَدَبَ الثَّالِثُ لِلْكَلامِ
اجْتَمِعُوا ؛ فَالاجْتِمَاعُ قُوَّةٌ
قَدْ أَخَذَتْ مِنَ الشَّرِّ بِجَانِبِ
وَمَوْئِلِ الْعِيَالِ وَالْحَرِيمِ
مُزَقًّا أَصْحَابَنَا تَمْزِيْقًا
أَذْهَبَ جُلُّ صُوفِهِ التَّجْرِيْبِ
مِنْ عَالِمٍ . وَشَاعِرٍ : وَكَاتِبِ
فَالاتِّحَادُ قُوَّةُ الضُّعَافِ
وَعَقِدُوا لِلْاجْتِمَاعِ رَايَةً
لَا هَرَمًا رَاعُوا ، وَلَا حَدَاثَةً
واعتَبَرُوا فِي ذَلِكَ سِنَّ الْفَضْلِ
فَقَالَ : إِنَّ الرُّأْيَ ذَا الصُّوَابِ
كَيْ نَسْتَرِيحَ مِنْ أَذَى الْعَشُومِ
هَذَا أَضَرُّ مِنْ أَبِي الْأَهْوَالِ
أَعَهْدُ فِي الشَّعْلِ شَيْخَ الْفَنِّ
وَيَأْخُذُ اثْنَيْنِ جِزَاءَ خِدْمَتِهِ
لَا يُدْفَعُ الْعَدُوُّ بِالْعَدُوِّ
فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الْأَقْوَامِ
ثُمَّ احْفَرُوا عَلَى الطَّرِيقِ هُوَّةً

يهوى إليها الفيلُ في مروره فنستريحُ الدهرَ من شروره
ثم يقولُ الجيلُ بعدَ الجيلِ قد أكلَ الأرنبُ عقلَ الفيلِ
فاسْضُوبُوا مقالهُ ، واستَحْسِنُوا وعملوا من فورِهِم ، فأَجَمَّنُوا
وهلكَ الفيلُ الرفيعُ الشَّانِ فأمستِ الأُمّةُ في أمانِ
وأقبلتْ لِصاحبِ التدبيرِ ساعيةً بالتاجِ والسريرِ
فقال : مهلا يا بَنَى الأوطانِ إِنَّ محَلِّيَّ لِلْمَحَلِّ الثانيِ
فصاحبُ الصَّوتِ القويِّ الغالبِ مَنْ قد دعا : يا معشرَ الأرانبِ

حكاية الخفاش ومليكة الفراش

مرّت على الخفاش مليكة الفراش
تطيرُ بالجموعِ سعيًا إلى الشموعِ
فعطفتُ ومالت واستضحكتُ فقالت :
أزريتُ بالغرامِ يا عاشق الظلامِ
صيفُ الصديقِ الأسودا الخاملِ المُجرّدِ (١)
قال : سألتِ فيه أصدقَ واصفيه
هو الصديقُ الوافي الكاملُ الأوصافِ
جسارهُ أمانُ وسرهُ كتمانُ
وطرفه كليلُ إذا هفا الخليلُ
يحنو على العنّاقِ يسمعُ للمشتاقِ
وجُملةُ المقالِ هو الحبيبُ الغالي

* * *

فقالِ الحفّاءُ وقولُها استهـزاءُ

(١) تعنى الليل : والخفاش لا يأنس الا بالظلام .

أَيْنَ أَبُو الْمِسْكَ الْخَصِي ذُو الثَّمَنِ الْمُسْتَرْخِصِ (١)
مِنْ صَاحِبِي الْأَمِيرِ الظَّاهِرِ الْمُنِيرِ ؟ (٢)
إِنْ عُدَّ فَيَمْنُ أَعْرِفُ أَسْمُو بِهِ وَأَشْرُفُ
وَإِنْ سُئِلْتُ عَنْهُ وَعَنْ مَكَانِي مِنْهُ
أَفَاخِرُ الْأَتْرَابِ وَأَنْثَى إِعْجَابًا

* * *

فَقَالَ : يَا مَلِيكَةَ وَرَبَّةَ الْأَرِيكَةِ
إِنَّ مِنْ الْغُرُورِ مَلَامَةً الْمَغْرُورِ
فَاعْطِنِي قِفَاكَ وَامْضِي إِلَى الْهَلَاكِ

* * *

فَتَرَكْتَهُ سَاخِرَةً وَذَهَبْتَ مُفَاخِرَةً
وَبَعْدَ سَاعَةٍ مَضَتْ مِنْ الزَّمَانِ فَاَنْقَضَتْ
مَرَّتْ عَلَى الْخُفَّاشِ مَلِيكَةُ الْفَرَاشِ
نَاقِصَةً الْأَعْضَاءِ تَشْكُو مِنَ الْفَنَاءِ
فَجَاءَهَا مِنْهُمْ كَا يُضْحِكُ مِنْهَا الْبُكَاءُ
قَالَ : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ هَلَكْتَ أَوْ لَمْ تَهْلِكِي
رُبَّ صَدِيقٍ عَبْدٍ أَبْيَضُ وَجْهِ الْوُدِّ

(١) أَبُو الْمِسْكَ الْخَصِي : كَافُورُ الْإِخْشِيدِ وَكَانَ عَبْدًا أَسْوَدَ .

(٢) تَعْنَى الضَّوْءَ .

— ١٤٦ —

بِفَدْيِكَ كَالرَّئِيسِ بِالنَّفْسِ وَالنَّفِيسِ
وَصَاحِبِ كَالنُّسُورِ فِي الْحُسْنِ وَالظُّهُورِ
مُعْتَكِرِ الْفُؤَادِ مُضَيِّعِ الْوُدَادِ
حَيَالُهُ أَشْرَاكَ وَقُرْبُهُ هَلَاكُ ؟

الأسدُ ووزيرُه الحِمَارُ

الليثُ ملكُ القِفَارِ وما تَصْمُ الصَّحَارِ
سَمِعَتْ إِلَيْهِ الرِّعَايَا يوماً بِكَلِّ انْكَسَارِ
قَالَتْ : تَعِيشُ وَتَبْقَى يَا دَائِي الْأَظْفَارِ
مَاتَ الْوَزِيرُ فَمَنْ ذَا يَسُوسُ أَمْرَ الضُّوَارِ ؟
قَالَ : الْحِمَارُ وَزِيرِي قَضَى بِهَذَا اخْتِيَارِي
فَاسْتَضْحَكْتَ ، ثُمَّ قَالَتْ : « مَا ذَا رَأَى فِي الْحِمَارِ ؟ »
وَحَلَفَتْهُ ، وَطَارَتْ بِمُضْجِكِ الْأَخْبَارِ
حَتَّى إِذَا الشَّهْرُ وَلَّى كَلِيلَةً أَوْ نَهَارِ
لَمْ يَشْعُرِ اللَّيْثُ إِلَّا وَمُلْكُهُ فِي دَمَارِ
الْقَرْدُ عِنْدَ الْيَمِينِ وَالْكَلبُ عِنْدَ الْيَسَارِ
وَالْقِطُّ بَيْنَ يَدَيْهِ يَلْهَوُ بِعِظْمَةٍ فَارِ !
فَقَالَ : مَنْ فِي جُدُودِي مِثْلِي عَدِيمُ الْوَقَارِ ؟ !
أَيْنَ اقْتِدَارِي وَبَطْشِي وَهَيْبَتِي وَاعْتِبَارِي ؟ !
فَجَاءَهُ الْقَرْدُ سَرًّا وَقَالَ بَعْدَ اعْتِذَارِ :
يَا عَلَيَّ الْجَاهُ فِينَا كُنْ عَلَيَّ الْأَنْظَارِ
رَأَى الرِّعِيَّةَ فِيكُمْ مِنْ رَأْيِكُمْ فِي الْحِمَارِ !

النملة والمقطم

كانتِ النملة تمشي	مرة تحتَ المقطم
فارتخت مَفْصِلُهَا من	هَيْبَةِ الطَّودِ المعظم
وانشنتَ تنظرُ حتى	أوجدَ الخوفُ وأعدم
قالتِ : اليومَ هلاكي	حلَّ يومى وتحتم !
ليت شعري : كيف أنجو	— إن هوى هذا — وأسلم ؟
فسعتُ تجرى ، وعينا	ها ترى الطَّودَ فتندم
سقطتُ في شبرِ ماء	هو عند النملِ كاليم
فبكت يأساً ، وصاحت	قبلَ جَرَيِ الماءِ في الغم
ثم قالتُ وهى أدبى	بالذى قالت وأعلم :
ليتنى لم أتأخر	ليتنى لم أتقدم
ليتنى سلَّمتُ ، فالعا	قيلُ من خاف فسَلَّم !
صاح لا تخش عظيمًا	فالذى فى الغيب أعظم

الغزالُ والكلبُ

كان فيما مَضَى من الدهرِ بيتٌ من بيوتِ الكرامِ فيه غزالٌ
يَطْعَمُ اللُّوزَ والفطيرَ وَيُسْقَى عسلاً لم يَشُبْهُ إِلَّا الزُّلالُ
فأتى الكلبَ ذاتَ يومٍ يُناجيه وفي النفسِ تَرَحُّهُ ومَلالُ
قال : يا صاحِبَ الأمانَةِ ، قل لى كيف حالُ الورى؟ وكيف الرجالُ؟
فأجابَ الأمينُ وهو القشورُ الصَّادِقُ الكاملُ النُّهى المِفْضالُ
سائلى عني حقيقةَ الناسِ ، عذراً ليس فيهم حقيقةٌ فتقال
إنما هم حِفْدٌ ، وغشٌ ، وبُغْضٌ وأذاةٌ ، وغيبةٌ ، وانتحالُ
ليت شعرى هل يستريحُ فؤادى؟ كم أداريهم ! وكم أحتالُ !
فرضا البعض فيه للبعضِ سُخْطٌ. ورضا الكلِّ مطلبٌ لا يُنالُ
ورضا الله نَرتجيه ، ولكن لا يُؤدَّى إليه إِلَّا الكمالُ
لا يغرِّزُكَ يا أخا البئِدِ من مَوٍّ لأك ذاك القَبولُ والإقبالُ
أنتَ فى الأسْرِ ما سَلِمْتَ ، فإن تَمَرَّضَ تقطَّعَ من جَسَمِكَ الأوصالُ
فاطلبِ البَيدَ ، وارضِ بالعُشبِ قوتاً فهناك العيشُ الهَيُّ الحلالُ
أنا لولا العظامُ وهى حياى لم تَطلب لى مع ابنِ آدمَ حالُ

التَّعَلُّبُ وَاللِّدِّيَّةُ

برز التَّعَلُّبُ يوماً في شعار الواعظينا
فمَشَى في الأرضِ يَهْدَى وَيَسْبُ الماكِرِينَا
ويقولُ : الحمدُ لله إلهِ العالمينا
يا عباد الله : توبُّوا فهو كهفُ التائبينا
وازهّدوا في الطَّيْرِ؛ إِنَّ السَّعْيَ عَيْشُ الزاهِدِينَا
واطلبوا اللِّدِّيَّةَ يؤذَنُ لصلاةِ الصُّبْحِ فينا
فأتى اللِّدِّيَّةَ رسولٌ من إمامِ الناسِ كِينَا
عَرَضَ الأَمْرَ عليه وهو يرجو أن يَلِينَا
فأجاب اللِّدِّيَّةَ : عُدْراً يا أضلَّ المُهتدِينَا !
بلغِ التَّعَلُّبَ عفى عن جدودي الصالحِينَا
عن ذوى التَّيْجَانِ ممن دخلَ البَطْنَ اللِّعِينَا
أنهم قالوا وخيرُ السُّقُولِ قولُ العارفينَا :
« مُخْطَى مَنْ ظَنَّ يوماً أَنَّ للتَّعَلُّبِ دينَا »

النَّعْجَةُ وَأَوْلَادُهَا

اسْمَعْ نَفَائِسَ مَا يَأْتِيكَ مِنْ حِكْمَى
كَانَتْ عَلَى زَعْمِهِمْ فِيهَا مَضَى غَنَمٌ
قَدْ انَامَ عَنْهَا، فَنَامَتْ غَيْرَ وَاحِدَةٍ
أُمُّ الْقَطِيمِ، وَسَعْدٍ، وَالْفَتَى عَلَفَ
غَبِينَمَا هِيَ تَحْتَ اللَّيْلِ سَاهِرَةٌ
بَدَا لَهَا الذُّنْبُ يَسْعَى فِي الظَّلَامِ عَلَى
بِقَامِ رَاعِي الْحِمَى الْمَرْعَى مُنْذَعِرًا
وَضَاقَ بِالذُّنْبِ وَجْهُ الْأَرْضِ مِنْ فَرْقٍ
فَقَامَتِ الْأُمُّ: يَا لِلْفَخْرِ! كَانَ أَبِي
إِذَا الرُّعَاةَ عَلَى أَغْنَامِهَا سَهَرَتْ
وَأَفْهَمُهُ فَهَمَ لَبِيبٍ نَاقِدٍ وَاعِي
بِأَرْضِ بَغْدَادَ يَرَعَى جَمْعَهَا رَاعِي
لَمْ يَدْعُهَا فِي الدِّيَاغِي لِلْكَرَى دَاعِي
وَابْنِ أُمِّهِ، وَأَخِيهِ مُنِيَّةَ الرَّاعِي
تُخَيِّمُ مَا بَيْنَ أَوْجَالٍ وَأَوْجَاعٍ
بُعْدٍ، فَصَاحَتْ: أَلَا قَوْمُوا إِلَى السَّاعَى!
يَقُولُ: أَيْنَ كِلَابِي أَيْنَ مِقْلَاعِي؟
فَانْسَابَ فِيهِ انْسِيَابَ الطُّبَى فِي الْقَاعِ
حُرًّا، وَكَانَ وَفِيًّا طَائِلَ الْبَاعِ
سَهَرْتُ مِنْ حُبِّ أَطْفَالِي عَلَى الرَّاعِي!

الكلبُ والقِطُ. والفأرُ

فأرُ رأى القِطُ على الجِدَارِ	مُعَذِّباً في أَصْيَقِ الحِصَارِ
والكلبُ في حالته المَعهوده	مُسْتَجِنِعاً للوثبة الموعوده
فحاولَ الفأرُ اغْتِنَامَ الفُرْصه	وقال أَكْفَى القِطُ هَذِي الغُصه
لعله يَكْتُتُ بِالْأَمَانِ	لي ولأَصْحَابِي مِنَ الجِيرَانِ
فسارَ للكلبِ على يَدَيْهِ	وَمَكَّنَ الترابَ من عَيْنِيهِ
فاشتغل الرَّاعِي عن الجِدَارِ	ونَزَلَ القِطُ على بِدَارِ
مُبْتَهِجاً يفكر في وليمه	وفي فريسةٍ لها كَرِيمه
يجعلها لِخُطْبِهِ علامه	يذكُرُها فيذكرُ السَّلَامه
فجاء ذاكَ الفأرُ في الأَثْناءِ	وقال : عاشَ القِطُ في هَنا
رَأَيْتَ في الشُّدَّةِ من إخلاصِي	ما كان منها سَبَبَ الخَلاصِ
وقد أَتَيْتُ أَطْلُبُ الأَمَانا	فامْنُنْ به لِمَعْشَرِي إِحْسَانا
فقال : حقاً هذه كَرَامَه	غَنِيمَةٌ وَقَبْلَهَا سَلَامَه
يَكْفِيكَ فخرًا يا كَرِيمَ الشَّيْمَه	أَنْكِ فأرُ الخُطْبِ والوليمه
وانقَضَ في الحالِ على الضَّعِيفِ	بأَكْلِهِ بِالْمِلْحِ والرَّغِيفِ
فقلت في المقام قولاً شاعا	« مَنْ حَفِظَ الأَعْدَاءَ يَوْمًا ضَاعَا »

سُلَيْمَانُ وَالْهُدُودُ

وقفَ الْهُدُودُ فِي بَابِ سُلَيْمَانَ . بِذَلِكَ
قال : يَا مَوْلَايَ ، كُنْ لِي عِشْتِي صَارَتْ مُبِلَّةً
مَتُّ مِنْ حَبَّةٍ بُرٍّ أَحَدْتُكَ فِي الصِّدْرِ غُلَّةً
لَا مِيَاهُ النَّيْلِ تُزَوِّدُهَا ، وَلَا أَمْوَاهُ دِجْلُهُ
وإِذَا دَامَتْ قَلِيلًا قَتَلْتَنِي شَرًّا قَتَلَهُ

* * *

فَأَشَارَ السَّيِّدُ الْعَالِي إِلَى مَنْ كَانَ جَوْلَهُ :
قَدْ جَنَى الْهُدُودُ ذَنْبًا وَأَتَى فِي اللَّوْمِ فَعْلَهُ
تِلْكَ نَارُ الْإِثْمِ فِي الصِّدْرِ ، وَذِي الشُّكْوَى تَعْلَهُ
مَا أَرَى الْحَبَّةَ إِلَّا سُرِقَتْ مِنْ بَيْتِ غَمَلِهِ
إِنْ لِلظَّالِمِ صَادَرًا يَشْتَكِي مِنْ غَيْرِ عَلَيْهِ !

سُلَيْمَانُ وَالطَّاوُوسُ

سمعتُ بآن طاووساً أتى يوماً سليماناً
يُجَرِّدُ دون وفدي الطَّيْرَ أَذِيالاً وأردانا
ويُظهِرُ ريشه طوراً ويُخفي الريشَ أحياناً
فقال : لدىّ مسألةٌ أَظنُّ أوانها آنا
وها قد جئتُ أعرضُها على أعتابِ مولانا :
ألمستُ الرُّوضَ بالأزهارِ والأَنْوارِ مُزْداناً ؟
ألم أستوفِ آيَ الظُّرِّ ف أشكالا وألواناً ؟
ألم أصبحَ ببابِكُم لِجَمْعِ الطَّيْرِ سُلطاناً ؟
فكيف يليقُ أن أبقى وقومي الغُرَّ أوثاناً ؟ !
فحُسِّنَ الصوتُ قد أَمسى نصيبي منه جرماناً
فما تَنِمْتُ أَفئدةً ولا أَسَكَرْتُ آذاناً
وهذي الطَّيْرُ أَحقرها يزيدُ الصَّبَّ أشجاناً
وتَهْتَزُّ الملوكُ له إذا ما هَزَّ عيْداناً ؟

* * *

فقال له سُلَيْمَانُ لقد كان الذي كانا

— ١٥٥ —

تعالَتْ حِكْمَةُ الْبَارِي وَجَلَّ صَنِيعُهُ شَانَا
لَقَدْ صَغُرَتْ يَا مَغْرُو رُ نُعْمَى اللَّهِ كُفْرَانَا
وَمُلْكُ الطَّيْرِ لَمْ تَحْفَلِ بِهِ ، كِبْرًا وَطُغْيَانَا
فَلَوْ أَصْبَحَتْ ذَا صَوْتٍ لَمَّا كَلَّمْتَ إِنْسَانَا !

الْغُصْنُ وَالْخُنْفُسَاءُ

كان برّوض غُصْنٌ ناعمٌ يقولُ : جلّ الواحدُ المنفردُ
فقامتى فى ظرفِها قامتى ومثلُ حُسْنى فى الورى ماعُهدُ
فأقبلت « خُنْفُسَةً » تنثنى ونجلُها يمشى بجنبِ البكيدُ
تقول : يا زَيْنَ رياضِ البها إنّ الذى تطلبُهُ قد وُجدُ
فانظر لِقَدِّ ابْنى ، ولا تفتخر مادام فى العالم أمُّ تلد !

الْقُبْرَةُ وَأَبْنُهَا

رَأَيْتُ فِي بَعْضِ الرِّيَاضِ قُبْرَةَ	تُطَيِّرُ أَبْنَاهَا بِأَعْلَى الشَّجَرَةِ
وَهِيَ تَقُولُ : يَا جَمَالَ الْعُشِّ	لَا تَعْتَمِدْ عَلَى الْجَنَاحِ الْهَثَّ
وَقِفْ عَلَى عَوْدٍ بِجَنْبِ عَوْدٍ	وَافْعَلْ كَمَا أَفْعَلُ فِي الصُّعُودِ
فَانْتَقَلْتُ مِنْ فَنَنِ إِلَى فَنَنِ	وَجَعَلْتُ لِكُلِّ نَقْلَةٍ زَمَنَ
كَيْ يَسْتَرْيَحَ الْفَرْخُ فِي الْأَثْنَاءِ	فَلَا يَمَلُّ ثِقَلُ الْهَوَاءِ
لَكِنَّهُ قَدْ خَالَفَ الْإِشَارَةَ	لَمَّا أَرَادَ يُظْهِرُ الشُّطَارَةَ
وَطَارَ فِي الْفُضَاءِ حَتَّى ارْتَفَعَا	فَخَانَهُ جَنَاحُهُ فَوْقَهَا
فَانْكَسَرَتْ فِي الْحَالِ رُكْبَتَاهُ	وَلَمْ يَنْلِ مِنَ الْعُلَا سُنَاهُ
وَلَوْ تَأَنَّى نَالَ مَا تَمَنَّى	وَعَاشَ طَوْلَ عُمرِهِ مُهَنَّا
لِكُلِّ شَيْءٍ فِي الْحَيَاةِ وَقْتُهُ	وَعَايَةُ الْمُسْتَعْجِلِينَ فَوْتُهُ !

النَّعْجَتَانِ :

كَانَ لِبَعْضِ النَّاسِ نَعْجَتَانِ	وكانتا في الغَيْطِ. ترعيانِ
إِحْدَاهُمَا سَمِينَةٌ ، وَالثَّانِيَةُ	عِظَامُهَا مِنْ الْهَزَالِ بِأَدْيِهِ
فَكَانَتْ الْأُولَى تُبَاهِي بِالسَّمَنِ	وَقَوْلِهِمْ بِأَنَّهَا ذَاتُ الثَّمَنِ
وَتَدَّعَى أَنَّ لَهَا مَقْدَارًا	وَأَنَّهَا تَسْتَوْقِفُ الْأَبْصَارَا
فَتَصْبِرُ الْأُخْتُ عَلَى الْإِذْلَالِ	حَامِلَةٌ مَرَارَةً الْإِذْلَالِ
حَتَّى أَتَى الْجَزَارُ ذَاتَ يَوْمٍ	وَقَلَبَ النُّعْجَةَ دُونَ الْقَوْمِ
فَقَالَ لِلْمَالِكِ : أَشْتَرِيهَا	وَنَقَدَ الْكَيْسَ الْنَفِيسَ فِيهَا
فَانْطَلَقَتْ مِنْ فَوْرِهَا لِأُخْتِهَا	وَهِيَ تَشْكُ فِي صِلَاحِ بَخْتِهَا
تَقُولُ : يَا أُخْتَاهُ خَبِّرِينِي	هَلْ تَعْرِفِينَ حَامِلَ السُّكِينِ ؟
قَالَتْ : دَعِينِي وَهْزَالِي وَالزَّمَنِ	وَكَلِّمِي الْجَزَارَ يَا ذَاتَ الثَّمَنِ !
لِكُلِّ سَحَالٍ حُلُوهَا وَمُرُّهَا	مَا أَذَبُ النُّعْجَةِ إِلَّا صَبْرُهَا

السَّفِينَةُ وَالْحَيَوَانَات

لَمَّا أَتَمَّ نُوحٌ السَّفِينَةَ	وَحَرَّكَتَهَا الْقُدْرَةُ الْمُعِينَةُ
جَرَى بِهَا مَا لَا جَرَى بِنَالٍ	فَمَا تَعَالَى الْمَوْجُ كَالْجِبَالِ ...
... حَتَّى مَشَى اللَّيْثُ مَعَ الْحِمَارِ	وَأَخَذَ الْقِطُّ بِأَيْدِي الْغَارِ
وَاسْتَسَعَّ الْفِيلُ إِلَى الْخَنْزِيرِ	مُوتِنِسًا بِصَوْتِهِ النَّكِيرِ
وَسِ الْهَرُّ بِجَنْبِ الْكَلْبِ	وَقَبَّلَ الْخُرُوفُ نَابَ الذُّئْبِ
وَعَطَفَ الْبَاذُ عَلَى الْغَزَالِ	وَاجْتَمَعَ النَّمْلُ عَلَى الْأَكَّالِ
وَقَلَّتِ الْفَرْنَخَةُ صُوفَ الثَّعْلِبِ	وَتَيَّمَّ ابْنُ عِرْسٍ حُبَّ الْأَرْنَبِ
فَذَهَبَتْ سَوَابِقُ الْأَحْقَادِ	وظَهَرَ الْأَحْبَابُ فِي الْأَعَادِ
حَتَّى إِذَا حَطُّوا بِسَفْحِ الْجُودَى	وَأَيَقَنُوا بِعَوْدَةِ (الْوُجُودِ
عَادُوا إِلَى مَا تَقْتَضِيهِ الشُّيْمَةُ	وَرَجَعُوا لِلْحَالَةِ الْقَدِيمَةِ
نَقِيسَ عَلَى ذَلِكَ أَحْوَالَ الْبَشَرِ	إِنْ شَمِلَ الْمَحْدُورُ، أَرَعَمَ الْخَطَرُ
بَيْنَا تَرَى الْعَالَمَ فِي جِهَادٍ	إِذْ كُلُّهُمْ عَلَى الزَّمَانِ الْعَادِي

الْقِرْدُ فِي السَّفِينَةِ

لم يَتَّفِقْ مَا جَرَى فِي الْمَرْكَبِ	ككذِبِ الْقِرْدِ عَلَى نُوحٍ النَّبِيِّ
فإنه كان بِأَقْصَى السَّطْحِ	فاشتاقَ مِنْ خِطْفَتِهِ لِلْمَرْحِ
وصاحَ : يَا لِلطَّيْرِ وَالْأَسْمَكِ	لِمَوْجَةٍ تَجِدُ فِي هَلَاكِي !
فَبَعَثَ النَّبِيُّ لَهُ النُّسُورَا	فوجدته لاهياً مسرورا
ثم أتى ثَانِيَةً يَصِيحُ	قد أَثْقَيْتَ مَرْكَبُنَا يَانُوحُ !
فَارْسَلَ النَّبِيُّ كُلَّ مَنْ حَضَرَ	فلم يروا كما رأى الْقِرْدُ خَطَرَ
وبينا السَّفِينَةُ يَوْمًا يَلْعَبُ	جاءتْ به على المِياهِ الْمَرْكَبُ
فسمِعوه في الدُّجَى يَنْوَحُ	يقولُ : إني هَالِكُ يَانُوحُ
سَقَطَتْ مِنْ حِمَاقَتِي فِي الْمَاءِ	وصرْتُ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ
فلم يَصْدُقْ أَحَدٌ صِيَاحَهُ	وقيلَ حَقًّا هَذِهِ وَقَاةُ
قد قال في هذا المَقَامِ مَنْ سَبَقَ	أَكْذَبُ مَا يُلْفِي الْكَذُوبُ إِنْ صَدَقَ
مَنْ كَانَ مَمْنُوءًا بِدَاءِ الْكَذِبِ	لا يَتْرُكُ اللَّهُ ، وَلَا يُعْفِي نَبِيَّ أ

نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالنَّمْلَةُ فِي السَّفِينَةِ

قد ودَّ نوحٌ أن يُبَاسِطَ قَوْمَهُ	فدعا إليه معاشرَ الحيوانِ
وأشار أن يَلِيَ السفينةَ قائدٌ	منهم يكونُ من التَّهْيِ بِمَكَانِ
فتقدَّمَ اللَّيْثُ الرَفِيعُ جَلالُهُ	وتعرَّضَ الفِيلُ الفَخِيمُ الشَّانِ
وتلاهما باقى السَّبَاعِ ، وكلُّهُمُ	خَرُّوا لهيْبَتِهِ إِلَى الْأَذْقَانِ
حتى إذا حيَّوا المؤيَّدَ بالهدى	ودَعَوْا بطولِ العِزِّ والإِمْكَانِ
سَبَقَتْهُمْ لخطابِ نوحٍ نَمْلَةٌ	كانت هناكَ بِجَانِبِ الْأُرْدَانِ
قالت : نبيَّ اللهِ ، أَرْضِي فارُسُ	وأنا نَقِينَا فارُسُ . المِيدَانِ
سَادِيرُ دِفَّتِهَا ، وأَخِي أَهْلُهَا	وأقوْدُهَا في عصْمَةٍ وَأَمَانِ
ضحِكَ النبيُّ وقال : إِنَّ سَفِينَتِي	لهيَ الحَيَاةُ ، وَأَنْتِ كَالْإِنْسَانِ
كلَّ الْفَضَائِلِ وَالْعِظَائِمِ عِنْدَهُ	هو أَوَّلُ ، وَالْغَيْرُ فِيهَا الثَّانِي
ويودُّ لو سَاسَ الزَّمَانَ ، ومالَهُ	بِأَقْلٍ أَشْغَالِ الزَّمَانِ يَدَانِ

الدُّبُّ فِي السَّفِينَةِ

الدُّبُّ مَعْرُوفٌ بِسُوءِ الظَّنِّ فَاَسْمَعُ حَدِيثَهُ الْعَجِيبَ عَنِّي
لَمَّا اسْتَطَالَ الْمُكْتَحَ فِي السَّفِينَةِ مَلَّ دَوَامَ الْعَيْشَةِ الظَّنِينَةِ
وَقَالَ : إِنْ الْمَوْتُ فِي انْتِظَارِي وَالْمَاءُ لَا شَكَّ بِهِ قَرَارِي
ثُمَّ رَأَى مَوْجًا عَلَى بُعْدٍ عَلا فَظَنُّ أَنْ فِي الْفَضَاءِ جَبَلًا
فَقَالَ : لَا بُدَّ مِنَ النُّزُولِ وَصَلْتُ ، أَوَلَمْ أَخْطَأْ بِالْوُصُولِ
قَدْ قَالَ مَنْ أَدَّبُهُ اخْتِبَارُهُ : السَّعْيُ لِلْمَوْتِ وَلَا انْتِظَارُهُ !
فَأَسْلَمَ النَّفْسَ إِلَى الْأَمْوَاجِ وَهَمَى مَعَ الرِّيحِ فِي هَيَاجِ
فَشَرِبَ التَّعْيُسَ مِنْهَا ، فَالْتَفَخَ ثُمَّ رَسَا عَلَى الْقَرَارِ ، وَرَسَخَ
وَبَعْدَ سَاعَتَيْنِ غِيَضَ الْمَاءُ وَأَقْلَعَتْ بِأَمْرِهِ السَّمَاءُ
وَكَانَ فِي صَاحِبِنَا بَعْضُ الرَّمَقِ إِذْ جَاءَهُ الْمَوْتُ بَطِيئًا فِي الْغَرَقِ
فَلَمَحَ الْمَرْكَبَ فَوْقَ الْجُودَى وَالرَّكْبُ فِي خَيْرٍ وَفِي سُعُودِ
فَقَالَ : يَا جَدِّيَ التَّعْيُسَ أَسَاءَتْ ظَنِّي بِالنَّبِيِّ الرَّئِيسِ !
مَا كَانَ ضَرَّتَنِي لَوْ امْتَثَلْتُ وَمِثْلَمَا قَدْ فَعَلُوا فَعَلْتُ ؟ !

التَّعَلُّبُ فِي السَّفِينَةِ

أَبُو الْحُصَيْنِ جَالَ فِي السَّفِينَةِ	فَعَرَفَ السَّمِينَ وَالسَّمِينَةَ
يَقُولُ : إِنَّ حَالَهُ أَسْتَحَالًا	وَلِإِنْ مَا كَانَ قَدِيمًا زَالًا
لِيَكُونَ مَا حَلَّ مِنَ الْمَصَائِبِ	مِنْ غَضَبِ اللَّهِ عَلَى الثَّعَالِبِ
وَيُغْلِظُ. الْإِيمَانَ لِلدُّيُوكِ	لِإِذَا عَسَى يَبْقَى مِنَ الشُّكُوكِ
بِأَنَّهُمْ إِنْ نَزَلُوا فِي الْأَرْضِ	يَرَوْنَ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ يُرْضَى
قِيلَ : فَلَمَّا تَرَكُوا السَّفِينَةَ	مَشَى مَعَ السَّمِينَ وَالسَّمِينَةَ
حَتَّى إِذَا مَا نَصَفُوا الطَّرِيقَا	لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ حَوْلُهُ رَفِيقَا
وَقَالَ : إِذْ قَالُوا عَلِيمُ الدِّينِ	لَا عَجَبُ إِنْ حَنَنْتَ يَمِينِي
فَإِنَّمَا نَحْنُ بَنَى الدَّهَاءِ	نَعْمَلُ فِي الشَّدَةِ لِلرَّخَاءِ
وَمَنْ تَخَافُ أَنْ يَبِيعَ دِينَهُ	تَكْفِيكَ مِنْهُ صُحْبَةُ السَّفِينَةِ !

الليثُ والذئبُ في السفينة

يقال إنَّ الليثَ في ذى الشَّدةِ	رأى من الذئبِ صفا المودَّةِ
فقال : يا مَنْ صانَ لى محلِّي	في حالتى ولايتى وعزِّى
إنَّ عُدْتُ للأرضِ بإذنِ اللهِ	وعاد لى فيها قديمُ الجاهِ
أعطيكَ عَجَلينِ وألفَ شاةٍ	ثم تكونُ والى الوُلاةِ
وصاحبَ اللِّواءِ فى الذئابِ	وقامِرَ الرعاةِ والكلابِ
حتى إذا ما تَمَّتِ الكرامةُ	ووطئُ الأرضِ على السلامه
سَعى إليه الذئبُ بعدَ شهرٍ	وهو مُطاعُ النهى ماضى الأمرِ
فقال : يامنَ لا تُداسُ أرضُه	ومَنْ له طُولُ الفِلا وعَرْضُه
قد نِلتَ ما نِلتَ منَ التَّكريمِ	وذا أوانِ الموعِدِ الكريمِ
قال : تجرأتَ وساءَ زعمُكا	فمَنْ تكونُ يافتى؟ وما أسمُكا؟
أجابَه : إنَّ كانَ ظنُّى صادِقا	فإنِّنى والى الوُلاةِ سابقا !

الثَّعْلَبُ وَالْأَرْنَبُ فِي السَّفِينَةِ

أَتَى نَبِيَّ اللَّهِ يَوْمَا ثَعْلَبُ	فَقَالَ : يَا مُوَلَّائِ ، إِنِّي مُذْنِبُ
قَدْ سَوَّدَتْ صَحِيفَتِي الذُّنُوبُ	وإنَّ وَجَدْتُ شَافِعَا أَتُوبُ
فَاسْأَلُ إِلَهِي عَفْوَ الْجَلِيلَا	لِتَتَائِبَ قَدْ جَاءَهُ ذَلِيلَا
وإِنِّي ، وَإِنْ أَسَأْتُ السَّيْرَا	عَمِلْتُ شَرًّا ، وَعَمِلْتُ خَيْرَا
فَقَدْ أَتَانِي ذَاتَ يَوْمٍ أَرْنَبُ	يَرْتَعُ تَحْتَ مَنْزِلِي وَيَلْعَبُ
وَلَمْ يَكُنْ مُرَاقِبُ هُنَاكَ	لَكِنِّي تَرَكْتُهُ مَعَ ذَلِكََا
إِذْ عَفْتُ فِي اقْتِرَاسِهِ الدَّنَاءَةَ	فَلَمْ يَصِلْهُ مِنْ يَدِي مَسَاءَةٌ
وَكَانَ فِي الْمَجْلِسِ ذَلِكَ الْأَرْنَبُ	يَسْمَعُ مَا يُبْدِي هُنَاكَ الثَّعْلَبُ
فَقَالَ لَمَّا انْقَطَعَ الْحَدِيثُ :	قَدْ كَانَ ذَلِكَ الزُّهْدُ يَخْبِثُ
وَأَنْتَ بَيْنَ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ	مِنْ تُخْمَةِ أَلْقَتِكَ فِي الْفَلَاةِ !

الْأَرْنبُ وَبِنْتُ عَرَسٍ فِي السَّفِينَةِ

قد حَمَلْتُ إِحْدَى نِسَاءِ الْأَرَانِبِ وحلَّ يَوْمٌ وَضَعَهَا فِي الْمَرْكَبِ
فَقَلَقَ الرُّكَّابُ مِنْ بَكَائِهَا وبينما الفتاةُ فِي عَنَائِهَا ...
... جَاءَتْ عَجُوزٌ مِنْ بَنَاتِ عَرَسٍ تقولُ : أَفَلَيْ جَارَتِي بِنَفْسِي
أَنَا الَّتِي أُرْجَى لِيَهْدِي الْغَايَةَ لأنني كُنْتُ قَدِيمًا « دَائِيَّةٌ »
فَقَالَتِ الْأَرْنبُ : لَا دُجَارَهُ فإنَّ بَعْدَ الْأَلْفَةِ الزَّيَارَهُ
مَالِي وَثُوقُ بَبْنَاتِ عَرَسٍ إني أريدُ دَائِيَّةً مِنْ جَنْسِي !

الحِمَارُ فِي السَّفِينَةِ

سَقَطَ. الْحِمَارُ مِنَ السَّفِينَةِ فِي الدُّجَى فَبَكَى الرَّفَاقُ لِفَقْدِهِ ، وَتَرَحَّمُوا
حَتَّى إِذَا طَلَعَ النَّهَارُ أَتَتْ بِهِ نَحْوَ السَّفِينَةِ مَوْجَةً تَتَقَدَّمُ
قَالَتْ : خُلِّدُوهُ كَمَا أَتَانِي سَالِمًا لَمْ أَبْتَلِعْهُ ، لِأَنَّهُ لَا يُهْضَمُ !

سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْحَمَامَةُ

كان ابنُ داوُدَ يُقَرِّبُ في مجالسِهِ حَمَامَةً
خَدَمَتْهُ عُمَرًا مِثْلَمَا قَدْ شَاءَ صَدَقًا وَاسْتِقَامَةً
فَمَضَتْ إِلَى عُمَالِهِ يَوْمًا تُبَلِّغُهُمْ سَلَامَهُ
وَالْكَتَبُ تَحْتَ جَنَاحِهَا كُتِبَتْ لَهَا فِيهَا الْكَرَامَةُ
فَأَرَادَتْ الْحَمَقَاءُ تَعْرِيفُ مِنْ رِاسَائِهِ مَرَامَهُ
عَمِدَتْ لِأَوَّلِهَا ، وَكَانَ إِلَى خَلِيفَتِهِ بِرَامَهُ (١)
فَرَأَتْهُ بِأَمْرٍ فِيهِ عَا مَلَهُ بِتَاجٍ لِلْحَمَامَةِ
وَيَقُولُ : وَقُوهَا الرُّعَا يَةَ فِي الرَّحِيلِ ، وَفِي الْإِقَامَةِ
وَيُشِيرُ فِي الثَّانِي بِأَنَّ تُعْطَى رِيَاضًا فِي تِهَامِهِ (٢)
وَأَتَتْ لِثَالِثِهَا ، وَلَمْ تَسْتَحْيِ أَنْ فَضَّتْ خِتَامَهُ
فَرَأَتْهُ بِأَمْرٍ أَنْ تَكْبُو نَ لَهَا عَلَى الطَّيْرِ الزَّعَامَةِ
فَبَكَتْ لِدَاكِ تَنْدُمًا هَيْهَاتَ لَا تُجِدِي النَّدَامَةَ !
وَأَتَتْ نَبِيَّ اللَّهِ وَهِيَ تَقُولُ : يَا رَبُّ السَّلَامَةَ !
قَالَتْ : فَقَدْتُ الْكَتَبَ - يَا مَوْلَايَ - فِي أَرْضِ الْيَمَامَةِ (٣)

(١) رامة ، وتهامة ، واليمامة : امكنة .

— ١٦٩ —

... لِتَسْرِعِي لِمَا أَنَا فِي الْبَازُ يَدْفَعُنِي أَمَامَهُ !
فَأَجَابَ : بَلْ جِئْتِ الَّذِي كَادَتْ تَقُومُ لَهُ الْقِيَامَةُ
لَكِنْ كِفَاكِ عَقُوبَةٌ مَن خَانَ خَانَتَهُ الْكَرَامَةُ !

الأسد والضفدع

إنفع بما أُعْطيتَ من قِدرَةٍ واشفع لذي الذنبِ لَدَى المِجمعِ
إِذْ كَيْفَ تَسْمُو لِلْعُلَا يَافَتَى إِنْ أَنْتَ لَمْ تَنْفَعْ وَلَمْ تَشْفَعْ ؟
عِنْدِي لِهَذَا نَبَأٌ صَادِقٌ يُعْجِبُ أَهْلَ الْفَضْلِ فَاسْمَعِ : وَعِ
قَالُوا : اسْتَوَى اللَّيْثُ عَلَى عَرْشِهِ فَجِئْتُ فِي الْمَجْلِسِ بِالضَّفْدَعِ
وَقِيلَ لِلسُّلْطَانِ : هَذِي الَّتِي بِالْأَمْسِ آذَتْ عَالِيَّ الْبِسْمَعِ
تَنْفَتِقُ الدَّهْرَ بِلَا عِلَّةٍ وَتَدْعِي فِي الْمَاءِ مَا تَدْعِي
فَانْظُرْ - إِلَيْكَ الْأَمْرُ - فِي ذَنْبِهَا وَمُرَّ نُعَلِّقُهَا مِنْ الْأَرْبَعِ
فَنَهَضَ الْفَيْلُ وَزِيرُ الْعُلَا وَقَالَ : يَا ذَا الشَّرَفِ الْأَرْفَعِ
لَا خَيْرَ فِي الْمَلِكِ وَفِي عِزِّهِ إِنْ ضَاقَ جَاهُ اللَّيْثِ بِالضَّفْدَعِ
فَكُتِبَ اللَّيْثُ أَمَانًا لَهَا وَزَادَ أَنْ جَادَ بِمُسْتَنْقَعِ !

النملة الزاهدة

سعى الفتي في عيشه عبادة
لأن بالسعى يقوم الكون
فإن تشأ فهذه حكاية
كانت بأرض نملة تنبالة
واشتهرت في النمل بالتقشف
لكن يقوم الليل من يفتات
والنمل لا يسعى إليه الحب
فخرجت إلى التماس القوت
تقول : هل من نملة تقيّة
لقد عيبت بالطوى المبرح
فصاحت الجارات : يا لعار
متى رضيعنا مثل هذى الحال ؟
ونحن في عين الوجود أمة
نحيل ما لا يصبر الجمال
ألم يقل من قوله الصواب :
فامضى ؛ فلما ياعجوز الشوم

وقائده يهديه للسعادة
والله للساعين نعم العون
تعد في هذا المقام غاية
لم تسأل يوماً لذة البطالة
واتصفت بالزهد والتصوف
فالبطن لا تملؤه الصلاة
ونملى شوق عليها الدأب
وجعلت تطوف بالبيوت
تنعم بالقوت لدى الوليّة ؟
ومنذ ليلتين لم أسبح
لم تترك النملة للصرصار !
متى مددنا الكف للسؤال ؟
ذات اشتهاً بغلو الهمة
عن بعضه لو أنها نمال
ما عندنا لسائل جواب ؟
نرى كمال الزهد أرمى !

الْيَمَامَةُ وَالصِّيَادُ

يَمَامَةٌ كَانَتْ بِأَعْلَى الشَّجَرَةِ	آمِنَةٌ فِي عُشِّهَا مُسْتَتِيرَةٌ
فَأَقْبَلَ الصَّيَادُ ذَاتَ يَوْمٍ	وَحَامَ حَوْلَ الرُّوْضِ أَيْ حَوْماً
فَلَمْ يَجِدْ لِلطَّيْرِ فِيهِ ظِلًّا	وَهُمْ بِالرَّحِيلِ حِينَ مَلَأَ
فَبَرَزَتْ مِنْ عُشِّهَا الْحُمَقَاءُ	وَالْحُمَقُ دَاءٌ مَالَهُ دَوَاءُ
تَقُولُ جَهْلًا بِالَّذِي سَيَحْدُثُ :	يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ ، عَمَّ تَبْحَثُ ؟
فَالْتَفَتَ الصَّيَادُ صَوْبَ الصَّوْتِ	وَنَحْوَهُ سَدَّدَ سَهْمَ الْمَوْتِ
فَسَقَطَتْ مِنْ عَرْشِهَا الْمَكِينِ	وَوَقَعَتْ فِي قَبْضَةِ السُّكَّينِ
تَقُولُ قَوْلَ عَارِفٍ مُحَقِّقٍ :	«مَلَكَتْ نَفْسِي لَوْ مَلَكَتْ مُنْطِقِي !»

الكلبُ والحَمَامَةُ

حِكَايَةُ الكَلْبِ مَعَ الحَمَامَةِ	تشهدُ للجنسينِ بالكرامة
يُقَالُ : كان الكلبُ ذاتَ يومٍ	بينَ الرياضِ غارقاً في النومِ
فجاءَ من ورائه الثعبانُ	مُنْتَفِخاً كأنه الشيطانُ
وهمَّ أن يغديرَ بالإمينِ	غرقتِ الورقاءُ للمسكينِ
ونزلتُ تَوّاً تُغيثُ الكلبا	ونقرتهُ نقرَةً ، فهباً
فحمدَ اللهَ على السلامة	وحفظَ الجميلَ للحمامة
إذ مرَّ ما مرَّ من الزمانِ	ثم أتى المالكُ للبُستانِ
فسبقَ الكلبُ لتلك الشجرة	ليُنذِرَ الطيرَ كما قد أُنذِرُهُ
واتخذَ النِّبَحَ له علامة	ففهمتُ حديثُهُ الحمامة
وأقلتُ في الحالِ للخلاصِ	فسلّمتُ من طائرِ الرّصاصِ
هذا هو المعروفُ يَأْمَلُ الفِطْنُ	الناسُ بالناسِ ، ومَن يُعِنُ يُعَنُ !

الكلبُ والبَغَاءُ

كان لبعض الناس بَغَاءٌ ما ملَّ يوماً نطقها الإصغاءُ
رفيعةُ القدرِ لدى مولاها وكلُّ مَنْ في بيته يهواها
وكان في المنزلِ كلبٌ عالى أرخصه وجودُ هذا الغالى
كذا القليلُ بالكثيرِ ينقصُ والفضلُ بعضه لبعض مُرخِصُ
فجاءها يوماً على غرارِ وقلبه من بغضها في نارِ
وقال : يامليكة الطيورِ ويا حياة الأنيس والسرورِ
بحسنِ نطقكِ الذى قد أصبى إلا أريئني اللسانَ العذبا
لأننى قد خرتُ في التفكرُ لما سمعتُ أنه من سُكرِ !
فأخرجتُ من طيشها لسانها فعضه بنابه ، فشأنها
ثم مضى من فوره يصيحُ : قطعته لأنه فصيحُ !
وما لها عندي من ثأرٍ يُعدُّ غيرَ الذى سموه قديماً بالحسدِ !

الْحِمَارُ وَالْجَمَلُ

كان لبعضهم حِمَارٌ وَجَمَلٌ	نالهما يوماً من الرُّقِّ مَلَكٌ
فانتظرا بِشَائِرَ الظُّلَمَاءِ	وانطلقا معاً إلى البَيْدَاءِ
يجتليانِ طَلْعَةَ الحُرِّيَّةِ	ويَنشَقَّانِ رِيحَهَا الزَّكِيَّةِ
فاتفقا أن يَفْضِيَا العُمَرَ بِهَا	وارتَضَيَا بِمَائِهَا وَعُشْبَهَا
وبعدَ لَيْلَةٍ مِنَ المَسِيرِ	التفت الحِمَارُ لِلْبَعِيرِ
وقال : كَرَبُّ يَا أَخِي عَظِيمٌ	فقف ؛ فَنَمْشِي كُلُّهُ عَقِيمٌ !
فقال : سَلْ فِدَاكَ أُمِّي وَأَبِي	عسى تَنَالُ بِي جَلِيلَ المَطْلَبِ
قال : انطلقْ معي لِإِدْرَاكِ المُنَى	أو انتظرِ صَاحِبَكَ الحَرَّ هُنَا
لا بُدَّ لِي مِنْ عَوْدَةٍ لِلْبَلَدِ	لأنِّي تَرَكْتُ فِيهِ مِقْوَدِي !
فقال سر والزَّمْ أَخَاكَ الوَتِيدَا	فلَئِمَّا خُلِقْتَ كَي تُقَيِّدَا !

دُودَةُ الْقَزِّ وَالْدُودَةُ الْوَضَاءِ

لِدُودَةِ الْقَزِّ عِنْدِي	وَدُودَةِ الْأَضْوَاءِ
حِكَايَةً تَشْتَهِيهَا	مَسَامِعُ الْأَذْكِيَاءِ
لَمَّا رَأَتْ تِلْكَ هَذِي	تُنِيرُ فِي الظَّالِمَاءِ
سَعَتْ إِلَيْهَا، وَقَالَتْ :	تَعِيشُ ذَاتُ الضُّيَاءِ !
أَنَا الْمَوْمِلُ نَفْعِي	أَنَا الشَّهِيرُ وَفَائِي
حَلَا لِي النَّفْعُ حَتَّى	رَضِيتُ فِيهِ فَنَائِي
وَقَدْ أَتَيْتُ لِحَظِي	بِوَجْهِكَ الْوَضَاءِ
فَهَلْ لِنُزْرِ الثُّرَى فِي	مَوَدَّقِي وَإِخَائِي ؟

* * *

قَالَتْ . عَرَضَتْ عَلَيْنَا	وَجْهًا بِغَيْرِ حَيَاءِ !
مَنْ أَنْتِ حَتَّى تُدَانِي	ذَاتَ السَّنَاوَالسَّنَاءِ ؟ !
أَنَا الْبَدِيعُ جَمَالِي	أَنَا الرَّفِيعُ عَلَائِي
أَيْنَ الْكَوَاكِبُ مِنِّي ؟ !	بَلْ أَيْنَ بَدْرُ السَّمَاءِ ؟ !
فَامْضِي ؛ فَلَا وَدَّعْنِي	إِذْ لَسْتَ مِنْ أَكْفَائِي !

* * *

وَعِنْدَ ذَلِكَ مَرَّتْ حَسَنَاءُ مَعَ حَسَنَاءِ

- ١٧٧ -

تقولُ : اللهُ ثوبى فى حُسْنِهِ والْبَهَاءِ !
كم عندنا من أَيْادٍ للدودةِ الغراءِ !
ثم انشئتُ فأتتُ ذى تقولُ للحمقاء :
هل عندك الآنَ شِكٌّ فى رُتْبَتِي القَعَساءِ ؟
وقد رأيتُ صنيعى وقد سمعتُ ثنائى ؟
إن كان فيك ضياءُ إن الثناءَ ضيائى
وإنه لضياءُ مؤيدٌ بالبقاءِ !

الْجَمَلُ وَالتَّغْلِبُ

كان على بعض الدُّروبِ جَمَلٌ حَمَلُهُ المَالِكُ ما لا يُحْمَلُ
فقال : يا للنَّحِسِ والشَّقَاءِ ! إن طال هذا لم يَطُلْ بَقائِي
لم تحمِلِ الجِبَالُ مثْلَ حِمْلِي أَظُنُّ مولاى يُريدُ قَتْلِي !
فجاءَهُ الثَّغْلَبُ من أَمَامِهِ وكان نالَ القَصْدَ من كَلَامِهِ
فقال . مهلاً يا أَخا الأَحْمَالِ ويا طویلَ الباعِ فى الجِمالِ
فأنتَ خَيْرٌ من أَخِيكَ حالا لأننى أَتَعَبُ مِنْكَ بالَا
كأنَّ قُدَّامِي أَلْفَ دِيكٍ تسألنى عن دمها المِسْفُوكِ
كأنَّ خَلْفِي أَلْفَ أَلْفِ أَرْنَبٍ إذا نَهَضْتُ جاذِبَتْنِي ذَنْبِي
وَرُبَّ أُمٍّ جِئْتُ فى مُنَاجِهَا فجَعَلْتُهَا بالفَتكِ فى أَفْراحِهَا
يَبْعَثُنِي مِنْ مَرَقْدِي بُكَاهَا وَأَفْتَحُ العَيْنَ على شَكواها
وقد عرفتَ خافَى الأَحْمَالِ فاصْبِرْ . وقلْ لأُمَّةِ الجِمالِ :
ليسَ بِجَمَلٍ ما يَمَلُّ الظَّهْرُ ما الجِملُ إلا ما يُعانى الصَّدْرُ

الْغَزَالَةُ وَالْأَتَانُ

غَزَالَةٌ مَرَّتْ عَلَى أَتَانٍ تُقْبِلُ الْفَطِيمَ فِي الْأَسْنَانِ
وَكَانَ خَلْفَ الطَّبِيَّةِ ابْنُهَا الرَّشَا يُوَدِّهَا لَوْ حَمَلَتْهُ فِي الْحَشَا
فَفَعَلْتُ بِسَيِّدِ الصَّغَارِ فَعَلَرَ الْأَتَانِ بِأَبْنِهَا الْحِمَارِ
فَأَسْرَعَ الْحِمَارُ نَحْوَ أُمِّهِ وَجَاءَهَا وَالضَّحْكُ مِلْنُهُ فَمِمْهِ
يَصِيحُ : يَا أُمَّاهُ ، مَاذَا قَدْ دَهَا حَتَّى الْغَزَالَةُ اسْتَخَفَّتْ ابْنَهَا ؟!

الثَّعْلَبُ الَّذِي انْخَلَبَ

قد سمِعَ الثَّعْلَبُ أَهْلَ الْقَرْيِ	يدعونَ مُحْتالاً بيا ثعلبُ !
فَقَالَ حَقًّا هَذِهِ غَايَةٌ	فِي الْفَخْرِ لَا تُؤْتَى وَلَا تُطْلَبُ
مَنْ فِي النَّهْيِ مِثْلِي حَتَّى الْوَرَى	أَصْبَحْتُ فِيهِمْ مَثَلًا يُضْرَبُ
مَا ضَرَّ لَوْ وَافَيْتُهُمْ زَائِرًا	أَرِيهِمْ فَوْقَ الَّذِي اسْتَغْرَبُوا
لَعَلَّهُمْ يُخَيُّونَ لِي زِينَةً	يَحْضُرُهَا الدِّيْكُ أَوْ الْأَرْنَبُ
وَقَصَدَ الْقَوْمَ وَحِيَاثَهُمْ	وَقَامَ فِيهَا بَيْنَهُمْ يَخْطُبُ
فَأُخِذَ الزَّائِرُ مِنْ أُذُنِهِ	وَأُعْطِيَ الْكَلْبُ بِهِ يَلْعَبُ !
فَلَا تَثِقْ يَوْمًا بِذِي حِيلَةٍ	إِذْ رُبَّمَا يَنْخَلِعُ الثَّعْلَبُ !

ثُعَالَةُ وَالْحِمَارُ

أَتَيْ ثُعَالَةً يَوْمًا من الضَّوَّاحِي حِمَارُ
وَقَالَ إِنْ كُنْتَ جَارِي حَقًّا وَنَعَمَ الْجَارُ
قُلْ لِي فَإِنِّي كَثِيبٌ مُفَكَّرٌ مُحْتَارُ
فِي مَوْكِبِ الْأَمْسِ لَمَّا سَرْنَا وَسَارَ الْكِبَارُ...
... طَرَحْتُ مَوْلَايَ أَرْضًا فَهَلْ بِذَلِكَ عَارُ
وَهَلْ أَتَيْتُ عَظِيمًا ! فَقَالَ : لَا يَا حِمَارُ !

البغل والجواد

بغلٌ أتى الجوادَ ذاتَ مرَّةٍ وقلبه مُمتليٌّ مَسَرَّةٍ
فقال : فضلى قد بدا يا خيلِي وأنَّ أنْ تُعرِفَ لى مَحَلِّي
إذ كنتَ أُمسِ ماشياً بجانبِي تعجَّبُ من رقصِي تحتَ صاحبي
أختالُ ، حتى قالتِ العبادُ : لمنْ مِنَ الملوكِ ذا الجوادُ ؟
فضحك الحِصانُ من مقالِهِ وقال بالمعهدِ من دلالِهِ :
لم أَرِ رقصَ البغلِ تحتَ الغازِى لكن سمعتُ نقرَةَ المِهمازِ !

الْفَارَةُ وَالْقِطَّةُ

سَمِعْتُ أَنَّ فَارَةً أَتَاهَا	شَقِيقُهَا يَنْعَى لَهَا فَتَاهَا
يَصِيحُ : يَا مَنْ نُحُوسِ بَخْتِي	مَنْ سَلَطَ الْقِطُّ عَلَى ابْنِ أُخْتِي؟!
فَوَلَوْتُ وَعَضَّتِ التُّرَابَا	وَجَمَعْتُ لَلْمَاتِمِ الْأَتْرَابَا
وَقَالَتْ : الْيَوْمَ انْقَضَتْ لَذَائِي	لَاخِرَ لِي بَعْدَكَ فِي الْحَيَاةِ
مَنْ لِي بِهِرٍ مِثْلِ ذَلِكَ الْهَرِّ	يُرِيحُنِي مِنْ ذَا الْعَذَابِ الْمُرِّ؟!
وَكَانَ بِالْقُرْبِ الَّذِي تَرِيدُ	يَسْمَعُ مَا تُبْدِي وَمَا تُعِيدُ
فَجَاءَهَا يَقُولُ : يَا بُشْرَاكِ	إِنَّ الَّذِي دَعَوْتَ قَدْ لَبَّكَ !
فَفَزِعَتْ لَمَّا رَأَتْهُ الْفَارَةُ	واعتصمت منه ببيتِ الجارةِ
وَأَشْرَفْتُ تَقُولُ لِلْسَفِيهِ :	إِنْ مِتُّ بَعْدَ ابْنِي فَمَنْ يَبْكِيهِ؟!

الْغَزَالُ وَالْخُرُوفُ وَالتَّيْسُ وَالذُّنْبُ

تَنَازَعَ الْغَزَالُ وَالْخُرُوفُ وَقَالَ كُلُّ : إِنَّهُ الظَّرِيفُ
فَرَأَى التَّيْسَ ؛ فَظَنَّا أَنَّهُ أَعْطَاهُ عَقْلًا مَنْ أَطَالَ ذَقْنَهُ !
فَكَلَّمَاهُ أَنْ يُفْتَشِّرَ الْفَلَا عَنْ حَكْمٍ لَهُ اعْتِبَارٌ فِي الْمَلَا
يَنْظُرُ فِي دَعَوَاهُمَا بِالذَّقِ عَسَاهُ يُعْطَى الْحَقُّ مُسْتَحِقُّهُ
فَسَارَ لِلْبَحْثِ بِلا تَوَانِي مُفْتَخِرًا بِثِقَةِ الْإِخْوَانِ
يَقُولُ : عِنْدِي نَظْرَةٌ كَبِيرَةٌ تَرْفَعُ شَأْنَ التَّيْسِ فِي الْعَشِيرَةِ
وَذَاكَ أَنْ أَجْدَرَ الثَّنَاءِ بِالصَّدْقِ مَا جَاءَ مِنَ الْأَعْدَاءِ
وَلَمْنِي إِذَا دَعَوْتُ الدُّيْبَا لَا يَسْتَطِيعَانِ لَهُ تَكْذِيبَا
لِكَوْنِهِ لَا يَعْرِفُ الْغَزَالَا وَلَيْسَ يُلْقَى لِلْخُرُوفِ بِالَا
ثُمَّ أَتَى الدُّيْبَ ، فَقَالَ : طَلَبْتَنِي أَنْتَ ، فَيَسِّرْ مَعِيَ ، وَخُذْ بِلِحْيَتِي !
وَقَادَهُ لِلْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ فَقَامَ بَيْنَ الظُّبْيِ وَالْخُرُوفِ
وَقَالَ : لَا أَحْكُمُ حَسَبَ الظَّاهِرِ فَمَزَّقَ الظُّبْيَيْنِ بِالْأَظْفَارِ
وَقَالَ لِلتَّيْسِ : انْطَلِقْ لِشَأْنِكََا مَا قَتَلَ الْخَصْمَيْنِ غَيْرُ ذَقْنِكََا !

التَّغْلِبُ وَالْأَرْزَبُ وَالذِّيكُ

لَمَّا رَأَى الذِّيكُ يُسَبُّ التَّغْلِبَا	من أعجب الأخبار أن الأرنباً
يَغْلِبُ بِالْمَكَانِ ، لَا الْإِمَكَانِ	وهو على الجدار في أمانٍ
أَمْسَى مِنَ الضَّعْفِ يُطَبِّقُ السَّاحِرَا	داخله الظن بأن الماكرا
عِدَادَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ مُغْفَلِي	فجاءه يلعن مثل الأول
عَصَفَ أَخِيهِ الذِّيبَ بِالْخُرُوفِ	فعصف التغلب بالضعيف
تَسْلِيَةً عَنْ خِيْبَتِي فِي الذِّيكِ !	وقال : لي في ذمك المسفول
وَقَالَ قَوْلَ عَارِفٍ فَصِيحِ	فالتفت الديك إلى الذبيح
فِي النَّاسِ مَنْ يُنْطَقُهُ مَكَانُهُ !	ما كلنا ينفعه لسانه

التَّغْلَبُ وَأُمُّ الذُّنْبِ

كان ذُنْبٌ يَتَغَدَّى	فَجَرَتْ فِي الزَّوْرِ عَظْمَهُ
الزَّمَنَةُ الصَّوْمَ حَتَّى	فَجَعَتْ فِي الرُّوحِ جِسْمَهُ
فَأَنَّ التَّغْلَبُ يَبْكِي	وَيُعْزِّي فِيهِ أُمَّهُ
قال : يا أُمَّ صَدِيقِي	بَنِي مِمَّا بِكَ غُمَّةٌ
فاصْبِرِي صِرًّا جَمِيلًا	إِنَّ صَبْرَ الْأُمِّ رَحْمَةٌ
فَأَجَابَتْ : يَا ابْنَ أُخْتِي	كُلُّ مَا قَدْ قَلَّتْ حِكْمَةٌ
ما بِي الْعَالِي ، وَلَكِنْ	قَوْلُهُمْ : مَاتَ بِعَظْمِهِ !
لَيْتَهُ مِثْلَ أَخِيهِ	مَاتَ مُحْسُودًا بِتُخْمِهِ !

ديوان الاطفال

(مجموعة من الشعر السهل ، نظمها
تسكون للاطفال أدبا ونسافة) :

الهِرَّةُ وَالنَّظَافَةُ

هَرَّتْ جِدُّ أَلِفَةٍ وَهِيَ لِلْبَيْتِ حَلِيفَةُ
هِيَ مَا لَمْ تَتَحَرَّكَ دُمِيَّةُ الْبَيْتِ الظَّرِيفَةُ
فَإِذَا جَاءَتْ وَرَاحَتْ زَيْدَ فِي الْبَيْتِ وَصِيفُهُ
شَغَلَهَا الْفَارُّ : تُنْقَى الرَّفَّ مِنْهُ وَالسَّقِيفَةُ
وَتَقُومُ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ بِأَوْرَادِ شَرِيفِهِ
وَمِنَ الْأَثْوَابِ لَمْ تَمْسَلِكْ سِوَى فَرْوِ قَطِيفِهِ
كَلِمَا اسْتَوْسَخَ ، أَوْ آوَى الْبِرَاغِيثَ الْمُطِيفِهِ
غَسَلَتْهُ ، وَكَوَتْهُ بِأَسَالِيبَ لَطِيفِهِ
وَحَدَّتْ مَا هُوَ كَالْحَمَّامِ مِ الْمَاءِ وَظِيفِهِ
صَبَّرَتْ رِيْقَتَهَا الصَّا بُونَ ، وَالشَّارِبَ لَيْفِهِ

* * *

لَا تَمُرَّنَّ عَلَى الْعَيْنِ وَلَا بِالْأَنْفِ جِيفِهِ
وَتَعُوذُ أَنْ تُتْلَقَى حَسَنَ الثَّوْبِ نَظِيفِهِ
إِنَّمَا الثَّوْبُ عَلَى الْإِنْسَانِ عُتْوَانُ الصَّحِيفِهِ

الْجَدَّةُ :

لى جَدَّةُ تَرَأْفُ بى أَحْنَى عَلَى مِن ابْنِ
وَكُلُّ شَيْءٍ سَرْنَى تَذْهَبُ فِيهِ مَذْهَبِ
إِنْ غَضِبَ الْأَهْلُ عَلَى كُلِّهِمْ لَمْ تَغْضَبِ
مَشَى أَبِى يَوْمًا إِلَى مِشْيَةِ الْمُؤَدِّبِ
غَضِبَانِ قَدْ هَدَّدَ بِالضَرْبِ ، وَإِنْ لَمْ يَضْرِبِ
فَلَمْ أَجِدْ لى مِنْهُ غَيْرَ جِدَّتِى مِنْ مَهْرَبِ
فَجَعَلْتَنِى خَلْفَهَا أَنْجُو بِهَا ، وَأَخْتَبِى
وَهَى تَقُولُ لِأَبِى بِلَهْجَةِ الْمُؤَدِّبِ :
وَيْحُ لَهُ ! وَيْحُ لَهُ ذَا الْوَلَدِ الْمُعَذِّبِ !
أَلَمْ تَكُنْ تَصْنَعُ مَا يَصْنَعُ إِذْ أَنْتَ صَبِى ؟

الْوَطَنُ :

عُصْفُوزَتَانِ فِي الْحِجَا زِ حَلَّتَا عَلَى فَنَنْ
فِي خَامِلٍ مِنَ الرِّيَا ضِنْ ، لَانْدٍ ، وَلَا حَسَنَ
بَيْنَاهُمَا تَنْتَجِيَا نِ سَحَرًا عَلَى الْغُصْنِ
مَرًّا عَلَى أَيْكِهِمَا رِيحٌ سَرَى مِنَ الْيَمَنِ
حَيًّا وَقَالَ : دُرَّتَا نِ فِي وَعَاءٍ مُسْتَهَن !
لَقَدْ رَأَيْتُ حَوْلَ صَدِّ مَاءً ، وَفِي ظِلِّ عَدَن (١)
خِمَانِلًا كَأَنهَا بَقِيَّةٌ مِنْ ذِي يَزَن (٢)
الْحَبُّ فِيهَا سُكَّرٌ وَالْمَاءُ شُهْدٌ وَابِنُ
لَمْ يَرَهَا الطَّيْرُ وَلَمْ يَسْمَعْ بِهَا إِلَّا افْتَتَنَ
هَيَّا أَرْكَبَانِي نَأْتِيهَا فِي سَاعَةِ مَنْ الزَّمَنِ

* * *

قَالَتْ لَهُ إِحْدَاهُمَا وَالطَّيْرُ مِنْهُنَّ الْفَطِينُ
يَارِيحُ أَنْتَ ابْنُ السَّبِيحِ لَنْ : مَا عَرَفْتَ مَا السَّكَنِ
هَبْ جَنَّةَ الْخُلْدِ الْيَمَنِ لَا شَيْءَ يَعْدِلُ الْوَطَنُ !

(١) مسنعاء وعدن : من بلاد اليمن .

(٢) ذو يزن : من القاب . ملوك اليمن في التاريخ القديم .

الرَّفْقُ بِالْحَيَوَانِ

الحيوانُ	خَلَقَ	لَهُ	عَلَيْكَ	حَقُّ
بَسْمُورِهِ	اللَّهُ	لَكَ	وَلِلْعِبَادِ	قَبْلَكَ
حَمُولَةٌ	الْأَثْقَالِ	وَمُرْضِعُ	الْأَطْفَالِ	
وَمُطْعَمُ	الْجَمَاعَةِ	وْخَادِمُ	الزَّرَاعَةِ	
مِنْ حَقِّهِ	أَنْ يُرْفَقَا	بِهِ	وَأَلَا يُرْهَقَا	
إِنْ كَلَّ دَعَهُ	يَسْتَرْخِ	وَدَاوَهُ	إِذَا جُرِحَ	
وَلَا يَجُوعُ	فِي دَارِكََا	أَوْ يَظْمَأُ	فِي جَوَارِكََا	
بِهَيْمَةٍ	مِسْكِينُ	يَشْكُو	فَلَا يُبِينُ	
لِسَانُهُ	مَقْطُوعُ	وَمَا لَهُ	دُمُوعُ !	

الأم

لولا التُّقى لقلتُ : لم يَخْلُقْ سِوَالِكِ الْوَلَدَا !
إِنْ شِئْتَ كَانَ الْغَيْرَ ، أَوْ إِنْ شِئْتَ كَانَ الْأَسَدَا
وَإِنْ تُرِذْ غِيًّا غَوَى أَوْ تَبْغِرْ رُشْدًا رَشَدَا
وَالْبَيْتُ أَنْتِ الصَّوْتُ فِيْسِهِ ، وَهُوَ لِلصَّوْتِ صَدَى
كَالْبَبْغَا فِي قَفْصٍ : قِيلَ لَهُ ، فَقَلَّدَا
وَكَالْقَضِيبِ اللَّذَنِ : قَدْ طَاوَعَ فِي الشَّكْلِ الْيَدَا
يَأْخُذُ مَا عَوَّدَتْهُ وَالْمَرْءُ مَا تَعَوَّدَا !

وَلَدُ الْغَرَابِ

وَمَهْدٌ فِي الْوَكْرِ مِنْ	وَلَدِ الْغَرَابِ مُزَقِّقٌ
كَرُوبَيْهٍ مُتَقَلِّسٍ	مُتَنَاطِقٍ (١)
لَبَسَ الرَّمَادَ عَلَى سَوَا	دِ جَنَاحِهِ وَالْمَفْرِقِ
كَالْفَحْمِ غَادَرَ فِي الرَّمَا	دِ بَقِيَّةً لَمْ تُحْرِقْ
ثُلَاثُهُ مِنْقَارٌ وَرَأُ	سُ ، وَالْأَظْفَارُ مَا بَقِيَ
ضَخَمُ الدَّمَاعِ عَلَى الْخُلُوِّ	مِنْ الْحِجَى وَالْمَنْطِقِ
مِنْ أُمِّهِ لَقِيَ الصِّغِ	يَرُ مِنْ الْبَلِيَّةِ مَا لَقِيَ
جَلَبَتْ عَلَيْهِ مَا تَذُو	دُ الْأُمِّهَاتُ وَتَتَّقِي
فُنِنَتْ بِهِ ، فَتَوَهَّمَتْ	فِيهِ قُوَى لَمْ تَخْلُقْ
قَالَتْ : كَبُرَتْ ، فَنِيبَ كَمَا	وَتَبَ الْكِبَارُ ، وَحَلَّقْ
وَرَمَتْ بِهِ فِي الْجَوِّ ، لَمْ	تَحْرِصْ ، وَلَمْ تَسْتَوْثِقْ
فَهَوَى ، فَمُزَّقٌ فِي فِنَا	دِ الدَّارِ شَرٌّ مُمَزَّقٌ
وَسَمِعَتْ قَاقَاتٍ تَرْدُ	دُ فِي الْفَضَاءِ وَتَرْتَقِي (٢)

(١) رويهب : راهب صغير ، والمتقلس ، والمتأزر ، والمنطق : الذي يلبس القلنسوة ، والأزار ، والنطاق ، كالرهبان .
(٢) القاقات : نعيق الغربان .

— ١٩٤ —

ورأيتُ غريباً تفرَّ قُ في السماء وتلتقى
وعرفتُ رثةً أمه في الصارِخاتِ النُّعَى
فأشرتُ، فالتفتتُ، فقامتُ لها مَقالةٌ مُشْفِيقُ:
أطلقته ، ولو امتحنتُ جَنَاحَه لم تُطْلِقْ
وكما تَرَفَّقَ والدًا لِكِ عليكِ لم تَرَفَّقِي !

النَّيْلُ

النَّيْلُ الْعَذْبُ هُوَ الْكَوْثَرُ وَالْجَنَّةُ شَاطِئُهُ الْأَخْضَرُ
رِيَّانُ الصَّفْحَةِ وَالْمَنْظَرُ مَا أَبْهَى الْخُلْدَ وَمَا أَنْصَرُ !

• • •

الْبَحْرُ الْفَيَاضُ ، الْقُدْسُ السَّاقِ النَّاسُ وَمَا غَرَسُوا
وَهُوَ الْمِنَوَالُ لَمَّا لَبَسُوا وَالْمَنْعِمُ بِالْقَطَنِ الْأَنْوَرُ

• • •

جَعَلَ الْإِحْسَانَ لَهُ شَرْعًا لَمْ يُخْلِ الْوَادِيَّ مِنْ مَرْعَى
فَتَرَى زَرْعًا يَتَلَوُّ زَرْعًا وَهَنَا يُجْنَى ، وَهَنَا يُبْتَدَرُ

• • •

جَارٍ وَيُرَى لَيْسَ بِجَارٍ لِأَنَاءٍ فِيهِ وَوَقَارُ
يَنْصَبُ كَتَلٌ مُنْهَارٍ وَيَضِجُ فَتَحْسَبُهُ يَزَارُ

• • •

حَبِثَى اللَّوْنِ كَجِيرَتِهِ مِنْ مَنَبَعِهِ وَبُحِيرَتِهِ
صَبَغَ الشَّطِئِينَ بِسُمرَتِهِ لَوْنًا كَالْمَسْكِ وَكَالْعَنْبَرِ

المَدْرَسَةُ

أنا المَدْرَسَةُ أَجْعَلُنِي كَأُمٍّ ، لَا تَعِيلُ عَنِّي
وَلَا تَفْزَعُ كَمَاخُودٍ مِنْ الْبَيْتِ إِلَى السُّجُنِ
كَأَنِّي وَجْهُ صَيَّادٍ وَأَنْتِ الطَّيْرُ فِي الْغَصَنِ
وَلَا بُدَّ لَكَ الْيَوْمَ - وَلَا فُغْدًا - مِنِّي
أَوْ اسْتَغْنِ عَنِ الْعَقْلِ إِذْنُ عَنِّي تَسْتَغْنِي
أَنَا الْمِصْبَاحُ لِلْفِكْرِ أَنَا الْمِفْتَاحُ لِلذَّهْنِ
أَنَا الْبَابُ إِلَى الْمَجْدِ تَعَالَى ادْخُلْ عَلَى الْيَمَنِ
غَدًا تَرْتَعُ فِي حَوْشِي وَلَا تَشْبَعُ مِنْ صَخْنِي
وَأَلْقِ الْكَلِمَةَ بِالْإِخْوَانِ يُدَانُونَكَ فِي السَّنِ
تُنَادِيهِمْ بِبِافِكْرِي وَيَا شَوْقِي ، وَيَا حُسْنِي
وَأَبْسَاءُ أَحْبُوكَ وَمَا أَنْتَ لَهُمْ بِأَبْنِ

نشيد مضر

بني مصر مَكَانُكُمْ تَهَيَّاهُ فَهَيَّاهُ مَهْدُوا لِلْمَلِكِ هَيَّاهُ
خُذُوا شَمْسَ النَّهَارِ لَهُ حُلِيَّاهُ أَلَمْ تَكُنْ تَاجَ أَوْلِيكُمْ مَلِيَّاهُ؟

* * *

على الأخلاق خُطُّوا الْمَلِكُ وَابْنُوا فَلَيْسَ وَرَاءَهَا لِلْعِزِّ رُكْنُ
أَلَيْسَ لَكُمْ بِوَادِي النَّيْلِ عَدْنُ وَكَوْثَرُهَا الَّذِي يَجْرِي شَهِيَّاهُ؟

* * *

لَنَا وَطَنٌ بِأَنْفُسِنَا نَقِيهِ وَبِالدُّنْيَا الْعَرِيضَةِ نَقْتَلِبُهُ
إِذَا مَا سِيلَتِ الْأَرْوَاحُ فِيهِ بَدَلْنَاهَا كَأَنَّ لِمَنْ نَعْطِي شَيْئًا

* * *

لَنَا الْهَرَمُ الَّذِي صَحِبَ الزَّمَانَا وَمَنْ حَدَّثَانِيهِ أَخَذَ الْأَمَانَا
وَنَحْنُ بَنُو السَّنَا الْعَالِي، نَمَانَا أَوَائِلُ عَلَّمُوا الْأُمَمَ الرُّقِيَا

* * *

تَطَاوَلَ عَهْدُهُمْ عِزًّا وَفَخْرًا فَلَمَّا آتَى لِلتَّارِيخِ ذُخْرُ
نَشَانَا نَشَأَةً فِي الْمَجْدِ أُخْرَى جَعَلْنَا الْحَقَّ مَظْهَرَهَا الْعَلِيَّا

* * *

— ١٩٨ —

جعلنا مِصْرَ مِلَّةَ ذِي الْجَلَالِ وَالْفَتْنَا الصَّلِيبَ عَلَى الْهِلَالِ
وَأَقْبَلْنَا كَصَفٍّ مِنْ عَوَالٍ يُشَدُّ السَّمْهَرِيُّ السَّمْهَرِيَّاتِ

• • •

نَرُومُ لِمِصْرٍ عِزًّا لَا يُرَامُ يَرِفُّ عَلَى جَوَانِبِهِ السَّلَامُ
وَيَنْعَمُ فِيهِ جِيرَانُ كِرَامٍ فَلَنْ تَجِدَ النَّزِيلَ بِنَا شَقِيًّا

• • •

نَقُومُ عَلَى الْبِنَايَةِ مُحْسِنِينَ وَنَعْهَدُ بِالتَّامِّ إِلَى بَنِينَا
إِلَيْكَ نَمُوتُ - مِصْرُ - كَمَا حَيِينَا وَيَبْقَى وَجْهُكَ الْمَقْدِيُّ حَيًّا

نَشِيدُ الْكَشَافَةِ

نَحْنُ الْكَشَافَةُ فِي الْوَادِي جَبْرِيلُ الرُّوحُ لَنَا حَادِي
يَا رَبُّ ، بِعِيسَى ، وَالْهَادِي وَمُوسَى خُذْ بِيَدِ الْوَطَنِي

* * *

كَشَافَةُ مِصْرَ ، وَصَبِيَّتُهَا وَمَنَاةُ الدَّارِ ، وَمُنِيَّتُهَا
وَجَمَالُ الْأَرْضِ ، وَحَلِيَّتُهَا وَطَلَانُ أَفْرَاحِ الْمَدِينِ

* * *

نَبِيَّائِدُ الْخَيْرِ ، وَنَسْتَبِقُ مَا يَرْضَى الْخَالِقُ وَالْخُلُقُ
بِالنَّفْسِ وَنَخَالِقُهَا نَثِيقُ وَنَزِيدُ وَثُوقاً فِي الْمَحْنِ

* * *

فِي السَّهْلِ نَرِفُ رِيَاحِينَا وَنَجُوبُ الصَّخْرِ شَيَاطِينَا
نَبِيَّ الْأَبْدَانِ وَتَبْنِينَا وَالْهَمَّةُ فِي الْجَسْمِ الْمَرْنِ

* * *

وَنُخَلِّي الْخُلُقَ وَمَا اعْتَقَدُوا وَلَوْجَهُ الْخَالِقِ نَجْتَهُدُ
نَأْسُوا الْجَرْحَى أَنَّى وَجِدُوا وَنُدَاوِي مِنْ جَرْحِ الزَّمَنِ

* * *

— ٢٠٠ —

فِي الصَّدَقِ نَشَانًا وَالْكَوْمِ وَالْعِفَّةِ عَنْ مَسِّ الْحُرَمِ
وَرِعَايَةِ طِفْلِ أَوْ مَرِمِ وَالذُّودِ عَنِ الْغِيَدِ الْحُصْنِ

• • •

وَنُوفَى الصَّارِخِ فِي اللَّجَجِ وَالنَّارِ السَّاطِعَةِ الْوَهَجِ
لَا نَسْأَلُهُ ثَمَنَ الْمُهْجِ وَكُنَى بِالْوَاجِبِ مِنْ ثَمَنِ

• • •

يَا رَبِّ ، فَكَثَّرْنَا عَدَدًا وَابْدُلْ لِأُبُوتِنَا الْمَدَدَا
هَمِّيْ لَهُمْ وَلَنَا رَشْدًا يَا رَبِّ ، وَخُذْ بِيَدِ الْوَطَنِ

من شعر الصبا

• وقال في صباه يهنئ الخديوي توفيق بعيد الفطر ويشير
الى مسلة انقلها اليه وهو في الدراسة باوروبا » :

هَضَرَ الْأَعَزَّةَ . مَا أَعَزَّ جِمَاكَا ! وَأَجَلَّ فِي الْعَلَيَاءِ بَدَرَ سَمَاكَا !
تَسَاءَلُ الْعَرَبُ الْمُقَدَّسُ بَيْتُهَا : أَعِيدَ بَابِي زُكْنِهِ فَبِنَاكَا ؟ !
وَيَقُولُ إِذْ تَأْتِيكَ تَلْتِمِيسُ الْهُدَى : سِيَّانِ هَذَا فِي الْجَلَالِ وَذَاكَ
يَا مُلْتَقَى الْقَمَرَيْنِ ، مَا أَهْأَكَ ! بَلْ يَأْتِي الْأَمَانَةَ ، وَالْجَلَالَ ، وَالْعُلَا
مَا الْعِزُّ إِلَّا فِي ثَرَى الْقَدَمِ الَّتِي يَا سَادِسَ الْأَمْرَاءِ مِنْ آبَائِهِ
لِتُرْكُ تَقْرَأُ بِاسْمِ جَدِّكَ فِي الْوَعَى نَسَبٌ لَوْ انْتَمَتِ النُّجُومُ لِعَقْدِهِ
شَرَفًا - عَزِيزَ الْعَصْرِ - فُتْ مُلُوكُهُ لَكَ جَنَّةُ الدُّنْيَا ، وَكُوْنُهَا الَّذِي
وَلَكَ الْمَدَائِنُ وَالشُّغُورُ مَنِيْعَةٌ مُلْكُ رَعِيَتِ اللَّهِ فِيهِ . مُؤَيَّدًا
نَاقَمَتَ أَمْرًا - يَا أَبَا الْعَبَّاسِ - مَا
وَأَجَلَّ فِي الْعَلَيَاءِ بَدَرَ سَمَاكَا !
أَعِيدَ بَابِي زُكْنِهِ فَبِنَاكَا ؟ !
سِيَّانِ هَذَا فِي الْجَلَالِ وَذَاكَ
يَا مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ ، مَا أَصْفَاكَا !
فِي هَالَةٍ دَارَتْ عَلَى مَغْنَاكَ
حَسَدَتْ عَلَيْهَا النَّيِّرَاتُ ثَرَاكَ
مَا لِلْإِمَارَةِ مَنْ يُعَدُّ سِوَاكَ
وَالْعَرَبُ تَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ أَبَاكَ (١)
لَتَرْفَعَتْ أَنْ تَسْكُنَ الْأَفْلَاكَ
فَضْلًا . وَفَاتَ بَنِيهِمْ نَجْلَاكَ
يَجْرِي بِهِ فِي الْمَلِكِ ثَمَرُ غِنَاكَ
فِي مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ تَحْتَ لِيَاكَ
بِاسْمِ النَّبِيِّ : مَوْفَقًا مَسْعَاكَ
مَوْنَ السَّبِيلِ عَلَى رَشِيدِ نُهَاكَ

(١) هو توفيق بن « اسماعيل » .

إن يَعرضوه على الجبال تَهْنُ له وهىَ الجبالُ ، فما أشدُّ قُواكا
بسياسةِ نَقْفِ العقولِ كَلِيلَةً لا تستطيع لَكُنْهَها إدراكا
وبَحْكَمَةٍ فى الحُكْمِ توفيقِيَّةٍ لك يَفْتَنى فيها الرجالُ خُطَاكا

• • •

مَولائِ ، عيدُ الفطرِ صُبْحُ سُعودِهِ فى مِصرَ أَسْفَرَ عن سنا بُشْراكا
فاستقبلِ الآمالَ فيه بِشائِرًا وأشائِرًا تُجَلِّ على عَلِيّاكا
ونلقُ أعيادَ الزمانِ مُنِيرَةً فهناؤُهُ ما كان فيه هَناكا
أَيَّامُكَ الغرُّ السعيدَةُ كُلُّها عيدٌ ، فعيدُ العالمين بَهاكا
فليَبْقَ بَيتُكَ . وَلِيَدُمَّ دِوانُهُ وَلِيَحْيَ جُنْدُكَ ، وَلِتَعِشْ شُوراكَا
ولِيَهْنِى بِكَ كُلَّ يومٍ أَنى فى أَلْفِ عيدٍ من سُعودِ رضاكا
بِأَيِّها الملكِ الأريبُ ، إِلِيكها عذراءُ هامتْ فى صفاتِ عَلاكا
فطوتْ إِلَيْكَ البحرَ أبيضَ نِسْبَةٍ لِينظيروهُ المورودِ من بُمناكا
قَدِمَتْ على عيدِ لِبَابِكَ بعدما قَدِمَتْ على جَديدةَ نُعماكا
أو كُلِّما جادَتْ نَدَاكَ رَوِيَّتِي سَبَّأَتْ ثَنائى بالارتجالِ يداكا ؟
أنتَ الغنى عن الشاءِ ، فإن تُرِدْ ما يُطربُ الملكَ الأديبَ فهاكا

قَصْرُ الْمُنْتَزَه

« وقال يصف قصر المنتزه العامر بالاسكندرية بعد رؤيته
معاليه الشائقة بدعوة من الجنب العال سنة ١٨٩٥ »

مُنْتَزَهُ الْعَبَّاسِ لِلْمَجْتَلَى آمَنْتُ بِاللَّهِ وَجَنَاتِهِ !
الْعَيْشُ فِيهِ لَيْسَ فِي غَيْرِهِ يَا طَالِبَ الْعَيْشِ وَلَذَاتِهِ
قُصُورٌ عَزْزٌ بِأَذْخَاتِ الدُّرَى يُوَدُّهَا كَسْرَى مَشِيدَاتِهِ
مِنْ كُلِّ رَاسِي الْأَصْلِ تَحْتَ الثَّرَى مُحِيرُ النَجْمِ بِذِرْوَاتِهِ
دَارَتْ عَلَى الْبَحْرِ سَلَالِمُهُ فَبِتْنِ أَطَوَاقاً لِلْبَابَةِ
مُنْتَظِمَاتٌ مَا ثَجَاتٌ بِهِ مُنْمَقَاتٌ مِثْلَ لُجَاتِهِ
مِنْ الرِّخَامِ النَّدْرِ ، لَكُنْهَا تُنَازِعُ الْجَوْهَرَ قِيَامَهُ
مِنْ عَمَلِ الْإِنْسِ - سِوَى أَنَّهَا تُنْسَى سَلِيَانٌ وَجَنَاتِهِ
وَالرِّيحُ فِي أَبْوَابِهِ . وَالْجَوَا رِي مَائِلَاتٌ دُونَ سَاحَاتِهِ
وِغَابُهُ مَنْ سَارَ فِي ظِلِّهَا يَبْقَى عَلَى الْبُسْفُورِ غَابَاتِهِ
بِالطُّولِ وَالْعَرِضِ تُبَاهِي ، فَذَا وَافٍ ، وَهَذَا عِنْدَ غَايَاتِهِ
وَالرَّمْلُ حَالٍ بِالضُّحَى مُذْهَبٌ يُصَدِّقُ الظِّلَّ سَبِيكَاتِهِ
وَتُرْعَةُ لَوْ لَمْ تَكُنْ حُلُوةً أَنْسَتْ « لَمَرَّتَيْنِ » بِحَيْرَاتِهِ (١)

(١) لامرئين : شاعر فرنسا العظيم - وقصيدته عن « البحيرة » ذائعة
وقد ترجمت الى العربية مرات .

أَوْ لَمْ تَكُنْ ثُمَّ حَيَاةُ الثَّرَى	لَمْ تُبْقِ فِي الْوَصْفِ لِحَيَاتِهِ
وَفِي فَمِ الْبَحْرِ لِمَنْ جَاءَهُ	لِسَانُ أَرْضٍ فَاقَ فُرْضَاتِهِ
تَنْحَشِدُ الطَّيْرُ بِأَكْنَافِهِ	وَيَجْمَعُ الْوَحْشُ جَمَاعَاتِهِ
مِنْ مَعَزٍ وَخَشِيَّةٍ ، إِنْ جَرَتْ	أَرَتْ مِنْ الْجَرَى نِهَائَاتِهِ
أَوْ وَثِبَتْ فَالْنَّجْمُ مِنْ تَحْرِهَا	وَالسُّورُ فِي أَسْرِ أَسِيرَاتِهِ
وَأَرْنَبُ كَالنَّمْلِ إِنْ أَحْصِيَتْ	تَنْبُتُ فِي الرَّمْلِ وَأَبْيَاتِهِ
يَعْلُو بِهَا الصَّيْدُ وَيَعْلُو إِذَا	مَا قَيْصَرُ الْقَى حَبَالَاتِهِ
وَمِنْ ظَبَاءٍ فِي كِنَاسَاتِهَا	تَهِيجُ لِلْعَاشِقِ لَوَاعَاتِهِ
وَالْخَيْلُ فِي الْحَى عَرَاقِيَّةُ	تَحْمِي وَتُحْمَى فِي بُيُوتَاتِهِ
غُرَّ كَأَيَّامِ عَزِيزِ الْوَرَى	مُحَبَّلَاتُ مِثْلِ أَوْقَاتِهِ

« وقال بهنئ الخديوى نوبقى بقدم نجليه من سياحتهما بأوروبا »

بائن، يُثنى على عليكَ إنسانُ
وما تهللتَ إذْ وافاكَ ذو أملٍ
لله ساحتك المسعودُ قاصدُها
لئن تباهى بك الدينُ الحنيفَ لكم
تراقبُ اللهَ فى مُلكٍ تدبرُه
أنجى لك اللهُ أنجالاً يهيبُهم
أعزةً أينما حلَّتْ ركائبُهم
لم تشبههم عن طلابِ العلمِ فى صغرٍ
نأى السعادةُ إلا أن تُسايرَهم
نجلانٍ قد بلغا فى المجدِ ما بلغا
يكفيهما فى سبيلِ الفخرِ أن شهدتا
هُما هُما ، تعرفُ العلياءُ قَدْرَهُما
ما الفرقدانِ إذا يوماً هُما طلعا
إلا وأنتَ لعينِ الدهرِ إنسانُ
إلا وأدهشه حُسنُ وإحسان
فإنما ظلُّها آمنٌ وإيمان !
تقومتْ بك للإسلامِ أركان
فأنتَ فى العدلِ والتقوى سُلطان
لرفعَةِ الملكِ إقبالٌ وعِرفان
لهم مكانٌ كما شاءوا وإمكان
فى عزِّ مُلكِك - أوطارُ وأوطان
لأنهم لِمُلوكِ الأرضِ ضيفان
مُعظَّمُ لهما بين الورى شان
بفضلِ سبقِهما رؤسُ وألمان
كلامُها كَلِفُ بالمجدِ يَقْظان
فى موكِبِ بهما يزهو ويزدان ؟

• • •

با كافى الناس بعد الله أمرهمُ النصرُ إلا على أيديكَ خذلان

ويا منيل المعالي والتندي كرمًا الربح من عبر هذا الباب خسرا
مولاي : هل لفتى بالباب معذرة فعقله في حلال الملك حيران ١٩
سعى على قدم الإخلاص ملتصبا رضاك . فهو على الإقبال عنوان
أرى جنابك روضا للتندي نصيرا لأن غصن رجائي فيه ريان
لا زال ملكك بالأنجال مبتهجا ما بات يُثنى على عليك إنسان

• وقال مهنثا للخديوي عباس بولادة احدى الكريكات • :

أعطى البرية إذ أعطاك بارها	فهل يُهنّيك شعري أم يُهنّيه؟
أنت البرية ، فاهناً ، وهى أنت ، فمن	دعالك يوماً لتهنا فهو داعيها
عيدُ السماء وعيدُ الأرض بينهما	عيدُ الخلائق قاصيها ودانيها
فبارك الله فيها يومَ مولدها	ويومَ يرجو بها الآمالَ راجيها
ويومَ تُشرقُ حولَ العرشِ صبيتها	كهالة زانتِ الدنيا دَراريها
إنَّ العنايةَ لما جاملتْ وعدتْ	ألا تكُفَّ وأن تَتَرى أياديها (١)
بكلِّ عالٍ من الأنجالِ تحسبه	من الفراقيدِ لو هُشَّتْ لرائيها
يقومُ بالعهدِ عن أوفى الجدودِ به	عن والدٍ أبلجِ الذماتِ عاليها
ويأخذُ المجدَ عن مصرٍ وصاحبها	عن السَّراةِ الأعلى من مواليتها
الناهضين على كرمي سُوددها	والقابضين على تاجي معاليها
والساهرين على النيلِ الحفِّ بها	وكأسها وحُمَيَّها وساقيةها

• • •

مولاي ، للنفس أن تُبدى بشائرها	بما رزقت ، وأن تهدي تهانيها
الشمسُ قدراً ، بلِ الجوزاءِ منزلةً	بَلِ الثُّرَيَّا ، بل الدنيا وما فيها
أم البنين إذا الأوطانُ أعوزها	مُدبِّرٌ حازمٌ أو قلَّ حاميتها
من الإناثِ سوى أنَّ الزمان لها	عبدٌ ، وأنَّ الملائكُ ناديتها

(١) تترى : متواترة متتابعة ، وقد استعملها الشاعر هنا بمعنى تتواتر

- ٢٠٩ -

وأنها سرُّ عباسٍ وبضعتُهُ فهي الفضيلةُ ، مالى لا أسمىها ؟ !
أغرُّ يستقبلُ العصرُ السلامَ به وتشرقُّ الأرضُ ماشاءتْ لياليها
على الأريكةِ بينِ الجالسينِ ، له منَ الفاخرِ عاليها ، وغاليها
عباسُ ، عِشْ لنفوسِ أنتِ طَلَبَتْها وأنتِ كلُّ مُرادٍ منِ تَناجِيها
تُسدِّي الرجاءَ وتدعوهُ لِيَصْدُقْها واللهُ أَصْدَقُ وعدًا ، وهوَ كافِيها

- ٢١٠ -

بَيِّنِي وَبَيِّنْ أَبِي الْعَلَاءِ

بَيِّنِي وَبَيِّنْ أَبِي الْعَلَاءِ قَضِيَّةً
فِي الْبِرِّ أَسْتَرْعِي لَهَا الْحُكَمَاءَ
هُوَ قَدْ رَأَى نُفْعِي أَبِيهِ جِنَايَةً (١)
وَأَرَى الْجِنَايَةَ مِنْ أَبِي نَعْمَاءَ

(١) يشير الى قول ابي العلاء المعري .
هذا جناه ابي علي ، وما جنت علي احد
وابو العلاء لم يتزوج ولم ينجب .

دَوَاءُ الْمُتَيِّمِ

دَاوِ الْمُتَيِّمَ ، دَاوِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَجِدَ الدَّوَا
إِنَّ التَّوَصِيحَ كُلَّهُمْ قَالُوا بِتَبْدِيلِ «الهُوَا» (١)

• • •

فَتَخْتُمُوا بَاباً عَلَى صَبَبِكُمْ لِلصَّدِّ ، وَالْهَجْرِ ، وَطُولِ النَّوَى
فَلَا تَلَوُّمُوهُ إِذَا مَا سَلَا قَدْ فُتِحَ الْيَابُ وَمَرَّ «الهُوَا» (١)

(١) يستعمل الشاعر كلمة « الهوى » على طريقة الإيهام عند البديعيين
فيقصد معنى ويوهم معنى غيره والهوَا « مقصور الهوَاء » غير الهوى
معنى العشق والمحبة .

وَكَتَبَ عَلَى صُورَةٍ مُّهِدَاةٍ لِصَدِيقٍ

سَعَتْ لَكَ صُورَتِي ، وَأَتَاكَ شَخِصِي وَسَارَ الظُّلُّ نَحْوَكَ وَالْجِهَاتُ
لَأَنَّ الرُّوحَ عِنْدَكَ وَفِي أَصْلٍ وَحَيْثُ الْأَصْلُ تَسْعَى الْمُلْحَقَاتُ
وَمِنْهَا صُورَةٌ مِنْ غَيْرِ رُوحٍ أَلَيْسَ مِنَ الْقَبُولِ لَهَا حَيَاةٌ ۝ ١٩

محجوبيات

« كان بين الشاعر والدكتور محبوب ثابت صلة متينة من الود ، وكان بينهما مسامرات ومداعبات أوجت الى الشاعر ببعض ما نشره بمد من شعر الفكاهة »

بَيْنَ مَكْسُوينِي وَالْأُوتُوْمُبِيلِ

« كان للدكتور محبوب ثابت حصان يرتاد به ماشاء من احياء القاهرة في أيام الثورة ، وكان أصدقاؤه يسمون حصانه « مكسويني » وهو اسم بطل أيرلندي مشهور انتحر جوما ، يكون بذلك عن هزال الحصان وجوعه وعدم العناية به . »

« وقد استبدل به الدكتور محبوب سيارة ، فنظم الشاعر هذه القصيدة القصيدة يداعب الدكتور ويعزى حصانه . وقد نشرت هذه القصيدة في سنة ١٩٢٤ » .

لكم في الخطِّ سيَّارةٌ حديثُ الجارِ والجارَّةِ
(أوفرلاندُ) يُنبِّيكَ بها القُنْصُلُ (طَمَّارَه) (١)
كسيَّارةٍ (شارلوت) على السَّواقِ جِبَّارَةٌ (٢)
إذا حَرَّكَهَا مالتْ على الجَنْبَيْنِ مُنْهَارَةٌ !
وقد تَحَرُّنُ أحيانًا وتمثيُّ وحدها نازة

(١) الشيخ طمارة : كان اماما بالمفوضية المصرية في واشنطن .

(٢) يعنى شارلى شابلن الممثل الهزلى المشهور .

- ٢١٥ -

ولا تُشبعُها عَيْنٌ مِنْ (البَنَزِينِ) فَوَارِدَ
ولا تُرَوَى مِنَ الزَّيْتِ وَإِنْ عَامَتْ بِهِ الْفَارِدَ
تَرَى الشَّارِعَ فِي دُغْرِ إِذَا لَاحَتْ مِنَ الْحَارِدِ
وَصِيبَانًا يَضِجُونَ كَمَا يَلْقَوْنَ طَبَّارَهُ
وَفِي مَقْدَمِهَا بَوْقٌ وَفِي الْمُوْخِرِ زَمَّارَهُ
فَقَدْ تَمْشَى مَتَى شَاءَتْ وَقَدْ تَرْجِعُ مُخْتَارَهُ
قَضَى اللَّهُ عَلَى السَّوَّا قِي أَنْ يَجْعَلَهَا دَارَهُ !
يُقْضَى يَوْمُهُ فِيهَا وَيَلْقَى اللَّيْلَ مَا زَارَهُ !

* * *

أَدْنِيَا الْخَيْلِ (يَا مَكْسِي) كَدُنِيَا النَّاسِ غَدَّارَهُ !
لَقَدْ بَدَّلَكَ الدَّهْرُ مِنْ الْإِقْبَالِ إِدْبَارَهُ
فَصَبْرًا يَا فَتَى الْخَيْلِ فَنَفْسُ الْحُرِّ صَبَّارَهُ
أَحَقُّ أَنْ (مَحْجُوبًا) سَلَا عَنْكَ بِفَخَّارَهُ ؟
وَبَاعَ الْأَبْلَقَ الْحُرَّ (بِأَوْفَرِ لَانْد) نَعَّارَهُ ؟
وَلَمْ يَعْرِفْ لَهُ الْفَضْلَ وَلَا قَدَّرَ آثَارَهُ
قَدْ اخْتَارَ لَكَ الشَّلْحَ وَمَا كُنْتَ لَتَخْتَارَهُ
فَسَلِّهِ : مَا هُوَ الشَّلْحُ ؟ عَسَى يُنْبِيكَ أَخْبَارَهُ
كَأَنَّ لَمْ تَحْمِلِ الرَّأْيَةَ يَوْمَ الرُّوْعِ وَالشَّارَهُ (١)
وَلَمْ تَرْكَبْ إِلَى الْهَوْلِ وَلَمْ تَحْمِلْ عَلَى الْغَارَهُ

(١) تشير الى ملازمته اياه في ابان الثورة المصرية سنة ١٩١٩ .

- ٢١٦ -

ولم تعطف على جرحي من الصبية نظاره
فمضروب برشاش ومقلوب بغداده
ولا والله ما كلف.....فت (محجوباً) ولا باره
فلا البرسيم تدرية ولا تعرف نواره !
وقد تروى على (صليت) (١) إذا نادمت سماره
وقد تسكر من خرد على الإفريز معقاره
وقد تشبع يا ابن اللي.....ل من رنة قيثاره !

* * *

عسى الله الذي ساق إلى (يوسف) سيّاره
فكانت خافهم دنيا له في الأرض كباره
يبي لك هواراً كريماً وابن هواره (٢)
ان الحظّ جوال وإن الأرض دواره !

(١) مشرف عام في القاهرة كان يرثاه الصفوة من سكان القساهرة ونزلانها .

(٢) هواره : قبيلة عربية يشتهر ابنوها بالكرم . وعلمها بطير منقوش من سعید مصر .

مَكْسُوِينِي ...

« وهذه مدائبه اخرى فيلت في مكسويني هسهه
الدكتور محجوب ايام الثورة المصرية حين كان
الدكتور يرتاد بار اللوا وجريدة الاهرام »

تفديك - يا مكس - الجياد الصلادم

وتفدى الاساءة النطس من انت محادم

كائنك - ان حاربت - فوقك عنتر

ستجزي التاميل التي ليس مثلها

فلانك شمس ، والجياد كواكب

... مثال بساح البرلمان منصّب

ولا تظفر (الأهرام) إلا بثالث

وكم تدعى السودان يامكس هازلاً

وما بك مما تبصر العين شهبة

كأنك خيل الترك شابت متونها

فيا رب أيام شهدت عصبية

وقائعها مشهورة والملاحم !

(١) نحسبه يعنى المأسوف عليه داود بركات رئيس الاهرام لذلك

ذخيرة

« وهذه مداعبة اخرى - لم تكمل - نقشها في ايام الثورة
وهو ينسب فيها الى ابني جيه كان الدكتور محجوب في
اكتنزها وحرس عليها في بنك حسن باشا سمع ١٠٠٠ »

قل لابن سينا : لا طبيبــــــــــــبَ اليومَ إلا الذمُّ
هو قبلَ بقراطٍ وقبــــــــــــلَكَ للجراحةِ مَرَمٌ
والناسُ مُدَّ كانوا عليــــــــــــبه دائرونَ وحُومٌ
ويسخره تعلو الأسا فِلُ في العيونِ وتعظمُ
يا هل تُرى الألفانِ وقــــــــــــفُ لا يُمسُ ومَحْرَمُ ؟
بنكُ «السَّعيدِ» عليهما حتى القيامةِ قيمٌ
لا «شيك» يظهرُ في البُنو لك ولا «حوالة» تُخصمُ !
«وأَعَفُ مَنْ لا قيتَ يلقــــــــــــاهُ فلا يتكرَّمُ !
... ..

بَرَاعِيْثُ مَحْجُوْبٍ

بَرَاعِيْثُ مَحْجُوْبٍ لَمْ أَنْسَهَا وَلَمْ أَنْسَ مَا طَعِمْتُ مِنْ دَمِي
تَشَقُّ خَرَاطِيْمُهَا جَوْرِي وَتَنْفُذُ فِي اللَّحْمِ وَالْأَعْظَمِ !
وَكُنْتُ إِذَا الْصَّيْفُ رَاحَ احْتَجَمْتُ تُفْجَاءُ الْخَرِيْفُ فَلَمْ أَحِجَمْ
تُرْحَبُ بِالْصَّيْفِ فَوْقَ الطَّ.....رِيْقٍ ، فَبَابِ الْعِيَادَةِ ، فَالْسُّلَمِ
قَدْ انْتَشَرَتْ جَوْقَةً جَوْقَةً كَمَا رُشَّتِ الْأَرْضُ بِالسُّمَيْمِ !
وَتَرْقُصُ رَقْصَ الْمَوَاسِي الْحِدَادِ عَلَى الْجِنْدِ ، وَالْعَلَقِ الْأَسْحَمِ

* * *

بَوَاكِيْرُ تَطْلُعُ قَبْلَ الشِّتَاءِ وَتَرْفَعُ أَلْوِيَةَ الْمَوْسِمِ
إِذَا مَا «ابْنُ سَيْنَا» رَمَى بِلَغْمًا رَأَيْتَ الْبَرَاعِيْثَ فِي الْبَلَاغِ
وَتُبْصِرُهَا حَوْلَ «بَيْبَا» الرَّئِيسِ (١) وَفِي شَارِبِيْهِ وَحَوْلَ الْقَمِّ !
وَبَيْنَ حَفَائِرِ - أَسْنَانِهِ مَعَ السُّوسِ فِي طَلَبِ الْمَطْعَمِ !

(١) ابن سينا ، والرئيس : كناية عن الدكتور محجوب نفسه ، ومن
الاشياء الحبيبة اليه التدخين في « البيبا » .

محتويات الكتاب

أولا : «تفرقات في السياسة والتاريخ والاجتماع :

صفحة	عنوان القصيدة	مطلعها	القافية
١٠	الجامعة المصرية ..	ياح انبلادنا نحيه وسلام	الاحلام
١٤	بنك مصر ..	تراويح بالحدودات او فنادى ..	القبادة
١٧	دار بنك مصر ..	نبذ الهوى وسحا من الاحلام ..	منام
٢١	دار العلوم ..	انذلت السماء با دار ركننا ..	سكنا
٢٤	اسكندرية ان أن تتجدي ..	امس انقضى واليوم مرفاة الغد	تتجدي
٢٦	شبية الوادى عرفنا صوتكم ..	لا يقيمن على الضيق الاسد ..	الروث
٢٩	عيد الجهاد ..	خطرنا فى الجهاد خطا فساجا ..	السلحا
٢٢	معالي العهد ..	معالي العهد قمت بها نطيما ..	فديما
٢٨	رسالة الناشئة ..	احمد الله واطرى الانبياء ..	الضياء
٤٢	حج الامير ..	دامت معاليك فينا ياابن لاطمة ..	نبراس
٤١	اسماعيل ..	ابيك اسماعيل مصر وفى البكا ..	المستعير
٤٥	حريق ميت غمر ..	الله يحكم فى المدائن والقرى ..	كما جرى
٤٨	خطبة غليوم ..	يا رب ما حكمك ؟ ماذا ترى ؟ ..	الطويل
٤٩	نادى الموسيقى الشرقى ..	حط يدك الروضة الغناء ..	بناء
٥٢	فى دار الاوبرا ..	حبنا الساحة والظل الظليل ..	جميل
٥٥	مصرع بطرس غالى باشا ..	بنى القبط اخوان المدهور ..	ثانيا
٥٦	تحية غليوم الثانى لصلاح الدين		
	فى القبر ..	عصم الناس من يبكى العظاما ..	عظاما
٥٧	الفنار ..	سما نفاى الشهباء ..	فالتها
٦٠	القمر على آفاق كائنات ليله		
	المولد ..	فدينك من زائر مرتقب ..	عجب
٦١	أثينا ..	ان تسالى عن مصر حواء القرى ..	والانار
٦٢	ذكرى محمد فريد ..	نجدد لذكرى عهدكم ونعبد ..	بعيد
٦٤	النخل ما بين المنتزه و أبى قير	ارى شجرا فى السماء احتجب ..	عجب
٦٦	البحر الابيض ..	امن البحر صائغ عبقرى ..	مفرى
٦٩	قف حى شبان الحمى		بفانيه
٧١	تنى عظيمهما الهرمان نيهما ..	بارض الجيزة اجثال الغمام ..	التمام
٧٤	الاميرة فتحية ..	فتحية دنيا تلوم وصحة ..	وحياة
٧٥	تهنئة ..	يد الملك العلوى الكريم ..	الادب
٧٦	يا قاهر الغرب العتيد ..	شرقا نصير ارفع جبينك عاليا ..	الاكليلا
٧٨	ابن زيدون ..	يا بن زيدون مرحبا ..	التغيا
٨٠	الببل الفرد ..	وعصابة بالخير الف شملهم ..	ورفاقا

صفحة	عنوان القصيدة	موضوعها	القافية
٨١	خليل مطران	لبنان مجلدك في المشارق أول	سنام
٨٢	غاندي	بنى مصر ارفعوا الغار	الهند
٨٦	أحبة أبولو	أبولو ء مرحبا بك يا أبولو	ظل
٨٧	أفنية	بى مثل ما بك يا قمريه الوادى	نادى
٨٨	ياشراعا وراء دجلة		العوادى
٨٩	الرجل السعيد	عفيف البهر وانهمس	بالامس
٩١	الامر	وجدت الحياة طريق الزمر	آخر
٩٢	الستار	قدمت بين يدي نفسا اذنبت	الانوار

ثانيا : الخصوصيات :

٩٤	أبو على	سار شوفى ابا على	التراثى
٩٥	الزمن الاخير	على لو استشرت اباك ديلا	المستشر
٩٦	صاحب عهد	رزقت صاحب عهدى	بعدى
٩٧	يا ليلة	يا ليلة سميتها لمتى	مرت
٩٨	امينة	امينتى فى عامها الاول	الملك
٩٩	طفلة لاهية	امينة يا ابنتى القافية	الثانية
١٠٠	الانانية	احبدا امينة وكتبها	يحبها
١٠٢	لمبة	سفار بطوان تسنبر	الاكبر
١٠٥	زين الهود	يا شبه سيدة البتول	الظهور
١٠٦	أول خطوة	عده أول خطوه	كبوه
١٠٧	يوم فراقه	بكينا لاجل خروجه فى زوده	فراقه
١٠٨	مظلوم	قسمت لو امر الزمان سماء	وانجومه
١٠٩	سرنا أنك ارتقيت	يا عزيزا لنا بمصر علمنا	فانز
١١٠	بلغتنى أملا	ذى حمة دونها فى شأوها الهمم	نعم
١١١	أصيب المجد يوم أصبت	اتتنى الصحف عنك مخبرات	كالحادثات
١١٢	سألتك بالوداد	سألتك بالوداد ابا حسين	والمهود
١١٣	أهنا أخى !	قالوا « تمايز » حمزة	قديم
١١٤	يا نصيب !	لقد واقتنى البشرى	سرا
١١٥	المدامة !	كن فى التواضع كالمدامة	الكثوس
١١٦	تاريخ !	وجنات من الاشعار فيها	ذوق
١١٧	اليق ديوان ظهر !	مجموعة لاحد	بهر
١٢٠	أنت وأنا !	يكون أن رجلا كرديا	همشريا
١٢١	نديم البالدجان !	كان لسلطان نديم وال	اختلاف
١٢٢	ضيافة قطة !	لست يتاس ليلة	مرت
١٢٥	الصيد والمصفورة	حكاية الصيد والمصفورة	صوره
١٢٧	البلبل التى ربها اليوم	انبت أن سليمان الزمان ومن	ناجها
١٢٨	الديك الهندى والدجاج البادى	بينا ضماي من دجاج الريف	طريف

صفحة	عنوان القصيدة	مطلعها	القافية
١٢٩	العصاور والفدير المهجور ...	الم عصفور بمجرى صاف ...	الالاف
١٣٠	الافعى النيلية والعقوبة الهندية	وهذه واقعة مستغربة ...	العقوبة
١٣٢	الساوى والجواد ...	قال السلوقى مرة للجواد ...	القياد
١٣٣	فار الفيط وفار البيت ...	قال كانت فارة الفيطان ...	الفيوار
١٣٥	مالك الغربان وندور الخادم ...	كان للغربان في العصر منك ...	أريك
١٣٦	الظبي والعقد والخنزير ...	ظبي رأى صورته في الماء ...	السماء
١٣٧	ولى عهد الاسد وخطبة الحمام	له دعى داعى أبى الاشبال ...	الانجال
١٣٨	الاسد والثعلب والعجل ...	نظر الليث الى عجل سمين ...	أمين
١٤٠	الفرد والفيل ...	فرد رأى الفيل على الطريق ...	التعويق
١٤١	الشاة والغراب ...	مر الغراب بشاة ...	المظيم
١٤٢	أمة الارانب والفيل ...	يحكون أن أمة الارانب ...	بجانب
١٤٤	حكاية الخفاش ومليكة الفراش	مرت على الخفاش ...	الفراش
١٤٧	الاسد ووزيره الحمام ...	الليث ملك القفار ...	الصحارى
١٤٨	النملة والمقطم ...	كانت النملة تمشى ...	المقطم
١٤٩	الغزال والكلب ...	كان فيما مضى من الدهر كلب ...	غزال
١٥٠	الثعلب والديك ...	برز الثعلب يوما ...	الرواعطينا
١٥١	التمجة وأولادها ...	أسمع نفائس ما يأتيك من حكى ...	واعى
١٥٢	الكلب والقط والفار ...	فار رأى القط على الجدار ...	الحصار
١٥٣	سليمان والهدد ...	وقف الهدد في باب ...	بذله
١٥٤	سليمان والطاووس ...	سمعت بأن طاووسا ...	سليمانا
١٥٦	الفصن والخنفساء ...	كان بروض غصن ناعم ...	المنفرد
١٥٧	الفبرة وابنه ...	رأيت في بعض الرياض قبره ...	الشجر
١٥٨	التمجتان ...	كان لبعض الناس تمجتان ...	ترعيتان
١٥٩	السفينة والحيوانات ...	لما أتم نوح السفينة ...	المعينة
١٦٠	القرود في السفينة ...	لم يتفق مما جرى في المركب ...	النبى
١٦١	نوح عليه السلام والتمسلة في		
	السفينة ...	قد ود نوح أن يياسط فومه ...	الحيوان
١٦٢	الدب في السفينة ...	الدب معروف بسوء الظن ...	عنى
١٦٣	الثعلب في السفينة ...	أبو الحصين جال في السفينة ...	والسمنه
١٦٤	الليث والذئب في السفينة ...	يقال إن الليث في ذى الشدة ...	الودة
١٦٥	الثعلب والارانب في السفينة ...	أتى نبي الله يوما ثعلب ...	مذنب
١٦٦	الارانب وبنت عرس في السفينة	قد حملت احدى نسا الارانب ...	المركب
١٦٧	الحمار في السفينة ...	سقط الحمار من السفينة في الدجى	وترحموا
١٦٨	سليمان عليه السلام والحمامة	كان ابن داود يقرب ...	بحمامه
١٧٠	الاسد والصفادع ...	أنفع بما أعطيت من قدرة ...	المجمع
١٧١	النملة الزاهدة ...	سمى الفتى في عيشه عبادة ...	للسعادة
١٧٢	اليمامة والصيد ...	يمامة كانت بأعلى الشجرة ...	مستترة
١٧٣	الكلب والحمامة ...	حكاية الكلب مع الحمامة ...	بالكرامة

صفحة	عنوان القصيدة	مطلعها	القيامة
١٧٤	الكلب والبيفاء	كان لبعض الناس بيفاء	الاصفاء
١٧٥	الحمار والجمل	كان لبعضهم حمار وجمل	ملل
١٧٦	دودة القز والدودة الوضاعة	لدودة القز عنلى	الاضواء
١٧٨	الجمل والثعلب	كان على بعض الدروب جمل	بحمل
١٧٩	الغزالة والابان	غزالة مرت على ابان	الاسنان
١٨٠	الثعلب الذى انخدع	قد سجع الثعلب اهل القرى	ثعلب
١٨١	ثعالة والحمار	اتى ثعالة يوما	حمار
١٨٢	البغل والجواد	بغل اتى الجواد ذات مرة	مسرة
١٨٣	النارة والقط	سمعت إن نارة اتاما	فتاما
١٨٤	الفزال والخروف والتيس	تنزع الفزال والخروف	الظريف
١٨٥	الثعلب والارنب والديك	من امجب الاخبار ان الارنب	الثعلب
١٨٦	الثعلب وام اللثب	كان ذئب يتغذى	عظمه

رابعا : ديوان الأطفال :

١٨٨	الهرة والنظافة	مرتى جد اليفة	حليقة
١٨٩	الجسدة	لى جدة تراف بى	أبى
١٩٠	الوطن	عصفورتان فى الحجاز	فن
١٩١	الرفق بالحيوان	الحيوان خلق	حق
١٩٢	الام	لولا التقى لقلت لم	الولد
١٩٣	ولد الفراب	ومهد فى الوكر من	مزق
١٩٥	النيسل	النيل العذب هو الكون	الاخضر
١٩٦	المدرسة	انا المدرسة اجعلنى	عنى
١٩٧	تشيد مصر	بنى مصر مكانكموها	هيا
١٩٩	تشيد الكشافة	نحن الكشافة فى الوادى	حادى

خامسا : من شعر الصبا :

٢٠٢	عصر الاعزة ما أعز حماكا !	سماكا
٢٠٤	قصر المنتزه	جناه
٢٠٦	ما بات يشنى على عليك انسان	أنسان
٢٠٨	أعطى لبرية اذ أعطاك بارها	يهنيها
٢١٠	بينى وبين أبى العلام قضية	الحكام
٢١١	دواء التيم	دوا المتيم داوه

صفحة	نوار العصبه	مظلمها	القاصه
٢١٨		محمود س.ا على سكه	النوى
٢١٩	وكيب على موره	سعتك لك صوري وادك شخصي	الحيات

سادسا : محتويات :

٢١٤	بن مكسوينى والايومين	لكن فى الخط سياره	الجاره
٢١٧	مكسوينى	نفديك يامكس الجيد الصلادم	الخادم
٢١٨	ذخيره	فل لابر سيننا لا نسب	الدريم
٢١٩	براعيث معجوب	براعيث معجوب ام انها	دى

تم الفهرس

